مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية
سلسلة الأدلة والكشافات

ملف رقم (١٧)

التكشيف الاقتصادي للتراث
الاستهلاك ـ الأسعار
موضوع رقم (٩ - ١٠)

إعداد
الدكتور / أحمد جابر بدران
بإشراف
أ . د / علي جمعة محمد

فهرس محتويات ملف (١٧) الاسعار

(٢) موضوع (١٩)

١٩ الأسعار ج ٤

ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغة ج ٤ / ١٣

١ – على بن أبى طالب يبتاع قميصا سملا بأربعة دراهم جـ ٢ ص ٣٠٢

٢ – على بن أبى طالب يشترى لجاما بدرهمين جـ ٣ ص ١٦٠

٣ – الصقعب بن يزيد يشترى فرسا بثلاثة آلاف درهم جـ ٤ ص ١٧٦

٤ – عندما دخل الزنج البصرة كانت الجارية تباع درهمين وبثلاثة دراهم جـ ٨ ص ١٥٠

٥ – غلاء أسعار خبز القمح أثناء ثورة الزنج ج٨ ص ٢٠٣

٦ – طلحة يبيع أرضا له بسبعمائة ألف جـ ١٠ ص ٥

٧ – أحد أبناء عمر بن عبد العزيز يشترى خاتما بألف درهم جـ ١١ ص ١٩٧

٨ – قومت ثياب عمر بن عبد العزيز أيام خلافته باثنى عشر درهما ج١١ ص ٢٣٧,١٩٧

٩ – معاوية بن أبى سفيان يشترى لعقيل بن أبى طالب جارية بأربعين ألفا ج١١ ص ٢٥١، ٣٥٢

١٠ – معاوية بن أبى سفيان يشترى أرضا من مسلم ابن عقيل بمئة ألف ج١١ ص ٢٥٢

١١ – سعد بن أبى وقاص يشترى السقيا بكرين ويقال بسبع أواق جـ ١٤ ص ٨٨

ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ٤ / ٦٣

١ – أسعار البرذون والزردية والسيف زمن هارون الرشيد جـ ٢ ص ٤٧

٢ – الغلاء بالحجاز والعراق زمن ابن طولون حتى لغ الكر من الحنطة ببغداد مائة وخمسين دينارا جـ ٣ ص ٣١

٣– فى سنة ٢٨١ هـ غارت المياه بالرى وطبرستان فصار اللماء يباع ثلاثة أرطال بدرهم جـ ٣ ص ٨٦

٤ – فى سنة ٣٤٩ هـ غلا السعر ببغداد حتى بيع كر القمح بمائة وعشرين دينارا والشعير بتسعين دينارا ج٣ ص ٣٤٩

٥ – فى سنة ٣٣٠ هـ اشتد القحط ببغداد حتى بيع كر القمح بثلاثمائة وستة عشر دينار ج٣ ص ٣٧٥

٦ – معز الدولة يشترى كر الدقيق بعشرين ألف درهم ج٣ ص ٣٨٦

٧ – فى سنة ٣٥٨ هـ كان القحط ببغداد وبيع الكر بتسعين دينار جـ ٤ ص ٢٦

٨ – الخليفة المطيع يبيع ثيابه وأنقاض داره من ساج ورصاص بأربعمائة ألف درهم ج٤ ص ٦٦

٩ – فى سنة ٣٨٣هـ عظم الغلاء حتى بلغ ثمن كر القمح ببغداد ستة الاف درهم وستمائة درهم غياثى ج٤ ص ١٦٤

١٠ – حدث فى أيام المستنصر بمصر الغلاء ودام سبع سنين وبيع رغيف واحد بخمسين دينارا جـ ٥ ص ٢–٤، ١٥–١٧

١١– الغلاء وارتفاع الأسعار فى الموصل والجزيرة وبغداد سنة ٤٣٩ هـ ج٥ ص ٤٣

١٢ – الغلاء والقحط وارتفاع الأسعار فى بغداد والشام ومصر سنة ٤٤٨ هـ ج٥ ص ١٠٢,١٠١,٨٤,٨٣,٧٩,٥٩

١٣– سعر ال ؟؟ والحصان والحمار بعد وقعة الزلاقة بالأندلس جـ ٦ ص ١٣٨,١٣٧

١٤– ثمن قنطار الزيت بالقدس عشرة دراهم والرطل النحاس نصف درهم سنة ٦١٦هـ ج٦ ص ٢٤٥

١٥ – الغلاء وارتفاع الأسعار بدمشق ومصر سنة ٦٤٣هـ ج٦ ص ٣٥٢

١٦ – الغلاء بمكة حيث بيعت شربة الماء بدرهم والشاة بأربعين درهما سنة ٦٥١ هـ جـ ٧ ص ٣٠

١٧ – الملك السعيد يشترى دارا بدمشق بثمانية وأربعين ألف درهم نقرة ج٧ ص ١٧٦

١٨ – سنة ٦٦٢ هـ كان الغلاء بمصر فبلغ الأردب من القمح مائة درهم وخمسة دراهم نقرة جـ ٧ ص ٢١٤,٢١٣

١٩ الغلاء وارتفاع سعر القمح بمصر من خمسة وعشرين درهما للأردب الى مائة وعشرين درهما فى ولاية الملك الناصر محمد بن قلاون الثانية جـ٨ص ١٢٩,١٢٨,٧٩,٧١,٦٠,٥٧

٢٠ – بيع الكبش الكبير السمين بمصر من ثلاثة دراهم الى درهم، والمعز بدرهم، والجزة الصوف بنصف درهم زمن السلطان قلاوون ج٨ ص ١٥٣

٢١ – بلغ كراء المراكب التى تحمل عشرة أنفس الى مائة درهم سنة ٦٩٨ هـ ج٨ ص ١٥٥

٢٢ – سعر الحمار بدمشق ستمائه درهم وسعر الحمل ألف درهم فى ولاية السلطان ؟ قلاوون الثانية ج٨ ص ١٥٨

٢٣ – ارتفاع سعر القمح وسائر الغلال سنة ٧٠٩ هـ ج٨ ص ٢٤٣

٢٤ – انحباس الأمطار فى مصر سنة ٧١٠هـ وارتفاع الأسعار جـ ٩ ص ١٠

٢٥ – رخص أسعار القمح زمن السلاطن قلاوون ج٩ ص ٤٥

٢٦– بيع أردب الملح زمن السلطان قلاوون بثلاثة دراهم بعد ما كان بعشرة دراهم ج٩ ص ٦٢

٢٧ – ارتفع سعر الذرة باليمن سنة ٧١٠هـ من ثلاثين درهما للأردب الى تسعين ج٩ ص ٨٦

٢٨ – فى سنة ٧٤٦ هـ قلت مياه النيل فبلغت رواية الماء درهمين بعد ما كانت بنصف وربع درهم جـ ١٠ ص ١٣٠

٢٩– بلغت جرة الخمر زمن السلطان الكامل ثلاثين درهما ج١٠ ص ١٤١

٣٠ – حجر بلخش (ياقوت زحمر) زنته أربعون درهما وقيمته مائتا ألف درهم ص ١٨٣

٣١– رخص الأسعار بمصر فى ولاية السلطان الناصر حسن جـ ١٠ ص ٢١٠

٣٢– أسعار الفروج والسفرحل والرمان بمصر سنة ٧٦٤ هـ جـ ١١ ص ٦٦

٣٣– الغلاء بالديار المصرية سنة ٧٦٤هـ وتزايد سعر القمح الى أن بيع بتسعين درهما للاردب ج١١ ص ٦٥

٣٤– الغلاء بالبلاد الشامية سنة ٧٦٤ هـ حتى بيع رطل الخبز بدرهمين ج١١ ص ٦٨

٣٦ – أسعار الأدوية فى مصر سنة ٧٩٦ هـ جـ ١٢ ص ١٤٠

٣٧ – غلاء الأسعار بغزة سنة ٨٠٧هـ لقلة الأمطار، وبلغت الويبة من القمح مائة وعشرين درهما ج١٢ ص ٣١٧

٣٨ – غلاء الأسعار دمشق أثناء حصار تيمورلنك ج١٢ ص ٢٤٢

٣٩ – السلطان المؤيد يتصدى بنفسه للنظر في الأسعار فبلغ سعر أردب القمح ستمائة درهم ان وجد جـ ١٤ص٣٩

٤٠– ثمن الحمار فى حماة سنة ٨٢١ هـ خمسمائة درهم فضة والاكديش خمسين دينارا ج١٤ ص ٦٨

٤١ – أثناء الطاعون بمصر سنة ٨٣٣ هـ ارتفاع سعر ما يحتاج اليد المرضى كالسكر وبزر الرجلة والكمثرى ج١٤ ص ٣٤٠

٤٢ – ارتفاع الأسعار بمصر سنة ٨٥٣ هـ الى أن بيع أردب القمح بأربعمائة درهم جـ ١٥ص ٣٩٦

٤٣– فى سنة ٨٥٤ هـ أرتفعت الأسعار وبلغ سعر القمح ثمانمائة درهم للأردب ج١٥ ص ٤٠٥

٤٤ – غلاء الأسعار بمصر سنة ٨٥٤ هـ فى جميع المأكولات، وتزايد أثمان البغال ج١٥ ص ٤٢٣

٤٥ – ارتفاع أسعار البقر بمصر سنة ٨٥٥ هـ الى مائة وعشرين دينارات ج١٥ ص ٤٣٦

٤٦ – غلاء الأسعار بمصر سنة ٨٥٤ هـ حيث وصل سعر القمح الى ألفى درهم للاردب والحمل التين الى سبعمائة درهم جـ ١٥ص ٥٤٧

٤٧ – غلاء الزسعار بمصر سنة ٨٥٥ هـ حتى بيع القمح بنحو ألف وخمسمائة درهم للاردب والفول والشعير بألف درهم للاردب جـ١٦ص١

٤٨– ارتفاع أسعار المأكولات والملابس والغلال والأعلاف فى القاهرة دون ظواهرها سنة ٨٦٠هـ ج١٦ ص ٩٨

٤٩ – السلطان الأشرف اينال ينادى بخفض ثلث ثمن جميع البضائع فى المأكل والملبس كما نقص سعر الدرهم الثلث ج١٦ ص ١١٦

٥٠– ارتفاع الأسعار بالقاهرة سنة ٨٦٤ هـ حتى بيع القمح كل أردب بستمائة درهم ج١٦ ص ١٤٢

٥١ – انحطاط سعر الغلال والشعير والتبن بعد انحسار الطاعون عن مصر سنة ٨٦٤هـ ج١٦ ص ١٤٦

الخزاعى، كتاب تخريج الدلالات السمعية ج ٢ / ٧

١ – ثمن البعير زيام رسول الله (ﷺ) فى المدينة أوقية ودرهم أو درهمين ص ٦١٧,٦٠٧,٥٩٢

٢– رسول الله (ﷺ) يشترى فرسا بعشرة أواق ص ٣٧٧

٣ – رسول اللهﷺ يشترى بعيرا من أبى بكر بأربعمائة درهم ص ٦٣٨

٤ – ثمن السروال فى مكة قبل الهجرة ثلاثة دراهم ابن خلكان، وفيات الأعيان ص ٦٠٤ ، ٦٠٧

١ – رجاء بن حيوة يشترى لعمر بن عبد العزيز ثوبا بستة دراهم وثبا آخر بستمائة درهم جـ ٢ ص ٦١,٦٠

٢ – ثمن قربة الماء بمكة عندما حفرت زبيدة الابار بمكة جـ ٢ص٧٧

الذهبي ، سير أعلام النبلاء ج ٤ / ١٦

١ – وقوع الغلاء فى بغداد سنة ٢٦٠هـ جـ١٢ص ٥٤٣

٢ – اشتداد الغلاء فى بغداد سنة ٣٧٦هـ جـ ١٥ ص ١٢٤

٣ – ونوع الغلاء فى مصر لمدة أربع سنين ما بين سنة ٣٦٠–٣٦٤هـ جـ١٥ ص ١٦٥، ١٩٠، ١٩١

٤ – عثمان بن عفان يدفع بأرض لطلحة بن عبيد الله ثلاثمائة ألف درهم ثمنا لها جـ ١ ص ١٩

٥ – طلحة بن عبيد الله يبيع حائطا له بستعمائة ألف درهم ج١ ص ١٩، ٢٠

٦ – باع الزبير بن العوام دارا له بستمائة ألف درهم ج١ ص ٣٦

٧ – الزبير بن العوام يشترى أرضا بالغابة بسبعين ومائة ألف وبيعها ابنه عبد الله بألف ألف وستمائة ألف ج ١ ص ٤٤

٨ – عد الرحمن بن عفو يبيع أرضا له بأربعين ألف دينار ص ٥٤

٩ – معاوية بن أبى سفيان يشترى من حويطب بن عبد العزى القرشى دارا فى المدينة بأربعين ألف دينار جـ ٢ ص ٣٨٨

١٠ – باع قيس بن سعد بن عبادة لمعاوية مالا بتسعين زلفا جـ ٣ ص٧٠

١١ – معاوية يشترى من عمرو بن سعيد بن العاص بستانه فى العرض بثلاثمائة ألف درهم ج ٣ ص ٢٩٦

١٢ – عبد الله بن جعفر يشترى سبخة بستين ألفا ويحييها ج٣ ص ٣٠٤

١٣ – الزبير بن العوام يبيع أرض التى فى الغابة لمعاوية بمائة ألف دينار جـ ٤ ص ٢٤٩

١٤ – عبد السلام بن حبيب المعروف بسحنون يبيع بستان زيتون له بثمانمائة دينار جـ ١٢ ص ٦٧

السبكي، طبقات الشافعية الكبرى

١ – أحد الفلاحين يبيع زمن السلطان خوارزمشاه جوهرتين عظيمتين بألف دينار لأنه لم يعرف قيمتهما ج١ ص ١٧٧

٢ – دعلج بن أحمد الفقيد (ت ٣٥١هـ) يشترى دار العباسية بمكة بثلاثين ألف دينار جـ ٢ ص ٢٢٢

السخاوي، الضوء اللامع ج ٤ / ٣

١ – ادريس بن ابراهيم اليمانى (ت٨٨٢هـ) يشترى دارات بمكة بخمسمائة دينار ج٢ ص ٢٦٦

٢ – غلاء الزسعار فى بغداد زثناد حصار جهانشاه بن قر يوسف لابنه بداق حيث بيع رأس الغنم بمائة دينار مصرية والرطل البغدادى من الثوم بنحو خمسة عشر دينارا جـ ٣ ص ٢، ٣

٣ – جانبك الطويل (ت٨٩٣هـ) يشترى دارا بدمشق بثلاثة الاف دينار ص ٥٧

سفيروس بن المقفع، سير بطارقة الاسكندرية ج ٤ / ٤

١ – الغلاء بمصر أيام عبد الله بن أبى السرح ص ١١١

٢ – الغلاء بمصر أيام أسامة بن زيد ص ١٥٠

٣ – ٢٥ أردب قمح بدينار أيام أسامة بن زيد ص ١٥٠

٤ – ٤٠ اردب قمح بدينار ص ١٥١

٥ – النبيذ أربعون مطرا بدينا ص ١٥١

٦ – الزيت مائة قسط بدينار ص ١٥١

٧ – الغلاء بمصر زيام القاسم بن عبيد الله ص ١٦٤

٨ – القمح بثلث دينار فى أواخر القرن الثانى الهجرى ص ٢٣١

٩ – الغلاء بمصر فى أوائل العصر العباسى ص ٢٣١

١٠ – الغلاء زيام الفتنة (المأمون) بمصر ص ٢٦١

١١ – ويبة القمح دينار (أيام المزمون) بالقاهرة ص ٢٦١

١٢– ويبة القمح بدينارين ودرهم أيام الجروى (زمن المأمون) بالاسكندرية

١٣ – خص ويبات قمح بدينار بمصر، فى أواخر عهد المأمون ص ٢٧٦

أبو شامة، كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ج٤ / ٦

١ – نور الدين زنكى يهب شيخ اله وفيه عماد الدين ابن عمامة من القصب الرقع بيبيعها فى بغداد بستمائة دينار أميرى أو سبعمائة دينار وفى رواية أنه باعها فى همدان بألف دينار

٢ – غلاء أسعار الأقوات لانقطاع الطرق وعمد وصول الغلات أثناء حصار نور الدين زنكى لدمشق جـ ١ص ٩٦.

٣ – كان سعر الحنطقة فى المدينة المنورة كل صاعين بدينار مصى ولكنه بيع زمن نور الدين زنكى سنة ٥٥٩ هـ كل سبعة زصع بدينار ج١ ص ١٣٨

٤ – نور الدين زنكى يشترى فصا من ياقوت بألف ومائة دينار ج١ ص ١٤٠

٥ – بلغت أجرة الجمل في مصر زثناء حرق الافرنج للقاهرة سنة ٥٦٤ هـ ثلاثين دينارا ج١ ص ١٧٠

٦ – اشتداد الغلاء فى العراق ومصر وديار بكر وديار الجزيرة والشام سنة ٥٧٤ هـ واستمر ذلك مدة عام جـ ٢ ص ٥

ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها

١ – ثمن الحمل عشرة دنانير ص٤٦

أبو عبدة، كتاب النقائض

١ – غالب بن صعصعة بعقر فحلا من الابل ثمنه أربعة آلاف درهم فى خلافة عثمان بن عفان جـ ١ ص ٤١٧

ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب

١ – موقف الرسول (ﷺ) من الأسعار جـ ١ ص ١٢

٢ – غلاءسعر القمح فى بغداد سنة ٢٦٠ هـ جـ ٢ ص ١٤٠

٣ – حصول غلاء فى الأسعار ببغداد فى السنوات ج٢ ص ٣٣٠–٣٣٤ ص ٣٣٤، ٣٢٥، ٣٣١، ٣٣، ٣٣٥

٤ – غلاء الأسعار فى بغداد بسبب القحط فى العراق سنة ٣٧٣هـ جـ ٣ ص ٨٠

٥ – غلاء الأسعار فى بغداد سنة ٣٨٢هـ ج٣ ص ١٠٢

٦ – حصول غلاء شديد فى العراق سنة ٤١١ هـ

٧ – حدوث الغلاء فى العراق وتأثر الناس به لمدة سبع سنوات أيام الخليفة الستنصر ج٣ ص ٣٨٢

٨ – غلاء الأسعار بدمشق سنة ٦٤٣ هـ جـ ٥ ص ٢١٦

٩ – حصول غلاء فى الشام بسبب حصار المسلمين لحصن الكرك سنة ٧٤٣ هـ جـ ٦ ص١٣٧

١٠ – اشتداد الغلاء فى بلاد الشام لمدة ثلاث سنوات ابتداء من سنة ٧٧٧هـ ج٦ ص ٢٥٠

١١ – غلاء الأسعار بمصر وشمال افريقية بسبب الطاعون الجارف سنة ٨١٩ هـ جـ ٧ ص ١٣٤

١٢ – اشتداد الغلاء فى خراسان سنة ٨٣٥ هـ لحصول القحط ج٧ ص ٢١١

ابن قدامة، المغنى

١ – عمر بن الخطاب يشترى دار السجن بمكة من صفوان ابن أمية بأربعة آلاف درهم جـ ٤ ص ٢٠ ، ٥٩ (الشرح) ص٢٨٩، ٣٠٥ (المغنى)

٢ – عثمان بن عفان يشترى بئر رومة بعشرين زلف درهم ويجعلها للمسلمين ج٤ ص ٢٢ (الشرح ج٤ ص ٢٠١ (المغنى)

الكتبى، فوات الوفيات ج ٤٥ / ٤

١ – ارتباط سعر العبد بنوع المهنة التى يجيدها أو بمقدار علمه ج٤ ص ١٩٩

٢ – من أسباب غلاء الزسعار جـ ١ ص ١٤٠ ، ٢٩١

٣ – دور الوزير والتجار ومتضمنى غلات السواد فى تحديد الأسعار فى العراق جـ ٢ ص ٤٣٥

الكندى، كتاب الولاة وكتاب القضاة ج٤ / ٤

١ – غلاء الأسعار بمصر أيام عبد الله بن عبد الملك ص ٣٢٧,٢٥٩

٢ – غلاء الأسعار بمصر سنة ٣٥٧ هـ لنقص النيل ص ٢٩٧

٣ – غلاء الدواب سنة ١٢٠ هـ اذ بلغ سعر الحمار أربعة دنانير ص ٣٤٩

المقدسى، البدء والتاريخ ج ٤ / ٣

١– بيع البرذون زمن المهدى بدرهم، والدرع بدرهم جـ ٦ ص ٩٦

٢ – المأمون يأمر أخاه المعتصم باتخاذ الأتراك للخدمة وكان الواحد منهم يشترى بمائة ألف ومائتى ألف ج٦ ص ١١٢

٣ – المجاعة تصيب الناس زمن المأمون حتى بلغ المد (لعله من القمح) عشرون دينارا ج٦ ص ١١٢

المقريزى، الخطط المقريزية

١ – أثمان الملابس جـ ١ ص ٤١٠–٤١١

٢ – ثمن الجمل سنة ٢١٦ هـ ثلاثة دنانير ج١ ص ١٩٥

٣– غلاء الأسعار بمصر فى خلافة الوليد بن عبد الملك جـ ١ ص ٣٠٢

٤ – غلاء بمصر سنة ٣٥١–٣٥٣ ج١ ص ٣٢٩

٥ – سعر اللحم فى القرن الثانى أربعة– فلوس للرطل ج١ ص ٣٣٠

٦ – سعر القمح بمصر أيام الطولونيين خمسة أرادب بدينار ج١ ص ٣٣١

٧ – سعر القمح بمصر أيام أحمد بن طولون ١٠ أرادب بدينار ج١ ص ٣٣١

٨ – القميص الديبقى يباع بخمسين دينارا ج١ ص ٣٣٢

٩ – الغلاء الذى عرف بالشدة العظمى سنة ٤٤٦ هـ ج١ ص ٣٣٥ – ٣٣٧

١٠ – أسعار الخبز والقمح والمأكولات ومواد أخرى سنة ٥٨٧هـ جـ٢ص٢٩,٢٤

١١ – الغلاء سنة ٦٩٥ هـ بمصر ج٢ ص ١٩٨

١٢ – الغلاء بمصر بسبب نقصان النيل أيام الملك العادل ج٢ ص ٢٣٥

١٣ – الغلاء بمصر سنة ٣١٥هـ ج٢ ص ٣٥٤

١٤ – اردب القمح بعشرين درهما أيام الناصر محمد بن قلاوون ج٢ ص ٢١٨

ابن منظور، لسان العرب ج ٤ / ٢

١ – كان على عائشة درع قطرى ثمنه خمسة دراهم (قطر) ٦/٤١٧

فى حديث على بن أبى طالب أنه اشترى قميص بثلاثة دراهم جـ٦ص (ريش) ٨/١٩٩

مؤلف مجهول، الأمامة والسياسة ج ٤ / ٦

١ – سعر الجارية والفرس والبعير والنخلة فى خلافة عثمان ص ٢٧

٢ – عامل يزيد بن معاوية على المدينة يعد أهلها بجعل سعر الحنطة كل سبعة آصع بدرهم ص ٢٣٩,٢١٦

٣ – عبد الله بن زياد يشترى حمارا بأربعمائة درهم ص ٢٥٤

٤ – غلاء الأسعار وشدة الحال فى الشام زمن عبد الملك بن مروان ص ٢٦٠

٥ – سعر الغنم والعلج والوصيف والجارية والابل أثناء فتح الأندلس ص ٣٣٥

الواقدى، المغازى ج ٤ / ٣

١ – سعد بن أبى وقاص يشترى السقيا ببكرين ويقال بسبع زواق جـ ١ ص ٢٣

٢ – الرسول (ﷺ) يشترى بعيرا بأربعين درهما ج١ ص ٤٠٠

٣ – الرسول (ﷺ) يعطى أبا عبس بن جبر شقيقه سنبلانية فيبيعها بثمانية دراهم جـ ٢ص ٦٣٦,٦٣٥

٤ – أبو عبس بن جبر يشترى بردة بأربعة دراهم ج٢ ص ٦٣٥، ٦٣٦

٥ – رجل يبيع ياقوتة زمن عمر بن الخطاب بمائة دينار ويشترى بها حديقة نخل ج٢ ص ٧٦٩

٦ – فضالة بن عبيد يبيع قلادة بثمانية دنانير ج٢ ص ٦٨٢

٧ – قيس بن سعد يشترى خمسة جزر كل جزور بوسقين من تمر ج٢ ص ٧٧٥

ياقوت الحموى، معجم الأدباء ج ٤ / ١

١ – غلاء الأسعار فى العراق بسبب هجوم الجراد وخراب المحاصيل جـ٨ ص ١٦٢

١٩ الأسعار ج٥

ابن خلدون، كتاب العبر ٤ / ١٦

١ – أسباب غلاء الصنائع والأعمال فى الأمصار الموفورة العمران جـ ١ ص ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٦٢

٢ – يدخل فى قيمة الأقوات ما يفرض عليها من المكوس والمغارم للسلطان فى الأسواق وأبواب المصر وللجباة ج١ ص ٦٦٣,٦٤٨

٣ – الأسعار فى البادية أرخص منها فى الأمصار لأن المكوس والمغارم والفرائض قليلة لديهم أو معدومة ج١ ص ٦٤٨

٤ – يدخل فى قيمة الأقوات قيمة علاجها فى الزراعة واستصلاح الأراضى ج١ ص ٦٤٨

٥ – سلمة بن قيس الأشجعى يقسم بين المسلمين سفطا من الجواهر وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون ألفا جـ٢ص ٩٩٣

٦ – يعلى بن منيه يشترى جملا لعائشة بمئة دينار، وقيل بثمانين دينار ج٢ ص ١٠٦٥

٧ – غلاء الزسعار فى مكة أثناء حصار ابن الزبير حتى بيعت الدجاجة بعشرة دراهم والمد من الذرة بعشرين درهما جـ٣ ص ٨٦

٨ – غلاء الأسعار واستفحال خطر العيارين فى بغداد أثناء حصار الأمين ج٣ ص ٥٠٩

٩ – غلاء الأسعار فى بغداد وكثرة العيارين فيها فى خلافة الطائع ج٣ ص ٨٩٤

١٠ – غلاء الأسعار فى بغداد فى خلافة المتقى جـ٣ ص ٨٦٠

١١ – الغلاء الكبير فى أسعار الحبوب والخضار واللحوم والزيت والسمن فى مدينة تلمسان عندما حاصرها يوسف بن يعقوب سنة ٦٩٨هـ – ٧٠٦هـ ج٧ ص ١٩٨

١٢ – بيع كثير من الدور بفاس بزلف دينار من الذهب العين زمن السلطان أبى ربيع على بن السلطان يوسف بن يعقوب سنة ٧١٠ هـ ج٧ ص ٤٩٥

١٣ – عمر بن الخطاب يطلب العون من الأمصار أثناء القحط الذى أصاب المدينة جـ ٢ ص ٩٦٩

١٤ – عمرو بن العاص يصلح بحر القلزم ويرسل فيه الطعام الى المدينة أثناء القحط الذى أصابها فى خلافة عمر بن اخطاب ج٢ ص ٩٦٩

أبو الفداء المختصر فى أخبار البشر ج ٤ / ١١

١ – القحط فى المدينة والحجاز زمن عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة يقدم من الشام بأربعة آلاف راحلة من الزاد جـ ١ص١٦٣

٢– يعلى بن منيه يشترى جملا لعائشة بمائة دينار وقيل ثمانين دينارا ج١ ص ١٧٣

٣ – بلغ سعر عليقة الشعير فى المغرب سنة ٣٣٥ هـ دينارا ونصف، وبلغت قربة الماء دينارا جـ ٢ص ٩٢

٤ – اشتد الغلاء وفقدت الأقثوات ببغداد سنة ٣٣٤هـ ج٢ ص٩٦

٥ – انقطاع الأمطار وغلاء الأسعار فى كثير من البلاد سنة ٣٤٨هـ ج٢ ص ١٠٢

٦ – الأخشيد يشترى كافورا بثمانية عشر دينارا ج٢ ص ١٠٧

٧ – الغلاء ببغداد سنة ٤٣٩هـ حتى أكل الناس الميتة، وكانت الأسواق خالية ج٢ ص ١٦٨

٨ – الغلاء والقحط فى افريقية ما بين سنة ٥٣٧ هـ وسنة ٥٤٣هـ جـ٣ ص ١٩

٩ – قلة مياه النيل والغلاء الشديد فى مصر سنة ٦٩٤ هـ جـ ٤ ص ٣٣

١٠ – القحط وانحباس الأمطار فى دمشق وحلب سنة ٧٢٣ هـ ج٤ ص ٩٢

١١– غلاء الأسعار بدمشق سنة ٧٤٣ هـ حتى أكل الناس خبز الشعير وبيعت أوقية الخبز بدرهم ج٤ ص ١٣٨

١٢ – الأميـر سـيف الدين أرقطاى يرفع المظالم ويرخص الأسـعـار فى حلب سنة ٧٤٦ هـ ج ٤ ص١٤٤

١٣– غلاء بدمشق سنة ٧٤٨ هـ حتى بيع البيض كل خمسة بيضات بدرهم ورطل اللحم بخمسة دراهم ورطل الزيت بستة أو سبعة دراهم ج٤ ص ١٥٠ ،١٥١

مالك بن أنس، المدونة الكبرى ج ٤ / ٩

١ – على بن أبى طالب يبيع أرضا لابن أبى رافع بثمانين ألفا جـ ١ ص ٢٥٠ ٢ /١٠

٢–الموقف من الثمن فى حالة حصول جائحة فى الزسعار أو الثمار أو المحاصيل جـ ٥ص٢٥–٣٩

المقرى، نفح الطيب ج٤ / ٥

١ – بيع اعنب فى أسواق مالطة بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير جـ ١ ص ١٤٥

٢ – عن المسعودى فى وصف العنبر فى الأندلس أن الأوقية منه بالبغدادى تبلغ ثلاثة مثاقيل ذهبا

وتباع أوقيته بمصر بعشرين دينارا وهو عنبر جيد ج١ ص ١٣٩

٣ – كانت أزوان الخبز فى الأندلس معلومة، للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم ج١ ص ٢٠٣

جارية لهشام بن عد الرحمن الداخل تحمل عقدا نفسها ثمنه ثلاثة آلاف دينار ج١ ص ٣٠٥

القسطاط أكثر أرزاقا وأرخص أسعار من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط ج٣ ص ١١١

التعميمى، الدارس فى تاريخ المدارس

١ – غلاء أسعار اللحم فى دمشق بعد ارسال الأغنام الى مصر حتى بيع الرطل بستة دراهم سنة ٨٧٠هـ جـ ١ ص ٥٠١

٢ – رخص الأسعار فى حلب بعد وصول الغنائم التى غنمها نور الدين زنكى من فتح عارم بيع الأسير بدينار ج١ ص ٦١٤

النويرى، نهاية الأرب فى فنون الأدب

١ – الرسول (ﷺ) يشترى ثوبا بأربعة دراهم جـ ٥ ص ٢٦٣

٢ – الرسول (ﷺ) يشترى سراويل بثلاثة دراهم ص ٢٦٣،جـ١٨ص ٢٦٣

٣ – الرسول (ﷺ) يبتاع فرسا بالقدينة من رجل منى بنى فزارة بعشر أواق فضة جـ ١٠ ص ٣٣

٤ – الرسول (ﷺ) يشترى فرسا بعشر من الابل ج١٠ ص ٣٥

٥ – أبو بكر يبتاع ناقتين بثمانمائة درهم ج١٠ ص ١١١، جـ١٦ص٣٣٤

٦ – الرسول (ﷺ) يبتاع من أبى بكر ناقة بأربعمائة درهم ج١٠ ص ١١١

٧ – ثمن السمانى الجيد ألف درهم بعد أن يبع كل عشرة منها بدرهم وزرخص ج١٠ ص ٢٤٥

٨ – بيع الحمام الواحد بخمسمائة دينار ج١٢ ص ٢٧٥

٩ – بيع الذكر من فراخ الحمام بعشرين دينارا وبيعت الأنثى بعشرة دنانير ص ٢٧٥

١٠ – ثمن المن من العود القامرونى مائتا دينار

١١– عود الطيب يباع المن منه بدينار وأقل وأكثر ص ٣٦

١٢– الرسول (ﷺ) يشترى جمل جابر بن عبد اله بأوقية فضة جـ١٧ص١٦١

١٣– السهم بخيبر يباع بمائة ألف جـ١٧ص٢٦٣

١٤ – وفد أسد يغلون الأسعار جـ١٨ ص ٣١

الونشريسى، المعيار المعرب ج٤ / ٣

١ ـ عمر بن الخطاب يمنع حاطب بن أبى بلتعة أن يبيع بسعر أقل من سعر السوق جـ ٥ ص ٨٤

٢ ـ يجب على البائع أن يلتزم بالسعر الذى يحدده صاحب السوق ج٥ ص ٨٤ ؛ ٨٥

٣ ـ عمر بن الخطاب يشترى ثوبا بأربعمائة درهم، وابنه عبد الله بستعمائة درهم جـ ٦ ص ٣٤٢

١٩ الأسعار ج٥

الكنانى ، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب

١ ـ معاوية يشترى بردة الرسول (ﷺ) من كعب بن زهير بثلاثين ألف درهم جـ ١ص٢١٣

٢ ـ عمر بن الخطاب يشترى دارات لسجن بأربعة آلاف درهم ج١ ص ٢٩٨

٣ ـ متابعة الأسعار وأحوال اناس من بل عثمان ابن فعان كل يوم جمعة ج١ ص ٣٦٥

٤ ـ الرسول (ﷺ) يشترى بعيرا بأوقيتين ودرهم أو درهمين ج١ ص ٣٨٣ ، ٤١١

٥ ـ الرسول (ﷺ) يشترى الناقة التى هاجر عليها بأربعمائة درهم ج١ ص ٤٣٩

٦ ـ الرسول (ﷺ) يشترى سراويل بأربعة دراهم من سوق البزازين ج٢ ص ٣٥,٣٣

٧ ـ الرسول (ﷺ) يشترى حلة بسبع وعشرين ناقة جـ ٢ ص ٨٦

٨ ـ كان للرسول (ﷺ) رداء قيمته ألف درهم وآخر قيمته أربعة آلاف درهم ج٢ ص ٨٦

٩ ـ الرسول (ﷺ) يبيع قباء مخوصا بالذهب أهداه له تميم الدارى بثمانية آلاف درهم ج٢ ص ٨٧

دار الكتب المصرية

القسم الأدبى

النجوم الزاهرة
فى
ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين ابى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الاتابكى

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م

المهدىّ . وفيها تُوُفّى الخليل بنُ أحمد بن عبد الرحمن الأَزْدِىّ الفَرَاهِيدِىّ البصرىّ صاحبُ العربيّة والعَرُوض ، وقد تقدّم ذكرُه من قول صاحب مِرْآة الزمان فى سنة ثلاثين ومائة ؛ والأصحّ وفاتُه فى هذه السنة . وفيها توفى أَرْطَاة بن المنذر بن الأسود أبو عدىّ السَّكُونِىّ[1] الحِمْصِىّ ، قال : أتيتُ عمر بن عبد العزيز فعرَض لى فى خيله وقال : يا أرطاة : ألا أحدّثك بحديث هو عندنا من العلم المخزون ؟ قلت : بلى ، قال : اذا توضأتَ عند البحر فالتفِتْ اليه وقل : يا واسعَ المغفرة اغفر لى ، فانه لا يرتدّ اليك طرفُك حتى يَغْفر لك ذنوبَك .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراع وأربعة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وخمسة عشر إصبعا .

ذكر ولاية سالم بن سَوَادة على مصر

هو سالم بن سَوَادة التَّميمىّ أمير مصر ، وَلِيَها من قبل محمد المهدىّ بعد عَزْل يحيى بن داود فى أوّل المحرّم سنة أربع وستين ومائة ، فقدِمها يوم الأحد لاثنتى عشرة ليلة خلتْ من المحرّم ، وجعل على شُرْطته الأخضرَ بنَ مَرْوان ، وقدِم معه أيضا أبو قَطِيفة[2] إسماعيل بنُ ابراهيم على الخراج ؛ ولما دخَل سالمٌ الى مصر سكن بالمُعَسْكَر على العادة ، ودام على إِمْرَة مصر الى أن مضتْ سنة أربع وستين ومائة ودخلت سنةُ خمس وستين ومائة ؛ وورد عليه الخبرُ من قبل الخليفة محمد المهدىّ بصرفه عن إِمْرَة مصر بإبراهيم بن صالح العباسىّ ، فكانتْ ولايتُه على مصر نحو السنة .

(١) كذا فى تهذيب التهذيب وأنساب السمعانى وتاريخ الاسلام للذهبى : وفى م : «أبو علىّ الشلوى» وفى ف : «أبو على السلوى» وكلاهما تحريف . (٢) فى المقريزى (ج ١ ص ٣٠٧) : «أبو قطيعة» بالعين المهملة .

وقال صاحب "البغية" : صُرِف فى سَلْخ ذى الحجة فكان مُقامُه بمصر سنة إلا ثمانية عشر يوما . وفى أيامه كانت حروب كثيرة بمصر وبلاد المغرب ، وجهّز عساكر مصر نَجْدَةً الى مَنْ كان فى بَرْقَة ثم عادوا من غير قتال لما بلغتهم الفتنةُ التى كانت بالمغرب بين بربر بَلَنْسِيَة[1] وبربر شَنْت بَرِيّة[2] من الأندلس وجرت بينهم حروب كثيرة قُتِل فيها خَلْق من الطائفتين ، وكانت بينهم وقائعُ مشهورة دامت أشهرا .

⁂

ما وقع من الحوادث سنة ١٦٤

(٢١٧) السنة التى حكم فيها سالم بن سَوَادة ، على مصر وهى سنة أربع وستين ومائة — فيها حجّ بالناس صالحُ بنُ المنصور . وفيها غزا هارون الرشيدُ ابنُ الخليفة المهدىّ الصائفةَ فوَغَل فى بلاد الروم ووقع له بالروم حروب وافتتح عدّة حصون حتى بلغ خليجَ قُسْطَنْطِينِيّة ، وصالح ملكَ الروم فى العام على سبعين ألف دينار مدّة ثلاث سنين بعد أن غنِم وسَبَى واستنقذ خَلْقا من المسلمين من الأسر ، وغنِم ما لا يُوصف من المواشى حتى بِيع البِرْذَوْن بدرهم والزَّرَدِيّة بدرهم وعشرون سَيْفا بدرهم ؛ وقتَل من العدوّ نحو خمسين ألفا ؛ قاله الذهبىّ ، ثم رجع فسُرّ به أبوه المهدىّ . وقيل : إن هذه الغزوة كانت فى سنة خمس وستين ومائة . وفيها عزَل المهدىّ محمدَ بنَ سليمان عن البصرة وفارس واستعمل عليها صالحَ بنَ داود بن علىّ . وفيها خرج المهدىّ حاجا فوصل العَقَبة فعطِش الناسُ وجَهَد الحجيجُ .

(١) بلنسية : مدينة مشهورة بالأندلس برية بحرية ذات أشجار وأنهار وتعرف بمدينة التراب .
(٢) شنت برية : مدينة شرق قرطبة وهى مدينة كبيرة كثيرة الخيرات لها حصون كثيرة . وكلمة : «شنت» معناها : بلد أو ناحية وتضاف دائما الى عدة أسماء .

أهل مصر ؛ كان إماما عالما فاضلا محدّثا كبيرَ الشأن . وفيها توفى يحيى بن مُعَاذ ابن جعفر أبو زكريا الرّازى الواعظ أحدُ الزهّاد أوحدُ وقتـه فى علوم الحقائق ، وكانوا ثلاثةَ إخوة : يحيى و إسماعيل و إبراهيم ؛ كان إسماعيل أكبرَهم ، ويحيى الأوسط . وفيها توفى يحيى الجلاء ، كان من الزهّاد ، وصحب بِشْرًا الحافى ومعروفا الكَرْخىّ وسَرِيًّا السَّقَطِى . قال أحمد بن حنبل : قلت لذى النُّون : لِمَ سُمّى بآبن الجلّاء؟ فقال : سميناه بذلك لأنه اذا تكلّم جلا قلوبنا .

§ أمر النيـل فى هـذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وخمس أصابع ونصف . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وخمس أصابع ونصف .

***

السنة الخامسة من ولاية أحمد بن طولون على مصر، وهى سنة تسع وخمسين ومائتين — فيها كان أيضا بين الموفّق وبين الزَّنْج مَقتلةٌ عظيمةٌ، ثم كان بين موسى ابن بُغَا و بين الزَّنج أيضا مَقتلةٌ عظيمةٌ، وقُتِل فيها خلقٌ من الطائفتين . وفيها كانت وقعةٌ بين الروم و بين أحمد بن محمد القَابُوسىّ على مَلَطْيَة وشِمْشاط[1]، ونصرَالله المسلمينَ. وفيها وُلِد عُبَيدُ الله الملقب بالمهدىّ والد الخلفاء الفاطميّين . وفيها توفّى الحسينُ بن عبد السلام أبو عبد الله المصرىّ المعروف بالجمل ، الشاعر المشهور، كان يصحب الشافعىّ رضى الله عنه . وفيها توفى محمد بن عمرو بن يونس أبوجعفر الثّعلبىّ،

ما وقـع من الحوادث فى سنة ٢٥٩

(١) كذا بالأصل ، وشمشاط (بكسر أوله وسكون ثانيه وشين مثل الأولى وآخره طاء مهملة) : مدينة بالروم على شاطئ الفرات شرقيها «بالوية» وغربيها «خرتبرت» ؛ وهى الآن خراب ليس بها إلا أناس قليلون تقع فى طرف أرمينية . وفى ابن الأثير (ج ٧ ص ١٨٣) والطبرى (قسم ٣ ص ١٨٨٠) : «سميساط» (بسينين مهملتين) وهى مدينة تقع على الفرات أيضا من أعمال الشام . وفى عقد الجمان وهامش الأصل «شميساط» .

و يعرف أيضا بالسُّوسىّ ، الزاهد العابد ، مات وقد بلغ من العمر مائةَ سنة . وفيها توفى محمد بن إبراهيم بن محمـد بن عيسى بن القاسم بن سَمِيع أبو الحسن القرشىّ الدمشقىّ الحافظ العالم المحدّث مصنف كتاب الطبقات . وفيها توفى الإمام أبو إسحاق إبراهيم ابن يعقوب السَّعْدىّ الجُوزْجَانىّ العالم المشهور . وفيها توفى أيضا أحمد بن إسماعيل السَّهْمىّ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وخمس أصابع ونصف .

***

السنة السادسة من ولاية أحمد بن طولون على مصر، وهى سنة ستين ومائتين — فيها كان الغلاء المفرِطُ بالحجاز والعراق حتى بلغ الكُرّ[1] من الحنطة ببغدادَ مائةً وخمسين دينـارا . وفيها أغارت الأعرابُ على حِمْص، فخرج أميرُهم مَنْجور[2] التركىّ لحربهم فقتلوه ، وتولى بعده حمص بكتمر التركىّ المعتمدىّ . وفيها أخذت الرومُ لؤلؤة[3] . وفيها أيضا كانت وَقَعاتٌ عديدةٌ بين عساكر الموفّق وبين الزَّنج ، وقتلت الزَّنجُ علىّ ابن يزيدَ العلوىّ صاحبَ الكوفة . وفيها توفى إبراهيمُ بن يعقوب بن إسحاق الحافظ أبو إسحاق الجُوزَجانىّ — المقدّم ذكره فى المـاضية — على الصحيح فى هذه السنة؛ كان يسكُن دِمَشْق، ويُحدّث على المنبر، وكان من الأئمة الحفّاظ ، إلا أنه كان منحرفاً عن علىّ بن أبى طـالب رضى الله عنه . وفيهـا توفّى أيّوب بن إسحاق بن

ما وقـع من الحوادث فى سنة ٢٦٠

(١) الكر (بالضم) : مكيال للعراق وهو ستون قفيزا أو أربعون إردبا .
(٢) كذا بهامش الأصل وأبى الفدا (ج ٢ ص ٢٤٤) وابن الأثير (ج ٧ ص ١٨٧) والطبرى (قسم ٣ ص ١٨٨٥) . وفى الأصل : «يجور» . وفى عقد الجمان (ج ٢ ص ٣٩٠) : «بكجور» .
(٣) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

ما وقع من الحوادث فى سنة ٢٨١

السنة الحادية عشرة من ولاية خمارويه على مصر، وهى سنة إحدى وثمانين ومائتين — فيها أرسل خمارويه طُغْج بن جُفّ الى غزو الروم فتوجّه من طَرَسُوس حتى بلغ طرابزون[1] وفتح مَلُورِيَة[2] فى جمادى الآخرة. وفيها غارت المياه بالرّىّ وطَبَرِسْتان فصار الماء يُباع ثلاثة أرطال بدرهم، وغلت الأسعارُ وقَحِط الناسُ وأكل بعضُهم بعضا، حتى أكل رجلٌ ابنته. وفيها توفى ابن أبى الدُّنيا واسمه عبد الله بن محمد أبو بكر القُرَشىّ البغدادىّ مولى بنى أميّة، ولد سنة ثمان ومائتين، وكان مؤدّبا[3] لجماعة من أولاد الخلفاء منهم المُعْتضِد وابنُه المكتفى، وكان عالماً زاهدا ورعًا عابدا وله التصانيف الحِسان، والناسُ بعده عيالٌ عليه فى الفنون التى جمعها، وروى عنه خَلْق كثير، واتفقوا على ثقته وصدْقه وأمانته. وفيها توفى أبو بكر عبد الله بن محمد بن النعمان الأصبهانىّ الإمام المُتْقِن. وفيها توفى الإمام الفقيه محمد بن إبراهيم بن المَوّاز المالكىّ.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع سواء، مبلغ الزيادة خمسَ عشرةَ ذراعا وعشر أصابع.

ما وقع من الحوادث فى سنة ٢٨٢

السنة الثانية عشرة من ولاية خمارويه على مصر — فيها مات — وهى سنة اثنتين وثمانين ومائتين — فيها فى المحرّم أمر المُعْتضِدُ بتغيير نَوْروز العجم الذى هو افتتاح الخراج

(١) كذا فى عقد الجمان فى حوادث هذه السنة. وطرابزون: مدينة على ساحل بحر القرم (أبو الفدا ص ٢١٥). وفى الأصل: «طو يلون»، وهو تحريف. لأنا لم نعثر على هذا الاسم فى كتب البلدان التى بين أيدينا. (٢) كذا فى مرآة الزمان والطبرى. وفى عقد الجمان: «ملوذية». وفى ابن الأثير: «يلودية». (٣) كذا فى عقد الجمان. وفى الأصل: «وكان مؤدة بالجماعة من أولاد الخلفاء»، وهو تحريف.

وأخّره إلى حادى عشر حَزِيران وسمّاه النَّوروز المُعْتضِدىّ، وقصد بذلك الرِّفق بالرعيّة، ومنع الناسَ ما كانوا يعملونه فى كل سنة من إيقاد النِّيران وصبّ الماء على الناس، فكان ذلك من أحسن أفعال المعتضد. وفيها لليلتين خلتا من المحرّم قدم ابنُ الجصّاص بقَطْر النَّدَى بنت خمارويه صاحب الترجمة إلى بغداد فأُنزلت فى دار صاعد، وكان المعتضد غائبا بالمَوْصِل، فلمّا سمع بقدومها عاد الى بغداد ودخل بها فى خامس شهر ربيع الأوّل بعد أن عَمِل لها مُهِمًّا يتجاوزُ الوصف. وفيها قُتِل خمارويه صاحب الترجمة وقد تقدّم ذكرُ مقتله فى ترجمته. وفيها توفى عبد الرحمن ابن عمرو بن عبد الله بن صفوان بن عمرو الحافظ أبو زُرْعة النَّصْرىّ[1] الدِّمَشْقىّ، كان من أئمة الحفّاظ، رحَل إلى البلاد وكتَب الكثير حتى صار شيخَ الشام وإمامَ وقته، وكَتَب عنه خلائقُ، وكانت وفاته بدمشق فى جُمادَى الآخرة. وفيها توفى محمد[2] ابن الخليفة جعفر المتوكّل عم المعتضد، وكان فاضلا شاعرا وهو القائل لمّا أراد أخوه المعتمدُ الخروجَ إلى الشام والدنيا مضطربةٌ:

أقولُ له عندَ توديعِه * وكلٌّ بعَبرته مُبْلِسُ
لئن بَعُدت عنكَ أجسامُنا * لقد سافرَتْ مَعَكَ الأنفُسُ

وفيها توفى محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عِمارة بن القَعْقاع أبو قَبِيصَة الضَّبّىّ، كان صالحا عابدا مجتهدا سمع من سليمان وغيره، روى عنه جماعة كثيرة.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع سواء مثل الماضية، مبلغ الزيادة أربعَ عشرةَ ذراعا واثنتان وعشرون إصبعا.

(١) كذا فى المشتبه فى أسماء الرجال وعقد الجمان وشذرات الذهب. وفى الأصل: «البصرى» بالباء الموحدة وهو تحريف. (٢) تقدّم هذا الاسم فى وفيات سنة ٢٧٨ باسم (طلحة) بن جعفر المتوكل وذكر هنا باسمه الثانى (محمد) وكان يعرف بهما كما أثبتناه هناك. وقد ذكره الطبرى وابن الأثير وشذرات الذهب وعقد الجمان ومرآة الزمان فى وفيات سنة ٢٧٨ هـ.

أبو محمد عُبيد الله أوّل خُلفاء الفاطميّة، وكانت دولته بِضْعاً وعشرين سنة، ومحمد بن ابراهيم الدَّيبُليّ[1]، وأبو محمد بن عمرو العُقَيْلِيّ، والقاهر بالله محمد بن المعتضد خُلِع وسُمِل فى جُمادَى الأولى ثم بَقِى خاملا سبعَ عشرةَ سنة، وهو الذى سأل يوم الجمعة . — قلت : ومعنى قول الذهبيّ . « وهو الذى سأل يوم الجمعة » شرح ذلك أن القاهر لما طال خُمُوله فى عماه قلّ ما بيده ووقَف فى يوم من أيّام جمعة وسأل النّاس، ليُقيم بتلك الشناعةَ على خليفة الوقت — قال الذهبيّ : وأبو بكر محمد بن علىّ الكِتانىّ الزاهد ، وأبو علىّ الرُّوذْبَارِىّ، يقال : اسمه محمد بن أحمد .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسُ أذرع وستُّ أصابع . مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذرَاعًا وأربعَ عشرةَ إصبعا .

✦ ✦ ✦

ما وقع من الحوادث فى سنة ٣٢٣

السنة الثالثة من ولاية أحمد بن كَيْغَلَغ الثانية على مصر، وهى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة - فيها تمكّن الراضى بالله من الخلافة، وقلّد ٱبنيه المشرقَ والمغرب وهما أبو جعفر وأبو الفضل، واستكتب لهما أبا الحسين علىّ بن محمد بن مُقْلة . وفيها بلَغ الوزيرَ أبا [الحسين] علىّ بن مُقْلة أن ٱبن شَنَّبُود المقرئ — وشنّبود بشين معجمة ونون مشدّدة وباء مضمومة ودال — يغيّر حروفا من القرآن ويقرأ بخلاف ما أُنْزِل؛ فاحضره وأحضر عمرَ بن أبى عمر[2] محمد بن يوسف القاضى وأبا بكر[3] بن مجاهد وجماعةً من القراء، ونُوظر فأغلظ للوزير فى الخطاب وللقاضى ولابن مجاهد ونسبهم الى الجهل وأنهم ما سافروا فى طلب العلم كما سافر؛ فأمر الوزيرُ بضربه؛ فنُصب بين يديه

(١) الديبلى : نسبة الى ديبل : مدينة قريبة من السند . (٢) كذا فى الكندى والذهبى . وفى الأصل : «عمر بن أبى عمرو محمد بن يوسف» . (٣) هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمى ، كما فى غاية النهاية فى أسماء رجال القراءات لجزرىّ ، وكما سيذكر فى الأصل فى وفيات سنة ٣٢٤

وضُرِب سبعَ دِرَر وهو يدعو على الوزير بأن تُقطع يدُه ويُشتَّت شملُه . ثم وُقف على الحروف التى قيل إنه كان يقرأ بها، من ذلك : "فٱمضوا الى ذكر الله فى الجمعة". "وكان أمامَهم ملِك يأخذ كلَّ سفينة غصبا" . "وتكون الجبال كالصوف المنفوش" . "تبّت يدا أبى لهب وقد تبّ" . "فلما خرّ تبيّنت الإنس أنّ الجنّ لو كانوا يعلَمون الغيب ما لبِثوا حولا فى العذاب المُهِين" . ثم ٱستُتِيب غصبا ونُفِى الى البصرة[1]. وكان إماما فى القراءة . وفيها قبض الخليفة الراضى على محمد بن ياقوت وأخيه المظفَّر وأبى إسحاق القَرارِيطىّ[2]، وأخذ خطّ القراريطىّ بخمسمائة ألف دينار. وعظُم شأن الوزير ٱبن مُقْلة وٱستقلّ بتدبير الدولة . وفيها أخرج المنصورُ اسماعيلُ العُبَيدىّ يعقوبَ بن إسحاق فى أُسْطول من المَهديّة عدّته ثلاثون [مَرْكَبا] حربيا الى ناحية فرنجة، ففتح مدينة جَنَوة، ومرّوا بجزيرة سَرْدَانِية فاوقعوا بأهلها وسَبَوا وأحرقوا عدّة مراكب وقتلوا رجالها ، ثم عادوا بالغنائم الى المَهْديّة . وفيها فى جُمادَى الأولى هبّت ريحٌ عظيمة ببغداد وٱسودّت الدنيا وأظلمت من العصر الى المغرب برعد و برق . وفيها فى ذى القَعْدة ٱنقضّت النجوم سائرَ الليل ٱنقضاضا عظيما ما رُئى مثلُه . وفيها غلا السعر ببغداد حتى بيع كُرُّ القمح بمائة وعشرين دينارا والشعير بتسعين دينارا، وأقام الناس أيّاما لا يجدون القمح فأكلوا خبز الذرة والدُّخْن والعَدَس . وفيها توفّى إبراهيم بن حَمّاد بن إسحاق، الشيخ أبو إسحاق الأَزْدىّ المحدّث الصوفىّ، سمِع خلقا كثيرا وكان زاهدا عابدا . وفيها توفّى أبو عبد الله محمد بن زيد[3] الواسِطىّ المتكلّم . وفيها توفى إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المُغيرة بن حَبيب بن المهلّب بن

(١) فى المنتظم : « فحمل الى المدائن فى الليل ليقيم بها أياما » . (٢) هو أبو اسحاق محمد بن أحمد القراريطى ، كما فى التنبيه والإشراف للسعودى (ص ٣٩٧) . (٣) كذا فى وفيات الأعيان وعقد الجمان والبداية والنهاية وشذرات الذهب وكشف الظنون . وفى الأصل : «أبو عبد الله محمد بن يزيد» وهو تحريف . وفى كشف الظنون ووفيات الأعيان وشذرات الذهب أنه توفى سنة ٣٠٦ أو سنة ٣٠٧

وخرج الأتراك وتُوزون فساروا الى[1] البَريدىّ بواسـط . وفى هـذه الأيام وصلت الروم إلى حوص من أعمال حلَب — وهى على ستة فراسخ من حلَب — فأخربوا وأحرقوا وسـبَوْا عشرة آلاف نَسَمة . وفيها ولى قضاء الجانبين ومدينة أبى جعفر القاضى أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن إسحاق الخِرَقىّ[2] التاجر؛ وتعجّب الناس من تقليـد مثله القضاء . وفيهـا عُزِل البريدىّ وقُلّد القـراريطىُّ الوزارةَ . وفيهـا فى جُمادَى الأولى ركِب المتّقى ومعه آبنه أبومنصور ومحمد بن رائق والوزير القراريطىّ والجيش وساروا بين أيديهم القرّاء[3] فى المصاحف لقتال البريدىّ ، وآجتمع الخلق على كرسى الجسر فثقُل بهـم وآنخسف فغرِق خلق ؛ وأمر ابن رائق بلعن البريدىّ على المنابر . ثم أقبل أبو الحسين علىّ بن محمد أخو البريدىّ إلى بغداد وقارب المتقى وابنَ رائق وقاتلهما فهزمهما ، وكان معه الترك والديلم والقرامطة ؛ ودخلوا بغـداد وكثُر النهب بها ، وتحصّن ابن رائق بها ؛ فزحف أبو الحسين البريدىّ على الدار، وآستفحل الشر ، ودخل طائفة دار الخلافة وقتلوا جماعة ؛ وخرج الخليفة المتقى وآبنه هاربَيْن الى المَوْصِل ومعهما آبن رائق ، وآستتر الوزير القراريطىّ ؛ ودخلوا على الحُرَم ونُهِبت دار الخلافة ؛ ووجدوا فى السجن كورتكين الديلمىّ وأبا الحسن[4] [سعيد بن عَمرو[5] بن سنجلا] وعلىّ بن يعقوب ، فجىء بهم إلى أبى الحسين ؛ فقيّد كورتكين و بعث به الى أخيه بالبصرة ؛ وكان آخرَ العهد به . ونزل أبو الحسين دار آبن رائق[6] ، وقلّد الشرطة [فى الجانب[7]

(١) فى الأصل : «فسار إلى عند البريدى ... الخ» . (٢) تقلد القضاء بواسط والبصرة ومصر والمغرب ثم ولى قضاء بغداد فى أيام المتقى ، كما فى تاريخ بغـداد . كان من وجوه التجار البزازين بباب الطاق . (٣) كذا فى عقد الجمان وتاريخ الاسلام للذهبي . وفى الأصل : « وسار بين أيديهم القراء ...» . (٤) فى الأصل : «أبوالحسين» ، والتصويب عن تاريخ الأسلام للذهبي وتجارب الأمم . (٥) التكلة عن تجارب الأمم (ج ١ ص ٤١٧) . (٦) المراد بها دار مؤنس التى سكنها ابن رائق ، كما فى عقد الجمان وابن الأثير وتجارب الأمم . (٧) الزيادة عن تجارب الأمم وابن الأثير .

الشرقى] لتُوزون ولأبى منصور نوشتكين الشرطةَ فى الجانب الغربىّ . وآشتدّ القحط ببغداد، حتى أُبيع كُرّ القمح بثلثمائة وستةَ عشرَ دينارا . ثم وقع بين البريدىّ و بين توزون ونوشتكين حرب ، ووقع لهم أمور ؛ وآنصرف توزون إلى المَوْصِل وآنضم إلى ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حَمْـدان . وفيها كانت وقعـة بين الأتراك والقرامطة فانهزمت القرامطة . وفيها آنضم محمد بن رائق على الحسن بن عبـد الله بن حَمْدان المذكور، ثم وُقّع بينهما ؛ وقُتِل آبن رائق ، قتله أعوان الحسن بن عبدالله بن حَمْدان المذكور؛ وخَلع المتقى على الحسن بن عبد الله بن حَمْدان المذكور ولقّبه بناصر الدولة ، وعلى أخيه علىٍّ ولقبه بسيف الدولة ؛ وعاد الخليفة إلى بغداد . قلت : وهذا أول عظمة بنى حَمْدان ، فهم على هذا الحكم أقدمُ الملوك . ولما قدِم الخليفة المتقى إلى بغداد ومعه بنو حَمْدان هرب منها البَريدىّ الى واسط بعد أن أقام ببغداد ثلاثة أشهر وعشرين يوما . وفيها توفّى العارف بالله أبو يعقوب إسحاق بن محمـد النَّهْرَجُورِىّ[1] شيخ الصوفيّة ، مات بمكّة ؛ وكان صحِب سهل بن عبد الله والجنيد وغيرهما ، وكان من كبار المشايخ . وفيها توفى المَحَامِلىّ الزاهـد ، [و[2]] أبو صالح مُفْلِـح بن عبد الله الدِّمَشقىّ صاحب الدعاء وغيرِه ، و إليه ينسب مسجد أبى صالح خارجَ الباب الشرقىّ ، وكان من الصلحاء الزهّاد . وفيها توفى محمد بن رائق الأمير أبو بكر، وكان من أكابر القوّاد ، ولى الأعمال الجليلة ، ثم قدِم دِمشق وأخرج منها بدرا الإخشيذى ، وأقام بها شهرا ، ثم توجّه إلى مصر والتقى هو والإخشيذ — وقد ذكرنا ذلك كلّه مفصّلا فى ترجمة الإخشيذ وغيرِه — ثم عاد إلى بغداد فدخلها ، وخلَع عليه المتقى خِلعة الإمارة وألبسه

(١) النهرجورى : نسبة الى نهرجور، بلد بين الأهواز وميسان . (عن معجم ياقوت) . (٢) زيادة يقتضيها السياق ، لأن المحاملى : هو أبو عبـد الله الحسـين بن اسماعيل الضبىّ ، كما فى أنساب السمعانى وعقد الجمان وابن الأثير وشـذرات الذهب والمنتظم .

وخُلِـع المستكفى وسُمِلت عيناه. وكانت خلافته سنة وأربعة أشهر ويومين. وتوفى بعد ذلك فى سنة ثمانٍ وثلاثين وثلثمائة، وعمره ستّ وأربعون سنة. على ما يأتى ذكره فى محلّه. وهذا ثالث خليفة خُلِـع وسُمِل كما بشّر به القاهر لمّا خُلِـع المتّقى وسُمِل؛ فإنّه قال: بَقِينا آثنين ولا بدّ لنا من ثالث. وقد تقدّم ذكر ذلك عند خلع المتّقى. ثم أحضر معزّ الدولة أبا القاسم الفضل بن المقتدر جعفرٍ وبايعه بالخلافة ولقّبه بالمطيع لله، وسنّه يومئذ أربع وثلاثون سنة. ثم قدّموا آبن عمّه المستكفى المذكور فسلّم عليه بالخلافة وأشهَد على نفسه بالخَلْع؛ وذلك قبل أن يُسْمل. ثم صادر المطيعُ خواصّ المستكفى وأخذ منهم أموالا كثيرة. وقرّر له معزّ الدولة فى كلّ يوم مائة دينار. وفيهـا عظُم الغلاء ببغداد فى شعبانَ وأكلوا الجِيَف والرَّوْث وماتوا على الطُّرُق، وأكلت الأكْلُب لحومهم، وبِيع العَقار بالرُّغْفَان، ووُجِدت الصغار مشويّة مع المساكين، وهرَب الناس إلى البصرة وواسط فمات خلق فى الطُّرُقات. وذكر ابن الجوزى أنه آشتُرى لمعزّ الدولة كُرّ دقيق بعشرين ألفَ درهم. قلت: والكُرّ[1]: سبعة عشر قنطارا بالدّمشقى، لأن الكُرّ: أربعة وثلاثون كارة، والكارة: خمسون رِطلا بالدمشقى. وفيها وَقَع بين معزّ الدولة أحمد بن بُوَيْه وبين ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حَمْدان التَّغْلَبى؛ وجاء فنزل سامرّا؛ فخرج إليـه معزّ الدولة ومعه الخليفة المطيع لله فى شـعبان، وآبتدأت الحروب بينهم بعُكْبَرا[2]. وكان معزّ الدولة قد تغيّر على[3] ابن شِيرزاد واستخانه فى الأموال. فلمـا وقَع القتال جاء ناصر الدولة فنزل ببغـداد من الجانب الشرقى وملكهـا، وجاء معزّ الدولة ومعـه المطيع كالأسير فنزل فى الجانب الغـربى، ثم

(١) الكرّ العراقى: ستون قفيزا، وقيل أربعون إردبا. (٢) عكبرا (بفتح الباء يمدّ ويقصر): بليدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ. (٣) فى الأصل: «على على بن شيرزاد» بزيادة كلمة «على»، وابن شيرزاد هو أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد.

قوِى أمر معزّ الدولة حتّى ملَك بغداد، ونَهبت عساكره الديلمُ أهلَ بغداد، وهرب ناصر الدولة من بغداد. وفيها توفّى القائم بأمر الله نِزَار، وقيل: محمد وهو الأشهر، وكنيته أبو القـاسم بن المهدىّ عُبيـد الله الذى توثّب على الأمر وادّعى أنه علوىّ فاطمىّ. يأتى ذكر أحوالهم فى تراجم مَنْ ملَك مصر من ذرّيتهـم كالمُعِزّ وغيره. وَلِى القائم هـذا بعد موت أبيه المهدىّ بعهد منه إليه، وسار إلى مصر مرّتين، ووقَع له مع أصحـاب مصر حروب وخُطُوب؛ تقـدّم ذكر بعضها فى تراجم ملوك مصر يوم ذاك. وكانت وفاة القائم هـذا بالمهديّة من بلاد المغرب فى شوّال. قال الحافظ أبو عبد الله الذهبىّ: وكان القائم شرّا من أبيه المهدىّ زِنديقا ملعونا. ذكر القاضى عبد الجبّار أنّه أظهَر سبّ الأنبياء عليهم السلام؛ وكان مناديه ينادى العنوا الغار وما حَوى. وقتَل خلقًا من العلماء. وكان يُراسل أبا طاهر القرمطىّ الى البَحْرَيْن وهَجَر[1]، وأمَره بإحراق المساجد والمصاحف. فلمـا كثُر بجوره خرج عليه رجل يقال له مَخْـلَد بن كيداد[2]. وساق الذهبىّ أمورا نذكر بعضها فى تراجم أولاده الآتى ذكرهم فى أخبار ملوك مصر؛ فحينئذ نُطْلِق هناك عِنان القلم فى نسبهم وكيفيّة دخولهم الى مصر وأحوالهم مبسوطا مُسْتَوْعبا. وفيها توفّى أحمد بن محمد بن الحسن أبو بكر المعروف بالصَّنَوْبَرِىّ الضبىّ الحلبىّ الشاعر المشهور. كان إماما بارعا

(١) فى الأصل: «من البحرين وهجر». وما أثبتناه عن تاريخ الاسلام للذهبى. (٢) ورد فى تاريخ ابن خلدون غير مرة: «كيراد» بالراء بين الياء والألف. وفى عقد الجمان: «كندار»، وهو أبو يزيد مخلد بن كيداد (على ما ورد من الاختلاف فيه) الخارجى من الخوارج الصفرية، خرج على أبى القاسم القائم بأمر الله لكثرة جوره، وحصلت بينهمـا وقائع مشهورة مات القائم فى أثنائها. وكان أبو يزيد اذ ذاك محاصرا مدينـة سوسة (راجع تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٠ — ١٤٣ وتاريخ الاسلام للذهبى وعقد الجمان فى حوادث سنة ٣٣٣).

وفيها كان القحط ببغداد وأبيع الكرّ بتسعين دينارا .

وفيها ملك جوهر القائد العُبَيدى مصرَ وخطب لبنى عُبَيد المغاربة ، وانقطع الدعاء لبنى العبّاس من مصر، حسب ما ذكرناه فى ترجمة أحمد بن علىّ ابن الإخشيذ هذا .

وفيها حجّ بالناس من العراق الشريف أبو أحمد المُوسَوِى[1] والد الرضىّ والمرتضى .

وفيها ولِىَ إمرة دِمَشق الحسن بن عبيد الله بن طُغْج [ابن][2] أخى الإخشيذ فأقام بها شهورا ثم رحل فى شعبان، وآستناب بها سمول الكافورى؛ ثم سار الحسن إلى الرملة فآلتقى مع آبن فَلَاح مقدّمة جوهر القائد فى ذى الحجة بالرملة؛ فآنهزم جيشه. وأُخذ أسيرا وحُمِل إلى المغرب، حسب ما ذكرناه فى ترجمة أحمد بن علىّ الإخشيذ صاحب الترجمة .

وفيها عصى جُنْد حلَب على آبن سيف الدولة ، فجاء من ميّافارقين ونازل حلَب ، وبقِى القتال عليها مدّة .

وفيها آستولى الرُّعَيلِى على أنطاكية، وهو رجل غير أمير وإنّما هو من الشُّطّار[3]، وآنضم عليه جماعة فقَوِىَ أمره بهم؛ فجاءت الروم ونزلوا على أنطاكية وأخذوها فى ليلة

(١) أبو أحمد الموسوى، هو الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى الكاظم، كما فى وفيات الأعيان . (٢) تكملة يقتضيها السياق . (٣) الشطار : طائفة من أهل الدعارة والنهب واللصوصية كانوا يمتازون بملابس خاصة بهم ولهم مئزر يأتزرون به على صدورهم يعرف بإزرة الشطار . وسماهم ابن بطوطة «الفتاك» . وكانوا لا يعدّون اللصوصية جريمة وإنما كانوا يعدونها صناعة ويحللونها باعتبار أن ما يستولون عليه من أموال التجار الأغنياء زكاة تلك الأموال التى أوصى بإعطائها للفقراء. وكانوا إذا كبر أحدهم تاب فتستخدمه الحكومة فى مساعدتها على كشف السرقات . وكان فى خدمة الدولة العباسية جماعة من هؤلاء الشيوخ يقال لهم : «التوابون» على أنهم كثيرا ما كانوا يقاسمون اللصوص ما يسرقونه ويكتمون أمرهم . (راجع رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٢٣٥ المطبوعة ونفح الطيب ج ٢ ص ٧٦٦ طبع بولاق، وتاريخ المسعودى ج ٢ ص ٣٣٥) .

واحدة؛ وهرَب الرعيلىّ من باب البحر[1] هو وخمسة آلاف إنسان ونجَوْا إلى الشام؛ وكان أخذها فى ذى الحجة من هذه السنة ،وأسر الرومُ أهلها وقتلوا جماعة كثيرة .

وفيها جاء القائد جعفر بن فَلَاح مقدّمة القائد جوهر العُبَيدى المعزّى إلى الشام؛ فحاربه أميرها الشريف آبن أبى يَعْلَى ، فآنهزم الشريف وأسره جعفر بن فلاح وتملّك دِمشق .

وفيها توفّى ناصر الدولة الحسن بن أبى الهَيْجاء عبد الله بن حَمْدان — تقدّم بقيّة نسبه فى ترجمة أخيه سيف الدولة — كان ناصر الدولة صاحب المَوْصِل ونواحيها ، وكان أخوه سيف الدولة يتأدّب معه ، وكان هو أيضا شديدَ المحبة لسيف الدولة . فلما مات سيف الدولة تغيّرت أحواله لحزنه عليه، وساءت أخلاقه وضَعُف عقله ؛ فقبَض عليه آبنه أبو تَغْلِب الغَضَنْفَر بمشورة الأمراء وحبسه مكرّما — حسب ما ذكرناه — فلم يزل محبوسا إلى أن مات فى شهر ربيع الأوّل. وقيل : إنّ ناصر الدولة هذا كان وقع بينه وبين أخيه سيف الدولة وَحْشة ، فكتب إليه سيف الدولة، وكان هو الأصغر وناصر الدولة الأكبر، يقول :

رَضِيتُ لك العُلْيا وقد كنتَ أهلها * وقلتُ لهم بينى وبين أخى فَرْقُ
ولم يكُ بى عنها نُكُول وإنّما * تجافيتُ عن حقّى فتمّ لك الحقّ
ولا بدّ لى من أن أكون مُصَلّيًا * إذا كنتُ أرضَى أن يكونَ لك السبْقُ

وفيها توفّى سابور بن أبى طاهر القِرْمِطِىّ فى ذى الحجة ، كان طالَبَ قبل موته عُمومتَه بتسليم الأمر إليه فحبسوه، فأقام فى الحبس أيّاما ثم خرج من الحبس؛ وعَمِل فى ذى الحجة ببغداد « غدير خُم » على ما جرت به العادة، ثم مات بعد مدّة يسيرة .

(١) باب البحر : أحد أبواب أنطاكية (معجم ياقوت) .

خلق مثل عدد الرمل ثم جهّز جيشا وغزَوْا، فهزموا الرومَ وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة وأسروا أميرَهم وجماعةً من بطارقته، وأُنفذت رءوسُ القتلى إلى بغداد؛ وفرِح المسلمون بنصر الله تعالى .

وفيها فى شهر رمضان دخل المعزّ لدين الله أبو تميم مَعَدّ العُبَيْدى إلى مصر بعد أن بُنيت له القاهرة ومعه توابيت آبائه ، وكان قد مهّد له مُلكَ الديار المصريّة مولاه جوهرٌ القائد، وبنى له القاهرةَ وأقام له بها دار الإمارة والقصر[1] .

وفيها وَزَر ببغداد أبوطاهر بن بَقِيّة ولُقّب بالناصح،وكان سَمْحا كريما، له راتب كلّ يوم من الثلج ألفُ رطل ، وراتبه من الشّمع فى كلّ شهر ألفُ منّ ؛ وكان أبوطاهر من صغار الكتّاب يكتب على المطبخ لمعزّ الدولة؛فآل الأمر إلى الوزارة. فقال الناس : من الغَضارة إلى الوزارة! وكان كريمـا فغطّى كرمُه عيوبَه .

وفيهـا زُلزلت بلاد الشام وهُدمت الحصون ووقع من أبراج أنطاكيةَ عدّة ، ومات تحت الردم خلقٌ كثير .

وفيها حجّ بالناس النقيب أبو أحمد الموسوى . وفيها ضاق الأمر على عزّ الدولة بَختِيَار بن بويه ، فبعث إلى الخليفـة وطلب إسعافه على قتال الروم؛ فباع الخليفة المطيع ثيـابَه وأنقاضَ داره من ساج ورَصـاص ، وجمع من ذلك أربعمائة ألف درهم وبعث بها إليه .

(١) فى الأصـل : « والقصرين » . ولم يعـد جوهر للمعز الا القصر الشرقى الكبير . وأما القصر الغربى — وكان موضعه حيث البيمارستان المنصورى (ومستشفى قلاوون للرمد يشغل جزءا منه الآن) وكل المساكن التى تجاوره الى الخليج، وكان يعرف بقصر البحر وبالقصر الغربى — فبناه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله . (راجع المقريزى ج ١ ص ٤٥٧) .

وفيهـا تُوفّى السَّرِىّ بن أحمـد بن السَّرِىّ أبو الحسن الكِنْدىّ الرفّاء الشاعر المشهور، كان فى صباه يرفو ويُطرّز فى دُكّان بالمَوْصِـل ومع ذلك يتولّع [بالأدب وينظم الشعر][1] ، ولم يزل على ذلك حتى جاد شعرُه ومَهَر فيه ؛ وقصد سيفَ الدولة ابن حمدان بحلب ومَدَحه وأقام عنده [مدّة][1]، ثم بعد وفاته قدم بغداد ومدح الوزيرَ المهلّبىّ وغيرَه ، وكان بينه وبين أبى بكر محمـد وأبى عثمان سعيد ابنى هاشم الخالديّين الموصليّين الشاعرين المشهورين معاداةٌ ، فادّعى عليهما سرقة شـعره وشعرِ غيره . وكان شاعرا مطبوعا عذبَ الألفاظ، كثيرَالافتنان فى التشبيهات والأوصاف، وكان لا يُحسن من العلوم شيئا غيرَ قول الشعر . ومن شعره [أبيات][1] يذكر فيها صناعته :

وكـانت الإبْرةُ فيما مضى * صائنةً وجهى وأشـعارى
فأصبح الرزق بها ضـيِّقًا * كأنّه مِن ثُقْبها جارى

ومن محاسن شعره فى المديح :

يَلْقَى النـدَى برقيق وجهٍ مُسْـفِرٍ * فإذا التقى الجمعان عاد صـفيقا
رَحْبُ المنازل ما أقام فإن سَرَى * فى جَحْفَـلٍ ترك الفضاءَ مَضـيقا

ومن غُرر شعره فى النسيب قوله وهو فى غاية الحسن :

بنفسِى من أجود له بنفسِى * ويبخَـل بالتحية والسـلامِ
وحتفى كامنٌ فى مُقْلتيْـه * كُمونَ الموت فى حَدّ الحُسَام

وفيها تُوفّى محمد بن هانئ أبو القاسم، وقيل : أبو الحسن، الأَزْدىّ الأندلسىّ الشاعر المشهور؛ قيـل : إنّه من ولد يزيد بن حاتم بن قَبِيصة بن المهلّب بن أبى صُفْرة؛ وقيل : بل هو من ولد أخيـه روح بن حاتم . وكان أبوه هانئ من قرية

(١) زيادة عن ابن خلكان (ج ١ ص ٢٨٣) .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وآثنتا عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الثامنة عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر وهى سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة .

فيها تزوّج الخليفة القادر بالله سُكَينة[1] بنت بهاء الدولة على صداق مائة ألف دينار ، فماتت قبل الدخول بها .

وفيها عظُم الغلاء حتى بلغ ثمن كُرّ القمح ببغداد ستة آلاف درهم وستمائة درهم غياثى[2] ، والكارة الدقيق مائتين وستين درهما .

وفيها ابتنى الوزير أبو نصر سابور بن أردشير دارا بالكرخ سمّاها "دار العلم" ووقفها على العلماء ونقل إليها كتبا كثيرة .

وفيها توفّى أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان الحافظ أبو بكر البزّاز[3] ، وُلد فى شهر ربيع الأوّل سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين ، ومات فى شوّال ببغداد . وكان ثبتا ثقةً صاحبَ أصول . قيل له : أسمعتَ من الباغَندى[4] شيئا ؟ قال : لا أعلم ؛ ثم وجد سماعَه منه ، فلم يُحدِّث به تورّعا .

(١) كذا فى المنتظم ومرآة الزمان وعقد الجمان وتاريخ الاسلام وتجارب الأمم . وفى الأصل : «سنية» . (٢) كذا فى المنتظم وتاريخ الاسلام وابن الأثير . والدراهم الغياثية منسوبة الى غياث الدين ، وهو لقب بهاء الدولة بن بويه . وفى الأصل : «درهم عباسى» . (٣) كذا فى الأصل والمنتظم وعقد الجمان ومرآة الزمان وابن كثير . وفى شذرات الذهب وتاريخ بغداد : «البزار» بالراء المهملة فى آخره . (٤) الباغندى : هو محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث أبو بكر الواسطى . (راجع ترجمته فى ج ٣ ص ٢١٢ من هذا الكتاب) .

وفيها توفّى جعفر بن عبد الله بن يعقوب أبو القاسم الرازى . روى عن محمد ابن هارون الرُّويانى[1] مُسنَدَه ، وسمع عبد الرحمن بن أبى حاتم وجماعةً . قال أبو يعلى[2] الخليلى : موصوف بالعدالة وحُسْن الديانة ، وهو آخر من رَوَى عن الرُّويانى .

وفيها توفّى عبد الله بن عطيّة بن عبدالله بن حبيب أبو محمد المقرئ الدمشقى المفسّر العدل إمام مسجد عطيّة داخل باب الجابية[3] . كان يحفظ خمسين ألف بيت من شعر العرب فى الاستشهادات على معانى القرآن واللغة . مات بدمشق فى شوال . ومن شعره قوله : [الكامل]

احذرْ مودّة ماذقٍ[4] ● مَزَجَ المرارةَ بالحلاوهْ
يُحصِى الذنوبَ عليك أيّام الصداقة للعداوهْ

وفيها توفّى عبد الله بن محمد بن [القاسم بن[5]] حَزْم أبو محمد الأندلسى القَلْعى من أهل قلعة أيّوب[6] . رحل إلى مصر والشام والعراق سنة خمسين وثلثمائة ، وسمع الكثير وعاد إلى الأندلس ، وصنّف الكتب . وكانوا يشبّهونه بسُفيان الثورى فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ومات فى شهر ربيع الآخر وله ثلاث وستون سنة .

(١) كذا فى شذرات الذهب والمشتبه فى أسماء الرجال للذهبي وكشف الظنون . والرويانى : نسبة الى «رويان» ، بآمل طبرستان . وفى الأصل : «الرومانى» ، وهو تحريف . (٢) أبو يعلى الخليلى : هو الخليل بن عبد الله بن أحمد القزوينى مصنف كتاب «الارشاد فى معرفة المحدّثين» . توفى فى آخر سنة ست وأربعين وأربعمائة . (راجع تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٣١٩) . (٣) باب الجابية : أحد أبواب دمشق عنده مقبرة من مقابر دمشق . (٤) ماذق : لم يخلص الودّ . يقال : مذق ودّه اذا شابه بكدر ولم يخلصه . وفى الأصل : «مودة حاذق» . (٥) التكملة عن مرآة الزمان وشذرات الذهب وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ص ٢٠٤ (٦) قلعة أيوب : مدينة عظيمة جليلة القدر بالأندلس .

على منابر العراق فى نَوْبة الأمير أبى الحارث أرسلان المعروف بالبَسَاسيرىّ[1] فى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة . ولا أعلم أحدًا فى الإسلام، لا خليفةً ولا سلطانًا ، طالت مدّتُه مثلَ المستنصر هذا . ووَلِى وهو آبن سبع سنين . ولمّا كان فى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة قطع الخطبةَ له من المغرب الأميرُ المعزّ بن باديس — وقيل: بل قطعها فى سنة خمس وثلاثين — وخطَب لبنى العبّاس وخرج عن طاعة بنى عُبيد الباطنيّة. وحدَث فى أيّام المستنصر بمصر الغلاءُ الذى ماعُهِد بمثله منذ زمان يوسف عليه السلام، ودام سبعَ سنين حتّى أكل الناس بعضُهم بعضًا، حتّى قيل : إنّه بيع رغيفٌ واحد بخمسين دينارا — فإنّا لله وإنّا اليه راجعون — وحتّى إنّ المستنصر هذا بقِى يركب وحدَه، وخواصُّه ليس لهم دوابُّ يركبونها، وإذا مشَوْا سقطوا من الجوع؛ وآل الأمرُ إلى أن آستعار المستنصر بغلةً يركبها من صاحب ديوان الإنشاء[2]. وآخرشىءٍ نزحت أُمّ المستنصر وبناتُه إلى بغداد خوفًا من أن يَمُتن جوعًا . وكان ذلك فى سنة ستّين[3] وأربعمائة . ولم يزل هذا الغلاء حتّى تحرّك الأمير بدرٌ الجمالىّ والد الأفضل أمير الجيوش من عكّا وركب فى البحر وجاء إلى مصر وتولّى تدبيرَ الأمور

(١) هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيرىّ التركىّ مقدم الأتراك ببغداد . كان من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ، وهو الذى خرج على الإمام القائم بأمر الله ببغداد ، وكان قد قدّمه على جميع الأتراك بها ، وقلده الأمور بأسرها وخطب له على منابر العراق وخوزستان فعظم أمره وهابته الملوك . ثم خرج عليه وأخرجه من بغداد وخطب للمستنصر العبيدى صاحب مصر وسيذكر هذا المؤلف مفصلا بعد قليل . والبساسيرىّ : نسبة الى بلدة بفارس يقال لها «بسا» وبالعربية «فسا» ، والنسبة اليها بالعربىّ فسوىّ أيضا ، وأهل فارس يقولون فى النسبة اليها البساسيرىّ ، وهى نسبة شاذة على خلاف الأصل . (عن تاريخ ابن خلكان) . (٢) فى تاريخ آبن خلكان : «وكان المستنصر يستعير من آبن هبة صاحب ديوان الإنشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته» . (٣) الذى فى تاريخ آبن خلكان : «فى سنة آثنين وستين وأربعمائة» .

وشرَع فى إصلاح الأمر[1] . وتُوفّى المستنصر فى ذى الحِجّة . وفى دولته كان الرَّفض والسبّ فاشيا مُجْهرًا ، والسنّة والإسلام غريبا ! فسبحان الحليم الخبير الذى يفعل فى ملكه ما يريد . وقام بعده آبنه المُستعلي أحمد، أقامه أمير الجيوش الأفضل . وآستقامت الأحوال، فخرج أخوه نزار من مصر خُفْيَةً، فسار إلى ناصر الدولة أمير الإسكندرية، فأعانه ودعا إليه، فتمّت بين أمير الجيوش وبينهم حروبٌ وأمور إلى أن ظَفِر بهم » . انتهى كلام الذهبىّ فى أمر المستنصر .

ونشرع الآن فى ذكر المستنصر وأمرِ الغلاء بأوسع ممّا ذكره الذهبىّ من أقوال جماعة من المؤرّخين وغيرهم .

قال العلّامة أبو المظفّر فى تاريخه : « ولم يَلِ أحدٌ من الخلفاء الأُمويّين ولا العباسيّين ولا المصريّين مثلَ هذه المدّة (يعنى مدّة إقامة المستنصر فى الخلافة ستّين سنة) قال : وعاش المستنصر سبعًا وستّين سنة وخمسة أشهر فى الهزَاهِز[2] والشدائد والوباء والغلاء والجلاء والفتن . وكان القحط فى أيّامه سبع سنين مثل سِني يوسف الصدّيق صلوات الله وسلامه عليه، من سنة سبع[3] وخمسين إلى سنة أربع وستّين وأربعمائة . أقامت البلادُ سبعَ سنين يطلُع النيل فيها وينزل ، ولا يوجد مَن يزرع لموت النّاس وآختلاف الوُلاة والرعيّة، فآستولى الخراب على كلّ البلاد، ومات أهلها، وآنقطعت السُّبُل برًّا وبحرًا . وكان معظم الغلاء سنة آثنتين وستّين .

(١) فى الأصل : «وشرع الأمر فى إصلاح» . وعبارة ابن خلكان : «وتولى تدبير الأمور فانصلحت» . (٢) الهزاهز : الحروب والشدائد التى تهزهز ، وقيل : الفتن التى تهز الناس . (٣) كذا فى مرآة الزمان لأبى المظفر . وفى الأصل : «تسع» وهو تحريف .

وقال أبو يعلى بن القلانسى[1] : « فى أيامه (يعنى المستنصر) ثارت الفتن[2] فى بنى حمدان وأكابر القوّاد، وغلت الأسعار، وآضطربت الأحوال، وآختلت[3] الأعمال، وحُصر فى قصره وطُمع فيه. ولم يزل على ذلك حتى آستدعى أمير الجيوش بدرًا الجمالى من عكّا إلى مصر فآستولى على التدبير، وقتل جماعة ممّن يطلب الفساد، فتمهّدت الأمور، ولم يبق للمستنصر أمر ولا نهى إلّا الركوب فى العيدين. ولم يزل كذلك حتى مات بدر الجمالى وقام بعده ولده الأفضل. ولمّا مات المستنصر وقام المستعلى مقامه وتقرّرت الأمور، خرج عبد الله ونزار آبنا المستنصر من مصر خفية، وقصد نزار الإسكندرية إلى ناصر الدولة[4] وإليها، وجرت بينه وبين الأفضل حروب بسبب ذلك إلى أن ثبت أمر المستعلى » . إنتهى كلام أبى يعلى بآختصار .

قلت: وأمّا ما ذكره الذهبى — رحمه الله — من الخطبة للمستنصر[5] على منابر بغداد وبالعراق كلّه، وخلع القائم بأمر الله العباسى من الدعوة، فكان من قصّته أنّ السلطان

(١) هو العلامة المؤرخ أبو يعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد التميمى الدمشقى العميد الكاتب المعروف بابن القلانسى المتوفى بدمشق الشام فى يوم الجمعة السابع من شهر ربيع الأول سنة ٥٥٥ هـ، ودفن فى اليوم التالى بقاسيون . وكتابه ذيل على تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر رتبه على السنين من غير استقصاء لجميعها، وذكر بعد كل سنة شرح حال الحوادث الواقعة فيها والأخبار التى علقها وأخذها من أفواه الثقات من سنة ٣٦٣ هـ، وانتهى فيه إلى سنة ٥٥٥ هـ . وقد طبع فى ليدن سنة ١٩٠٨ م . وهذه العبارة واردة فى صفحة ٨٤ من كتابه المذكور . وقد نقلها أيضا صاحب مرآة الزمان فى كتابه. (٢) فى تاريخ ابن القلانسى : « من » . (٣) كذا فى تاريخ ابن القلانسى ومرآة الزمان . وفى الأصل : « واختلفت » وهو تحريف . (٤) كذا فى الأصل وابن الأثير . وفى مرآة الزمان : « نصير الدولة » . وفى تاريخ ابن القلانسى (ص ١٢٨) : « نصر الدولة » . (٥) فى الأصل : « من خطبة المستنصر » .

طُغْرُلْبَك[1] آشتغل بحصار تلك النّواحى ونازل المَوْصل، ثم توجّه إلى نَصِيبين لفتح الجزيرة وتمهيدها. وأرسل الأمير أبو الحارث أَرْسلان المعروف بالبساسيرى إلى إبراهيم ينّال أخى السلطان طُغْرُلْبَك ليُنجده؛ فأخذ البساسيرى يَعِده ويُمنّيه ويُطمعه فى المُلْك حتى أصغى إليه وخالف أخاه طغرلبك. وساق إبراهيم ينّال فى طائفة من العسكر إلى الرّىّ. وبلغ السلطان طغرلبك خبر عصيان إبراهيم فآنزعج، وسار وراءه وترك بعض عسكره فى ديار بكر مع زوجته الخاتون ووزيره عميد المُلْك الكُنْدُرى[2]، فتفرّقت العساكر. وعادت زوجته الخاتون بالعسكر الذى صحبها إلى بغداد. وأمّا زوجها السلطان طغرلبك فإنّه التقى هو وأخوه إبراهيم ينّال وتقاتلا، فظفر عليه أخوه إبراهيم ينّال وآنهزم السلطان طغرلبك إلى هَمَذان، فساق أخوه إبراهيم خلفه وحاصره بها. فعزمت الخاتون على إنجاد زوجها. وآختبطت بغداد وعظُم البلاء بها، وقامت الفتنة على ساق. وتمّ للأمير أبى الحارث أرسلان البساسيرى ما دبّره من المكر. وأرْجف النّاس ببغداد بمجىء البَساسيرى. ونفر الوزير عميد الملك وزير طُغْرُلْبَك والأمير أنوشروان إلى الجانب الغربى من بغداد وقطعا الجسر. ونهبت الغزّ دار خاتون. وأكل القوىّ الضعيف. ووقع ببغداد وأعمالها أمورٌ هائلة شَنِعة. ثم دخل الأمير

(١) هو أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب ركن الدين طغرلبك أول ملوك السلجوقية . كان كريما حليما محافظا على الطاعة وصلاة الجماعة وصوم الأثنين والخميس، وكان لا يرى القتل ولا يسفك دما ولا يهتك محرما وكان شديد الاحتمال سديد الأفعال . وأخباره بتاريخ دولة آل سلجوق من صفحة ٧ — ٢٨ طبع ليدن سنة ١٨٨٩ م . وترجمه ابن خلكان فى تاريخه وضبطه بالعبارة فقال : « طغرلبك بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء وبعدها كاف » وقد أثبتنا هذا الضبط واعتمدناه، وسيأتى للمؤلف ضبط يخالف هذا. (٢) هو الوزير عميد الملك أبو نصر محمد ابن منصور الكندرى أول وزراء الدولة السلجوقية . كان من رجال الدهر جودا وسخاء وكتابة وشهامة . استوزره السلطان طغرلبك السلجوقى . ومدحه جماعة من أكابر شعراء عصره، منهم الباخرزى وصرّدرّ . (راجع ترجمته بتفصيل فى تاريخ ابن خلكان وتاريخ دولة آل سلجوق) .

أفعالك . فأغلظ آبن حمدان فى الجواب وآستهزأ بالرسول . فبعث المستنصر إلى إلدكز[1] الملقب بأسد الدولة ، وكان شيخَ الأتراك والمقدّم عليهم ، وكان من المخالفين على آبن حمدان ، فآستحضره وآستحلفه وتوثّق منه ومن جماعة ممّن جرى مجراه ، وجمع الأتراك الذين معه والمغاربة وكُتَامة إلى باب القصر . وعرف آبن حمدان بذلك فبرز بخيمة إلى بركة الحَبَش[2] ، وأخرج المستنصر خَيْمته الحمراء ، وتُسمّى خيمة الدم ، فضربها بين القصرين من القاهرة . وآجتمع الناس على المستنصر ، وركب وسار إلى حرب آبن حمدان . والتقَوْا بمكان يُعرف بالباب الجديد[3] ، فورد أكثرُ من كان مع آبن حمدان بالأمان إلى المستنصر . وكان فى جملة مَن ورد الأميرُ أبو علىّ ابن الملك أبى طاهر آبن بُوَيْه ، ثم قُتِل المذكور بعد ذلك بمدّة . ووقع القتال فانكسر آبن حمدان وهرب

(١) كذا فى الأصل . وفى مرآة الزمان : « بلدكوز » . (٢) بركة الحبش ، لما زار أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى مصر فى سنة ٦١٠ هـ رأى بركة الحبش وقال عنها : إنها ليست بركة بالتعريف المقصود وإنما هى علم لأرض زراعية تروى بماء النيل عند فيضانه السنوى فشبهت بالبركة أثناء غمرها بماء النيل . وقال : وهى من أجل متنزهات مصر . وقال المقريزى : وهى من أشهر برك مصر فى ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين النيل والجبل - وسميت بركة الحبش نسبة إلى قتادة بن قيس بن حبشى الصدفى ممن شهد فتح مصر ، وكانت له حدائق بجوار هذه البركة تعرف بالحبش فنسبت البركة إليها . وهذه البركة موقعها اليوم منطقة الأراضى الزراعية التابعة لزمام قرية دير الطين وجزء عظيم من الأراضى الزراعية التابعة لزمام قرية البساتين . وتحد هذه المنطقة من الغرب بجسر النيل الموصل بين مصر القديمة ودير الطين . ومن الجنوب باقى أراضى ناحية البساتين . ومن الشرق سكن قرية البساتين والجبل الشرقى . ومن الشمال صحراء جبانة مصر وجبل الرصد الذى يعرف اليوم بجبل اصطبل عنتر ثم حدود أراضى ناحية أثر النبى . (راجع بركة الحبش بالجزء الثانى من الخطط المقريزية) (٣) الباب الجديد قال المقريزى : « هذا الباب كان يعرف بالباب الجديد الحاكمى لأنه أنشئ فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى . وقال : ويعرف فى أيامه بباب القوس ، وهو واقع بالشارع خارج باب زويلة من القاهرة عند رأس حارة المنتجبية فيما بينها وبين حارة الهلالية . فأما حارة المنتجبية فكانت واقعة على يمين السالك فى الشارع المذكور بعد خروجه من باب زويلة متجها إلى الجنوب ، وفى أول هذه الحارة اليوم من بحرى درب الأغوات ، وحارة الهلالية كانت واقعة تجاهها على اليسار وفى أولها اليوم من بحرى درب الدالى حسين . وأما الباب الجديد المذكور فكان واقعا فى عرض الطريق التى تسمى اليوم بشارع المغربلين تجاه زاوية الست عائشة اليونسية الواقعة بشارع المغربلين على رأس شارع الداوودية من الجهة القبلية . (راجع حارتى المنصورية والهلالية وذكر ظواهر القاهرة المعزية بالجزء الثانى من الخطط المقريزية) .

بنفسه إلى الإسكندريّة ، ونُهِبت دُوره وأمواله ودورُ أصحابه . ومضى آبن حمدان إلى حىّ من العرب وتزوّج منهم وقَوِى بهم ، فصار يَشُنّ الغاراتِ على أعمال مصر ، ويبعث إليه المستنصرُ فى كلّ وقت جيشًا فيهزمه آبن حمدان . ولا زال على ذلك حتّى جمع آبن حمدان جمعًا كبيرا ونزل الصالحيّة[1] ، فخرج إليه من كان يَهْوَاه من المشارقة ، وآمتدّت عساكرُه نحو خمسة فراسخ وحاصر مصر ، فضعُف المستنصر عن مقاومته وآنحصر بالقاهرة . وطال الحصار وغلت الأسعار حتّى بلغت الرّاوية الماء ثلاثة عشر قيراطًا ، وكلّ ثلاثة عشر رطلا من الخبز دينارًا ، وعُدِمت الأقوات ، فضجّ العوامّ ، فخاف المستنصر أن يُسلّموه إليه ، فراسله وصالحه . وآقترح عليه آبن حمدان إبعاد إلدكز ومن يُعاديه من المشارقة ، وأن ينفرد آبن حمدان بالبلاد[2] وتدبير الأمور والعساكر ، فرضى المستنصر بذلك كلّه ، ورُفِع الحصار عن مصر ، وعادت الأمور إلى ما كانت عليه . فهرب غالبُ مَن كان مع المستنصر إلى الشأم ، ووفدوا على صاحبها بَدر الجَمَالىّ . وكان بدر الجمالىّ يكره آبن حمدان والشريفَ المذكور . ثمّ ظَفِر الجمالىّ بالشريف المذكور وقتله خَنْقًا . على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى . وصار المستنصر فى قصره كالمحجور عليه ولا حكم له .

هذا والغلاء بمصر يتزايد ، حتّى إنّه جلا من مصر خَلْق كثير لِمَا حصل بها من الغلاء الزائد عن الحدّ ، والجوع الذى لم يُعهَد مثله فى الدنيا ، فإنّه مات أكثر أهل مصر ، وأكل بعضُهم بعضًا . وظهروا على بعض الطبّاخين أنّه ذبح عدّة من الصّبيان والنساء وأكل لحومهم وباعها بعد أن طبخها . وأُكلت الدوابّ بأسرها ، فلم يبق

(١) يريد المؤلف مكان الصالحية : وهى اليوم إحدى قرى مركز فاقوس بمديرية الشرقية ، اختطها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى أول الرمل بين مصر والشام فى سنة ٦٤٤ هـ . (راجع الصالحية فى ذكر « بلدة » الواردة بالجزء الأول من الخطط المقريزية وجدول أسماء البلاد المصرية) .

لصاحب مصر — أعنى المستنصر — سوى ثلاثة أفراس بعد أن كانت عشرة آلاف ما بين فرس وجمل ودابّة. وبيع الكلب بخمسة دنانير، والسِّنَّور بثلاثة دنانير. ونزل الوزير أبو المكارم[1] وزير المستنصر على باب القصر عن بغلته وليس معه إلّا غلام واحد، فجاء ثلاثة وأخذوا البغلة منه؛ ولم يقدر الغلام على منعهم لضعفه من الجوع فذبحوها وأكلوها، فأُخذوا وصُلبوا، فأصبح الناس فلم يَرَوْا إلّا عظامهم، أكل الناس فى تلك الليلة لحومهم. ودخل رجل الحمّام فقال له الحمّامىّ: من تريد أن يخدُمك سعد الدولة أو عزّ الدولة أو فخر الدولة؟ فقال له الرجل: أتهزأ بى! فقال: لا والله، أُنظر إليهم، فنظر فإذا أعيان الدّولة ورؤساؤها صاروا يخدمون الناس فى الحمّام لكونهم باعوا جميع موجودهم فى الغلاء واحتاجوا إلى الخدمة. وأعظم من هذا أنّ المستنصر الخليفة صاحب الترجمة باع جميعَ موجوده وجميعَ ما كان فى قصره حتّى أخرج ثيابًا كانت فى القصر من زمن الطائع الخليفة العباسىّ، لمّا نَهَب بهاءُ الدولة دار الخليفة فى إحدى وثمانين وثلثمائة، وأشياء أُخر أُخِذت فى نَوْبة البَسَاسيرىّ، وكانت هذه الثياب التى لخلفاء بنى العباس عند خلفاء مصر يحتفظون بها لبُغْضهم لبنى العبّاس، فكانت هذه الثياب عندهم بمصر بسبب المعيرة لبنى العبّاس. فلمّا ضاق الأمر على المستنصر أخرجها وباعها بأبخس[2] ثمن لشدّة الحاجة. وأخرج المستنصر أيضا طَسْتًا وإبريقًا بلّورًا يسع الإبريق رطلين ماء، والطَّسْت أربعةَ أرطال، وأظنّه بالبغدادىّ، فبيعا بأثنى عشر درهما فُلوسًا، ثمّ باع المستنصرُ من هذا البلور ثمانين ألف قطعة. وأمّا ما باع من الجواهر واليواقيت والخُسْرَوانِىّ[3] فشىءٌ لا يُحْصَى. وأُحصى من الثياب التى أُبيعت فى هذا الغلاء من

(١) هو أبو المكارم المشرف بن أسعد وزير الوزراء، كما فى الاشارة الى من نال الوزارة ص ٥١

(٢) فى الأصل: «بأحسن»، وهو تحريف. وفى تاريخ ابن إياس (ج١ ص٦١): «بأرخص».

(٣) خسروانى: منسوب الى خسروشاه من الأكاسرة: حرير رقيق.

قصر الخليفة ثمانون ألف ثوب، وعشرون ألف دِرْع، وعشرون ألف سيف مُحَلًّى؛ وباع المستنصر حتّى ثيابَ جواريه وتُخوتَ المُهُود، وكان الجند يأخذون ذلك بأقلّ ثمن. وباع رجل دارًا بالقاهرة كان آشتراها قبل ذلك بتسعمائة[1] دينار بعشرين رطلَ دقيق. وبيعت البَيْضة بدينار، والإردبُّ القمح بمائة دينار فى الأوّل، ثم عُدِم وجود القمح أصلًا. وكان السُّودان يقفون فى الأزقّة يخطَفُون النساء بالكلاليب ويُشَرِّحون لحومهنّ ويأكلونها، وآجتازت آمرأة بزُقاق[2] القناديل بمصر وكانت سمينةً، فعلّقها السُّودان بالكلاليب وقطعوا من عَجُزها قطعةً، وقعدوا يأكلونها وغَفَلوا عنها؛ فخرجت من الدار وآستغاثت، فجاء الوالى وكَبَس الدار فأخرج منها ألوفًا من القتلَى، وقتَل السُّودان. وآحتاج المستنصر فى هذا الغلاء حتّى إنّه أرسل فأخذ قناديلَ الفِضّة والستورَ من مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام. وخرجت آمرأة من القاهرة فى هذا الغلاء ومعها مُدُّ جَوْهر، فقالت: مَن يأخذ هذا ويُعطينى عوضَه دقيقًا أو قمحًا؟ فلم يلتفت إليها أحد؛ فألقتْه فى الطريق وقالت: هذا ما ينفعنى وقت حاجتى فلا حاجة لى به بعد اليوم؛ فلم يلتفت إليه أحد وهو مُبَدَّد فى الطريق! فهذا أعجب من الأوّل.

وقيل: إنّ سبب ما حصل لمصر من الخَلَل فى أوّل الأمر[3] الفتنة التى كانت بمصر فى أيّام المستنصر هذا بين[4] الأتراك والعَبِيد، وهو أنّ المستنصر كان من عادته

(١) فى مرآة الزمان: «سبعمائة».

(٢) زقاق القناديل: كان من الدروب الشهيرة التى سكنها الأعيان وكبار القوم بمدينة الفسطاط فى زمن عمارتها، وقد زال بزوال مدينة الفسطاط القديمة. ومكانه اليوم أرض فضاء مجاورة من الشرق لجامع عمرو بن العاص بمصر القديمة. (راجع ص ١٣ من الجزء الرابع من كتاب الانتصار لابن دقاق).

(٣) فى الأصل: «فى أوّل الأمر أنه الفتنة الخ».

(٤) فى الأصل: «من». وما أثبتناه عن مرآة الزمان.

وفيها لم يحجّ أحد من العراق . وحجّ الناس من مصر والشام .

وفيهـا توفّى عبد الله بن يوسـف بن عبد الله بن يوسف بن حَيُّـويَه[1] الجُوَيْنِى الشافعى والد أبى المعالى[2] الجُوَينى . وجُوَيْن (بضم الجيم): بلدة من أعمال نَيْسابور . وأصلهم من العرب من بنى سِنْبِس[3] . سمع الحديث، وتفقه بمَرْو على القَفّال[4]، وصنّف التصانيف الكثيرة . ومات بنيسابور .

وفيها توفّى محمد بن يحيى بن محمد أبو بكر . كان أصله من قرية بالعراق يقال لها الزيديّة . كان عالمـا بالقرآن والفرائض وسمع الحديث . ومات فى شهر رمضـان . قال أبو بكر الخطيب : « كتبت عنه، وكان ثقة » .

وفيها توفّى الحسن بن محمد بن إبراهيم أبو علىّ البغدادىّ المالكىّ المقرئ العـالم المشهور ، مصنّف « الروضـة »[5] . كان عالما بالقراءات وغيرها ، مفتنًّا . مات فى هذه السنة .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم ست أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وتسع عشرة إصبعا .

*

السـنة الثانية عشرة من ولاية المستنصر معـدّ على مصر وهى سـنة تسع وثلاثين وأربعمائة .

---

(١) كذا فى المنتظم وطبقات الشافعية وشذرات الذهب وعقد الجمان وقد ضبطه بالعبارة : بفتح الحاء المهملة وتشديد الياء آخر الحروف المضمومة وسكون الواو وفتح الياء الثانية . وفى الأصل : « حويه » وهو تحريف . (٢) أبو المعالى هو إمام الحرمين عبد الملك بن أبى محمد الجوينى . (٣) سنبس : بطن من طيئ . (راجع المشتبه فى أسماء الرجال) . (٤) راجع ترجمته فى حوادث سنة ٤١٧ ﻫ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٥) فى شذرات الذهب وتاريخ الاسلام للذهبى : « ... الروضة فى القراءات » .

فيها وقع الغلاء والوباء بالموصل والجزيرة وبغداد ، ووصل كتاب من الموصل أنهم أكلوا الميتـة، وصلّى الجمعـة أربعمائة نفس ، ومات الباقون وكانوا زيادة على ثلثمائة إنسان[1]، وبيعت الرّمانة بقيراطين، واللَّينوفرة[2] بقيراطين أيضا، والخيارة بقيراط . قاله صاحب مرآة الزمان .

وفيها توفّى أحمد [بن أحمد][3] بن محمد أبو عبد الله القَصْرىّ (من قصر ابن هُبَيْرة[4]) . ولد سنة ست وأربعين وثلثمائة . وسمع الحديث، وكان من أهل العلم والقرآن، يختم القرآن فى كلّ يوم مرّة، وكان معروفا بالسنّة . ومات فى شهر رجب ، ودُفن بباب حرب . وكان صدوقا صالحا ثقة .

وفيها توفّى أحمد بن عبد العزيز بن الحسن أبو يعلى الطاهرىّ (من ولد طاهر ابن الحسين الأمير) . ولد سنة إحدى وثمانين وثلثمائة، وقرأ الأدب وسمع الحديث . ومات فى شوّال . وكان فصيحا صدوقا .

وفيها توفّى أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمـد أبو الفضل الهاشمىّ العباسىّ ، من ولد هارون الرشـيد . ولى القضـاء بسِجِسْتان، وسمع الحديث، وكان له شعر وفضـل .

---

(١) فى مرآة الزمان : « ألف إنسان » . (٢) اللينوفرة (ويقال فيها النيلوفرة) : ضرب من الرياحين، ينبت فى المياه الراكدة ، له أصل كالجزر وساق أملس يطول بحسب عمق الماء فاذا ساوى سطحه أورق وأزهر ، وإذا بلغ يسقط من رأسه ثمر داخله بذر أسـود . وهى كلمة أعجمية، قيل مركبة من « نيل » وهو الذى يصبغ به ، و « فر » وهو اسم الجناح فكأنه قيل مجنح بنيل لأن الورقة كأنها مصبوغة الجناحين . (٣) التكملة من تاريخ بغداد وتاريخ الاسلام للذهبى ومعجم ياقوت . (٤) قصر ابن هبيرة : ينسب الى يزيد بن عمر بن هبيرة . وهذا القصر بناه بالقرب من جسر سورا، موضع بالعراق من أرض بابل . (عن معجم البلدان لياقوت) .

وفيها آستولى أبو كامل علىّ[1] بن محمد الصُّلَيْحىّ على اليمن، وآنتمى إلى المستنصر صاحب مصر، وخَطَب له باليمن، وأزال دعوة بنى العبّاس منها، وكان يُدْعَى بها للقائم بأمر الله، فصار يدعو للمستنصر هذا صاحب الترجمة .

وفيها تُوُفّى الحسين [بن علىّ][2] بن جعفر بن علكان بن محمد بن دُلَف أبو عبدالله العِجْلىّ القاضى، وكان يُعرف بآبن ماكُولا، ولِى قضاء البصرة و بغداد، وكان قاضيا نزِهًا عفيفا ديّنا أديبا شاعرا .

وفيهـا تُوُفّى على بن المُحَسِّن بن علىّ بن محمـد بن أبى الفهـم أبو القاسم التَّنُوخىّ القاضى، تقلّد القضاء فى عدّة بلاد ، وسمِـع الحـديث الكثير ، وصنّف الكتب المفيدة ، ومات فى بغداد فى المحرّم . وكان صَـدوقا محتاطا فى الحديث . وقيل : إنّه كان معتزليّا يميل إلى الرَّفْض .

وفيها تُوُفّى محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله العباسىّ فى حياة والده، كان قد نشأ نشوءًا حسنا ، ورشّحه أبوه القائم بأمر الله للخلافة ، ولقّبه «ذخيرة الدين» . وكانت وَفاته فى ذى القعدة، وحزِن عليـه أبوه القائم حزنًا شديدا، وخرج حتّى صلّى عليـه بنفسه ، فصلّى عليه وبَيْنه و بين الناس سُرَادِق وهم يُصلّون خلفَه بصلاته ؛ وجلس الوزير رئيس الرؤساء للعزاء ثلاثة أيّام، ومَنع من ضرب الطُّبول ثلاثة أيّام، فلمّا كان اليوم الرابع حضر عَميـدُ المُلْك وزير السلطان بين يدى القائم بأمر الله ، وأدّى عن السـلطان رسالةً تتضمّن التعزية والسؤال بقيام الوزير والجماعة من مجلس التّعزية فقاموا، ثم حُمِل تابوتُه بعد ذلك إلى الرّصافة فدفِن هناك .

(١) كذا فى ابن الأثير والمنتظم ومرآة الزمان وعقـد الجمان . وفى الأصـل وابن خلكان : «أبو الحسن» . (٢) التكملة عن المنتظم وتاريخ بغداد وتاريخ الاسلام للذهبي وعقـد الجمان ومرآة الزمان وابن كثير .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وستّ عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وأربع أصابع .

*
* *

السنة الحادية والعشرون من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة .

فيهـا عمّ الوباء والقحط ببغداد والشام ومصر والدنيا ، وكان النـاس يأكلون الميتة . و بلغت الرّمانة والسفرجلة دينارا ، وكذا الخيارة واللَّيْنُوفرة، وآنقطع ماء النيل بمصر، وكان يموت بها فى كلّ يوم عشرة آلاف إنسان . و باع عطّار واحد فى يوم واحد ألف قارورة شراب . ووقع بمصر أنّ ثلاثة لصوص نَقَبُوا نَقْبًا فوُجِدُوا عنـد الصّباح مَوْتَى : أحدهم على باب النقب ، والثانى على رأس الدرجة ، والثالث على الكارة التى سرقها . وهـذا الوباء والغلاء خلاف الغـلاء الذى ذكرناه فى ترجمـة المستنصر ؛ وياتى ذكرذلك أيضـا فى محلّه . غير أنّه كان يُنْـذِر عن ذاك بأمور آسترسلت إلى أن عَظُم الأمر .

وفيها أُقيم الأذان فى مَشْهَد موسى بن جعفر ومساجد الكَرْخ بـ « الصـلاة خير من النوم » على رغم أنف الشِّيعة، وأزيل ما كانوا يقولونه فى الأذان من «حىّ على خير العمل» .

وفيهـا تُوُفّى جعفر بن محمـد بن عبـد الواحد أبو طـالب الجَعْفَرىّ الشريف الطُّوسىّ شيخ الصوفية ، كان محدّثا فاضلا، سافر[إلى] البلاد فى طلب الحديث ، وسمِـع بالعراقين والشام وخُراسان وغيرها .

الاخرة، ونُقل تابوته إلى بيهق[١] . وقد روَيْنا سننه الكبرى عن الشيخ أبى النعيم رضْوان العُقْبِىّ[٢] ثنـا التقىّ بن حاتم انا علىّ بن عمر الأَرْمَوِىّ[٣] انا ابن البخارىّ[٤] انا منصور بن[٥] عبد المنعم الفَرَاوِىّ انا محمد بن إسماعيل الفارسىّ[٦] انا أبو بكر البيهقىّ .

وفيها تُوفّى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفَرّاء أبو يَعْلَى القاضى الحنبلىّ . ولد سنة ثمانين وثلثمائة فى المحرّم، وسمِـع الكثير وتفقّه على جماعة من العلماء، وانتهت إليه رياسة الحنابلة فى زمانه، ومات يوم الاثنين العشرين من شهر رمضان، وكانت جنازته مشهورة مشى فيها الأعيان مثـل القاضى الدّامَغَانِىّ الحنفىّ ونقيب الهاشميّين أبى الفوارس طَرّاد وغيرهما .

وفيها تُوفّى محمد بن الفضل بن نظيف[٧] أبو عبد الله المصرىّ الفرّاء فى شهر ربيع الآخر وله تسعون سنة، وكان إماما عالمـا زاهدا ورِعا .

وفيها تُوفّى المُسَـدَّد[٨] بن علىّ أبو المُعَمَّر الأُمْلُوكىّ الإمام المحدّث البارع خطيب حِمْص . كان إماما فقيها فصيحا، سِمـع الحديث ورواه .

(١) بيهق (بالفتح . أصلها بالفارسية «بيه» ومعناه بالفارسية الأجود) : ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحى نيسابور، تشتمل على ثلثمائة وإحدى وعشرين قرية بين نيسابور وقومس وجوين . (راجع معجم ياقوت) . (٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٢٥ من هـذا الجزء . (٣) الأرموى : نسبه الى أرمية (بتخفيف الياء) ، مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان . (٤) هو علىّ بن أحمد بن إسماعيل بن منصور أبو الحسن بن البخارى . (٥) هو منصور بن عبد المنعم بن أبى البركات عبدالله ابن فقيه الحرم محمد بن الفضل الفراوى أبو الفتح وأبو القاسم . ولد سنة ٥٢٢ وسمع من جدّه وجدّ أبيه وعبد الجبار الحوارى ومحمـد بن إسماعيل الفارسىّ . وتوفى ثامن شعبان سنة ٦٠٨ (راجع شـذرات الذهب) . (٦) هو أبو المعالى محمد بن إسماعيل الفارسىّ ثم النيسابورى راوى السنن الكبرى عن البيهق . توفى فى جمادى الآخرة سنة ٥٣٩ هـ وله إحدى وتسعون سنة . (راجع شذرات الذهب) . (٧) تقدّمت وفاته فى الأصل وتاريخ الاسلام للذهبى وشذرات الذهب سنة ٤٣١ هـ . (٨) تقـدّمت وفاته فى الأصل وتاريخ الاسـلام للذهبى وشذرات الذهب ومعجم البلدان لياقوت سنة ٤٣١ هـ .

ذ أمر النيـل فى هـذه السنة ـــ المـاء القـديم ثلاث أذرع وأربع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الثـانية والثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سـنة تسع وخمسين وأربعمائة .

فيها بعث المستنصر صاحب الترجمة إلى محمود بن الزوقليـة المتغلّب على حلب يُطالبه بحمل المـال وغَزْو الروم، وصرف ابن خاقان[١] ومَن معـه من الغُزّ إن كان على طاعته . فأجاب بأنّى التزمت على أخذ حلب من عمّى أموالا اقترضتُها وأنا مُطَالَب بها، وليس فى يدى ما أقضيها فضلًا عمّا أصرفه لغيره . وأمّا الروم فقد هادنتُهم مدّة وأعطيتهم ولدى رهينةً على مال اقترضتُه منهم ، فلا سبيل إلى محاربتهم . وأمّا ابن خاقان والغُزّ معه فيدُهم فوق يدى . فلمّا وصل الجواب إلى المستنصر كتب المستنصر أيضا إلى بدر الجَمَالىّ أمير الجيوش المقيم بدمشق : إنّ ابن الزوقلية خلَع الطاعة ومال إلى جهة العِراقيّة . ثم ندب بدرٌ الجمالىّ المذكور عطيةَ وهـو بالرَّحْبَة لقتاله ؛ فدخل القاضى ابن عمّار المقيم بطرابُلُس بينهم وأصلح الحال .

وفيها كان بمصر الغـلاء والقَحْط المتواتر الذى خرج عن الحـدّ ـــ وقد تقدّم ذكره ـــ ولا زال فى زيادة فى هذه السنة والتى قبلهـا إلى أن أخذ أمره فى نقص فى سنة إحدى وستّين وأربعمائة . وأُبيع القمح فى هذه السنة بثمانين دينارا الإردبّ .

وفيها تُوفّى سـعيد بن محمد بن الحسن أبو القاسم إمام جامع صُور . كان فاضلا سمِع الحديث ورواه، ومن رواياته عن الحسن البَصرىّ أنه قال : «لا تشتروا مودّة ألف رجل بعداوة رجل واحد» .

(٨) فى تاريخ ابن القلانسى : «ابن خان أمير الغز» .

آبن حسّان التيمى، والثانى آبن دينار، والثالث البصرى، والرابع آبن على ابن أبى طالب، رضى الله عنهما .

وفيها تُوفّيت خديجة بنت محمد بن على بن عبد الله الواعظة الشّاهجانية . كانت عظيمة مشهورة بالصدق والوَرَع والزهد والدِّين المتين . وُلِدت[1] سنة ستّ وسبعين وثلثمائة . وكانت تسكن قطيعة الربيع[2] . وصحِبت آبن سَمْعون[3] الواعظ . ولمّا ماتت دُفنت إلى جانبه .

وفيها تُوفّى عبد الملك بن محمد بن يوسف أبو منصور البغدادىّ، كان إماما بارعا لم يكن فى زمانه من يُخاطَب بالشيخ الأجلّ سواه . ولِد سنة خمس وتسعين وثلثمائة، وكان أوحدَ زمانه فى فعل المعروف، والقيام بأمور العلماء، وقمع أهل البِدَع .

وفيها توفّى أبو جعفر الطُّوسى[4] فقيه الإماميّة الرافضة وعالمهم . وهو صاحب «التفسير الكبير» وهو عشرون مجلدا، وله تصانيف أُخَر . مات بمشهد على — رضى الله عنه — وكان مجاورا بضريحه . كان رافضيّا قوىّ التشيّع .

وفيها تُوفّى أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال أبو عمر القرطبىّ المعروف بآبن القَطّان المالكىّ المغربىّ شيخ المالكيّة فى زمانه وعالمهم . مات فى هذه السنة وله سبعون سنة .

وفيها تُوفّى أحمد بن الفضل أبو بكر البَاطِرْقانى[5] المقرئ فى صفر وله ثمانٍ وثمانون سنة . كان إماما عالما بالقراءات رحمه الله .

(١) ما ذكره المؤلف هنا عبارة مرآة الزمان . والذى فى المنتظم أنها ولدت سنة أربع وسبعين وثلثمائة وأنها روت عن ابن سمعون . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٦٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس أبو الحسن البغدادى المتوفى سنة ٣٨٧ ﻫ . (٤) اسمه محمد بن الحسن، كما فى عقد الجمان وابن كثير . (٥) الباطرقانى (بكسر الطاء المهملة وسكون الراء وبالقاف) : نسبة الى باطرقان من قرى أصبهان . (راجع شذرات الذهب) .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وثلاث أصابع . مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وستّ أصابع .

⁂

السنة الرابعة والثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة إحدى وستّين وأربعمائة .

فيها خرج ناصر الدولة بن حمدان من عند الوزير أبى عبد الله [المَاسَكِى][1] وزير المستنصر بمصر، فوثب عليه رجل صَيْرفىّ وضربه بسكّين ، فأمسك الصيرفىّ وشُنِق فى الحال، وحُمِل ناصر الدولة بن حَمْدان إلى داره جريحا، فعولج فبرِئ بعد مدّة . وقيل : إنّ المستنصر ووالدته كانا دَسّا الصيرفىّ عليه . وفى هذه الأيام آضمحلّ أمر المستنصر بالديار المصريّة لتشاغله باللّهو والشرب والطَّرَب . فلمّا عُوفِى آبن حمدان آتفق مع مقدّمِى المشارقة ، مثل سِنان الدولة وسلطان الجيوش وغيرهما، فركبوا وحصروا القاهرة . فآستنجد المستنصر وأمّه بأهل مصر، وأذكَرهم حقوقَه عليهم، ووعَدهم بالإحسان؛ فقاموا معه ونهبوا دُور أصحاب آبن حمدان وقاتلوهم . فخاف آبن حمدان وأصحابُه، ودخلوا تحت طاعة المستنصر، بعد أمور كثيرة صدرت بين الفريقين .

وفيها أُبيع القمح بمصر بمائة دينار الإردبّ، ثم عُدِم وجوده . وقد ذكرنا ذلك كلّه فى أوّل ترجمة المستنصر مفصّلا .

(١) الزيادة عن مرآة الزمان وأخبار مصر لآبن ميسر ، والماسكى : نسبة الى ماسك (بفتح السين) جدّ .

وفيها تُوفّى عبـد الرحيم بن أحمد بن نصر الحافظ أبو زكريّا البُخاريّ التيميّ، سمع الحديث وطاف البلاد فى طلب الحديث، وسمع بعدّة أقطار وآتفقوا على صدقه وثقته . وكانت وفاته فى المحرّم بمصر .

وفيهـا تُوفّى محمد بن مكّى بن عثمان الحافظ أبو الحسين الأزديّ المصريّ فى جُمادى الأولى، وكان إماما فاضلا محدّثا، سمع الحديث ورحل البلاد .

وفيها تُوفّى نصر بن عبد العزيز أبو الحسين الشّيرازيّ الفارسيّ المقرئ، كان إماما فى علم القراءات، وله سَماعٌ ورواية .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ستّ أذرع وأربع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .

السنة الخامسة والثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة آثنتين وستّين وأربعمائة .

فيها كان معظم الغلاء بالديار المصرية حتّى خَرِبت وخَرِب غالبُ أعمالها. وأبطل صاحب مكّة و [صاحب][1] المدينة خطبة المستنصر، وخطبا للقائم بأمر الله العبّاسيّ؛ فلم يلتفت المستنصر لذلك لشغله بنفسه ورعيّته من عِظَم الغلاء .

وفيها وقف الوزير نظام الملك الأوقاف على مدرسته النظاميّة ببغداد .

---

(١) زيادة لا بد منها . والذى فى تاريخ الذهبي وابن الأثير: أنه فى هذه السنة ورد رسول صاحب مكة ابن أبى هاشم ومعه ولده الى السلطان ألب أرسلان يخبره باقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله والسلطان بمكة وإسقاط خطبة العلوى صاحب مصر وترك الأذان بـ «حىّ على خير العمل» . فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعا نفيسة وأجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار، وقال: اذا فعل أمير المدينة مهنا كذلك أعطيناه عشرين ألف دينار وكل سنة خمسة آلاف دينار» .

وفيها تُوفّى الحسن بن علىّ بن محمد أبو الجوائز الواسطىّ الكاتب، وُلد سنة آثنتين وخمسين وثلثمائة؛ وسكن بغداد دهرًا طويلا . وكان شاعرا ماهرا . ومن شعره — رحمه الله تعالى — : [الرجز]

واحَرَبا[1] من قولها : * خان عهودى وَلَهَا
وحــقّ من صيّرنى * وقفًا عليهـا ولهـا
ما خطرتْ بخاطرى * إلا كســتْنى ولهـا

وفيها توفّى الشريف حَيْدرة بن إبراهيم أبو طاهر بن أبى الجِنّ ، الشريف العَلَويّ . كان عالمـا قارئا محدّثا وكان عدوّا لبدر الجَمَالى ؛ فلمّا دخل بدر الجمالى دمشق هَرَب منها حَيْـدرة المذكور إلى عَمّان[2] البَلْقـاء ؛ فغـدَر به بَدْر بن حازم وبعث به إلى بدر الجَمَالى بعد أن أعطاه بدر الجمالى آثنى عشر ألف دينار وخِلَعًا كثيرة؛ فقتله بدر الجمالى أقبح قِتْـلة ثم سَلَخ جلده . وقيل : سلخه حيًّا . وأظنّ القاضىَ شهاب الدين أحمد قاضى دمشق وكاتب مصر فى زماننا هذا كان من ذرّيّة آبن أبى الجنّ هذا . والله أعلم .

وفيها توفّى محمد بن أحمد بن سهل أبو غالب بن بِشْرَان النحوىّ الواسطىّ الحنفىّ ويُعرف بآبن الخالة . كان إماما عالمـا فاضلا عارفا بالأدب والنّحو واللّغة والحديث والفقه ، وكان شـيخ العراق ورُحْلته . وآبن بِشْرَان جدّه لأمّه . ومات بواسط . ومن شعره : [المتقارب]

يقول الحبيب غَداةَ الوَداع * كأنْ قد رَحَلْنـا فما تصنَعُ
فقلت أُواصل سفح[3] الدموع * وأهجُر نومى فمـا أَهْجَعُ

---

(١) رواية ابن خلكان : * واحزنى من قولها *

(٢) عمان البلقاء (بفتح العين وتشديد الميم ، وحكى فيـه التخفيف) : بلد فى طرف الشام ، وكانت قصبة أرض البلقاء . وهى الآن حاضرة بلاد شرق الأردن .

(٣) فى مرآة الزمان : «سحّ الدموع» .

وفيها تُوُفّى علىّ بن الحسين بن أحمد بن الحسين أبو الحسن الثّعلبى، ويُعرف بآبن صصرى . ذكره الحافظ آبن عساكر وأثنى عليه. حدّث عن تمّام بن محمد وغيره، وكان ثقة . وأصل بنى صصرى من قرية بالموصل . ومات بدمشق .

وفيها تُوُفّيت كُوهر خاتون عمّة السلطان ملكشاه السّلجوقىّ أخت السلطان ألب أرسلان . كانت ديّنة عفيفة، صادرها نظامُ الملك لمّا مات أخوها ألب أرسلان وأخذ منها أموالا عظيمة . فخرجت إلى الرىّ لتمضى إلى المُبَارَكيّة(١) تستنجدهم على قتال الوزير نظام الملك، فأشار نظام الملك على ملكشاه بقتلها فقتلها . فلما وصل خبر قتلها إلى بغداد ذمّ الناسُ نظامَ الملك وقالوا : ما كفاه بناء هذه المدرسة النظاميّة وغصبُه لأراضى الناس وأخذُ أنقاضهم حتى دخل فى الدماء من قتله هذه المرأة ! وأيضا أنّه أشار على مَلِكْشاه بقتل عمّه قاورد بك المتقدّم ذكره، ثم أشار على ملكشاه بكحل أولاد عمّه . وهجا نظامَ الملك جماعةٌ من أهل العراق؛ فلمّا بلغ نظامَ الملك قال : ما أقام هذه الشناعة علىّ إلّا فخر الدولة بن جَهِير(٢) .

وفيها تُوُفّى محمود بن نصر بن صالح صاحب حلب ويُعرف بابن الروقليّة . كان عمّه عطيّة قد أخذ حلب منه، فتجهّز محمود هذا وأتاه وحصره حتّى آستعادها منه . ومات بها فى ليلة الخميس ثالث عشر شعبان، وهى الليلة التى مات فيها الخليفة القائم بأمر الله العباسىّ . وسبب موته أنه عَشِق جاريةً لزوجته، وكانت تمنعه منها، فماتت الجارية فحزن عليها حتّى مات بعد يومين . ولمّا مات وقع بين العسكر الخلاف . وكان محمود هذا قد أوصى إلى ولده أبى المعالى شِبْل وأسكنه القلعة والخزائن عنده،

(١) المباركية : حصن بناه المبارك التركى أحد موالى بنى العباس، وبها قوم من مواليه (راجع معجم ياقوت وشرح القاموس مادة « برك »). (٢) ضبطه آبن خلكان بفتح الجيم وكسر الهاء .

وأسكن ولده نصرا البلد، وكان يكره نصرا ويحبّ شِبْلا، والعساكر تحبّ نصرا؛ فلا زالوا حتّى ملك نصرٌ وخُلِع شِبْل .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وتسع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع أصابع .

***

السنة الحادية والأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة ثمان وستين وأربعمائة .

فيها خرج مؤيّد الملك بن نظام الملك الوزير من بغداد يريد والده، وكان أبوه قد مَرِض، وخرج معه أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد البيضاوىّ(١) الشاهد رسولا من الديوان إلى السلطان إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين صاحب غَزْنة، يخبره بوفاة الخليفة القائم بأمر الله وإقامة ولده المقتدى بعده فى الخلافة .

وفيها لبس بدرٌ الجَمَالىّ أميرُ الجيوش من المستنصر خلعة الوزارة بمصر، وكانت منزلته قبل ذلك أجلّ من الوزارة، ولكن لبسها حتّى لا يترتّب أحد فى الوزارة فينازعه فى الأمر .

وفيها أيضا قبض بدرٌ الجَمَالىّ على قاضى الإسكندرية آبن المحيرق وعلى جماعة من فقهائها وأعيانها، وأخذ منهم أموالا عظيمة .

وفيها آستولى أَتْسِز التُّرْكمانىّ على دمشق وخطب بها للمقتدى العبّاسىّ، وكتب إلى المقتدى يذكر له تسليمها إليه وغلوّ الأسعار بها وموت أهلها، وأنّ الكارة

(١) فى مرآة الزمان : « ابن البيضاوى » .

الطعام بلغت فى دمشق نيفا وثمانين دينارا مغربية، وبقيت على ذلك أربع سنين[١]. والكارتان ونصفُ غِرَارةٌ بالشامى . فتكون الفرارة بمائتى دينار. وهذا شىء لم يُعهد مثله فى سالف الأعصار . قلت[٢] : ولا بعده . وقد تقدم ذكر هذا الغلاء بمصر والشام فى ترجمة المستنصر هذا .

وفيها تُوفى أحمد بن على بن محمد القاضى أبو الحسين جلال الدولة الشريف العَلَوى ، كان ولِى قضاء دِمَشْق للستنصر، وهو آخر قضاة المصريّين الرافضة، وهو الذى أجار الخطيبَ البغدادى لما أمر أميرُ دمشق بقتله . قال يوما وعنده [أبو] الفِتيان بن حَيُّوس : وددت أنّى فى الشجاعة مثل جدّى علىّ ، وفى السخاء مثل حاتم. فقال له [أبو] الفتيان بن حيّوس: وفى الصدق مثل أبى ذَرّ [الغِفارى[٣]]. فخَجِل الشريف، فإنّه كان يتزيّد فى كلامه .

وفيها تُوفى إسماعيل بن علىّ أبو محمد العَيْن زَرْبىّ[٤] الشاعر الفصيح. كان يسكن دِمَشق وبها مات . ومن شعره : [الطويل]

وحقّكمُ لا زرتُكم فى دُجُنَّـــةٍ * من الليـل تُخفينى كأنّى سارقُ

ولا زُرت إلّا والسيوفُ شواهرٌ[٥] * علىّ وأطرافُ الرماح لواحقُ

---

(١) كذا فى الأصل ومرآة الزمان . وفى المنتظم . «ثلاث سنين» . (٢) فى الأصل : « وقلت » . (٣) زيادة عن تهذيب تاريخ دمشق . (٤) العين زربى : نسبة الى عين زربى . (راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٢١ من الجزء الثالث من هذه الطبعة) .

(٥) كذا فى الأصل ومرآة الزمان . ورواية معجم البلدان لياقوت وتهذيب تاريخ دمشق :

* ولا زرت الا والسيوف هواتف * على ... الخ

وله أيضا : [الطويل]

ألَا يا حمامَ الأَيْكِ[١] عيشُك آهلٌ * وغُصنك مَيّال وإلفُك حاضرُ

أتبكى وما امتدّت اليك يدُ النّوى * ببَيْنٍ ولم يَذْعَرْ[٢] جَناحَك ذاعرُ

قلت : وهذا يشبه قول القائل فى أحد معانيه : [الخفيف]

نَسَب النـاس للحمامة حزنًا * وأراها فى الحزن ليست هنالكْ

خضّبت كفّهـا وطوّقت الجيـ * ـدَ وغنّت وما الحـزينُ كذلكْ

وفيها تُوفى مسعود [بن عبد العزيز[٣]] بن المحسن بن الحسن بن عبـد الرزاق أبو جعفر البَياضىّ الشاعر البغـدادىّ . كان أديبا فاضلا شاعرا . مات ببغـداد فى ذى القعدة . ومن شعره : [الخفيف]

ليس لى صاحبٌ معينٌ سوى اللّيـ * ـل إذا طال بالصـدود علَيّا

أنا أشكو همَّ الحبيب إليـه * وهو يشكو بُعـدَ الصّباح إليّا

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وإصبعان . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا . وأوفى يوم نصف توت .

⁂

السنة الثانية والأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة تسع وستّين وأربعمائة .

---

(١) رواية تهذيب تاريخ دمشق .

الا يا حمام الأيك عشك آهل * وغصـنك مياس ... الخ

(٢) كذا فى تهذيب تاريخ دمشق . وفى الأصل : « ولم يدرك » .

(٣) التكملة عن وفيات الأعيان .

المهملة وبعدها ياء ولام ساكنتان) . وهو آسم باللغة التركيّة لطائر معروف عندهم .
وبَك : هو الأمير، واضح لا يحتاج إلى تفسير .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى العلّامة رَضِىّ الدّين أبو الخير أحمد بن إسماعيل الطّالَقانِىّ القَزْوِينِىّ الشافعىّ الواعظ فى المحرّم، وله ثمانٍ وثمانون سنة . وطُغْرُلْبَك شاه السلطان آبن[1] أرْسلان بن طُغْرِل بن محمد بن مَلِكْشاه السَّلْجُوقىّ، قتله [فى] المصاف خُوَارَزْم شاه تُكُش . وأبو المظفر عبد الخالق بن فَيْرُوز الجَوْهَرِىّ . والإمام أبو محمد القاسم بن فِيرُّه[2] الرُّعَيْنىّ[3] الشّاطِبىّ[4] المقرئ فى جمادى الآخرة، وله آثنتان وخمسون سنة . والحافظ محمد بن إبراهيم بن خَلَف المالِقىّ[5] أبو عبد الله بن الفَخّار بمَرَّاكُش . والفخر محمد بن علىّ بن شُعَيب بن الدّهّان الأديب المؤرّخ بجَفّاة[6] بالحِلّة .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم ست أذرع وخمس أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وآثنتان وعشرون إصبعا .

❖

السنة الثالثـة من ولاية العزيز عثمان بن صـلاح الدين يوسف على مصر، وهى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة .

(١) فى الأصـل : « والد أرسلان » . والتصويب عما تقـدّم ذكره للؤلف وتاريخ الإسـلام للذهبي وعقد الجمان . (٢) فى الأصل : «ابن فرة» . وما أثبتناه عن وفيات الأعيان والمشتبه وغاية النهاية فى رجال القراءات وشذرات الذهب . وقد ضبطه المشتبه بالقلم وآبن خلكان بالعبارة فقال : «بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحتهـا وتشديد الراء وضمها» . (٣) الرعينىّ : نسبة إلى ذى رعين، وهو أحد أقيال اليمن . (٤) الشاطبىّ : نسـبة إلى شاطبة، مدينـة فى شرق الأندلس وشرق قرطبة، وهى مدينة كبيرة قديمة، قد خرج منها خلق من الفضلاء (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٥) المـالقى : نسبة إلى مالقة؛ مدينـة بالأندلس عامرة من أعمال رية، سـورها على شاطئ البحرين الجزيرة الخضراء والمرية (عن معجم البلدن لياقوت) .
(٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٤ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

فيها اقطع الملك العزيز فارسَ الدين ميمونَ القَصْرىّ نابُلُس[1] فى سبعمائة فارس من مُقَاتِلة[2] الفرنج .

وفيـها كانت وقعة الزَّلّاقة[3] بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين ألْفُنْش[4] الفرنجى ملك طُلَيْطُلَة[5]، وكان قـد آستولى على جزيرة الأنْدَلُس وقهر وُلاتَها، ويعقوب المذكور مشغول بقتال الخارجين عليه، وبينه وبين الأندلس زُقَاقُ سَبْتَة[6]، وعرضه ثلاثُ فراسخ، فجمع يعقوبُ العساكرَ وعَرَض جنده، وكانوا مائتى ألف [مقاتل : مائة ألف][7] يأكلون الأرزاق، ومائة ألف مُطَوِّعة، وعبر الزُّقاقَ إلى مكان يقال له الزَّلّاقة، وآلتقَوْا فجرى بينهم قتال لم يجر فى جاهلية ولا إسلام حتى أنزل الله نصرَه على المسلمين . فولّى ألْفُنْش هاربا فى نفر يسير إلى طُلَيْطُلَة، وغنم المسـلمون ما كان فى عسكره . وكان عِدّة من قُتِل من الفرنج مائة ألف وستةً وأربعين ألفا، وعِدّة الأسارى ثلاثين ألفا، ومن الخيـام : مائة ألف خَيْمة وخمسين ألفا، ومن الخيـل ثمانين ألفا، ومن البغال والأموال والجواهر والثياب ما لا يُحَدُّ ولا يُحْصَى . وبيع الأسير من الفرنج بدرهم، والسيف بنصف درهم، والحِصان بخمسة دراهم، والحِمار بدرهم . وقسم الملك يعقوب هذه الغنائمَ بين المسلمين على مقتضى الشريعة،

(١) نابلس (بضم الموحّدة واللام) : مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) كذا فى مرآة الزمان . وفى الأصل : «فى مقابلة الفرنج» . (٣) الزلاقة : أرض بالأندلس بقرب قرطبة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) كذا فى الأصل ومرآة الزمان وابن الأثير وتاريخ ابن الوردى وعقد الجمان، وقد ضبطه بالعبارة (بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الفاء والنون وفى آخره شين معجمة) . وفى معجم البلدان لياقوت وعقـد الجمان وقـد ضبطه بالعبارة أيضا : « الأذفونش » . وقال : الأول أظهر . (٥) طليطلة، قال ياقوت : هكذا ضبطه الحميدى (بضم الطاءين وفتح اللامين) . وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية : مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس، يتصل عملها بعمل وادى الحجارة من أعمال الأندلس، وهى غربى ثغر الروم وبين الجوف والشرق من قرطبة .
(٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .
(٧) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

فآستغنَوْا إلى الأبد . ووصـل أَلْفَنش إلى طُلَيْطُلَة على أقبح وجه ، فحلق رأسـه ولحيته ، ونكّس صليبه وآلى أنّه لا ينام على فراش ولا يقرب النساء ولا يركب فرسا حتّى يأخذ بالثأر .

وفيها آعتنى الخليفة الناصر لدين الله العباسيّ بحَمام البِطاقة آعتناء زائدا، حتى صار يكتب بأنساب الطير المحاضر أنّه من ولد الطير الفلانيّ ؛ وقيل : إنّه باع طيرا بألف دينار .

وفيها حجّ بالناس من بغداد سِـنْجِر[1] الناصريّ ، ومن الشـام سَرَا سُنْقُر وأَيْبَك فُطَيْس الصلاحيّان ، ومن مصر الشريف إسماعيل بن ثعلب الجعفريّ[2] الطالبيّ .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هـذه السنة ، قال . وفيهـا تُوُفّي أبو القاسم ذاكر بن كامل الخَفّاف . والفقيـه أبو محمد عبـد الله الزاهد آبن محمد بن علي الأندلسيّ في المحرّم عن بضع وثمانين سنة . وأبو الحسن نَجَبَة[3] بن يحيى [بن خَلَف[4]] بن نَجَبَـة الإشبيليّ المقرئ النحويّ .

§ أمر النيـل في هذه السنة ـــ المـاء القديم ســت أذرع و إصبعان . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .

* * *

السنة الرابعة من ولاية العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر، وهي ســنة آثنتين وتســعين وخمسمائة .

(١) هو سنجر قطب الدين مملوك الناصر لدين الله الخليفة . (٢) من ولد جعفر بن أبي طالب، كما في مرآة الزمان وعقد الجمان . (٣) في الأصل : « أبو المحاسن » . وما أثبتناه عن غاية النهاية وبغيـة الوعاة وتكملة الصـلة لابن الأبار (ج ٢ ص ٤٢٢) .
(٤) التكلة عن غاية النهاية و بغية الوعاة وتكملة الصلة لابن الأبار .

فيها بعد خروج الحاجّ من مكّة هبّت ريح سوداء عمّت الدنيا، ووقع على الناس رَمْل أحمر، ووقع من الركن اليمانيّ قطعة، وتحرّك البيت الحرام مرارا . وهذا شيء لم يُعهد منذ بناه عبد الله بن الزُّبَيْر ـــ رضي الله عنهما ـــ .

وفيها أيضا كانت الوقعة الثانية بين السلطان يعقوب و بين أَلْفَنْش ملك الفرنج بعـد أن حشد أَلْفَنْش جمعا كبيرا وآلتقَوْا، فكان بينهم قتلة عظيمة، ونصر الله المسلمين . وهزمه يعقوب وتبعه وحصره على الزَّلّاقة و بطُلَيْطُلَة ونصب عليها المجانيق وضيّق عليها، ولم يبق إلّا أخذُها . فخرجت إليه والدة[1] أَلْفَنْش و بناته ونساؤه وبَكَيْنَ بين يديه ، وسألنه إبقاءَ البلد عليهنّ، فرقّ لهنّ[2] ومنّ عليهنّ بها؛ ولو فتح طُلَيْطُلَة لفتح إلى مدينة النُّحاس[3] . ثم عاد يعقوب إلى قرطبة فأقام بها شهرا يقسم الغنائم، وجاءته رسل أَلْفَنْش أيضا تسأل الصلح، فصالحه على مدّة معيّنة .

وفيها تُوُفّي محمد بن عليّ بن أحمد[4] ، الوزير أبو الفضل مؤيّد الدّين بن القصّاب . أصله من شِيراز، وقَدِم بغداد وآستُخْدِم في الديوان، ثم ترقّى إلى أن ولي الوزارة ؛ وقرأ الأدب والنحو . وكان داهيــةً رديءَ الأعتقاد إلّا أنّه كان له خِبْرَة بالأمور والحروب وفَتْح البلاد، وكان الخليفة الناصر لدين الله يُثْني عليـه ويقول : لو قَبِلوا من رأيه ما جرى ما جرى، ولقد أتْعب الوزراء من بعده .

وفيها تُوُفّي محمد بن عليّ بن شُعَيْب[5]، الشيخ أبو شجاع الفَرَضيّ الحاسب البغداديّ المعروف بابن الدّهان . كان فاضلا عالمـا وصنّف تاريخـا من عشر وخمسمائة إلى سنة آثنتين وتسعين وخمسمائة .

(١) في الأصـل : « خرج إليه ولد ألفنش » . والتصحيح عن مرآة الزمان وعقـد الجمان وشذرات الذهب . (٢) في الأصل : « فرق عليهن » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان وشذرات الذهب . (٣) مدينة النحاس ويقال مدينة الصفر، لها قصة بعيدة من الصحة . راجع ما كتبه عنها ياقوت في معجمه . (٤) في عقد الجمان : « محمد بن علي بن محمد » .
(٥) قد تقدّمت وفاته فيمن ذكرهم الذهبي سنة ٥٩٠ هـ . ووافقه على ذلك آبن خلكان .

فقلتُ : أخذتَهم والله؛ قال : وكيف ؟ قلتُ : قلتَ فى يوم كذا وكذا : كذا وكذا، فأخذوا دِمْياط، وقد قلتَ اليوم: كذا، والملوك منطّقون بخير وشرّ؛ فأَخَذ دِمْياط بعد قليل » . اِنتهى . وقد تقدّم ذكر الكامل فى أوائل الترجمة من قول جماعة من المؤرّخين، ويأتى أيضا — من ذكره فى السنين المتعلّقة به — نبذةٌ كبيرة . إن شاء الله تعالى . والله الموفّق لذلك بمنّه وكرمه .

* * *

السنة الأولى من ولاية الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة ستّ عشرةَ وستّمائة، وقد تقدّم أنّ الكامل كان ولى مصر فى حياة والده العادل سنين عديدة فلا عُمْدة بولايته تلك الأيام، فإنّه كان كالنائب بمصر لأبيه العادل، ولا عبرةَ إلّا بعد استقلاله بسلطنة مصر بعد وفاة أبيه.

فيها (أعنى سنة ستّ عشرةَ وستّمائة) أخرب الملكُ المعظّم عيسى صاحبُ دِمَشق القُدْسَ، لأنّه كان توجّه إلى أخيه الملك الكامل صاحب الترجمة فى نَوْبة دِمْياط فى المرّة الأولى، فبلغه أنّ الفرنج على عزم أخذ القُدْس، فاتّفق الأمراء على خرابه؛ وقالوا : قد خلا الشامُ من العساكر، فلو أَخَذ الفرنجُ القُدس حكموا على الشام جميعه . وكان بالقدس [أخوه] العزيزعثمان، وعزّ الدين أَيْبَك أستادار، فكتب إليهما المعظّم بخرابه، فتوقّفا وقالا: نحن نحفظه، فكتب إليهما المعظّم ثانياً: لو أخذوه لقتلوا كلّ مَن فيه وحكموا على الشام وبلادِ الإسلام، فألجأت الضرورة إلى خرابه . فشرعوا فى خراب السور أوّل يوم من المحرّم ، ووقع فى البلد ضجّة عظيمة . وخرج النساء المخدّرات والبنات والشيوخ وغيرهم إلى الصخرة(1) والأقصى

(١) فى الأصل : « الى الصحراء » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان والذيل على الروضتين وعقد الجمان .

وقطعوا شعورَهم ومزّقوا ثيابهم ، وفعلوا أشياء من هذه الفعال ؛ ثم خرجوا هاربين وتركوا أموالهم وأهاليهم، وما شكّوا أنّ الفرنج تُصبّحهم، وامتلأت بهم الطُّرُقات؛ فتوجّه بعضهم إلى مصر، [وبعضهم الى الكَرَك](1) ، وبعضهم إلى دِمشق ، وكانت البنات المخدّرات يُمَزّقن ثيابهنّ و يربُطْنها على أرجلهن من الحفا ؛ ومات خَلْق كثير من الجوع والعطش ، ونُهِبت الأموال التى كانت لهم بالقدس، وبلغ ثمن القنطار الزيت عشرة دراهم، والرِّطل النُّحاس نصف دِرْهم؛ وذمّ الناس المعظّم؛ فقال بعض أهل العلم فى ذلك :

فى رَجَبٍ حلَّلَ الحُمَيّا(2) * وأخرب القُدْسَ فى المحرّمْ

وقال القاضى مجد الدين محمد بن عبد الله الحنفى قاضى الطُّور(3) فى خراب القُدْس:

مررتُ على القُدْس الشريف مُسلِّمًا * على ما تبقّى من رُبوعٍ كأنجُمِ
ففاضت دموعُ العَيْنِ منّى صَبابَةً * على ما مضى من عصرنا(4) المتقدِّمِ
وقد رام عِلْجٌ أن يعفّى رسومه * وشمّر عن كفّى لئيمٍ مُذَمَّمِ
فقلتُ له شلّت يمينُك خلّها * لمعتبرٍ أو سائلٍ أو مسلّمِ
فلو كان يُفْدَى بالنفوس فديتُه * بنفسى وهذا الظنّ فى كلّ مسلمِ

وفيها حجّ بالناس من العراق أقباش [بن عبد الله](5) الناصرىّ، ومن الشام مملوك الملك المعظّم عيسى .

(١) زيادة عن عقد الجمان ومرآة الزمان . (٢) رواية الذيل على الروضتين :
فى رجب حلل المحرم * وخرب القدس فى المحرم
(٣) فى الأصل : « قاضى النور » . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان وشذرات الذهب . (٤) رواية شذرات الذهب وعقد الجمان :
* على ما مضى من عصره المتقدم *
(٥) الزيادة عن الذيل على الروضتين . وما سيأتى للؤلف فى السنة التالية .

ظافر بن طاهر [بن ظافر بن إسماعيل][1] بن سحم الأزدى المطرز بالإسكندرية
فى شهر ربيع الأول . وأبو الفضل يوسف بن عبد المعطى بن منصور بن نجا الغسالى[2]
ابن المخيلى[3] أحد رءوس الثغر فى جمادى الآخرة، وله أربع وسبعون سنة . وأبو الضوء
قمر بن هلال بن بطّاح[4] القطيعى فى رجب . وتاج الدين أحمد بن محمد بن هبة الله بن
محمد بن الشيرازى فى رمضان، وقد نيّف على السبعين .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع سواء . مبلغ الزيادة
خمس عشرة ذراعا سواء .

***

السنة السادسة من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر، وهى
سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

فيها كان الحصار على دمشق [من المصريين و][5] من الخوارزمية .

وفيها كان الغلاء العظيم بدمشق، وبلغت الغرارة القمح ألفا وستمائة درهم،
وأبيعت الأملاك والأمتعة بالهوان .

وفيها أيضا كان الغلاء بمصر، وقاسى أهلها شدائد .

وفيها توفّى الوزير معين الدين الحسن ابن شيخ الشيوخ أبو على وزير الملك الصالح
أيوب، وهو الذى حصر دمشق فيما مضى . كان استوزره الملك الصالح بعد أخيه

(١) التكملة عن شذرات الذهب . (٢) فى شذرات الذهب : « الغسانى » .
(٣) المخيلى : نسبة الى مخيلة، قبيلة من البربر (عن شرح القاموس) . (٤) فى الأصل :
« قمر بن هلال بن نطاح » . وما أثبتناه عن المشتبه فى أسماء الرجال . ولم نقف عليه فى مصدر آخر من
المصادر التى تحت يدنا . (٥) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين .

عماد الدين، وكانت وفاته بدمشق فى شهر رمضان، ودفن إلى جانب أخيه عماد
الدين المذكور بقاسيون .

وفيها توفّى عبد المحسن بن حمّود بن [عبد][1] المحسن أبو الفضل أمين الدين
الحلبى، كان كاتبا لعز الدين أيبك المعظّمى[2]، وكان فاضلا دينا بارعا حسن الخط .
ومن شعره فى إجازة — رحمه الله تعالى — :

قد أجزتُ الذى فيها * إلى ما التمسوه منى
فلهم بعدها رواية ما صحّ لديهم من الرواية عنى[3]

وكانت وفاته فى شهر رجب، ودفن بباب توما[4] .

وفيها توفّيت ربيعة خاتون بنت أيوب أخت السلطان صلاح الدين يوسف
ابن أيوب، وأخت الملك العادل أبى بكر بن أيوب، كان تزوّجها أوّلا سعد الدين
مسعود بن معين [الدين][5] أنُر، وبعد موته تزوّجها صلاح الدين بن مظفّر الدين بن
زين الدين صاحب إربل، ثم قدمت دمشق، وهى صاحبة الأوقاف، وماتت
بدمشق ودفنت بقاسيون، وقد جاوزت ثمانين سنة .

وفيها توفّى أحمد بن عيسى ابن العلّامة موفّق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن
قدامة الإمام الحافظ الزاهد سيف الدين بن المجد الحنبلى . وُلد سنة خمس وستمائة .
وسمع الحديث الكثير، وكتب وصنّف وجمع وخرّج، وكان ثقة حجة بصيرا بالحديث
ورجاله، ومات فى أوّل شعبان .

(١) زيادة عن مرآة الزمان . (٢) فى الأصل : « لعز أيبك » . وما أثبتناه عن مرآة
الزمان وعقد الجمان . (٣) ليس هذا البيت مستقيم الوزن والمعنى ولم نعثر عليه فى مصدر آخر .
(٤) باب توما : من أبواب دمشق، ينسب الى عظيم من عظماء الروم وسمى باسمه، وكان به كنيسة
باسمه (عن نزهة الأنام فى محاسن الشام ص ٢٤) . (٥) زيادة عما تقدّم وعقد الجمان .

وثمانين سنة . وأبو القاسم يحيى بن أبى السعود [نصر][1] بن قُمَيْرَة[2] التاجر فى جمادى الأولى، وله خمس وثمانون سنة . والعلّامة أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن العَدَوِى العُمَرِىّ الصَّغَانِىّ النحوىّ اللغوىّ . والأديب شمس الدين محمد بن سعد بن عبدالله المَقْدسىّ الكاتب فى شوّال . والمسنِد رشيد الدين أحمد بن المُفَرِّج[3] بن علىّ [بن عبد العزيز][4] بن مَسْلَمَة العَدْل فى ذى القعدة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة ثمانىَ عشرةَ ذراعا وسبع عشرة إصبعا .

✦ ✦ ✦

السنة الرابعة من ولاية الملك المُعِزّ أَيْبَك الصالِحِىّ النَّجْمِىّ التُّرْكُمانِىّ على مصر، وهى سنة إحدى وخمسين وستمائة .

فيها كانت الوقعة الجمعة .

وفيها عظُم بمصر أمرُ الأمير فارس الدين أَقْطاى الجَمْدار ورُشِّح للسلطنة، وكان من حزبه من خُشْداشيته بِيبَرْس البُنْدُقْدارىّ، وبَلَبان الرَّشيدىّ، وسُنْقُر الرُّومىّ، وسُنْقُر الأشقر[5] . وصار الملك المُعِزّ فى خوف . وقد تقدّم ذكر هذه الحكاية فى ترجمة المُعِزّ .

وفيها كان الغلاء بمكّة المشرّفة ، وأبيع فيها الشَّرْبَةُ الماء بدرهم ، والشاة بأربعين درهما .

(١) الزيادة عن شذرات الذهب والسلوك . (٢) كذا فى شذرات الذهب والوافى بالوفيات للصفدى وتاريخ الإسلام للذهبى والقصيدة اللامية فى التاريخ والسلوك . وقد ضبط فى الوافى بالقلم (بضم القاف وفتح الميم) . وفى الأصلين : «ابن نهيرة» . وهو خطأ .
(٣) فى الأصلين : « ابن الفرج » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبى .
(٤) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبى . (٥) فى الأصلين : « وسنقر الأعسر » . وما أثبتناه عن المنهل الصافى وما تقدّم ذكره للؤلف فى ترجمة المعز أيبك .

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام سعد الدين محمد بن المؤيَّد [بن عبد الله بن علىّ][1] بن حَمّويه ابن عمّ شيخ الشيوخ صَدْر الدين[2] . مات بخُراسان، وكان زاهدا عابدا ديّنا متكلّما فى الحقيقة ، وله مجاهدات ورياضات ، وقدِم الشام[3] وحجّ وسكن بدمَشْق، ثم عاد إلى الشرق بعد أن افتقر بالشام ، واجتمع بملك التّتار فأحسن به الظنّ وأعطاه مالا كثيرا ، وأسلم على يده خلقٌ كثير من التّتار ، وبنى هناك خانقاه وتُرْبة إلى جانبها ، وأقام يتعبّد ، وكان له قبول عظيم هناك — رحمه الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبىُّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو البَقاء صالح بن شُجاع بن محمد بن سَيِّدهم المُدْلِجىّ الخيّاط فى المحرّم . وسِبْط السِّلَفىّ[4] أبو القاسم عبدالرحمن بن أبى الحَرَم مَكّىّ بن عبدالرحمن الطَّرابُلُسىّ الإسكندرانىّ فى شوّال عن إحدى وثمانين سنة . وأبو محمد عبد القادر بن حسين [بن محمد بن جَميل][5] البَنْدنيجىّ البَوّاب آخر من رَوَى عن عبد الحق اليُوسُفىّ[6] .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وثمانى أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا .

✦ ✦ ✦

السنة الخامسة من ولاية الملك المُعِزّ أَيْبَك الصالِحِىّ النَّجْمِىّ التُّرْكُمانِىّ على مصر، وهى سنة اثنتين وخمسين وستمائة .

(١) التكملة عن المنهل الصافى وشذارات الذهب ، وذكر فيها أن وفاته كانت سنة ٦٥٠ هـ .
(٢) هو صدر الدين محمد بن عمر بن علىّ بن محمد بن حمويه الجوينى . تقدّمت وفاته سنة ٦١٧ هـ .
(٣) فى عقد الجمان ونزهة الأنام « وقدم مصر ... الخ » .
(٤) هو أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ أبو طاهر . تقدّمت وفاته سنة ٥٧٦ هـ .
(٥) الزيادة عن نزهة الأنام . (٦) هو أبو الحسين عبد الحق بن عبدالخالق اليوسفى وقد ذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٥٧٥ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى .

وعزّ الدين أَيْبَك الحَمَوِى ، وشمس الدين سُنْقُر الألْفِىّ الظاهرى ، وعلم الدين سَنْجَر الحَمَوِىّ أبو خُرْص ، وجمـاعة من أكابر خواصّه . وتولّى غُسله وتحنيطه وتصبيره وتكفينه مِهْتَـارُه(١) الشُّجاعُ عَنْبَر ، والفقيـه كمال الدين الإسكندرى المعروف بآبن المَنْبِجِىّ(٢) ، والأمير عزّ الدين الأفرم ؛ ثم جُعِل فى تابوت وعُلّق فى بيت من بيوت البحريّة بقلعـة دِمَشْق إلى أن حصل الآتّفاق على موضع دفنـه . ثم كتب الأمير بدر الدين بِيلِيك الخازِنْدار إلى ولده الملك السعيد مطالعةً بيده وسيّرها إلى مصر على يد بدر الدين بَكْتُـوت الجُوكَنْدارِىّ الحَمَوِىّ ، وعلاء الدين أَيْدُغْمُش الحَكِيمِىّ الجَاشْنَكِير، فلمّا وصلا وأوصلاه المطالعة خَلَع عليهما وأعطى كلّ واحد منهما خمسين ألف درهم ، على أنّ ذلك بِشارةٌ بعَوْد السلطان إلى الديار المصريّة . ولـمّا كان يوم السبت ركب الأمراء إلى سـوق الخيل بدِمَشْق على عادتهم ولم يُظْهِروا شيئا من زِيّ الحُزْن . وكان أوصَى أن يُدْفَن على الطريق السالكة قريباً من دَارَيّا(٣) وأن يُبْنَى عليـه هناك ، فرأى ولده الملك السعيد أن يَدْفِنه داخل السور، فآبتاع دار العقيقىّ بثمـانية(٤) وأربعينَ ألف درهم نقرة ، وأمر أن تُغيَّر معـالمها(٥) وتُبْنَى مدرسة [للشافعية والحنفية](٦) : إنتهى .

وأمّا الملك السعيد فإنّه جهّز الأمير علم الدين سنجر الحَمَوِى المعروف بأبى خُرْص ، والطواشى صفىّ الدين جوهر الهندىّ إلى دِمشق لدفن والده الملك الظاهر، فلمّا وصـلاها آجتمعا بالأمير عزّ الدين أَيْدَمُر نائب السلطنة بدمشق ، وعرّفاه المرسوم

(١) المهتار : ناظر الخاصـة . (٢) المنبجى : نسـبة إلى منبج ، وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء الثالث من هـذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٢٨٦ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) فى عيون التواريخ : « بستين ألف درهم » . (٥) سيأتى لها شرح واف عن صبح الأعشى فى هذا الجزء . (٦) زيادة عن ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ .

فبادر إليـه ، وحُمِل الملك الظاهر من القلعة إلى التُربة ليـلًا على أعناق الرجال ، ودُفِن بها ليلة الجمعة خامس شهر رجب الفَرْد ، وكان قد ظهر موتُه بدِمَشْق فى يوم السبت رابع عشر صفر ، وشُرِع العمل فى أَعْزِيَته بالبلاد الشاميّة والديار المصريّة .

قال الأمير بِيبَرْس(١) الدَّوَادَار فى تاريخه — وهـو أعرف بأحواله من غيره — قال : وكان القَمَر قد كَسَف كُسُوفًا كاملًا أظلم له الجوّ وتأوّل ذلك المتأوّلون بموت رجل جليل القَدْر ؛ فقيل : إنّ الملك الظاهر لـمّا بلغه ذلك حَذِر على نفسه وخاف وقَصَد أن يُصرف التأويل إلى غيره لعلّه يَسْلَم من شرّه ، وكان بدِمَشْق شخصٌ من أولاد الملوك الأَيُّوبيّة ، وهو الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك آبن السلطان الملك المعظّم عيسى آبن السـلطان الملك العـادل أبى بكر بن أَيُّوب ، فأراد الظاهر ، على ماقيل ، آغتياله بالسمّ ، فأحضره فى مجلس شَرَابه فأمر الساقىَ أن يَسْقِيَه قِمِزًا ممزوجا ، فيما يقال ، بسمّ ، فسـقاه السـاقى تلك الكأس فأحسّ به وخرج من وقتـه ، ثم غَلِط الساقى وملأ الكأس المذكورة وفيهـا أثر السمّ ، ووقعت الكأس فى يد الملك الظاهر فشرِبه ، فكان من أمره ما كان . إنتهى كلام بِيبَرْس الدَّوَادَار بآختصار .

قلت : وهذا القول مشهورٌ وأظنّه هو الأصحّ فى عِلّة موته ، والله أعلم .

وكانت مدّةُ مُلْكه تسع عشرة سـنة وشهرين ونصفًا ، ومَلَك بعده آبنه الملك السعيد ناصر الدين محمد المعروف ببركة خان ؛ وكان تسلطن فى حياته من مدّة سنين حسب ما تقدّم ذكره .

وكان الملك الظاهر رحمـه الله مَلِكًا شُجاعا مِقْداما غازِياً مُجاهـدا مُرابطا خليقا بالملك خفيف الوَطْأة سريعَ الحركة يُباشر الحروب بنفسه .

(١) هو الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصورى الدوادار صاحب التاريخ . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٢٥ هـ .

لأسكنتُــه عينى ولم أرضَهــا له * فلولا لَهِيب القلب أسكنتُه الحشَا

وفيها تُوُفِّى الأمير مجير الدين[1] أبو الهَيْجاء [بن[2]] عيسى الأزْكُشِى الكُرْدِى الأُمَوِى، كان من أعيان الأمراء وشُجْعَانهم، ولمّا وَلِى الملك المظفّر قُطُز السلطنة، ووَلّى الأمير علم الدين سَنْجَر الحلبىّ نيابةَ الشام جعَله مشارِكًا له فى الرأى والتدبير فى نيابة الشام، وكان الملك الأشرف موسى بن العادل سجنه مدّة[3] لأمرٍ آقتضى ذلك . فلمّا كان فى السجن كتب بعض الأدباء يقول :

يا أحمدُ ما زلتَ عمادَ الدين * يا أشجعَ مَن أمسك رمحًا بيمين

لا تَيْأَسَنّ إن حصلت فى سجنهم * ها يوسفُ قد أقام فى السجن سنين

وكان مولده بمصر فى سنة ثمانٍ وستين وخمسمائة؛ ومات فى جمادى الأولى بمدينة إِرْبِل .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى عبد الغنى بن سليمان آبن بَنِين البنانىّ فى شهر ربيع الأوّل، وله ستّ وثمانون سنة، وهو آخر من روَى عن عمر . والعلّامة علم الدين القاسم بن أحمد الأنْدَلُسىّ[4] فى رجب بدمشق، وله ستّ وثمانون سنة . والإمام تقىّ الدين أبو القاسم عبدالرحمن بن مُرْهَف النّاشِرىّ[5] المصرىّ المقرئ فى شعبان، وله إحدى وثمانون سنة . والإمام كمال الدين علىّ بن شجاع ابن سالم العبّاسىّ الضّرير فى ذى الحجّة، وله تسعون سنة إلّا شهرا .

(١) فى الأصلين : « مجد الدين » . وتصحيحه عن السلوك والذيل على الروضتين وعقد الجمان .
(٢) التكلة عن السلوك وعقد الجمان وآبن كثير . (٣) فى عقد الجمان والذيل على الروضتين : «وأبوه الأمير حسام الدين مات محبوسا مع عماد الدين آبن المشطوب فى البلاد الشرقية التى للأشرف» .
(٤) كذا فى الأصلين . وفى حسن المحاضرة للسيوطى (ج ١ ص ٢١٥) وشذرات الذهب : «وسمع من عشير الحنبلى فكان آخر أصحابه» . (٥) فى الأصلين : «المناشرى» والتصحيح عن غاية النهاية وشذرات الذهب . والناشرى : نسبة إلى ناشرة، جدّله .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .

⁂

السنة الرابعة من ولاية السلطان الملك الظاهر بيبَرْس على مصر، وهى سنة آثنتين وستين وستمائة .

فيها آنتهت عمارة مدرسة[1] السلطان الملك الظاهر بيبَرْس بين القصرين من القاهرة . وقد تقدّم ذكرها فى ترجمته .

وفيها آستدعى الملك الظاهر الأمير علاء الدين أَيْدِكِين البُنْدُقْدَارِى إلى القاهرة، وأمره أن يجعل نائبه بحلب بعد خروجه الأميرَ نور الدين علىّ بن مُجَلّى ففعل ذلك، وقدِم القاهرة؛ فلمّا وصل إليها عزله وأقام نور الدين عوضَه فى نيابة حلب . وقد تقدّم أنّ علاء الدين أيدكين هو أستاذ الملك الظاهر بيبَرْس الذى آشتراه منه الملك الصالح نجم الدين أيّوب .

وفيها كان الغلاء بديار مصر فبلَغ الإردبُّ القمح مائةَ[2] درهم وخمسة دراهم نُقْرة[3]، والشّعير سبعين درهما الإردبّ، وثلاثة أرطال خبز بالمصرىّ بدرهم نُقْرة، ورطل اللحم بالمصرىّ وهو مائة وأربعة وأربعون درهما بدرهم[4]؛ وكان هذا الغلاء عظيما بديار مصر . فلمّا وقعَ ذلك فرّق الملك الظاهرُ الفقراءَ على الأغنياء والأمراء وألزمهم بإطعامهم، ثم فرّق من شُوَنِه القمح على الزوايا والأربطة، ورتّب للفقراء

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٠ من هذا الجزء . (٢) فى عيون التواريخ : « فبلغ الإردب القمح مائة وخمسين درهما نقرة» . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٨ من هذا الجزء .
(٤) فى السلوك : « واللحم كل رطل بدرهم وثلث » . وفى عيون التواريخ : « ورطل اللحم المصرى بدرهم ونصف نقرة » .

كلّ يوم مائة إردبّ مخبوزة تُفرّق بجامع آبن طولون. ودام على ذلك إلى أن دخلت السنة الجديدة والمُغَلّ الجديد؛ وأبيع القمح فى الإسكندريّة فى هذا الغلاء الإردبّ بثلثمائة وعشرين درهما .

وفيها أُحْضِر بين يدى السلطان طفلٌ ميّت له رأسان[1] وأربع أعين وأربع أيد وأربع أرْجُل، فأمر بدفنه .

وفيها تُوفّى القاضى كمال الدين أبو العبّاس[2] أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الأسدىّ الحلبىّ الشافعىّ المعروف بآبن الأستاذ قاضى حلب ، مولده سنة إحدى عشرة وستمائة ، سَمِع الكثير وحدّث ودرّس ، وكان فاضلا عالما مشكور السِّيرة مات فى شوّال .

وفيها تُوفّى شيخ الشيوخ الصاحب شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبدالمحسن بن[3] منصور الأنصارىّ الأوسىّ الدمشقىّ المولد الحَمَوىّ الدار والوفاة الإمام الأديب العلّامة، مولده يوم الأربعاء ثانى عشرين جمادى الأولى سنة ستّ وثمانين وخمسمائة، وسمِع الحديث وتفقّه وبَرَع فى الفقه والحديث والأدب، وأفتى ودرّس وتقدّم عند الملوك، وترسّل عنهم غيرَمرّة. وكانت له الوَجاهة التامّة وله اليد الطُّولَى فى الترسّل والنظم، وشعره فى غاية الحسن . ومن شعره — رحمه الله — قوله :

إنّ قومًا يَلْحَوْنَ فى حُبِّ سُعْدَى * لايكادون يفقهون حديثَا

(١) على هامش أحد الأصلين بخط غير خط الأصل : « ولقد رأينا فى سنة آثنين وثمانين بعد الألف عجلا جنينا تام الأعضاء له رأسان وأربع أعين وعنقان وأربع قوائم وذنب واحد، خرج من بقرة مذبوحة ، فسبحان الخالق » . (٢) فى السلوك : « أبو بكر أحمد» .
(٣) فى الأصلين : « عبد العزيز بن عبد المحسن بن محمد بن منصور الأنصارى » . وتصحيحه عن السلوك وشذرات الذهب والمنهل الصافى وطبقات الشافعية وما سيذكره المؤلف فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى .

سَمِعوا وصفها ولاموا عليها * أخذوا طَيِّبًا وأعطَوْا خبيثا

وله رحمه الله :

قلتُ وقد عقرب صُدْغًا له * عن شِقّة الحاجب لم يُحْجَب
قُدّستَ ياربَّ الجمالِ الذى * ألّف بين النون والعقرب

وله عفا الله عنه :

مرِضتُ ولى جِيرةٌ كلُّهم * عن الرُّشد فى صحبتى حائدُ
فأصبحتُ فى النقص مثلَ الذى * ولا صِلةٌ لى ولا عائدُ

وله غفر الله له :

ولقد عجِبتُ لعاذلى فى حُبّه * لمّا دجَى ليلُ العِذار المُظْلِمِ
أوَمَا دَرى من سُنّتى وطريقتى * أنّى أميلُ مع السواد الأعظمِ

قلتُ : وقد آستوعبنا ترجمة شيخ الشيوخ بأوسع من ذلك فى تاريخنا « المنهل الصافى » وذكرنا من محاسنه وشعره نبذةً كبيرة، وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن شهر رمضان بحَماة رحمه الله تعالى .

وفيها تُوفّى الملك المُغيث فتح الدين أبو الفتح عمر صاحب الكَرَك آبن السلطان الملك العادل أبى بكر محمد آبن السلطان الملك الكامل محمد آبن الملك العادل أبى بكر محمد آبن الأمير نجم الدين أيّوب الأيّوبىّ المصرىّ ثم الكَرَكىّ . وقد ذكرنا من أمره نبذة كبيرة فى ترجمة عمّه الملك الصالح ثم من بعده فى عدّة تراجم لا سيما لمّا توجّه إليه الملك الظاهر بيبَرْس مع جماعة البحريّة، وأقام عنده وحرّكه على مُلْك مصر حسب ماتقدّم ذكر ذلك كلّه . إنتهى .

نصير الدين [أسماء][1] المقدمين، فما ظهر له من الأسماء اسمٌ مَنْ يملك الديار المصرية غيرَ اسم كَتْبُغا. وكان كتبغا صِهْر هولاكو[2]، فقدّمه على العساكر فتوجّه بهم كتبغا فانكسر على عَيْن[3] جالوت[4]، فتعجّب هولاكو من هذه الواقعة وظنّ أنّ نصير الدين قد غلِط فى حسابه. وكان كَتْبُغَا هذا من جملة مَن كان فى عسكر هُولاكو من التتار ممّن لا يُؤْبَه إليه من الأصاغر، وكَسَبه قلاوون فى الواقعة؛ فكان بين المدّة نحوٌ من خمس وثلاثين سنة، حتّى قدر الله تعالى بما قدر من سلطنة كتبغا هذا. انتهى.

ولمّا تمّ أمر كتبغا فى الملك وتسلطن مَدّ سِماطاً عظيماً وأحضر جميعَ الأمراء والمقدّمين والعسكر وأكلوا السِّماط، ثم تقدّموا وقبّلوا الأرض ثم قبّلوا يدَه وهنّئوه بالسلطنة، وخلَع على الأمير حُسام الدين لاجين وولّاه نيابة السلطنة بالديار المصريّة، وَوَلّى عِز الدين الأفْرم أمير جانْدار، والأمير سيف الدين بَهادُر حاجب الحُجّاب؛ ثم خلع على جميع الأمراء والمقدّمين ومَن له عادة بلُبْس الخِلَع [عند[5] تولية الملك كما جرت العادة]. وفى يوم الخميس تاسع عشر المحرّم ركب جميع الأمراء والمقدّمين

(١) زيادة عن جواهر السلوك وتاريخ سلاطين المماليك. (٢) تقدمت وفاة كتبغا هذا سنة ٦٥٨ هـ. (٣) عين جالوت: قرية صغيرة بين نابلس وبيسان، استولى عليها الروم مدّة ثم استنقذها منهم صلاح الدين فى سنة ٥٧٩ هـ = ١١٨٣ م. ثم اشتهرت بالموقعة الفاصلة بين التتار والمصريين؛ وقد كانت الهزيمة فيها على التتار الذين أزمعوا اكتساح مصر والشام بعد أن دكوا صرح الخلافة العباسية فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م. فقد شتت المظفر قطز فيها شملهم فى سنة ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠ م كما تقدم ذكر ذلك فى ترجمة المظفر قطز ص ٧٥ — ٨٠ من الجزء السابع من هذه الطبعة، ولا تزال هذه القرية بقية الى اليوم باسم جالود وهى قرية صغيرة من قضاء نابلس لا يجاوز سكانها مائة وخمسين نفسا. (انظر ياقوت وجغرافية فلسطين). (٤) ورد فى جواهر السلوك وتاريخ سلاطين المماليك بعد كلمة «عين جالوت» العبارة الآتية: «وفاتهم أمم ما حسبوا فى أى وقت يملك هذا الاسم ولا المدة، فلله الحمد والمنة الذى كان هذا الاسم من ملوك الإسلام، فكان بين المدة نحو من خمس وثلاثين سنة». (٥) زيادة عن جواهر السلوك.

وجميع مَن خُلع عليه وأتَوْا إلى سوق[1] الخيل وترجّلوا وقبّلوا الأرض، ثم كُتِب بسلطنة الملك العادل إلى البلاد الشاميّة وغيرها. وزُيِّنت مصر والقاهرة لسلطنته.

ولمّا كان يوم الأربعاء مستهلّ شهر ربيع الأوّل[2] ركب السلطان الملك العادل كَتْبُغا بأُبّهة السلطنة وشِعارِ المُلك من قلعة الجبل ونزَل وسار إلى ظاهر القاهرة نحوَ قُبّة[3] النصر، وعاد من باب النصر[4] وشقّ القاهرة حتّى خرج من باب زُوَيلة عائداً إلى قلعة الجبل، كما جرت العادة بركوب الملوك. ولم تطُل مدّة سلطنته حتى وقع الغلاء والفَناء بالديار المصرية وأعمالها؛ ثم انتشر ذلك بالبلاد الشاميّة جميعها فى شوّال من هذه السنة، وارتفع سِعْر القمح حتّى بيع كلُّ إردبّ بمائة وعشرين درهما بعد أن كان بخمسة وعشرين درهما الإردبّ، وهذا فى هذه السنة، وأمّا فى السنة الآتية التى هى سنة خمس وتسعين وستمائة فوصل سِعْر القمح إلى مائة وستين درهما الإردبّ[5].
وأمّا الموت فإنّه فشا بالقاهرة وكثُر، فأحصِىَ مَن مات بها وثبَت اسمه فى ديوان [المواريث][6] فى ذى الحجّة فبلغوا سبعة عشر ألفاً وخمسمائة. وهذا سوى مَن لم يرِد اسمُه فى ديوان المواريث من الغرباء والفقراء ومن لم يُطلَق من الديوان. ورحَل جماعة كثيرة من أهل مصر عنها إلى الأقطار من عِظَم الغلاء وتخلخل[7] أمر الديار المصريّة. وفى هذه السنة حجّ الأمير أنس بن الملك العادل كَتْبُغا صاحب الترجمة، وحجّت معه والدته وأكثرُ حرم السلطان، وحجّ بسببهم خَلْقٌ كثير من نساء الأمراء

(١) راجع الحاشية ١ ص ٤٢ من هذا الجزء. (٢) فى الأصلين: «ربيع الآخر». وتصحيحه عن جواهر السلوك والتوفيقات الإلهامية. (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة. (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة
(٥) فى تاريخ سلاطين المماليك: «فوصل سعر القمح الى مائة وثمانين درهما الإردب».
(٦) الزيادة عن جواهر السلوك وتاريخ سلاطين المماليك وما سيأتى ذكره فى السطر التالى.
(٧) فى الأصلين: «وتخلل».

وأمّا أمر الديار المصريّة فإنه عظُم أمر الغلاء بها حتّى أكل بعضهم الميتات والكلاب، ومات خَلْقٌ كثير بالجُوع . والحكايات فى ذلك كثيرة، وآنتشر الغلاء شرقًا وغربًا . وبينما السلطان الملك العادل كَتْبُغا فيما هو فيه من أمر الغلاء ورَد عليه الخبر فى صفر بأنّه قد وصل إلى الرَّحْبة[1] عسكر كثير نحوُ عشرة آلاف بيت من عسكر بَيْدُو ملك التّتار طالبين الدخول فى الإسلام خوفاً من السلطان غازان، ومقدّمهم أمير آسمه طَرْغاى[2] ، وهو زوج بنت هولاكو ؛ فرسَم الملك العادل إلى الأمير علم الدين سَنْجَر [الدواداري][3] بأن يُسافر من دِمشق إلى الرَّحْبة حتّى يتلقاهم، فخرج إليهم، ثم خرج بعده الأمير سُنْقُر الأعسر[4] شادّ دواوين دمشق، ثم ندَب الملكُ العادل أيضا الأمير قرا سُنْقُر[5] المنصوريّ بالخروج من القاهرة، فخرج حتّى وصل إلى دمشق لتلقى المذكورِين ، ورسَم له أن يُحضِر معه فى عوده إلى مصر جماعةً من أعيانهم ، فوصل قرا سُنْقُر إلى دِمَشق وخرج لتلقّيهم، ثم عاد إلى دمشق فى يوم الآثنين ثالث عشرين شهر ربيع الأوّل، ومعه من أعيانهم مائةُ فارس وثلاثة عشر فارسا؛ وفرِح الناس بهم وبإسلامهم وأنزلوهم بالقصر الأبلق من المَيْدان .

وأمّا الأمير علم الدين سَنْجَر الدّوادارى فبقى مع الباقين، وهم فوق عشرة آلاف ما بين رجل كبير وكهل وصغير وآمرأة ومعهم ماشية كثيرة ورَخْت[6] عظيم ، وأقام قَرَا سُنْقُر بهم أيّاما، ثم سافر بهم إلى جهة الديار المصرية، وقدِموا القاهرة فى آخر شهر ربيع الآخر، فأكرمهم السلطان الملك العادل كَتْبُغَا ورتّب لهم الرواتب .

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٢٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٢) فى الأصلين: «قرطاى» . وما أثبتناه عن تاريخ الدول والملوك وتاريخ سلاطين المماليك . (٣) زيادة عن جواهر السلوك وتاريخ سلاطين المماليك وتاريخ الدول والملوك وما سيأتى بعد قليل . (٤) هو شمس الدين سنقر بن عبد الله الأعسر الوزير . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٠٩ هـ . (٥) هو سيف الدين قرا سنقر بن عبد الله المنصورى . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٢٧ هـ . (٦) الرخت : كلمة فارسية تفيد جملة معان : منها البضائع والماشية والخيل والعدة والرياش (عن قاموس استنجاس) .

ثمّ بدا للملك العادل كتبغا السفر إلى البلاد الشاميّة لأمرٍ مقدّر آقتضاه رأيُه، وأخذ فى تجهيز عساكره وتهيّأ للسفر، وخرج بجميع عساكره وأمرائه وخاصّكيته فى يوم السبت سابع عشر شوّال وسار حتّى دخَل دمشق ، فى يوم السبت خامس عشر ذى القعدة وخامس ساعة من النهار المذكور ودخل دمشق والأمير بدر الدين بَيْسَرى حامل الجَتْر[1] على رأسه، ونائب سلطنته الأمير حسام الدين لاچين المنصورى ماشياً بين يديه ، ووزيرُه الصاحب فخر الدين بن الخليلىّ[2] ، وآحتَفل أهلُ دمشق لقدومه وزُيِّنت المدينة وفرِح الناس به .

ولمّا دخل الملك العادل إلى دمشق وأقام بها أيّاما عَزَل عنها نائبها الأمير عِزّ الدين أَيْبَك الحموىّ ، وولّى عِوَضه فى نيابة دمشق مملوكَه الأمير سيف الدين أغزلوا[3] العادلى وعمره نحو من آثنين وثلاثين سنة، وأنعم على الأمير عزّ الدين أَيْبَك الحموىّ بخُبْز أغزلو بمصر، وخرجا من عند السلطان وعليهما الخِلَع، هذا متولٍّ وهذا منفصلٌ . ثم سافر السلطان الملك العادل من دمشق فى ثانى عشر ذى الحجّة بأكثر العسكر المصرىّ وبقيّة جيش الشام إلى جهة قرية جُوسِيَة[4]، وهى ضَيْعة آشتراها له الصاحب شهاب الدين الحنفىّ فتوجّه إليها، ثم سافر منها فى تاسع عشر ذى الحجّة إلى حِمْص ونزَل عند البَحْرَة بالمَرْج[5] بعد ما أقام فى البريّة أيّاما لأجل الصيد، وحضر

(١) الجتر: المظلة وهى قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب تحمل على رأس الملك فى العيدين ، وهى من بقايا الدولة الفاطمية ، فارسية معربة . وضبطت بالعبارة فى صبح الأعشى (بكسر الجيم) . وفى الألفاظ الفارسية المعربة ضبط بالقلم بفتح الجيم (راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ٧ و ٨) . (٢) هو الصاحب الوزير فخر الدين عمر آبن الشيخ مجد الدين عبد العزيز آبن الحسن بن الحسين الخليلى . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧١١ هـ . (٣) هكذا ورد فى الأصلين هنا وفيما سيذكره المؤلف عند وفاته سنة ٧١٩ هـ ، والمنهل الصافى . وفى جواهر السلوك وتاريخ سلاطين المماليك وعيون التواريخ : «غرلو» بالغين والراء . وهو أغزلو بن عبد الله العادلى نائب الشام . (٤) جوسية : قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق ، فيها عيون تسقى أكثر ضياعها . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) يراد به المرج الذى تحت حصن الأكراد ، وراجع ص ١٤٢ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

رُتبة الشرف، لاتُنال بالتَّرَف[1]؛ والسعادة أمرٌ لايُدرك، إلا بعيش يُفْرك[2]، وطيب يُترك؛ ونوم يُطرد، وصوم يَسرُد[3]؛ وسُرور عازب[4]، وهمّ لازب[5]؛ ومَنْ عَشِق المعالى أَلِف الغمّ، ومَن طلَب اللآلئ رَكِب اليمّ؛ ومَنْ قَنَص الحيتان وَرَد النهر، ومن خَطَب الحَصَان[6] نَقَد المَهْر؛ كلّا أين أنت من المعالى ! إنّ السَّحُوق[7] جبّار[8] وأنت قاعد، والفَيْلَق جَرّار[9] وأنت واحد؛ العقلُ يُناديك وأنت أَصلخ[10]، ويُدنيك ويحولُ بينكما البَرْزَخ؛ لقد أَزِف الرحيل فاستنفد جَهْدَك، وأَكْثَب[11] الصيدُ فضمِّر فَهْدَك؛ فالحَذِر يترصّد الانتهاز، والحازم يُهيِّئ أسباب الجهاز؛ تجرَّعْ مَرارة النوائب فى أيّام معدوده، لحَلاوة معهودة غيرِ محدوده؛ وإنما هى مِحنةٌ بائده، تتلوها فائده؛ وكُرْبةٌ نافده، بعدها نعمة خالده؛ [وغنيمة بارده[12]]؛ فلا تكرهَنّ صَبِرًا[13] أوصابا[14]، يَغْسِل عنك أوصابا؛ ولا تَشْرَبنّ وِردًا يُعقِبك سَقاما، ولا تَشُمّنّ وَرْدا يُورثك زُكاما؛ [ما أَلْيَنَ[15] الرَّيْحان لولا وَخْزُ البُهْمَى[16]، وما أطيبَ المآذِىّ لولا حُمَة[17] الحمى] ! فلا تَهولنّك مراراتٌ ذاقها عُصْبه، إنما يريد الله ليهديهم بها؛ ولا تروقنّك حلاوات نالها فرقه، إنما يريد الله ليعذّبهم بها . انتهى .

(١) فى الأصلين : « لا تنال إلا بالسرف » . وفى إحدى النسخ المخطوطة من أطباق الذهب : «لا تنال بالسرف» . وما أثبتناه عن كثير من النسخ المخطوطة والمطبوعة . (٢) يفرك : يبغض ويزهد فيه ، والمراد أن الشرف لا ينال إلا بعد جهد و بعد الزهد فى الدعة وخفض العيش .
(٣) يسرد : يتابع . (٤) عازب : بعيد . (٥) هم لازب : مقيم لا يبرح .
(٦) فى الأصلين : « الحصان » . وتصحيحه عن أطباق الذهب المطبوع والمخطوط .
(٧) كذا فى الأصلين و إحدى النسخ المخطوطة . وفى باقى النسخ المخطوطة والمطبوعة : « ومن خطب الحسان » بالسين . (٨) السحوق : النخلة الطويلة ، والجبار من النخل ما طال وفات اليد . (٩) يقال : فيلق جرار أى جيش ثقيل السير لكثرته . (١٠) الأصلخ : الأصم .
(١١) أكثب الصيد : دنا منه . (١٢) التكلة عن سائر النسخ المطبوعة والمخطوطة من أطباق الذهب . (١٣) الصاب : عصارة شجر مر . (١٤) أوصابا : جمع وصب ، وهو التعب . (١٥) تكلة عن النسخ المطبوعة والمخطوطة من أطباق الذهب . (١٦) البهمى : اسم نبات . (١٧) الحمة (بالتخفيف) : اسم كل شىء يلسع أو يلدغ .

* * *

السـنة الأولى من سلطنة الملك العادل كَتْبُغا المنصورىّ على مصر، وهى سنة أربع وتسعين وستمائة .

كان فيها الغلاء العظيم بسائر البلاد ولا سيّما مصر والشام، وكان بمصر مع الغلاء وباء عظيم أيضا وقاسى الناسُ شدائدَ فى هذه السنة واستسق الناسُ بمصر من عِظَم الغلاء والفناء .

وفيها أسلَم مَلِك التتار غازان وأسلم غالب جُنده وعساكره، على ما حكَى الشيخ علم الدين البِرْزالىّ[1] .

وفيها تُوُفّى السلطان الملك المظفّر شمس الدين أبو المحاسن يوسف ابن السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علىّ بن رَسُول التُّرْكُمانىّ الأصل الغَسّانىّ صاحب بلاد اليَمَن، مات فى شهر رجب بقلعة تَعِز[2] من بلاد اليمن، وقيل : اسم رَسُول محمد ابن هارون بن أبى الفتح بن نوحى بن رُسْتَم من ذرّيّة جَبَلة بن الأَيْهَم ، قيل : إنّ رَسُولًا جَدّ هؤلاء ملوك اليمن كان انضم لبعض الخلفاء العباسيّة، فاختصه بالرسالة إلى الشام وغيرها فعرف برَسُول، وغَلَب عليه ذلك . ثم انتقل من العراق إلى الشام ثم إلى مصر، وخَدَم هو وأولاده بعض بنى أيّوب، وهو مع ذلك له حاشية وخَدَم . ولمّا أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخاه الملك المعظّم توران شاه

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٥١ من هذا الجزء . (٢) تعز : مصيف صاحب اليمن (يعنى من أولاد رسول هذا)، وهى حصن فى الجبال مطل على التهائم وأراضى زبيد . وفوقها متنزه يقال له صهلة ، قد ساق له صاحب اليمن المياه من الجبال التى فوقها ، و بنى فيها أبنية عظيمة فى غاية الحسن فى وسط بستان هناك (عن صبح الأعشى ج ٥ ص ٨) ، ضبطت فى معجم البلدان (بفتح التاء وكسر العين) . وفى صبح الأعشى عن تقويم البلدان (بكسر التاء والعين) . وفى دائرة المعارف الإسلامية أن سكانها نحو ٢٢ ألف نسمة .

ابن المنجا الحنبلىّ فى شعبان، وله خمس وستون سنة . وقاضى القضاة شرف الدين الحسن بن عبد الله ابن الشيخ أبى عمر المَقْدِسىّ الحنبلىّ . وناصر الدين نصر الله بن محمد بن عيّاش الحـدّاد فى شوّال . والعدل كمال الدين عبد الله بن محمد [بن نصر][1] ابن قوام فى ذى القعدة . وأبو الغنائم بن محاسن الكفرابى . والمقرئ موفّق الدين محمد بن أبى العلاء [محمد بن علىّ][2] ببعلبكّ[3] فى ذى الحجة . والمقرئ أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبـد الحليم سُحْنُون[4] المـالِكىّ فى شوّال بالإسكندريّة . والعلّامة الصاحب محيى الدين محمد بن يعقوب [بن إبراهيم بن هبة الله بن طارق بن سالم][5] بن النحّاس الحَلَبىّ الحنفى فى آخر السنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ذراع وأصابع . مبلغ الزيادة ستّ عشرةَ ذراعا وسبع عشرة إصبعا . وكان الوفاء فى سادس أيام النَّسىء .

⁂

السنة الثـانية من ولاية الملك العادل كَتْبُغا المنصورىّ على مصر، وهى سـنة خمس وتسعين وستمائة .

(١) التكلة عن تاريخ الإسـلام وجواهر السلوك . (٢) زيادة عن تاريخ الإسـلام وغاية النهاية . (٣) بعلبك : مدينة سورية تقع على أكمة منخفضة فى السفح الشرق لجبل لبنان على بعد ٦٥ كيلومترا فى الشمال الغربى من مدينة دمشق . وقد اشتهرت بعلبـك بهياكلها العظيمة المشيدة بالحجارة الهائلة والعمد الشامخة . فتحها العرب فى عهد الخليفة عمر بقيادة أبى عبيدة سنة ١٦ هـ = ٦٣٧ م، ولها شهرة عظيمة فى التاريخ الإسلامى . قال ياقوت : بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وبها أبنية عجيبة وآثار عظيمة على أساطين رخام لا نظير لها فى الدنيا وهى ذات أسوار، ولها قلعة حصينة عظيمة البناء بهـا أشجار وأنهار وأعين كثيرة الخير . وهى على طرف وادى بردى والبساتين متصلة من هناك إلى دمشق وهى بلد حسن كثير المتازه والخصب . وقال صاحب تاريخ سوريا : والقرية الحالية ذات مائة بيت مجتمعة باحدى زوايا المدينة القديمة وهى قائمة للآن تقصدها السياح لمشاهدة هياكلها ولا يكاد يزيد سكانها على ألفى نسمة (انظر قاموس الأمكنة والبقاع ومعجم البلدان لياقوت) . (٤) ضبط فى شرح القاموس بضم السين، قال : وقد يفتح سينه . (٥) تكلة عن تاريخ الإسلام وعقد الجمان .

فيها كان الغلاء العظيم بسائر البلاد، ولاسيّما مصر والشام؛ وكان بمصر مع الغلاء وباءٌ عظيم أيضا، وقاسى النـاسُ شدائدَ فى هذه السنة والمـاضية .

وفيها ولى قضاء الديار المصريّة الشيخ تقىّ الدين[1] أبو الفتح محمد بن علىّ بن وهب ابن دقيق العيد بعد وفاة قاضى القضاة تقىّ الدين عبد الرحمن بن بنت الأعزّ .

وفيها تُوفّى الملك السعيد شمس الدين[2] إيلغازى ابن الملك المظفّر [فخر الدين قرا أرسلان][3] ابن الملك السعيد صاحب ماردين الأُرْتُقىّ، ودُفن بتربة جدّه أُرْتُق، وتولّى بعده سلطنة ماردين أخوه الملك المنصور نجم الدين غازى . وكان مدّة مملكة الملك السعيد هـذا على ماردين دون الثلاث سنين . وكان جوّادًا عادلا حسن السِّيرة، رحمه الله تعـالى .

وفيهـا تُوُفّى الأمير بدر الدين بيليك بن عبـد الله المُحْسِنىّ المعروف بأبى شامة بالقاهرة، وكان من أعيان الأمراء وأكابرهم، رحمه الله .

وفيها تُوفّى الأسعد بن السَّديد القِبْطىّ الأسلمىّ الكاتب مُسْتَوْفى الديار المصريّة والبلاد الشامية والجيوش جميعها المعروف بالمـاعز الدّيوانى[4] المشهور، وكان معروفا بالأمانة والخـير، وكان نصرانيّا ثم أسـلم فى دولة السلطـان الملك الأشرف خليل ابن قلاوون .

قال الشيخ صـلاح الدين الصفدى — رحمـه الله — : حكى لى القـاضى شهاب الدين محمود رحمه الله قال : لمـا مَرِض المذكور توجّهنا إليه نعوده فوجدناه ضعيفًا إلى الغاية، وقـد وضعوا عنده أنواعًا من الحُلِىّ والمصاغ المجوهر والعقود

(١) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٠٢ هـ . (٢) فى المنهل الصافى : «نجم الدين» . ولم تتعرض باقى المصادر التى تحت يدنا لذكر لقبه . (٣) زيادة عن عيون التواريخ وجواهر السلوك وعقد الجمان والمنهل الصافى وتاريخ الدول والملوك . (٤) فى الأصلين : «الديوان» .

ذلك والقتالُ والمباينةُ واقعـةٌ بين الأمير أُرْجَواش نائب قلعـة دمشق وبين قَبْجَق المذكور ونوّاب قازان ، والرسـل تمشى بينهم فى الصلح ، وأَرْجَواش يأبى تسـليم القلعة له ، فلله درّ هـذا الرجل ! ما كان أثبتَ جَنـانه مع تَغَفُّل كان فيـه حسب ما يأتى ذكره .

هـذا وقبجق غير مُسْتَبِدٍّ بأمر الشام بل غالب الأمر بهـا لنوّاب قازان مثل بُولاى وغيره . ثم سافر بُولاى من دمشق بمن كان بقى معه من التتار فى عشية يوم السبت الرابع[1] من شهر رجب ، ومعه قَبْجَق وقد أُشيع أن قَبْجَق يريد الانفصال عن التتار . وبعد خروجهما استبـد أُرْجَواش نائب قلعة دمشق بتدبير أمور البلد . وفى يوم الجمعة سابع عشر شهر رجب أُعيـدت الخطبة بدمشق إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وللخليفة الحاكم بأمر الله على العادة ، ففرح الناس بذلك . وكان أُسقط اسمُ الملك الناصر محمد من الخطبة بدمشق من سابع شهر ربيع الآخر، فالمدة مائة يوم . ثم نادى أُرْجَواش بُكْرة يوم السبت بالزينة فى البلد فزُيِّنت .

وأما الملك الناصر محمد بن قلاوون فإن عوده إلى الديار المصرية كان يوم الأربعاء ثانى عشر شهر ربيع الآخر وتبعته العساكر المصرية والشامية متفرِّقين ، وأكثرهم عراةٌ مشاةٌ ضعفاء، وذلك الذى أوجب تأخُّرهم عن الدخول مع السلطان إلى مصر، وأقاموا بعد ذلك أشهرًا حتى استقام أمرهم ، ولولا حصولُ البَرَكة بالديار المصرية وعِظَمُها ما وَسِعتْ مثلَ هذه الخلائق والجيوش التى دخلوها فى جَفْلة التتار وبعدها[2]، فمنّ الله تعالى بالخيل والعُدَد والرزق ، إلا أنّ جميع الأسـعار غَلَت لا سيّما السِّلاح وآلات الجنديّة من القُماش والبَرْك[3] وحوائج الخيـل وغير ذلك حتى زادت

(١) فى الأصلين : «فى يوم الأربعاء خامس شهر رجب» . وتصحيحه عن عقد الجمان والنهج السديد وتاريخ سلاطين المماليك . (٢) فى الأصلين : «وبعده» . (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١١٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

عن الحدّ . ومما زاد سعرُ العمائم ، فإنّ الجند كان على رءوسهم فى المصافّ الخُوَذُ ، فلمّا انكسروا رَمَوا الخُوَذَ تخفيفًا ووضـعوا على رءوسهم المناديل ، فاحتاجوا لمّـا حضروا إلى مصر إلى شراء العمائم ، مع أن الملك الناصر أنفق فى الجيش بعد عوده، واستخدم جَمْعًا كثيرا من الجند خوفًا من قدوم غازان إلى الديار المصرية ، وتهيّأ السلطان إلى لقاء غازان ثانيًا . وجهّز العساكر وقام بكُلَفهم أتمّ قيام على صغر سنّه. فلمّا ورد عليه الخبر بعدم مجىء قازان إلى الديار المصرية تجهّز وخرج بعساكره وأمرائه من الديار المصرية إلى جهـة البلاد الشامية إلى ملتقى غازان ثانيًا ، بعـد أن خَلَع على الأمير آقوش الأفرم الصغير بنيابة الشام على عادته ، وعلى الأمير قَرَاسُنْقُر المنصورىّ بنيابة حماة وحلب؛ وكان خروج السلطان من مصر بعساكره فى تاسـع شهر رجب من سـنة تسع وتسعين وستمائة ، وسار حتى نزل بمنزلة الصالحيّة[1] بلغه عودُ قازان بعساكره إلى بلاده ، فكلّم الأمراءُ السلطـانَ فى عدم سـفره ورجوعه إلى مصر فأبى عن رجوع العسكر، وسمع لهم فى عدم سفره، وأقام بمنزلة الصالحية . وسافر الأمير سَـلّار المنصورىّ نائب السلطنة بالديار المصرية ، والأمير ركن الدين بيبَرْس الجاشْنَكير بالعساكر إلى الشام . ولمـا سار سلار و بيبَرْس الجاشْنَكير إلى جهة الشام تلاقَوا فى الطريق مع الأمير سيف الدين قَبْجَق والأمير بكتَمُر السلاح دار والألْبَكى وهم قاصـدون السلطان ، فعتَب الأمراءُ قَبْجَق ورفقتـه عتبًا هيّنا على عبور قازان إلى البلاد الشامية ، فاعتذروا أن ذلك كان خوفا من الملك المنصور لاجين وحَنَقًا من مملوكه مَنْكُوتَمُر، وأنهم لمـا بلغهم قتلُ الملك المنصور لاجين كانوا قد تكلّموا مع قازان فى دخول الشام ، ولا بقى يُمكنهم الرجوعُ عمّا قالوه، ولا سبيل إلى الهروب من عنـده ، فقبِلوا عذرهم و بعثوهم إلى الملك الناصر، فقدِموا عليـه

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

والطور[1]. وسار الأمير قَبْجَق المنصورىّ نائب الشام بمن كان معـه إلى عقبة السـيل[2]، وسار طُقُصْبا والى قُوص[3] بعـرب الطاعة. وأخذ عليهـم المفـازات، وقـد عُمِّيَتْ أخبار الديار المصرية على أهـل الصعيد لمَنْع المسافرين إليهـا فطرقوا

= التجار بلدة جديدة فى القرن السادس الهجرى فى مكان القلزم القديمة واختاروا لها اسم «السويس» وانما فضلوه على اسم القلزم لخراب هذه ولأن «السويس» هو اسم المكان الذى كان مصدر حياة سكانها اذ كان ينقل منه الماء الى القلزم.

٢ — يستدل أن «السويس» تقع فى ذات المكان الذى كان به بلدة القلزم مما ذكره كل من ياقوت والمقريزى كما رأيت فضلا على أن التل المرتفع القائم بجوار «السويس» لا يزال يعرف إلى اليوم باسم قلعة القلزم.

هذا هو تاريخ «السويس» قديما. وأما اليوم فانها بسبب شق الترعة المعروفة باسم قنال السويس قد أصبحت من المدن المصرية الشهيرة وأحد ثغور مصر ومحافظاتها وأكبر ميناء بالبحر الأحمر وهى ذات حركة تجارية واسعة ويرسو فى مينائها الذى يسمى «بورتوفيق» غالب البواخر الذاهبة من مصر وأوروبا إلى بلاد البحر الأحمر وسائر نواحى الشرق بآسيا وأوستراليا وكذا البواخر القادمة من تلك الجهات.

وتقع مدينة «السويس» شرق مدينة القاهرة وبينهما طريقان قريبان لسفر ونقل البضائع: أحدهما طريق السكة الحديدية وطوله ١٤٠ كيلو مترا من محطة كوبرى الليمون. والثانى طريق السيارات وطوله ١٣٠ كيلو مترا من ميدان إبراهيم باشا بالقاهرة.

وللسويس ترعة توصل اليها المياه الحلوة تخرج من ترعة الإسماعيلية بالقرب من مدينة الإسماعيلية ثم تسير جنوبا الى السويس فيستق منها سكانها ومزارعها.

(١) الطور من البلاد المصرية القديمة. وردت فى كتاب مسالك الأمصار لابن خرداذبة مع القلزم (السويس) وأيلة (العقبة) فى كورة واحدة. وذكر ياقوت فى معجم البلدان أن الطور كورة تشتمل على عدة قرى بأرض مصر الشرقية بالقرب من جبل فاران (بشبه جزيرة سينا) وذكر مؤرخو الافرنج أن الطور كانت تسمى «رايتو» وهذا خطأ لأن «رايتو» بلدة أخرى غير الطور يسميها العرب «الرايه» وقد ذكرهما كل من قدامة والقضاعى والدمشق فى كور مصر باسمى «الطور» و«الرايه» ومن هـذا يتبين أنهما بلدتان وقد اندثرت الراية ولا تزال أطلالها ظاهرة جنوبى الطور وعلى بعد ثمانية كيلو مترات منها.

وأما الطور فهى الآن قرية صغيرة على الشاطئ الغربى لشبه جزيرة سينا فى الجهة الجنوبية الشرقية من خليج السويس بينها وبين السويس ٢٤٠ كيلو مترا. وهى اليوم مركز قسم سينا الجنوبى أحد أقسام محافظة سينا التابعة لمصر. وبالطور محجر صحى يمر عليه جميع الحجاج العائدين من الحجاز إلى مصر عن طريق البحر الأحمر بعد أداء فريضة الحج حيث يكشف عليهم صحيا لمنع نقل الأمراض الوبائية إلى مصر.

(٢) عقبة السيل، المقصود بها هنا بلدة العقبة الصغيرة، وهى من أعمال برقة، وموقعها غربى مربوط (راجع كتاب الانتصار لابن دقماق).

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

الأمراءُ البلاد على حين غفلة من أهلها، ووضعوا السيف من الجيزة بالبرّ الغربىّ[1] والإطْفِيحية من الشرقىّ[2]. فلم يتركوا أحدا إلّا قتلوه، ووسّطوا نحو عشرة آلاف رجل، وما منهم إلا من أخذوا ماله وسبَوْا حريمه، فكان إذا ادّعى أحد منهم أنه حَضَرىّ، قيل له: قل دقيق، فإن قال: دقيق بالكاف لغات العرب قُتِل، وإن قال: بالقاف المعهودة أُطلِق، ووقع الرعب فى قلوب العربان حتى طبّق عليهم الأمراء وأخذوهم من كلّ جهة فزوا إليها، وأخرجوهم من مخابئهم حتى قتلوا من جانبى النيل إلى قُوص[3]، وجافت الأرض بالقتلى، وآختفى كثير منهم بمغاور الجبال فأُوقِدتْ عليهم النّيرانُ حتى هلكوا بأجمعهم، وأُسِر منهم نحو ألف وستمائة لهم فلاحات وزُرُوع، وحُصّل من أموالهم شىء عظيم جدا تفرقته الأيدى، وأُحضِر منه إلى الديوان السلطانىّ ستة عشرة ألف رأس من الغنم، وذلك من جملة ثمانين ألف رأس ما بين ضأن وماعِز، ومن السلاح نحو مائتين وستين حملا من السيوف والسلاح والرماح، ومن الأموال على بغال محملة مائتين وثمانين بغلا، ونحو أربعة آلاف فَرَس، وآثنين وثلاثين ألف جمَل، وثمانية آلاف رأس من البَقَر، غير ما أُرْصِد فى المعاصر، وصار لكثرة ما حُصّل للاجناد والغلمان والفقراء الذين آتّبعوا العسكر فباعوا الكبش الكبير السمين من ثلاثة دراهم إلى درهم[4]، والمِعز بدرهم الرأس، والجزّة الصوف بنصف درهم، والكساء[5] بخمسة دراهم، والرّطل السمن بربع درهم، ولم يوجد من يشترى الغلال لكثرتها؛ فإنّ البلاد طُرِقت وأهلها آمنون، وقد كسَرُوا الخراج سنتين[6]. ثم عاد العسكر فى سادس عشر شهر رجب من سنة إحدى وسبعمائة،

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٤٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٩١ من هذا الجزء. (٣) فى الأصلين: «من جانب النيل». وما أثبتناه عن السلوك. (٤) فى السلوك: «من ثلاثة دراهم إلى درهمين». (٥) عبارة السلوك: «والكساء بخمسة دراهم إلى درهمين». (٦) فى أحد الأصلين: «سنين».

وقد خلت بلاد الصعيد من أهلها بحيث صار الرجل يمشى فلا يجد فى طريقه أحدا ويترل القرية فلا يرى إلا النساء والصبيان ؛ ثم أفرج السلطان عن المأسورين وأعادهم إلى بلادهم لحفظ البلاد .

وعند عود الأمراء المذكورين من بلاد الصعيد ورد الخبر من حلب أن تكفور متملك سيس منع الحمل وخرج عن الطاعة وانتمى لغازان ، فرسم بخروج العساكر لمحاربته ، وخرج الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح ، والأمير عز الدين أيبك الخازندار بمضافيهما من الأمراء وغيرهم فى شهر رمضان ، فساروا إلى حماة فتوجه معهم نائبها الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى فى خامس عشرين شوال . وتوجهوا إلى بلاد سيس وأحرقوا الزروع وانتهبوا ما قدروا عليه ، وحاصروا مدينة سيس وغنموا من سفح قلعتها شيئا كثيرا من جفال الأرمن ؛ وعادوا من الدربند إلى مرج أنطاكية[1] . ثم قدموا حلب فى تاسع عشر ذى القعدة . ثم ورد الخبر على السلطان من طرابلس[2] بأن الفرنج أنشئوا جزيرة تجاه طرابلس تعرف بجزيرة

(١) مدينة فى شمال سوريا فى الحوض الأدنى لنهر العاصى على مقربة من مصبه ، بنيت فى نهاية القرن الثالث للميلاد وكانت حاضرة الولايات الأسيوية فى عهد الإمبراطورية الرومانية . توالت عليها غزوات الفرس الى أن فتحها العرب عام ١٧ هـ ثم وقعت فى أيدى الصليبيين الى أن فتحها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٠ هـ بعد أن قتل عشرات الألوف من حماتها المسيحين وبعد أن ظلت فى قبضتهم ١٧٠ عاما .

والمدينة حسنة الموقع وافرة الماء تقع على الشاطئ الجنوبى لنهر العاصى الذى يبلغ عرضه عندها ٣٨ مترا وتمتد الى سفح الجبل على ارتفاع ١٥٢٥ قدما عن سطح البحر . وكانت أنطاكية القديمة أكبر مركز للتجارة بين الشرق والغرب لوقوعها عند ملتقى الطرق الموصلة بين الفرات والبحر الأبيض المتوسط . وكانت تتبع ولاية حلب فى الماضى وهى اليوم تتبع منطقة الاسكندرونة التركية وسكانها يقربون من ٤٠ ألفا . (انظر دائرة المعارف الاسلامية مجلد ٣ صفحة ٦٢ وما بعدها ، وانظر المعاجم الجغرافية الحديثة) .

(٢) سماها المؤرخون اليونان تريبوليس أى المدن الثلاث لأنها كانت مؤلفة من ثلاث مستعمرات أسسها أهالى صور وصيدا وأرواد وكانت زاهرة فى عهد الرومان . وقد دخلها العرب دون أن يلقوا مقاومة سنة ١٧ هـ واستولى عليها الصليبيون سنة ٥٠٣ هـ بعد حصار طويل . شيدوا فى خلاله على رابية بالقرب =

أرواد[1] ، وعمروها بالعدد والآلات ، وكثر فيها جمعهم . وصاروا يركبون البحر ويأخذون المراكب . فرسم السلطان للوزير بعمارة أربعة شوان حربية فى محرم سنة اثنتين وسبعمائة ففعل ذلك ، ونجزت عمارة الشوانى وجهزت بالمقاتلة وآلات الحرب مع الأمير جمال الدين آقوش القارئ العلائى والى البهنسا[2] ، واجتمع الناس لمشاهدة لعب الشوانى فى يوم السبت ثانى عشر المحرم[3] ، ونزل السلطان والأمراء لمشاهدة ذلك ، واجتمع من العالم ما لا يحصيه إلا الله تعالى حتى بلغ كراء المركب التى تحمل عشرة أنفس إلى مائة درهم ؛ وامتلأ البر من بولاق[4]

= من المدينة قصرا حصينا لايزال الى اليوم ، ويعرف باسم قلعة صنجيل وسقطت بعد ١٨٥ سنة فى أيدى قلاوون سلطان مصر سنة ٦٨٨ هـ . فدثرها وشيد على أنقاضها مدينة جديدة وقد خربت أبنيتها مرارا فى العصور الوسطى على أثر زلازل قوية .

والمدينة الحالية واقعة بالقرب من القصر الحصين على نهر أبى على على مسافة كيلو مترين من البحر وعلى بعد ٦٧ كيلو متر من بيروت شمالا بانحراف الى الشرق . وعلى بعد نحو ثلاثة كيلو مترات من طرابلس الى الشمال الغربى يوجد الميناء الذى هو بلدة قائمة بنفسها وفيه خمسة آلاف نفس وهو متصل بالمدينة بخط ترام . وفى السهل بين المدينة والميناء كثير من أشجار البرتقال والليمون . وعدد سكان المدينة بخلاف الميناء ٢٧ ألف نفس . وهى تعد مدينة ذات حركة تجارية كبيرة . (انظر لبنان بعد الحرب لأديب باشا ص ٩٧ وانظر حوادث هذه السنوات فى النجوم الزاهرة طبع دار الكتب) .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١ من هذا الجزء.

(٢) البهنسا ، هى من المدن المصرية القديمة اسمها المصرى « پمجيه » ويقال لها « بامازيت » والرومى « أوكسيرنخوس » وسماها العرب « البهنسا » . ووردت فى معجم البلدان لياقوت « البهنى » بألف مقصورة وكتبها بعضهم « البهنسة » .

وكانت البهنسا قاعدة القسم السابع عشر بالوجه القبلى فى زمن الفراعنة ، وقاعدة « ابرشية اركاديا » فى عهد الرومان ، وقاعدة كورة البهنسا فى أيام العرب ، وقاعدة الأعمال البهنساوية فى أيام دولتى الجراكسة ، وقاعدة « ولاية » البهنساوية فى أيام الحكم العثمانى إلى أن أنشئت « مديرية » الأقاليم الوسطى فى سنة ١٢٤٥ هـ = ١٨٣٠ م فجعلت قاعدتها مدينة المنيا ، وبذلك ألغيت ولاية البهنساوية من ذاك التاريخ .

والبهنسا اليوم إحدى قرى مركز بنى مزار بمديرية المنيا بالوجه القبلى واقعة على الشاطئ الغربى لبحر يوسف بينها وبين بنى مزار الواقعة على الترعة الإبراهيمية ١٥ كيلو مترا ، وبينها وبين الواحات البحرية التى تعرف بواحات البهنسا نسبة إليها طريق طوله ٢٠٠ كيلو متر .

(٣) كذا فى الأصلين والسلوك وعقد الجمان . وفى التوفيقات الإلهامية أن أول المحرم سنة ٧٠٢ هـ يوم الأحد .

(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وبُكْتُكُن و إغزلو العادلى وتَمُر الساقى وأَنَص الجَمَدار ومحمد بن قَرَاسُنْقُر فى ألف وخمسمائة فارس، فطرقوهم بمنزلة عُرْض[1] فى حادى عشر شعبان على غفلة، فآفترقوا عليهم أربع فِرَق، وقاتلوهم قتالًا شديدًا من نصف النهار إلى العصر حتّى كسروهم وأَفْنَوْهم، وكانوا التّتار، فيما يقال، أربعة آلاف، وآستنقذوا التُّركمانَ وحريمهم وأولادهم من أيدى التتار، وهم نحو ستة آلاف أسير، ولم يفقد من العسكر الإسلامى إلا الأمير أَنَص الجَمَدار المنصورى ومحمد بن بَاشْقِرْد الناصرى وستة وخمسون من الأجناد، وعاد من آنهزم من التتار إلى قُطْلُوشاه، وأَسَر العسكر المصرىُّ مائة وثمانين من التتار، وكُتِب إلى السلطان بذلك ودُقّت البشائر [بدمشق][2] . وكان السلطان الملك الناصر محمد قد خرج بعساكره وأمرائه من الديار المصريّة إلى جهة البلاد الشاميّة فى ثالث شعبان، وخرج بعده الخليفة المُستكفِى بالله ، وآستناب السلطانُ بديار مصر الأميرَ عِزّ الدين أَيْبَك البغدادِىّ .

وجدّ قُطْلُوشاه مقدّم التتار بالعساكر فى المَسِير حتّى نزل قُرُون حماة فى ثالث[3] عشر شعبان ، فآندفعت العساكر المصريّة التى كانت بحماة بين يديه إلى دمشق ، وركب نائبُ حماة الأميرُ كَتْبُغَا الذى كان تسلطن وتلقّب بالملك العادل فى مِحَفّة لضعفه ، وآجتمع الجميع بدمشق وآختلف رأيُهم فى الخروج إلى لقاء العدوّ أو آنتظار قدوم السلطان، ثم خَشُوا من مفاجأة العدوّ فنادَوْا بالرحيل، وركبوا فى أوّل شهر رمضان من دِمَشق، فآضطربت دمشق بأهلها وأخذوا فى الرحيل منها على وجوههم، وآشتَرُوا الحِمار بستمائة درهم والجملَ بألف درهم، وترك كثيرٌ منهم حريمَه وأولاده ونجا بنفسه إلى القلعة، فلم يأتِ الليل إلا وبوادِرُ التتار فى سائر

(١) عرض : بلد فى برية الشام من أعمال حلب بين تدمر والرصافة (عن مراصد الاطلاع) .
(٢) زيادة عن السلوك . (٣) فى السلوك : « فى ثالث عشريه » .

نواحى المدينة، وسار العسكر مُخِفًّا، وبات الناس بدمشق فى الجامع يَضِجّون بالدعاء إلى الله تعالى، فلمّا أصبحوا رَحَل التتار عن دِمَشق بعد أن نزلوا بالغُوطة .

وبَلَغ الأمراءَ قدومُ السلطان فتوجّهوا إليه من مَرْج راهط[1] فلقُوه على عقبة الشُّحُورا[2] فى يوم السبت ثانى شهر رمضان وقبّلوا الأرض، ثم ورد عند لقائهم به الخبرُ بوصول التتار فى خمسين ألفا مع قُطْلُوشاه نائب غازان، فلَبِس العسكر بأجمعه السلاح، وآتّفقوا على قتال التتار بشَقْحَب[3] تحت جبل غباغب[4]؛ وكان قُطْلُوشاه قد وقف على أعلى النهر، فصفّت العساكر الإسلامية ، فوقف السلطان فى القلب وبجانبه الخليفةُ، والأميرُ سَلّار النائب، والأمير بيبَرْس الجاشْنَكِير، وعزّ الدين أَيْبَك الخازندار، وبَكْتَمُر الجُوكَنْدار، وآقوش الأفرم نائب الشام، والأمير بُرُلْغى[5]، والأمير أَيْبَك الحَمَوِىّ، وبَكْتَمُر الأَبُو بكرىّ، وقُطْلُوبَك ، ونُوغَاى السِّلاح دار، ومُبارِز الدين أمير شِكار، ويعقوبا الشَّهْرَزُورِىّ، ومبارز الدين أُوْلِيَا بن قَرَمان؛ ووقف فى الجناح الأيمن الأميرُ قَبْجَق بعساكر حَمَاة والعُرْبان وجماعة كثيرة من الأمراء؛ ووقف فى الميسرة الأمير بدر الدين بَكْتاش الفخرِىّ أمير سلاح ، والأمير قَرَاسُنْقُر نائب حلب بعساكرها ، والأمير بَتْخاص نائب صَفَد بعساكرها؛ والأمير طُغْرِيل[6] الإيغانى؛ وبَكْتَمُر السلاح دار

(١) مرج راهط ، المرج هو الأرض الواسعة فيها نبت كثير، وراهط : موضع فى الغوطة من دمشق فى شرقيه بعد مرج عذراء . (عن ياقوت ومراصد الاطلاع) . (٢) راجع الحاشية رقم ٨ ص ١٢١ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) شقحب : قرية فى الشمال الغربى من غباغب ، ويقال لها تل شقحب ذكرها « دسود » فى الكلام عن وادى العجم من ضواحى دمشق .
(انظر كتاب التخطيط التاريخى لسوريا القديمة والمتوسطة لرينيه دسود طبع باريس سنة ١٩٢٧ ص ٣٢٢).
Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale Par Rene Dussaud.
(٤) فى الأصلين : « صاغب » . وما أثبتناه عن السلوك . (٥) فى السلوك : « بلرغى » . وقد ذكر صاحب الدرر الكامنة عدّة لغات فى هذا الاسم . وضبطه بالعبارة (بضم أوله وثانيه وسكون ثالثه) .
(٦) فى الدرر الكامنة : « طغريل الإيغانى كان من مماليك إيغان الملقب سم الموت » . توفى سنة ٧٠٧ هـ .

من جهة المظفّر وطلّب منك اليمين له ، فقدِّم النيّة أنّك مجبورٌ ومغصوب وآحلف .
ولا تقطع كُتُبَك عنى فى كلّ وقت ، وعرّفنى بجميع ما يجرى من الأمور قليلها وكثيرها .
وكذلك كَتَب فى كتاب قَبْجَق وأَسَنْدَمُر ، فعرَف قَرَا سُنْقُر مضمونَ كتابه وسكت .

ثم بعد قليل وصل إلى قَرَاسُنْقُر من الملك المظفّر بيبرس تقليدٌ بنيابة حلب و بلادها
دَرْبَسْتَ[(1)] على يد أمير[(2)] من أمراء مصر . ومن مضمون الكتاب الذى من المظفّر إلى
قَرَاسُنْقُرا : أنت خُشْداشى ، ولو علمتُ أنّ هـذا الأمر يصعُب عليك ما عملت
شـيئًا حتّى أرسلتُ إليك وأعلمتُك به ، لأنّ ما فى المنصوريّة أحد أكبر منك ، غير
أنّه لمـا نزَل آبنُ أستاذنا عن المُلْك آجتمع الأمراء والقضاة وكافّةُ الناس ، وقالوا :
ما لنـا سلطان إلّا أنت ، وأنتَ تعلم أنّ البلاد لا تكون بلا سلطان ، فلو لم أتقدّم
أنا كان غيرى يتقدّم [وقد وقَع ذلك][(3)]! فآجعلنى واحدًا منكم ودبِّرنى برأيك . وهذه
حلب و بلادها دَرْبَسْتَ لك ، وكذا خُشْدَاشِيتك : الأمير قَبْجَق والأمير أَسَنْدَمُر .
وسـيّر الملك المظفّر لكلّ من هؤلاء الثلاثة خِلْعَةً بألف دينار ، وفرسًا قماشه بألف
دينار ، وعشرة رءوس من الخيل . فعند ذلك حلَف قَرَاسُنْقُر وقَبْجَق وأَسَنْدَمُر ،
ورجع الأمير المذكور إلى مصر بنسخة اليمين . فلمّـا وقَف عليها الملك المظفّر فرِح
غاية الفَرَح ، وقال : الآن تمّ لى المُلْك . ثم شرَع من يومئذ فى كَشْف أمور البلاد
و إزالة المظالم والنظر فى أحوال الرعيّة .

ثم آستهلّت سنة تسع وسبعمائة وسلطان الديار المصريّة الملك المظفّر ركن الدين
بِيبَرْس الجَاشْنَكِير المنصورىّ ، والخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سـليمان ، ونائب

(1) دَربست : التخوم والحـدود (عن القاموس الفارسى الانجليزى لاستينجاس) .
(2) فى الأصلين : « على يد أميرين » . وما أثبتناه عن عقد الجمان وما سيذكره المؤلف بعد قليل .
(3) زيادة عن عقد الجمان .

السـلطنة بديار مصر الأمير سَـلّار ، ونائب الشام الأمير آقوش الأفرم الصغير ،
ونائب حلب الأمير شمس الدين قَرَاسُنْقُر المنصورىّ ، ونائب حَماة الأمير سيف الدين
قَبْجَق المنصورىّ ، ونائب طرابُلُس الأمير سيف الدين أَسَنْدَمُر المنصورىّ . ثم فشَا
فى الناس فى السنة المذكورة أمراضٌ حادّة ، وعمّ [الوباء][(1)] الخلائق وعزّ سائرُ ما يحتاج
إليه المَرْضَى . ثم توقّفت زيادة النيل إلى أن دخل شهر مسرى ، وآرتفع سِعْرُ القمح
وسائر الغلال ، ومَنَع الأمراءُ البيع من شُونهم إلّا الأمير عزّ الدين أَيْدَمُر الخَطِيرىّ
الأُستادار ، فإنّه تقدّم إلى مباشريه ألّا يتركوا عنده سوى مئونة سنة واحدة ، وباع
ما عداه قليلًا قليلًا . والخَطِيرىّ[(2)] هذا هو صاحب الجامع الذى بخُطّ بولاق . انتهى .

وخاف الناس أن يقَع نظيرُ غلاء كَتْبُغَا ، وتشاءم النـاس بسلطنة الملك المظفّر
بيبرس المذكور . ثم إنّ الخطيب نورَ الدّين علىّ بن محمد بن الحسن بن علىّ القَسْطَلّانىّ[(3)]
خرج بالناس وآستسقَى ، وكانَ يومًا مشهودًا ، فنُودِىَ من الغد بثلاث أصابع ،
ثم توقّفت الزيادة مدّة ، ثم زاد وآنتهت زيادة النيل فيه إلى خمس عشرة ذراعاً وسبع
عشرة إصبعا فى سابع عشرين توت ، ثم نَقَص[(4)] فى أيّام النسىء وجاء النَّوْرُوز ولم يُوَفِّ
النيل ستّ عشرةَ ذراعا فُفتِح خليج السدّ[(5)] فى يوم الجمعة ثامن توت وهو ثامن عشرين[(6)]
شهر ربيع الأوّل . وذكَر بعضُهم أنّه لم يُوَفِّ إلى تاسع عشر بابه ، وهو يوم الخميس

(1) زيادة عن السلوك . (2) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٢٣ من هـذا الجزء .
(3) كذا فى أحد الأصلين والسلوك للقريزى . وفى الأصل الآخر : « السقلاطى » .
(4) كذا فى الأصلين . ولم يخف ما فيها من آضطراب . (5) لعل المؤلف يقصد :
« وفتح سد الخليج » وعلى كل حال فالخليج المعتاد سده وفتحه سنويا هو خليج القاهرة المعروف بالخليج
المصرى . ومكانه اليوم شارع الخليج المصرى وسبق التعليق عليه فى الجزء الرابع (الحاشية رقم ٤ ص ٤٣)
من هذه الطبعة ، وفى الاستدراكات بالجزء السابع (ص ٣٨٧) منها . وأما السد الذى كان يقام سنويا فى هذا
الخليج ويفتح وقت فيضان النيل فكان قريبا من فم هذا الخليج . ومكانه يقع اليوم فى نهاية شارع الخليج
المصرى من الجهة القبلية فى نقطة واقعة جنوبى البقعة المعروفة بمشش السانية . (6) فى الأصلين :
« وهو ثامن عشر شهر ربيع الأول » . وما أثبتناه عن السلوك وهو الموافق لمـا فى التوفيقات الإلهامية .

وَلَّى المظفَّــرُ لمّـا فاته الظَّفَرُ * وناصرُ[1] الحقّ وافَى وهو منتصر

وقد طَوَى الله من بين الوَرَى فِتَناً * كادت على عُصبة الإسلام تَنْتَشِرُ

فقل لبِيبَرْس إنّ الدهرَ ألبسهُ * أثوابَ عاريةٍ فى طـولها قِصَرُ

لمّـا تَوَلّى تولّى الخـيرُ عن أُمم * لم يَحْمَدُوا أمرهم فيها ولا شَكَرُوا

وكيف تمشى به الأحوالُ فى زمنٍ * لا النِّيلُ وافى ولا وافاهمُ مَطَرُ

ومن يقوم ٱبنُ عَدْلانٍ بنُصْرتِه * وٱبنُ المُرَحِّل قل لى كيف ينتصر

وكان المَطَر لم يقَع فى تلك السنة بأرض مصر وقصُر النيل ، وشَرِقت البلاد وٱرتفع السعر . وٱتفق أيضا يوم جلوس السلطان الملك الناصر أنّ الأمراء لمّـا ٱجتمعوا قبل خروج السلطان إليهم بالإيوان، أشار الأفرم نائب الشام لمُنْشِدٍ يقال له مسعود أحضره معه من دِمَشق ، فقام مسعود وأنشد أبياتاً لبعض عوام القاهرة، قالها عند توجّه الملك الناصر من الديار المصرية إلى الكَرَك : منها :

أحِبّـةَ قلبى إنّنى لوحيــدُ * أُريد لقاكم والمَزار بعيــدُ

كفى حَزَناً أنّى مقيمٌ ببلدةٍ * ومَنْ شَفَّ[2] قلبى بالفراق فريدُ

أجول بطَرْفى فى الديار فلا أَرَى * وجـوه أحبّـائى الذين أُريدُ

فتواجد الأفرم وبَكى وحَسَر عن رأسه [ووضَع][3] الكَلْفَتَاةَ على الأرض، فانكر الأمراء ذلك ، وتناول الأميرُ قَرَاسنقر الكَلْفَتَاة ووَضَعها بيـده على رأس الأفرم، ثم خرج السلطان فقام الجميع ، وصَرَخ الجاويشيةُ فقبّل الأمراء الأرض وجَرى ما ذكرناه، وٱنقضت الخِدْمة، ودخل السلطان إلى الحريم .

---

(١) رواية الدرر الكامنة : «وناصر الدين ... الخ» . (٢) كذا فى السلوك (لوحة ٣٢٧ قسم رابع أول) وفى الأصلين : «ومرشف قلبى ... الخ» . (٣) الزيادة عن السلوك .

ثم بعد الخِدمة قَدّم الأمير سَلّار النائب عِدّةً من المماليك والخيول والجمال وتعابى القُماش[1] ما قيمته مائتا ألف درهم، فقَبِـل السلطان شيئاً ورَدّ البـاقى . وسأل سلّارُ الإعفاءَ من الإمرة والنيابة وأن يُنْعَمَ عليـه بالشُّوبَك فأُجيب إلى ذلك ، بعـد أن حلَف أنّه متى طُلِبْ حضَر، وخلَع السلطان عليه، وخَرَج سَلّار من مصر عصر يوم الجمعة ثالث شوّال مسافراً إلى الشُّوبَك ، فكانت مدّةُ نيابة سَلّار على مصر إحدى عشرة سـنة ، وكانت الخِلْعة التى خلَعها السلطان عليه بالعَزْل عن النيابة أعظمَ من خِلْعة الولاية ؛ وأعطاه حِياصَةً من الذهب مُرصّعة، وتوجّه معه الأميرُ نظام الدين آدم مُسَفِّراً له ، وٱستمرّ أمير علىّ بن سلّار بالقاهرة، وأعطاه السلطان إمْرة عشرة بمصر . ثم فى خامس شوّال قَدِم رسول المظفّر بيبرس يطلب الأمان فأمّنه السلطان. وفيـه خلع السلطان على الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورىّ بٱستقراره فى نيابة دِمَشق، عِوَضًا عن الأمير آقوش الأفرم بحُكْم عزله . وخلَع على الأمير سيف الدين قَبْجَق المنصورىّ بنيابة حلب عِوَضا عن قراسنقر . وخلَع على أَسَنْدَمُرْكُرجى بنيابة حماة عِوضًا عن قَبْجَق ، وخلَع على الحاج بهـادُر الحلبىّ بنيابة طرابُلُس عِـوَضًا عن أَسَنْدَمُرْكُرجى . وخلَع على قُطْلُوبك المنصورىّ بنيابة صَفَد عِوضًا عن بَكْتَمُر الجُوكُنْدَار . وٱستقرّ [سُنْقُر][2] الكمالىّ حاجب الحجّـاب بديار مصرَ على عادته ، وقَرالاچين أمير مجلس على عادته . و بِيبَرْس الدوادار على عادته، وأُضيف إليه نيابة دار العدل ونَظَر الأحباس[3] . وخلَع على الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام كان بنيابة صَرْخَد على خُبْز مائة فارس . وأنعم السلطان على نُوغَاى القَبْجَاقىّ بإقطاع الأمير قُطْلُوبك المنصورىّ ، وهو إمْرة مائة وتقدمةُ ألف بِدمَشْق . ونُوغَاى هذا هو صاحب الواقعة مع المظفّر والخارج من مصر إلى الكَرَك . انتهى .

---

(١) يريد بها ثياب القماش المحزومة . (٢) زيادة عن السلوك للمقريزى وتاريخ سلاطين المماليك والدرر الكامنة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

يختصّ بالسلطان، فأضيف جَوَالِي كلّ بلد إلى متحصّل خراجها، وأُبطلت جهات المُكُوس التي كانت أرزاقُ الجند عليها، منها ساحل الغَلّة[1]، وكانت هذه الجهة مُقْطَعة لأربعمائة جُنْدىّ من أجناد الحَلْقه سوى الأمراء، وكان متحصّلها في السنة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف درهم .

قلت : وهذا القَدْر يكون الآن شيئا كثيرا من الذهب من سعر يومنا هذا . وكان إقطاع الجندىّ من عشرة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف درهم، وللأمراء من أربعين ألفا

= ولما تكلم المقريزى فى خططه على ذكر أقسام مال مصر (ص ١٠٣ ج ١) قال : وأما الجزية فهى التى تعرف بالجوالى وأنها تجبى سلفا وتعجيلا فى أوّل كل سنة ، وكان يتحصل منها مال كثير فيا مضى ، وبلغ ارتفاع إيراد الجوالى لسنة ٥٨٧ هـ ١٣٠٠٠٠ دينار، ثم قال : وأما فى وقتنا هذا فإن الجوالى قلت جدّا لكثرة إظهار النصارى للاسلام لسبب الحوادث التى مرت بهم حتى بلغ إيرادها فى سنة ٨١٦ هـ ١١٤٠٠ دينار أى ٦٨٤٠ جنيها ، فيتبين مما ذكر أن الجوالى هى بذاتها الجزية التى فرضها المسلمون على أهل الذمة من رجال النصارى واليهود، وكانت تعرف فى عهد العرب بالجزية . وفى عهد الترك الجراكسة بالجوالى . وكانت جزية أهل الذمة من النصارى واليهود تورد فى ذلك الوقت قلما واحدا مستقلا بذاته ، وكانوا يؤدونها مسانهة أى فى أوّل كل سنة ، وكانوا يرون وجوبها مشاهرة ، وفائدة ذلك أن من مات من أهل الذمة يلزم بقدر ما مضى من السنة قبل وفاته أو إسلامه ، ولذلك كانوا يوردونها بين الخراجى والهلالى .
ولما آستولى العثمانيون على مصر فى سنة ٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م أطلقوا على هـذه الضريبة آسم الويركو فصارت الجوالى تعرف بالويركو الشرعى المربوط بإحدى ذرجاته الثلاث ، وهى العال ، ومقررها ١٦ قرشا ، والوسط ومقرره ١٢ قرشا ، والدون ، ومقرره ٨ قروش على كل مسيحى و إسرائيلى بلغ من العمر ١٥ سنة من أهل الذمة ، وكان مايحصل من الويركو سنويا مدة الحكم العثمانى يخصص للصرف على الفقراء من أهل مكة والمدينة . وفى سنة ١٢٧١ هـ = ١٨٥٥ م بلغ المتحصل من الويركو ٢٨٦٧ كيسة أى ١٤٣٣٥ جنيها عثمانيا . وقد تجاوز عنه المرحوم محمد سعيد باشا والى مصر إحسانا من لدنه رأفة برعاياه ، وأمر بأن يستمر صرف مرتبات الفقراء من أهل مكة والمدينة إلى أربابها على أن يكون الصرف لهم من إيرادات الدولة ، و بذلك ألغيت هذه الضريبة ورفعت عن عاتق النصارى واليهود فى مصر .

(١) ساحل الغلة ، يفهم من عبارة المؤلف أن هذا الساحل كان واقعا على النيـل ببولاق ، وكان به خص الكيالة الآتى ذكره فى الصفحة التالية .

و بالبحث تبين لى أن ساحل الغلة فى ذاك الوقت كان واقعا على النيل ببولاق . ومكانه اليوم شارع ساحل الغلال ببولاق وما فى آمتداده شمالا من شارع ماسبرو حتى نهايته البحرية ، وقد آستمر ساحل الغلال فى مكانه المذكور إلى سنة ١٨٩٩ م وفيها نقل إلى مكانه الحالى على النيـل باسم ساحل روض الفرج بشارع روض الفرج بالقاهرة .

إلى عشرة آلاف درهم ، فاقتنى المباشرون منها أموالًا عظيمة ، فإنّها كانت أعظم الجهات الديوانيّة وأجلّ معاملات مصر . وكان الناس منها فى أنواع من الشدائد لكثرة المغارم والعَسْف والظُّلْم ، فإنّ أمرها كان يدور على نواتيـة[1] المراكب والكيّالين والمُشدّين والكُتّاب ؛ وكان المقرّر على كل إردب درهمين ويَلْحَقُـه نصف درهم آخر سـوى ما كان يُنْهَب . وكان له ديوانٌ فى بولاق خارج المَقْس[2] ، وقبله كان له خُصٌّ يُعْرف بخُصّ الكيّالة[3] . وكان فى هذه الجهة نحو ستين رجلا ما بين نُظّار ومستوفين وكُتّاب وثلاثين جنـديًّا للشدّ ، وكانت غِلالُ الأقاليم لا تُباع إلّا فيـه ؛ فأزال الملك الناصر هذا الظلم جميعَه عن الرعيّة ، ورَخُص سعرُ القمح من ذلك اليوم ، وآنتعش الفقير وزالت هذه الظُّلَامة عن أهل مصر ، بعد أن راجعته أقباط مصر فى ذلك غير مرّة ، فلم يلتفت إلى قول قائل — رحمه الله تعالى — ما كان أعلى همّته ، وأحسن تدبيره .

وأبطل الملك النـاصر أيضا نصف السَّمْسَرة الذى كان أحدثه آبن الشَّيْخىّ[4] فى وزارته — عامله الله تعالى بعدله — وهو أنه مَنْ باع شيئاً فإنّ دلالة كل مائة درهم درهمان ، يؤخذ منها درهم للسلطان ، فصار الدلّالُ يحسب حسابه ويُخَلّص درهمه

(١) ورد فى شفاء الغليل للشهاب الخفاجى أن النوتى (بضم النون) هو الملاح والجمع نواتىّ ويخفف . وفتح نونه وجمعه على نواتية غلط ؛ قاله الزبيدى . (٢) راجع الحاشية رقم ٧ ص ٥٣ من الجزء الرابع من هـذه الطبعة . (٣) خص الكيالة ، ذكر المقريزى فى خططه عند الكلام على بولاق (ص ١٣٠ ج ٢) أن خص الكيالة الذى يؤخذ فيه مكس الغلة كان ببولاق إلى أن أبطله الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وذكر مؤلف هـذا الكتاب أن أحد الجوامع الثلاثة التى أنشأها ناظر الجيش فخر الدين محمد بن فضل الله المعروف بالفخر ، كان خلف خص الكيالة ببولاق .

و بالبحث تبين لى أن جامع الفخر المذكور هو الذى يعرف اليوم بجامع أبى العلاء بشارع فؤاد الأوّل ببولاق مصر ؛ وأن خص الكيالة كان كشكا كبيرا يقيم فيـه عمال تحصيل مكس الغلال فى ذاك الوقت . ومكانه اليوم على النيل بشارع ماسبرو ببولاق فى النقطة التى يتقابل فيها هذا الشارع بحارة الخاصكى الواقع خلفها جامع أبى العلاء المذكور .

(٤) هو ناصر الدين محمـد بن عبد الله المـاردى آبن الشيخى والى القاهرة . وراجع الحاشية رقم ٥ ص ٢١٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

السلطان ولقّبه السلطان بالملك المؤيّد وسافر من يومه بعـد ما جهّزه السلطان بسائر ما يحتاج إليه . ثم أفرج السلطان عن جماعة من الأمراء المحبوسين، وعدّتهم أزيد من عشرة نفر . ثم ندب السـلطان الأميرَ بيبرس الأحمـدى الحاجب وطائفةً من الأجناد إلى مكة ليُقيم بها بدل الأمير آق سُنْقُر شادّ العمائر خوفًا من هجوم الشريف حُمَيْضة على مكة .

وفى هذه السنة أبطل السلطان مَكْس المِلْح بالقاهرة وأعمالها فأُبيع الإردبّ المِلح بثلاثة دراهم بعد ما كان بعشرة دراهم . ثم أذِن السلطان للأمير أرْغُون النائب فى الحجّ فحجّ، وعاد فى سنة إحدى وعشرين بعد أن مَشَى من مكة إلى عَرَفات على قدميه تواضُـعًا . ثم أخرج السلطان الأميرَ شرف الدين حُسين بن جَنْدَر[1] إلى الشام على إقطاع الأمير جُوبان، ونُقِل جُوبان على إمْرة بديار مصر . وسبب نفى الأمير حُسين أنّه لمّـا أنشأ جامعه المعروف بجامع أمير حسين[2] بجوار داره[3] على الخليج

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٩ من هذا الجزء . (٢) جامع أمير حسين، ذكره المقريزى فى خططـه باسم جامع الأمير حسين (ص ٣٠٦ ج ٢) فقال : إن الذى أنشأه هو الأمير حسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن جندربك الرومى على قطعة من بستان بجوار غيط المدّة . ولـما مات سنة ٧٢٩ هـ دفن بهذا الجامع . ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشائه . وبالمعاينة تبين لى أنه أنشئ فى سنة ٧١٩ هـ كما هو مبين فى لوح من الرخام مثبت فى التجويف العـلوى لباب الجامع، وهو عامر بإقامة الشعائر الدينية بحارة الأمير حسين من جهة ميدان باب الخلق بالقاهرة . ومئذنته الأصـلية هدمت لخلل طرأ عليها ثم جدّدت فى سنة ٨٦٦ هـ . (٣) دار الأمير حسين، يستفاد ممـا ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على خوخة الأمير حسين وعلى جامعه وقنطرته : أن السبب الذى حمل هذا الأمير على فتح خوخة فى سور القاهرة الغربى تجاه جامعه وقنطرته هو أن يخرج منها من داره التى كانت واقعة خلف الخوخة المذكورة إلى جامعه الذى أنشأه بحكر جوهر النوبى غربى الخليج المصرى .

وبمـا أن هـذه الخوخة كانت بحارة الوزيرية ومكانها الآن على رأس شارع الاستئناف فى الزاوية البحرية الغربية لمبنى محكمة الاستئناف الأهلية بميدان باب الخلق بالقاهرة فيتبين من ذلك أن دار الأمير حسين كانت بخط درب سعادة وليس لهـا أثر اليوم .

فى البرّ الغربىّ بحكر جَوْهر النُّوبى . ثم عمّر القنطرة[1] وأراد أن يفتح فى سور القاهرة خوخة[2] تنتهى إلى حارة الوزيريّة، فأذِن له السلطان فى فتحها، فخرَق بابًا كبيرا وعمِل عليه رَنْكَه، فسعَى به علمُ الدين سَنْجَر الخيّاط متولّى القاهرة، وعظُم الأمر على السلطان فى فتح هذا الباب المذكور، فرَسَم بنفيه فى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة المذكورة .

وفيهـا وقَع الحريق بالقـاهرة [ومصر][3] فابتدأ من يوم السبت خامس عشر جُمادَى الأولى وتواتَر إلى سَلْخه، وكان ممّا احترق فيه الرَّبْعُ الذى بالشّوّايين[4] من أوقاف

(١) هذه القنطرة هى التى ذكرها المقريزى فى خططه باسم قنطرة الأمير حسين (ص ١٤٧ ج ٢) فقال : إنها واقعة على الخليج الكبير، عمرها الأمير حسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن جندربك الرومى، ويتوصل منها إلى بر الخليج الغربى حيث الجامع الذى أنشأه بحكر النوبى .

وبالبحث تبين لى أن هذه القنطرة أنشئت بعد الجامع أى فى أواخر سنة ٧١٩ هـ؛ وكانت واقعة على الخليج المصرى، ومعروفة كما شاهدتها باسم قنطرة الأمير حسين إلى سـنة ١٨٩٧ م التى تم فيها ردم الجزء الأول من الخليج من جهة قنطرة غمره إلى ميدان باب الخلق، وفى تلك السنة ردمت القنطرة مع الخليج . ومكانها اليوم فى الزاوية البحرية الغربية بميدان باب الخلق تجاه مدخل حارة الأمير حسين .

(٢) هذه الخوخة هى التى ذكرها المقريزى فى خططه باسم خوخة أمير حسين (ص ٤٦ ج ٢) فقال : إن هذه الخوخة من جملة الوزيرية يخرج منها إلى تجاه قنطرة الأمير حسين، فتحها الأمير شرف الدين حسين ابن أبى بكر ابن إسماعيل بن جندربك الرومى حين أنشأ الجامع بحكر جوهر النوبى والقنطرة على الخليج الكبير .

وأقول : إن الخوخة باب صغير ضمن بوابة كبيرة من الخشب تكون لدار أو وكالة أو فندق أو غير ذلك من المبانى، ويفتح هذا الباب الصغير للاستعمال اليومى فى حالة عدم الحاجة إلى فتح البوابة الكبيرة . وأما الخوخة هنا فتطلق على كل باب من الأبواب الصغيرة فى سور المدينة أو على رأس الدروب والأزقة داخل المدينة .

وخوخة الأمير حسين هـذه كانت من الأبواب الصغيرة فى سـور القاهرة الغربى الذى كان مشرفا على الخليج الكبير، وقـد اندثر السور والخوخة . وكانت واقعـة على مدخل شارع الاستئناف فى الزاوية البحرية الغربية لسراى محكمة الاستئناف الأهلية بميدان باب الخلق بالقاهرة، ويقع تجاهها مكان قنطرة الأمير حسـين وحارة الأمير حسين التى بها جامعه الموجود إلى اليوم . (٣) زيادة عن السلوك .

(٤) الربع بالشوايين، ذكره المقريزى فى خططه باسم سـوق الشوايين (ص ١٠٠ ج ٢) فقال : إن هذا السوق أول سوق وضع بالقاهرة، وكان يعرف بسوق الشرايحيين الذين يبيعون الشرائح أى أحزمة الخيـول وأدوات السروج، وهو من باب حارة الروم إلى سـوق الحلاويين، وما زال يعـرف بسوق الشرايحيين إلى أن سكن فيه عدّة من بائعى الشواء، وهو اللحم المشوى فى حدود سنة ٧٠٠ هـ فزالت عنـه النسبة إلى الشرايحيين وعرف بالشوايين .

فلمّا فرَغ السِّماط صاحت الجاوشية على أمراء المجاهد وأهل دولته وأحضروهم وقُرئ عليهم كتابُ السلطان فباسوا بأجمعهم الأرض وقالوا: سمعاً وطاعةً ، وكتَب الأميرُ بيبَرْس لممالك اليمَن بالحضور فحضروا . ثم كتَب لهم المجاهد بغنم وذرة وآعتذر للأمراء والعساكر المصرية بعدم عمـل الإقامة لهم بخراب البـلاد ؛ فتوجّه قُصّاد العسكر لأخذ الغنم والذرة وأقامت العساكر بزَبِيد، فعادت قُصّادهم بغير غنم ولا ذرة، فرحَلوا من زَبِيد فى نصف رجب يُريدون تِعزّ ، فتلقّاهم المجاهد ونزلوا خارج البلد وشـكَوْا ما هم فيه من قِـلّة الإقامات فوعَدهم بالإنجاز. ثم إنّ الأمراء كتبوا للملك الظاهر[1] المقـيم بدُمْلُوه[2] ، وبعثوا له الشريف عُطَيْفَة أمير مكّة وعِزّ الدين الكُوندُكى[3] وكتَب إليـه المجاهد أيضا يحثّـه على الطاعة ، وأقام العسكر فى جهـد فأغاروا على الضِّياع وأخذوا ما قدروا عليه، فآرتفع الذُّرَة من ثلاثين درهما الإردب إلى تسعين، وفقد الأكل من الفاكهة فقط لقلّة الجالب؛ وآتُّهِم أن ذلك بمواطأة المجاهد خوفاً من العسكر أن تَملِك منـه البلاد، ثم إنّ أهل جبـل صَبِر[4] قطعوا المـاء عن العسكر وتخطّفوا الجمال والغِلْمان وزاد أمرهم إلى أن رَكِب العسكر فى أثرهم، فآمتنعوا بالجبل ورمَوْا بالمقالِيع على العسكر فرمَوْهم بالنُّشّاب، وأتاهم المجـاهد فخذلَهم عن الصـعود

(١) هو عبدالله بن أيوب بن يوسف بن عمر بن على بن رسول الملك الظاهر أسد الدين صاحب اليمن. كان بينه وبين الملك المجاهد نزاع وحروب على الملك وأزاله من الدملوه ثم قبض عليه وقتله سنة ٧٣٣ هـ، (عن المنهل الصافى وصبح الأعشى ج ٥ ص ٣٢) . (٢) ورد فى صبح الأعشى (جـ ٥ ص ١٣) وتقويم البلدان لأبى الفداء (ص ٩١) فى الكلام على حصن الدملوه: أن هذا الحصن فى شمال عدن فى جبال اليمن، والدملوه: خزانة صاحب اليمن، ويضرب بامتناعه وحصانته المثل. وقد ضبط فى صبح الأعشى ومعجم البلدان لياقوت (بضم الدال وسكون الميم وضم اللام وفتح الواو) . وضبط فى تقويم البلدان (بكسر الدال المهملة وسكون الميم ثم لام وواو وهاء) . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧٨ من هذا الجزء .

(٤) فى الأصلين : « جبل صير » بالياء المثناة . وما أثبتناه هو الصواب إذ ورد فى معجم البلدان لياقوت : « وصبر بفتح أوله وكسر ثانيـه بلفظ صبر من العقاقير ، اسم الجبل الشامخ العظيم المطل على قلعة تعز، فيه عدة حصون وقرى باليمن » وقد ذكره أبو محمد الحسن بن أحمد الهمدانى فى كتابه صفة جزيرة العرب فى غير موضع عند الكلام على اليمن بالباء الموحدة مضبوطا بالقلم .

إلى الجبل، فلم يلتفتوا إلى كلامه ونازلوا الجبل يومَهم وقُتِل من العسكر أربعة [وثمانية][1] من الغِلْمان، وبات العسكر تحت الجبل . فبلغ بيـبَرْس أنّ المجاهد قرّر مع أصحابه أنّ العسكر إذا صَعِدوا الجبل يُضْرِمون النار فى الوِطَاق وينهبون ما فيه، فبادر بيبَرْس، وقبَض [على][1] بهاء الدين بهادُر[2] الصَّقْرِى وأخذ موجوده ووسّطه قطعتين وعلّقـه على الطريق ؛ ففَرِح أهلُ تَعِزّ بقتله وكان قـد تغلّب على زَبِيد، حتى طرده أهلها عند قدوم العسكر، وعاد الشريف عُطَيْفة والكُونْدُكى من دُمْلُوَه بأنّ الظاهر فى طاعة السلطان ثم طَلَب العسكرُ من المجاهد ما وَعَد به السلطان الملك الناصر فأجابَ بأنه لاقدرةَ له إلّا بمـا فى دُمْلُوَه، فأشهد عليه بيبَرْس[3] قضاةَ تَعِزّ بذلك، وآرتحل العسكر إلى حَلْى بنى يعقوب، فقدِمها فى تاسع شعبان ورحلوا منها أوّل شهر رمضان إلى مكّة فدخلوها فى حادى عشره فى مشقّة زائدة، وساروا من مكّة يوم عيد الفطر إلى جهة مصر ، فقدِموا بركة الحُجّاج أوّل يوم من ذى القعـدة ، وطَلَع الأمراء إلى القلعـة فخلَع السلطان عليهـم فى يوم السبت ثالثـه، وقدّم الأمير بيبَرْس هـديّة فأغْرَى الأميرُ طَيْنَال السـلطانَ على الأمير بيـبَرْس بأنّه أخذ مالاً من المجـاهد وغيره وقصّر فى أخذ مملكة اليمن . فلمـا كان يوم الآثنـين تاسع عشره رَسَم السلطان بخروج بيبَرْس إلى نيابة غَزّة فآمتنع لأنّه كان بلَغه ما قيل عنه، وأنّ السلطان قد تغيّر عليه، فقبض عليه السلطان وسجنه بالبُرْج من القلعة وقَبَض على حواشيه وصادرهم وعُوقِبوا على المـال فلم يظهر شيء، وسكت السلطان عن أحوال اليمن .

(١) زيادة عن السـلوك . (٢) كان من مماليك المؤيد داود آبن المظفـر صاحب اليمن . ولما مات المؤيد وتسلطن آبنـه المجاهد المقدّم ذكره أكثر من الفساد فى البلاد وثار على المجاهد فاجتمع المماليك على بهادر هـذا وقدّموه عليهم وآستولى على زبيد . ثم إن بيبرس مقدّم العساكر المصرية قبض عليه ووسطه بالسيف كما ذكره المؤلف، وكان ذلك فى سـنة ٧٢٥ هـ .

(٣) يريد به بيبرس مقدم عسكر مصر .

فبلغ أجرةُ الفدّان الواحد ثمانيـةَ آلاف درهم ، فأقاموا على ذلك ستة أشهر ، حتى زاد المـاء وغَرِقت الجزيرة ، وقبـل مجيء المـاء بقليل قام الأمير أَرْغُون العَلائى فى هدمها قيامًا عظيما ، وحَرَق الأخصاص على حين غفلة وضَرَب جماعة وشهَّرهم فتلِف بها مالٌ عظيم جدّا .

وفى هذه الأيام قلّ ماء النيل حتى صار ما بين المقياس[1] ومصر يُخاض ، وصار من بولاق[2] إلى منشأة المِهْرَانِى[3] طريقـا يُمْشَى فيه ، ومن بولاق الى جزيرة الفيـل[4] وإلى المُنْيَة[5] طريقًا واحدا . وبَعُدَ المـاء على السقَّايين وصاروا يأخذون المـاء من تُجاه قرية مُنْبَابة[6] ، وبلَغت راويةُ المـاء إلى درهمين بعدما كانت بنصف درهم وربع درهم . فشكا النـاس ذلك إلى أَرْغُون العلائى فبلَّغ السلطانَ غلاءَ المـاء بالمدينـة وآنكشافَ ما تحتِ بيوت البحر، فَركب السلطان ومعه الأمراء وكثيرٌ من أرباب الهندسة، حتّى كُشِفَ ذلك، فوجدوا الوقت فيـه قدفات لزيادة النيل، وآقتضى

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٢) هى مدينـة بولاق الواقعة على النيل وأحد أقسام مدينة القاهرة . سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) هى المنطقة الواقعة على النيل بين مستشفى قصر العينى وميدان فم الخليج بالقاهرة . سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٣ ص ١٨٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) هى المنطقة الواقع فيها اليوم قسما شبرا وروض الفرج بمدينة القاهرة . سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٥) المقصود بها منية الشيرج الداخلة فى حدود قسم شبرا بالقاهرة . سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١٨٣ من الجزء التاسع من هـذه الطبعة . وأما الطريق التى كانت بين هـذه الأمكنة فهى التى ذكرها المقريزى فى خططه بآسم الجسر من بولاق الى منية الشيرج . سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ١ ص ١٩٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٦) راجع الأستدراكات الواردة فى ص ٣٨٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

الرأى أن يُنْقَل التراب والشقاف من مطابخ السُّكَّر بمدينـة مصر وتُرْمَى من بَرّ الجيزة إلى المقياس[1] حتى يصيرَ جسرا[2] يُعْمَل عليـه العمل، حتى يدفعَ المـاءَ إلى الجهة التى يَنْحسِر عنها ، فنُقِلَت الأتربة فى المراكب وأُلْقِيت هنـاك إلى أن بَقِى جسرًا ظاهرا وتراجع المـاء قليـلا إلى بَرّ مصر ، فلما قَوِيت الزيادةُ علا المـاء على هـذا الجسر وأخذه ومحا أثره .

(١) المقصود مقياس النيل الواقع فى الطرف الجنوبى من جزيرة الروضة تجاه مصر القديمة . سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٤ ص ١٥٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . وأضيف هنا إلى ماسبق ذكره أن هـذا المقياس قد بطل آستعماله فى مقاس ماء النيل من سنة ١٨٨٧ بسبب ما طرأ على عموده من الخلل ، فأنشأت نظارة الأشـغال فى تلك السنة مقياسا من الرخام مثبتا على حائط مبنية على حافة الشاطئ الشرقى لجزيرة الروضة تجاه المقياس الأصلى من الجهة الشرقية .

ومن سـنة ١٩٣٥ بدأت وزارة الأشغال العمومية فى ترميم العمود وإصلاحه هو والبئر التى فيها ذلك العمود . وفى سنة ١٩٣٨ أقامت الوزارة المذكورة حول البئر حائطا من الأسمنت المسلح لمنع دخول الماء إلى المقياس . ثم أقامت فوق البئر القبة الحالية وهى على طراز القبة التى كانت مركبة عليه فى عهد السلطان سليمان الأول العثمانى ونقلت صورتها من كتاب المسيو نوردن الدانيماركى . وقد بلغ مجموع ما صرف فى ترميم وعمارة هذا المقياس من سـنة ١٩٣٥ الى اليوم حوالى خمسة وخمسين ألف جنيه ، وبعـد ذلك آنتهى به الأمر فمنع تسرب ماء النيـل إليه وبطل آستعماله فى الغرض الذى أنشئ من أجله ، وآحتفظت به وزارة الأشغال بآعتباره أثرا من الآثار ذات القيمة التاريخية فى مصر .

(٢) فى مدّة تحاريق النيل فى الزمن المـاضى كان البحر يجف ماؤه تحت شاطئ القـاهرة فى المسافة الواقعة بين مصر القديمة وبولاق ، وبذلك يصبح المـاء تحت شاطئ الجيزة بعيدا عن سكان القاهرة فيصعب عليهـم نقله من تحت بر الجيزة ، لذلك كان الملوك السابقون يقيمون مدة التحاريق فى مجرى النيل الحالى جسرا مؤقتا من التراب بدعائم من الخشب ، وكان ذلك الجسر يمتد فى النيل ما بين سكن مدينة الجيزة وما بين الطرف الجنوبى لجزيرة الروضة عند المقياس لغرض تحويل ماء النيل من الغرب إلى الشرق ، وبذلك تتوفر المياه تحت مصر القديمة وبولاق وتصبح قريبـة من القاهرة فيأخذ منها الناس ما يلزم لشربهم ومصالحهم مدة التحاريق ، وبعد ذلك يزول الجسر بقوة آندفاع ماء النيل أثناء الفيضان ، ويجدد عند الحاجة إليه .

وهذا الجسر ذكره المقريزى فى خططه بآسم الجسر فيما بين الروضة والجيزة (ص ١٦٧ ج ٢) وتكلم عليه بالتطويل ، ومن أراد الوقوف على تاريخ الجسر المذكور فليراجع الخطط المقريزية .

ومن غريب الاتفاق أنه كان عَمِل طعاما لأخويه : أمير حاجّ وحسين حتى يكون غَداءَهما فى السجن، وعُمِل سماط السلطان على العادة فوقعت الضجة، وقد مُدّ السِّماط، فركب السلطان من غير أكل، فلمّا انهزم وقُبض عليه، وأقيم بدله أخوه أمير حاجّ مُدّ السِّماط [بعينه له][1] فأكل منه، وأُدخل بطعامه وطعام أخيـه أمير حسين إلى الملك الكامل فأكله فى السجن . واستمـر الملك الكامل المذكور فى السجن إلى يوم الأربعاء ثالث جُمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة قُتل وقت الظهر ودُفن[2] عند أخيه يوسف ليلة الخميس ، فكانت مدّة سلطنته على مصر سنةً واحدةً وثمانية وخمسين يوما، وقال الصَّفَدىّ[3] : سنة وسبعة عشر يوما .

وكان مَنْ أشرّ الملوك ظلمًا وعسفًا وفسقًا . وفى أيامه — مع قِصَر مدّته — خربت بلاد كثيرة لشغفه باللهو وعكوفه على معاقرة الخمور، وسَمْع الأغانى وبَيْع الإقطاعات بالبَذْل[4] ، وكذلك الولايات ، حتى إنّ الإقطاع كان يخرج عن صاحبه وهو حيّ بمال لآخر، فإذا وقف مَنْ خرج إقطاعه قيل له نُعوّض عليك قد أخرجناه لفلان الفلانى . وكان مع هـذا كله سفّاكا للدماء، ولو طالت يدُه لأتلف خلائق كثيرة، وكان سيّئ التدبير، يُمكّن النساءَ والطواشيّة من التصرّف فى المملكة والتهتُّك

(١) تكلة عن السلوك .

(٢) يستفاد مما ذكره ابن إياس فى تاريخ مصر (ص ١٨٦ ج ١) أن الملك الكامل شعبان دفن مع والده فى القبة التى بشارع المعـز لدين الله (بين القصرين سابقا)، وبما أن والده الملك الناصر محمـد بن قلاوون دفن مع والده السلطان المنصور قلاوون فى القبـة المنصورية بشارع المعز لدين الله فيكون الملك الكامل معهما فى القبة المذكورة مع أخيه يوسف الذى لم يتول السلطنة .

وقد تكلمنا على هذه القبة فى الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) رواية ابن إياس (ج ١ ص ١٨٦) : « فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية سـنة وشهرين ونصفا » .

(٤) فى ف : « بالبدل » بالدال المهملة .

فى التّنزّه والصيد ولعب الكُرة بالهيئات الجميـلة وركوب الخيول المسوّمة ، مع عدم الاحتشام من غير حجاب من الأمير آخورية والغلمان ، ويُعجبه ذلك من تهتُّكهنّ على الرجال ، فشُغف لذلك جمـاعةٌ كثيرة من الجند بحُرَمه بما يفعلْن من ركوب الخيول وغيرها . وكان حريمُه إذا نزلْن إلى نزهة بلغت الجَرّة الخمر إلى ثلاثين درهما[1] ، وهذا كلّه مع شَرَهِه وشَرَه حواشيه ونسائه إلى مافى أيدى النـاس من البساتين والرِّزَق والدواليب ونحوها ، فأخذت أُمّه معصرة وزير بغـداد ومنظرَته على بركة الفيل ، وأشياء غير ذلك . وحدَث فى أيامه أخذُ خَرَاج الرِّزَق وزيادة القانون ونقص الأجار، وأعيدت فى أيامه ضمانُ أرباب المـلاعيب وعدّة مُكُوس ، وكان يحب لعب الحَمام، فلما تسلطن تغالَى فى ذلك وقرّب مَنْ يكون من أرباب هذا الشأن ، ومع هذا الظلم والطمع لم يُوجد له من المـال سوى مبلغ ثمانين ألف دينار وخمسمائة ألف درهم ، إلا أنه كان مُهابا شُجاعا سَيُوسًا مُتفقّدًا لأحوال مملكته، لايشغله لهوُه عن الجلوس فى المواكب والحكم بين الناس . ولمـا أُمسك وقُتل قال فيه الصفدى :

بيتُ قـلاوونَ سـعاداتُه * فى عاجل كانت وفى آجلِ[2] [السريع]
حلَّ على أملاكه للـرّدَى * دَيْنٌ قـد استوفاه بالكاملِ

السنة الأولى من سـلطنة الملك الكامل شعبان على مصر وهى سـنة ستّ وأربعين وسبعمائة

على أن أخاه الملك الصالح إسمـاعيل حكَم منها إلى رابـع

(١) فى ف : « الى ثلاثين ألف درهم » والسياق يأباه .

(٢) كذا فى الأصلين . ورواية المنهل الصافى والسـلوك وابن إياس وأعيان العصر وأعوان النصر لأبى الصفا صـلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى — نسخة فى سـتة أجزاء مأخوذة بالتصوير الشمسى عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة عاشر أفندى بالآستانة وهى غير كاملة — :

* فى عاجـل كانت بلا آجـل *

وتُوُفّى قاضى قضاة المالكية وشيخ الشيوخ بدمشق شرف الدين محمد بن أبى بكر ابن ظافر بن عبد الوهاب الهَمْدَانىّ[(1)] فى ثالث المحرّم عن ثلاث وسبعين سنة . وكان فقيها عالما صوفيّا .

وتُوُفّى الشيخ الإمام الحافظ المؤرّخ صاحب التصانيف المفيدة شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز [بن عبد الله التُّرْكُمانىّ الأصل الفارقىّ][(2)] الذهبىّ الشافعىّ — رحمه الله تعالى — أحد الحفّاظ المشهورة فى ثالث ذى القعدة. ومولده فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة، وسَمِع الكثير ورَحَل البلاد، وكتب وألّف وصنّف وأرّخ وصحّح وبرع فى الحديث وعلومه، وحصّل الأصول وآنتقى، وقرأ القراءات السبع على جماعة من مشايخ القراءات . استوعبنا مشايخه ومصنّفاته فى تاريخنا «المنهل الصافى» مستوفاة . ومن مصنفاته: «تاريخ الإسلام» وهو أجل كتاب نقلت عنه فى هذا التاريخ . وقال الشيخ صلاح الدين الصفدىّ — بعد ما أثنى عليه — قال : «وأخذتُ عنه وقرأتُ عليه كثيرا من تصانيفه ، ولم أجد عنده جُمودة المحدّثين ، ولا كَوْدَنة[(3)] النَّقَلَة ، بل هو فقيه النظر، له دُرْبة بأقوال الناس ومذاهب الأئمة من السلف وأرباب المقالات، وأعجبَنى منه مايعنيه فى تصانيفه، ثم إنه لا يتعدّى حديثا يُورده حتى يبيّن مافيه من ضعف مَتْن، أو ظلام إسناد، أو طعن فى روايته، وهذا لم أرَ غيرَه يُراعى هذه الفائدة» . وأنشدنى من لفظه لنفسه مضمّنا، وهو تخيّل جيّد إلى الغاية : [وافر]

(١) ضبطها المؤلف فى المنهل الصافى بالعبارة فقال : (بسكون الميم وبالدال المهملة) وقد ضبطت أيضا بالعبارة فى الدرر الكامنة وآنظره فى ابن كثير (ج ٤ من القسم الثالث ص ٣٤٢) .

(٢) التكملة عن الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٣٣٦) والمنهل الصافى (ج ٣ ص ١٠٦ ب) وطبقات الشافعية للسبكى (ج ٥ ص ٢١٦) . وآنظره أيضا فى ابن كثير (ج ٤ قسم ثالث لوحة ٣٤٤) وشذرات الذهب لابن العماد (ج ٦ ص ١٥٣) وعقد الجمان للعينى (ج ٥ قسم أوّل لوحة ٨٤) .

(٣) الكودن : البرذون يوكف ويشبه به البليد . راجع اللسان . مادة كدن ص ٢٣٧ ج ١٧ .

إذا قرأ الحديثَ علىّ شخصٌ * وأخلى مَوْضعًا لوفاة مِثْلى
فما جازَى بإحْسانٍ لأنّى * أريدُ حَياتَه ويريدُ قَتْلى

وتوفى الأمير الوزير نجم الدين محمود [بن على][(1)] بن شَرْوِين المعروف بوزير بغداد مقتولا بغزّة مع الأمير بَيْدَمُر البدرىّ فى جمادى الآخرة . وكان قَدِم من بغداد إلى القاهرة فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون، فلمّا سلّم على السلطان وقبّل الأرض ثم قبّل يده حَطّ فى يد السلطان حجر بَلَخْش[(2)]، زنته أربعون درهما، قُوّم بمائتى ألف درهم، فأمّره السلطان وأعطاه تَقْدمة ألف بديار مصر . ثم ولى الوزر غير مرّة إلى أن أخرجه الملك المظفّر حاجّى إلى غزّة، وقتله بها هو وبيدمر البدرىّ وطُغَيْتَمُر الدوادار، وكان — رحمه الله — عاقلا سَيوسا كريما محسنا مدبّرا ، محمودَ الآسم والسيرة فى ولاياته، وهو ممّن ولى الوَزَر شرقا وغربا، وهو صاحب الخانقاه بالقرافة بجوار تربة كافور الهندىّ .

وتوفى الشيخ الإمام البارع المفتّن قوام الدين مسعود[(3)] بن محمد بن محمد بن سهل الكِرْمانى الحنفى بدِمَشق، وقد جاوز الثمانين سنة . وكان إماما بارعا فى الفقه والنحو

(١) التكملة عن السلوك والدرر الكامنة (ج ٣ ص ٣٢١) والخطط المقريزية (ج ٢ ص ٦٠) وآنظره أيضا فى المقريزى فى صفحات ٥٠ و ٧٦ و ٣٠٥ و ٣٨٤ و ٤٢٥ من الجزء الثانى . وانظره فى حسن المحاضرة للسيوطى (ج ٢ ص ١٦٨) .

(٢) كلمة فارسية أصلها : بدخش وبدخشان والأخيرة أكثر استعمالا، وهى آسم لإقليم بين الهند وخراسان يستخرج من جباله حجر الياقوت الأحمر النفيس ذو اللون الجميل وقد سمى باسم الإقليم المستخرج منه (عن استينجاس والألفاظ الفارسية المعربة) .

(٣) كذا فى الأصلين والسلوك . وفى المنهل الصافى والدرر الكامنة : «مسعود بن إبراهيم» كما سماه الحافظ عبد القادر فى طبقاته، وهو عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبى الوفاء القرشى محيى الدين الحنفى أبو محمد وآنظره فى الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٣٩٢) ولحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ لحافظ تقى الدين أبى الفضل محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمى المكى (ص ١٥٧) والفوائد البهية فى تراجم الحنفية لأبى الحسنات محمد بن عبد الحى الكنتوى الهندى ص ٩٩

تعذر وجودُ الرجال فلم يُخَضَّر إلا نصفُ الأراضى، ولم يوجد أحدٌ ليشترى القُرْط[1] الأخضرولا من يَرْبط عليه خيولَه ،وتُرِك ألفٌ وخمسمائة فدان بناحية ناى[2] وطَنان[3]، وانكسرت البلاد التى بالضواحى وخَربت . وخَلَت بلاد الصعيد مع آتساع أرضها ، بحيث كانت مكلفة مساحة أرض أسيوط تشتمل على ستة آلاف نفر يؤخذ منها الخراجُ، فصارت فى سنة الوباء هذه تشتمل على مائة وستة عشر نفرًا .

ومع ذلك كان الرّخاء موجودا وآنحطّ سعْرُ القماش حتى أبيع بخُمس ثمنه وأقل، ولم يوجد مَنْ يشتريه ، وصارت كُتُبُ العِلْم يُنَادَى عليها بالأحمال ، فيباع الجمل منها بأرخص ثمن . وآنحطّ قَدْرُ الذهب والفضة حتى صار الدينار بخمسة عشر درهما، بعد ما كان بعشرين . وعَدِمت جميع الصُّنّاع[4]، فلم يوجد سَقاء ولا بَابًا[5] ولا غُلام . وبلغت جَامَكِيّة الغـلام ثمانين درهما، عنها خمس دنانير وثُلُث دينـار[6] ، فنُـودِى بالقاهرة : من كانت له صنعة فليرجع إلى صنعته، وضُرِب جماعة منهم ، وبلَغ ثمنُ راوية المـاء ثمانيـة دراهم لقـلّة الرجال والجمـال ، وبلغت أُجرة طحن الإردب القمح دينارًا[7] .

(١) القرط : هو النبات الذى يعرف اليوم باسم البرسيم وهو مخصص لغذاء الدواب على آختلاف أنواعها فى فصل الشتاء بمصر ، وما يجفف منه يسمى الدريس . (٢) ناى : قرية من القرى المصرية القـديمة آسمها المصرى « نانهاتى » ثم حرف فى العصر العربى إلى « ناى » وهى الآن قرية بمركز قليوب بمديرية القليوبية . تبلغ مساحة أطيانها ١٧٦٨ فدانا وسكانها حوالى ٣٥٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها . (٣) هى من القرى المصرية القديمة ، اسمها المصرى « تانت » ثم حرف فى عهد العرب الى « طنان » . ذكرها ياقوت فى معجم البلدان فقال : إنها من أعيان قرى مصر ذات بساتين ، وهى الآن قـرية بمركز قليوب بمديرية القليوبية . مساحه أطيانها ٢٥٤٠ فدانا وسكانها حوالى عشرة آلاف نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها . (٤) فى السلوك : « وعدمت جميع الصنائع » . (٥) البابا ، هو غاسل الثياب (عن معيد النعم ومبيد النقم) طبع أوربا ص ١٩٦ لتاج الدين السبكى . وفى شفاء الغليل هو المزين . ورواية السلوك : « ولا بترابا » . (٦) عبارة السلوك : « وبلغت جامكية غلام الخيل ثمانين درهما فى كل شهر بعد ثلاثين درهما » . (٧) فى السلوك « وبلغت أجرة طحن الإردب القمح خمسة عشر درهما » .

ويقال : إنّ هذا الوباء أقام يدور على أهل الأرض مدّة خمسة عشرة سنة .

قلت : ورأيتُ أنا مَنْ رأى هـذا الوباءَ ، فكان يسمّونه الفصل الكبير، ويسمّونه أيضا بسنة الفناء ، ويحاكُون عنه أضعاف ما حكيناه ، يطـول الشرح فى ذكره .

وقد أكثر الناس من ذكر هذا الوباء فى أشعارهم فمّما قاله شاعرُ ذلك العصر الشيخ جمال الدين محمد بن نُبَاتة : [الخفيف]

سِرْ بنا عن دِمَشْق يا طالبَ العَيْـ • ـشِ فمـا فى المُقام للـمرء رَغْبَـهْ

رَخُصت أنْفُس الخلائق بالطّا • عونِ فيهـا فكُلُّ نَفسٍ بحَبّـهْ

وقال الشيخ صلاح الدين الصَّفَدِىّ وأكثر فى هـذا المعنى على عادة إكثاره ، فمّا قاله فى ذلك : [الوافـر]

رَعَى الرحمـنُ دهرًا قـد تـولّى • يُجـازِى بالسّـلامة كُلّ شَـرْط

وكان النـاسُ فى غَفَـلاتِ أمْنٍ • لحَاطُوهُم من تحتِ إِبْط

وقال أيضا : [الكامل]

قـد قُلْتُ للطّاعونِ وهـو بغـزّة • قـد جالَ[1] من قَطْيًا إلى بَيْرُوت

أخليتَ أرضَ الشام من سكّانها • وأتيتَ[2] ياطاعونُ بالطاغـوت

وقال الشيخ بدر الدين حسن [بن عمر بن الحسن][3] بن حبيب فى المعنى من قصيدة أوّلهـا : [الخفيف]

(١) كذا فى م والسلوك . وفى ف : « قد جاك » . (٢) كذا فى م . وفى السلوك : « وحكمت » ... الخ . وفى ف : « وجئت ... الخ » . (٣) التكملة عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى . وسيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٧٧٩ هـ .

ثم ورد الخبر على السلطان بأن القان حسين آبن الشيخ أويس آبن الشيخ حسن بن حسين بن آقبغا[1] بن أيلكان، تولى مملكة تبريز[2] و بغداد بعد وفاة أبيه[3] .

وفى هذه السنة فتحت سيس[4] — وهى كرسى الأرمن — على يد الأمير إشقتمر المارديني نائب حلب، بعد أن نازلها مدّة ثلاثة شهور حتى فتحها وآنقرضت منها دولة الأرمن — ولله الحمد — فدُقّت البشائر لذلك وفرح الملك الأشرف فرحا عظيما بهذا الفتح العظيم .

وفى هذه السنة — أيضا وهى سنة ست وسبعين المذكورة — وقع الفناء بالديار المصرية من نصف جمادى الآخرة وتزايد فى شعبان، ثم فى شهر رمضان حتّى صار يموت فى كلّ يوم من الحَشْريّة[5] نحو خمسمائة نفس ومن الطَّرْحى[6] نحو الألف، فأبيع كلّ فرّوج بخمسة وأربعين درهما، وكل سفرجلة بخمسين درهما، وكل رمّانة بعشرة دراهم، والعشرة دراهم يوم ذاك كانت أزيد من نصف دينار، وكل رُمّانة حُلْوة بستة عشر درهما، وكلّ بطيخة صيفية بسبعين درهما .

ولما توفّى مَنْجك شَغَرت نيابة السلطنة بديار مصر الى العشرين من شهر ربيع الأوّل استقرّ فيها الأمير آقتمر الصاحبي الحنبلي .

(١) فى الأصلين : «ابن أبغا» وهو تحريف تصحيحه عن السلوك (ج ٣و٤ ص ٨٧ (ب) قسم ثان والمنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٠ (ب) والدرر الكامنة (ج ١ ص ٤١٩) . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٣) هكذا فى الأصلين : وفى السلوك ج ٣ و ٤ ص ٨٧ (ب) قسم ثان) والمنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٠ (ب) أنه تولى الحكم فى حياة والده . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٣٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٥) هم الذى توفوا ولم يكن لهم وارث شرعى، فترد أموالهم إلى ديوان المواريث الحشرية لعدم وجود وارث شرعى لهم . (راجع قوانين الدواوين لابن مماتى ص ٣٠٦ و٤٥٣) . (٦) جمع طريح وهو المتروك المهمل .

وفى محرّم سنة سبع وسبعين ختن السلطان أولاده وعمل المهمّ سبعة أيام .

وفى العشر الأوسط من صفر هذه السنة آبتدأ الملك الأشرف بعمارة مدرسته[1] التى أنشأها بالصوه تجاه الطبلخاناة[2] السلطانية التى موضعها الآن بيمارستان[3] الملك المؤيد شيخ وهو كلا شىء، فاشترى الملك الأشرف بيت الأمير شمس الدين سنقر الجمالى وشرع فى هدمه .

(١) ذكر آبن إياس فى كتاب تاريخ مصر عند الكلام على سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين ابن محمد بن قلاوون (ص ٢٣٠ و ٢٣١ ج ١) أنه فى سنة ٧٧٧ هـ كملت عمارة المدرسة الأشرفية التى أنشأها الأشرف شعبان فى رأس الصوة تجاه الطبلخاناه وقرر بها حضورا من بعد العصر وصوفية (أى أنه قرر حضور الطلبة لتلقى الدروس بعد العصر وجعل بها مكانا للصوفية) ثم قال ابن إياس : وكانت هذه المدرسة من محاسن الدنيا فى البناء والزخرفة وقد هدمت فى دولة الملك الناصر فرج بن برقوق .

ولما تكلم المقريزى فى خططه على مدرسة الأمير جمال الدين الأستادار (ص ٤٠١ ج ٢) قال : وكان بمدرسة الملك الأشرف شعبان بن حسين التى كانت بالصوة تجاه الطبلخاناه من قلعة الجبل بقية من داخلها فيها شبابيك من نحاس مكفت بالذهب والفضة وأبواب مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المكفت ومن المصاحف والكتب فى الحديث والفقه وغيره من أنواع العلوم جملة، فاشترى ذلك الأمير جمال الدين من الملك الصالح المنصور حاجى بن الأشرف شعبان بمبلغ ستمائة دينار وكانت قيمتها عشرات أمثال ذلك، ونقلها إلى داره وكان مما فيها عشرة مصاحف، طول كل مصحف منها أربعة أشبار إلى خمسة فى عرض يقرب من ذلك، ولها جلود فى غاية الحسن معمولة فى أكياس الحرير الأطلس . ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال جميعها مكتوب فى أوله الإشهاد على الملك الأشرف بوقف ذلك ومقره فى مدرسته .

ولما تكلم المقريزى فى خططه على المارستان المؤيدى (ص ٤٠٨ ج ٢) قال : إن هذا المارستان أقيم فى مكان مدرسة الأشرف شعبان بن حسين التى كانت فوق الصوه تجاه الطبلخاناه بقلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق .

ومما ذكر يتبين أن هذه المدرسة كانت من أفخر المدارس وكان بها مكتبة من أكمل المكتبات الزاخرة بالكتب النفيسة، إلا أنه للأسف لم تطل مدّة بقاء هذه المدرسة فاندثرت، وأقيم فى مكانها المارستان المؤيدى الذى جعل مسجدا جامعا لا يزال باقيا بسكة الكومى المتفرّعة من شارع المحجر بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٠ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٣) هذا البيمارستان (المستشفى) ذكره المقريزى فى خططه باسم المارستان المؤيدى (ص ٤٠٨ ج ٢) فقال : إنه فوق الصوه تجاه طبلخاناة قلعة الجبل، حيث كانت مدرسة الأشرف شعبان بن حسين التى هدمها الناصر فرج بن برقوق =

طُغَيْتَمُر اليلبغاوى الدوادار الثانى بإمرة طبلخاناه وهـو أوّل من لَبِس[1] الدوادارية الثانية . ثم نَقَلَ منكَلى بغا البلدى من نيابة الكَرَك الى نيابة صَفَد واستقرّ آقتَمُر عبد الغنى النائب بديار مصر فى نيابة طرابُلُس وقـد تقدّم أن آقتمر هذا كان ولى نيابة الشام سنين .

وفى رابع عشرين ذى القعدة اسـتقرّ يَلْبُغَا الناصرى اليَلْبُغَاوى صاحب الوقعة مع برقوق الآتى ذكرها حاجبا ثانيـا بإمرة مائة وتقدمة ألف . ثم عزل السلطان سابَق الدين مِثقالًا الآنُوكى مقدّم المماليك وأمَره أن يَلزم بيتَه واستقرّ عِوضَه فى تقدمة المماليك الطواشى مختار الحُسامى مقدّم الزِّفْرف[2] المقدّم ذكرُه .

ثم نَدبَ السلطانُ الأميرَ يَلْبُغا الناصرى للسفر الى دِمَشق لإحضار نائبها الأمير مَنجك اليُوسـفى فسار من وقته الى أن وَصَـل الى دمشق وأحضر الأمـير منجك المذكور، ووصل مَنجك الى الديار المصرية وصحبته أولاده ومملوكه جَرَكْتَمر وصهرُه آرُوس المحمودى بعد أن احتَفَل أهلُ الدولة لملاقاته وخَرجَت اليه الأمراءُ الى بين الحوضين[3] خارج قُبّة النصر وطَلَع الى القلعة من باب السرّ[4] وسائرُ الأمراء والخاصكيّةُ مُشاةٌ بين يديه فى ركابه، مثل أَيْدَمُر الدوادار ومَنْ دُونَه بإشارة السلطان، فلمـا

(١) فى : « ف » : « أوّل من ولى الدوادارية » . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٣ من هذا الجزء . (٣) دلنى البحث على أن هذين الحوضين كانا من البناء وأنهما كانا مخصصين لشرب الناس والدواب وبجوارهما بئر لملئهما بالماء العذب وكانا واقعين فى المكان الذى به اليوم سراى الزعفران بأوّل شارع الخليفة المأمون بجهة العباسية البحرية بالقاهرة .

وكانت الأرض الواقعة بين قبة النصر السابق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة وبين هذين الحوضين أرض فضاء. ولأن قبة النصر كانت أقرب مكان مبنى لهذين الحوضين فى ذلك الوقت فقد اعتبرها المؤلف نقطة ثابتة بالنسبة للحوضين المذكورين اللذين كانا بقرب الأراضى الزراعية فى تلك المنطقة . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

دخَلَ مَنْجك على السلطان وقبّل الأرض أقبل عليه السلطانُ إقبالا كليًّا وخَلَع عليـه باستقراره نائب السلطنة بالديار المصرية خاصّكيًّا عوضا عن آقتمر عبدالغنى المُنتقِل الى نيابة طرابُلُس وفوّض اليه السلطان النظر فى الأحباس والأوقاف والنظر فى الوزارة، فإنه كان وليها بعد موت أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون كما تقدّم ذكرُه والنظر على ناظر الخاص وقُرِئَ تقليدُه بالإيوان[1] ، وأن السلطان أقامه مُقام نفسه فى كل شيء وفوّض إليه سائرَ أمور المملكة ، وأنه يُخـرِج الإقطاعات التى عِبْرَتُها[2] سبعمائة دينـار إلى ما دونها، وأنه يعزل من شاء من أرباب الدولة ، وأنه يُخرِج الطبلخانات والعشرات بسائر الممـاليك الشامية، ورسم للوزير أن يجلس قُدّامه فى الدركاه مع الموقّعين .

ثم بدأ الغلاء بالديار المصرية فى هـذه السنة وتزايد سـعرُ القمح إلى أن أبيع بتسعين درهما الإردب، وزاد النيل بعد أن نقَص فى شهر هاتور، وهذا أيضا من الغرائب ، وهذه السنة تسمى سنة الشراقى كما سنبينه فى حوادث السنين من سلطنة الملك الأشرف هذا .

ثم فى أوّل سنة ست وسبعين عَزَل السلطان الأمير آقتمر عبد الغنى عن نيابة طرابُلُسِ بالأمير مَنْكِلى بغا البلدى نائب صَفد وولّاه نيابة صفد .

قلت : درجة إلى أسفل .

ثم مَرِض الأمير منجك اليوسفى النائب فنزل السلطان لعيادته، ففرّش منجك تحت رجلى فرسه الشُّقَق الحرير وقـدّم له عشرة ممـاليك وعشرة بقج وعدّة خيول فقبلها السلطان ثم أنعم بها عليه ، وكان ذلك فى يوم الثلاثاء سابع عشرين ذى الحجة ومات منجك بعد يومين .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وفى هـذه السنة تزايد الغلاء بالبلاد الشامية ، حتى جاوز الحـد وجعل الغنى فقيرا ، وأُبيع فيه الرطل الخبز بدرهمين ، وفى هـذا المعنى يقول بدر الدين بن حبيب : [الخفيف]

لا تُقيمنّ بى على حلب الشّهـ * ـباءِ وارحلْ فاخضرُ العيشِ أدهمْ
كيف لى بالمُقامِ والخبزُ فيها * كلُّ رطلٍ بدرهمين ودرهـم

وفى سنة ثمان وسبعين عَزَل السلطان الملك الأشرف آقتمر الصاحبىّ الحنبلىّ عن نيابة السلطنة بالديار المصرية وآستقرّ به أتابك العساكر وعَزَل الأمير آقتمر عبد الغنىّ عن نيابة صَفَد وآستقرّ به أميرَ[1] مائة ومقدّم ألف بالقاهرة .

= أنشأه الملك المؤيد شيخ المحمودى فى مدّة أوّلها جمادى الآخرة سنة ٨٢١ هـ وآخرها رجب سنة ٨٢٣ هـ ونزل فيه المرضى فى نصف شعبان من تلك السنة وعملت مصاريفه من جملة أوقاف الجامع المؤيد المجاور لباب زويلة ، فلما مات الملك المؤيد فى ثامن المحرم سنة ٨٢٤ هـ تعطل المارستان ، ثم سكنه طائفة من العجم المستجدين فى ربيع الأوّل منها وصار منزلا للرسل الواردين من البلاد إلى السلطان . ثم عمل فيه منبر وجعل مسجدا جامعا ورتب له خطيب وإمام ومؤذنون وبواب وقومة (خدم) وأقيمت به الجمعة فى شهر ربيع الآخر سنة ٨٢٥ هـ . ومن ذلك التاريخ استمر جامعا تصرف معاليم (مرتبات) أرباب وظائفه المذكورين من وقف الجامع المؤيدى .

وبمعاينة هذا البناء تبين لى أنه خرب من قديم وآعتدى بعض الناس عليه وأحدثوا مساكن فى وسطه . وفى سنة ١١١٢ هـ أنشأ الخواجة أحمد بن على بن إبراهيم السكرى الصولى الشهير بأبى غالية مسجدا فى الحوش البحرى للبيمارستان المذكور .

ولما رأت إدارة حفظ الآثار ما وقع لهـذا البيمارستان من الخراب ، فى حين أنه من المبانى الأثرية الجميلة التى يجب المحافظة على بنائها القديم برسمه الأصلى البديع ، قامت الإدارة المذكورة بإزالة كل ما استجد من المبانى الحديثة داخل البيمارستان وفى حرمه ، ثم شرعت فى بناء وجهته البحرية فأتمتها على أحسن شكل وأبدع مثال ، ولا زالت العمارة جارية فيه إلى اليوم حتى يعود إلى حالته الأولى .

ولهـذا البناء بابان أحدهما وهو العمومى بالوجهة البحرية التى يتوصل إليها من شارع الكومى بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة ، والثانى يتوصل إليه من درب المارستان المتفرع من سكة المحجر بخط القلعة .

(١) رواية السلوك (جـ ٣ و ٤ ص قسم ثان) : « وخلع على الأمير آقتمر عبد الغنى وآستقر حاجب الحجاب » .

ثم فى العشرين من شهر ربيع الآخر غَرِقت الحُسينية[1] خارج القاهرة وخرب فيها أزيدُ من ألف بيت ، وكان سببُ هذا الغرق أن أحمد بن قايماز أستادار محمد ابن آقبُغا آص آستأجر مكانًا خارج القاهرة بالقرب من آخر الحسينية وجعله بِركة وفتح له مَجْرى من الخليج[2] فتزايد الماءُ وغَفلوا عنه فطَفَح على الحسينية فغرّقها فقبَض السلطانُ بعد ذلك بمدّة على محمد بن آقبغا آص وصادره وعزَله عن الأستادارية ؛ هذا والسلطان فى تأهُّب سَفَر الحجاز .

فلما كان يومُ الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان[3] سَفَّر السلطان إخوتَه وأولاد أعمامه إلى الكرك صُحبةَ الأمير سودون الفخرى الشيخونى ليُقيم عندهم بالكرك مدّة غَيبة السلطان فى الحجاز ، كلُّ ذلك والسلطان متضعِّف وحركةُ الحجاز عَمّالة وحواشيه وخواصّه يَنْهَونه عن السفر فى هذه السنة وهو لا يلتفت إلى كلامهم .

ثم توجه السلطان الى سِرْياقُوس[4] على عادته فى كل سنة وعاد وقد نصل عن ضعفه إلى يوم السبت الثانى عشر من شوّال خرجت أطلاب[5] الأمراء المتوجّهين صحبة السلطان إلى الحجاز .

وفى الأحد ثالث عشر خرجَ السلطان بتجمّل زائد وطُلْب عظيم إلى الغاية جُرّ فيه عشرون قِطارا من الهُجُن الخاص بقماش ذهب وخمسة عشر قطارا بقماش حرير وقطار واحد بلبس خليفتىّ وقطار آخر بلبس أبيض برسم الإحرام ومائة فرس مُلبسة

(١) هى إحدى الحارات الكبيرة التى يخترقها اليوم شارع الحسينية بالقاهرة وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٠ بالجزء الثامن وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .
(٢) رواية السلوك (جـ ٣ و ٤ ص ٩٣ (أ) قسم ثان) أن السد انقطع أوائل شهر ربيع الأوّل وحصل الغرق فى يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الأوّل .
(٣) فى السلوك (جـ ٣ و ٤ قسم ثان) : « شعبان » .
(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٣٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

وتُوفّى الرئيس علاء الدين على بن عبد الواحد بن صغير رئيس الأطباء ، وهو بمدينة حلب[1] فى التجريدة صُحبة السلطان فى يوم الجمعة عاشر ذى الحجة ودفن بهـا ، ثم نقل بعـد مدّة إلى القاهرة ، وكان من الأفراد فى علم الطب والملاطفة ماهرا فى صناعته ، كان من عظم ٱطلاعه فى علم الطب يصف للموسر بأربعين ألفـا ويصف الدواء فى ذلك الداء بعينه للمُعسر بفَلْس واحد .

قال المقريزى : « وكنت عنده فدخَل عليه شيخ وشكا شدة السُّعال ، فقال له : إياك تنام بغير سراويل ، فقال الشيـخ : إى والله ، فقال له : فلا تفعل ، ثم بسراويلك ! قال : فصدفت ذلك الشيخ بعد أيام فسألته ، فقال لى : عملت ماقال فبرِئْتُ، قال : وكان لنـا جار حدث لابنه رُعاف حتى أفرط فأنحلت قوى الصغير، فجاء به إلى ابن صغير هذا وشكا من كثرة الرُّعاف، فقال له : شرِّط أُذنه، فتعجّب وتوقف فقال له ثانيا : توكّل على الله وٱفعل ، ففعل ذلك فبرئ الصغير وذكر له أشياء كثيرة من هذا النموذج يطول شرحها .

وتوفى القاضى بدر الدين محمد ٱبن القاضى علاء الدين على ٱبن القاضى محيى الدين يحيى بن فضل الله بن مجلّى بن دَعْجان بن خلف بن نصر بن منصور بن عبد الله بن على ابن محمد بن أبى بكر عبد الله بن [عبد الله[2] بن] عمر بن الخطـاب العدوى القرشى العُمَرى المصرى الشافعى كاتب سر الديار المصرية ورئيسها بدمَشق فى يوم الثلاثاء العشرين من شوّال مجردا صحبة السلطان الملك الظاهر برقوق ودفن بتربتهم بدمشق، وولى كتابة السر من بعده القاضى بدر الدين محمود [السَّيرامى[3]] الكلستانى .

(١) ذكر لهـا ياقوت فى معجمه (ج ٢ ص ٣٠٤) ترجمة تقع فى عشر صفحات .
(٢) تكملة عن المنهل الصافى (ج ٣ ص ٢١٧ ب) .
(٣) تكملة عن المنهل الصافى (ج ٣ ص ٢١٨ ا) .

وتوفى أخوه حمـزة بن على بن فضل الله بعـده بشهر، فقال فى موتهما بعض شعراء العصر : [الوافر] .

قضى البدر بن فضل الله نحبًا * ومات أخوه حمزة بعـد شهر
فلا تعجب لذى الأجلين يوما * لحمـزة مات حقا بعـد بدر

وكان القاضى بدر الدين المـذكور إماما رئيسا فاضلا فى الإنشـاء والأدب وله مشاركةٌ جيدة فى الفقه وغيره، وكان محمودَ السيرة مشكور الطريقة، باشر كتابة سر مصر نحو سبع وعشرين سنة، على أنه ٱنفصل فيها أولى وثانية، فالأولى بأوحد الدين عبد الواحد ، والثانية بعلاء الدين الكَرَكى وهو ثالث واحد سمّى بدر الدين من بنى فضل الله كُتّاب سر دمشق، وآخِرُ مَنْ ولى كتابة سر مصر وغيرها من بنى فضل الله، وبموته خرجت كتابة السر عن بنى فضل الله — رحمه الله تعالى —

وتُوفى القاضى تاج الدين محمد بن محمد بن محمد المَلِيجى[1] المعروف بصائم الدهر محتسب القاهرة ، وناظر الأحباس وخطيب مدرسة[2] السلطان حسن فى تاسع عشر صفر عن سبعين سنة وكان خيّرا دينا مشكور السيرة — رحمه الله —

وتُوفى الأمير منكلى بغا بن عبد الله الشمسى الطرخانى، أحد الأمراء بديار مصر ثم نائب الكرك فى ليلة عاشوراء ، وكان من أكابر أمراء مصر ولديه حشـمة وريـاسـة .

وتُوفى الأمير زين الدين عبد الرحمن بن الأتابك منكلى بغا الشمسى وٱبن أخت الملك الأشرف شعبان بن حسين، وصهر الملك الظاهر برقوق وأحد أمراء الطبلخانات بديار مصر بها فى عاشر شعبان .

(١) فى السلوك ج ٣ ص ٧٣٧ : « المليحى » بالحاء المهملة .
(٢) تقدم شرح هذه المدرسة شرحا وافيا فى ص ١٢٣ س ٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ولمـا قارب يشبك، وقرا يوسف صفد أخرج بكتمر كشّافته[1] بين يديه، ونزل جسر يعقوب[2]، فالتقى كشافته بأصحاب يشبك وقرا يوسف، فاقتتلوا قتالا شديدا ظهر فيه الصـفديون[3]، وأخذوا من الشاميين عشرة أفراس، فعاد يشبك وقرا يوسف إلى طبرية[4]، ونزلوا بها حتى قدم عليهم الأمير شيخ نائب الشام.

ثم ساروا جميعا إلى غزة، وقد تقدّمهم الأمير جكم ونزل على الرملة[5].

وأما أمراء الديار المصرية فإن السلطان الملك الناصر لمـا تحقق اتفاق الأمير شيخ المحمودى نائب الشام مع يشـبك ورفقته، وبلغه أخبارهم مفصّــلا، استشار الأمراء فى أمرهم فأجمعوا على خروج السلطان لقتالهم، فتجهّز السلطان، وعلّق جاليش السفر فى ثانى ذى القعدة[6] بالطبلخاناة السلطانية على العادة.

ثم أنفق فى رابعه على المماليك السلطانية على كل مملوك خمسة آلاف درهم.

وكان صرف الذهب يوم ذاك مائة درهم المثقال، فصرف لكل واحد منهم تسعة[7] وأربعين مثقالا، واحتاج السلطان فى النفقة المذكورة حتى اقترض من مال أيتام الأمير قلمطاى الدوادار عشرة آلاف مثقال، ورهن عندهم جوهرا، وجعل كسب ذلك ألف دينار ومائتى دينار، وأخذ منهم أيضا نحو ستة عشر ألف مثقال وباعهم بها بلدة من أعمال الجيزة تسمى البراجيل[8]، وأخذ من [تركة[9]] التاجر برهان

---

(١) الكشافة : فرقة من الجند تتقدّم لكشف الطريق والعدوّ.

(٢) جسر يعقوب : منزلة من صفد. (٣) رواية (م) «ظهر فيه كشافة صفد».

(٤) طبرية : مدينة بفلسطين كانت قاعدة الأردن، وهى على بحيرة تنسب إليها، وعندها حصلت واقعة حطّين بين الصليبيين وصلاح الدين، وهى مشهورة بحمّاماتها.

(٥) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين، كانت رباطا للسلمين، وبها الجامع الأبيض المشهور بمنارته.

(٦) الطبلخاناة : الموسيق السلطانية. (٧) رواية (م) «خمسة».

(٨) البراجيل : بلدة تابعة لمركز امبابة مديرية الجيزة. (٩) الزيادة عن السلوك.

الدين المحلّى وغيره مالا كثيرا، ووزّع له قاضى القضاة شمس الدين الأخنائى الشافعى خمسمائة ألف درهم على تركات خارجة عن المودع، وكانت نفقـة السلطان على خمسة آلاف مملوك.

ثم عزل السلطان الأخنائى عن قضاء[1] الشافعيــة بقاضى القضـاة جلال الدين عبـد الرحمن البلقينى، وعزل ابن خلدون بقاضى القضاة جمال الدين يوسف البساطى المـالكى.

ثم قدم الخبر على السلطان بنزول الأمراء على مدينة غزة، وأخذهم الإقامات[2] المجهّزة للعساكر السلطانية.

وكانت غزة قد غلا بها الأسعار لقلّة الأمطار، وبلغت الويبة القمـح مائة وعشرين درهما، فعند ذلك جد السلطان الملك الناصر فى حركة السفر، والاستعداد للحـــرب.

وأما أمر الأمراء فإنه خرج جاليشهم من مدينة غزة إلى جهة الديار المصرية فى يوم الأحد ثانى ذى الحجة.

ثم سار من الغـد الأمير شيخ ويشبك وجكم ببقية عساكرهم، واستنابوا بغزة الأمير ألطنبغا العثمانى.

ثم قدم الخبر على جناح الطير من بُلْبَيس بنزول الأمراء على قَطْيا، فكثرت حركات العسكر بالقاهرة، وخرجت مدوّرة[3] السلطان إلى الرّيدانيّة خارج القاهرة، واختبط العسكر واضطرب لسرعة السفر.

---

(١) رواية(م)«قضاة». (٢) الإقامات، جمع إقامة : وهى ما يلزم العساكر من مؤونة وعلف.

(٣) مدوّرة السلطان : خيمته الكبيرة الخاصّة به، وهى غير مدوّرته التى تقام فى الحفلات، وهى مائة مدوّرة.

مبـاشر كلّ وقف[1] بحمل مالٍ له جِرْم ، فنزل بالناس بآستخراج هـذا منهم ثانيـا بلاءٌ عظيم ، وعوقب كثير منهم بالضّرب[2] ، فغلت الأسعار ، وعزّ وجودُ الأقوات ، وبلغ المُدُّ القمح ــ وهو أربعـة أقداح ــ إلى أربعين درهما فضّة ، وتعطّلت صلاة الجمعـة[3] من دمشـق فلم تقم بهـا جُمعةٌ إلّا مرتين حتى دُعِى بهـا على منـابر دمشق للسلطان محمود ولولىّ عهده آبن الأمير[4] تيمورلنك ، وكان السلطان محمـود مع تيمور آلة ، كون عادتهم لا يتسلطن عليهم إلّا من يكون من ذرّية الملوك . انتهى .

ثم قدم شاه ملك أحد أمراء تيمور إلى مدينـة دمشق على أنه نائبهـا من قبل تيمور .

ثمّ بعـد جمعتين مُنعوا من إقامة الجمعـة بدمشق لكثرة غَلَبة أصحـاب تيمور بدمشق ، كلّ ذلك ونائب القلعة ممتنع بقلعة دمشق ، وأعوان تيمور تحاصره أشـدّ حصار ، حتى سلّمها بعـد تسعة وعشرين يوما ، وقد رمى عليهـا بمدافع ومكاحلَ لا تدخل تحت حَصْر ، يكفيك أن التمـريّة من عظم ما أعياهم أمرُ قلعة دمشـق بَنَوْا تجـاه القلعة قلعةً من خشب ، فعنـد فراغهم من بنائها وأرادوا طلوعها

(١) زاد فى السلوك قوله : « من سائر الأوقاف » .
(٢) زاد فى السلوك بعد هذه الكلمة قوله : « وشغل كل واحد بما هو فيه » .
(٣) زاد فى السلوك ما نصه : « والجماعة » .
(٤) يستفاد مما كتبه آبن عرب شاه فى عجائب المقدور فى صحيفتى ٦٨ ، ٩٠ أن تيمورلنك كتب إلى نوّاب حلب و إلى القاضى برهان الدين أبى العباس أحمـد الحاكم بقيصرية وتوقات وسيواس أن يخطبوا باسم محمود خان «أوسيورغاتمش خان» و باسم الأمير الكبير تيمور كوركان .

ليقاتلوا من أعلاها مَنْ هو بالقلعة ، رمى أهل قلعة دمشق نِفْطًا فأحرقوها عن آخرها ، فأنشئوا قلعة ثانية أعظمَ من الأولى[1] وطلعوا عليها وقاتلوا أهلَ القلعة .

هذا وليس بالقلعة المذكورة من المُقَاتِلة إلّا نفر يسير[2] دون الأربعين نفرا ، وطال عليهم الأمر ، ويئسوا من النَّجْدة ، وطلبوا الأمان ، وسلّموها بالأمان .

قلت : لا شُلّت يداهم ! هؤلاء هم الرجال الشجعان . رحمهم الله تعالى .

ولمـا تكامل حصول المـال الذى هو ألف تومان ، أخذه آبن مفلح وحمـله إلى تيمور ؛ فقال تيمور لابن مفلح وأصحابه : هذا المـال بحسابنا إنمـا هو يسوى ثلاثة آلاف ألف دينار ، وقد بقى عليكم سبعة آلاف ألف دينار ، وظهر لى أنكم عجـزتم .

وكان تيمور لمـا آتفق أوّلا مع آبن مفلح على ألف ألف دينار يكون ذلك على أهل دمشق خاصة ، والذى تركته العساكر المصرية من السـلاح والأموال يكون لتيمور ، فخرج إليه آبن مفلح بأموال أهل مصر جميعها[3] ، فلما صارت كلها إليه وعلم أنه آستولى على أموال المصريين ألزمهم بإخراج أموال الذين فرّوا من دمشـق ، فسارعوا أيضا إلى حمل ذلك كله ، وتدافعوا عنده حتى خلص المـال جميعه ، فلما

(١) رواية عجائب المقـدور ص ١١٢ : « ثم إنه صار فى هـذه المدة يحاصر القلعـة و يعدّ لها ما استطاع من عدّة ، وأمر أن يبنى مقابلها بناء يعلوها ، ليصعدوا عليـه فيهدوها ، فجمعوا الأخشاب والأحطاب وعبوها . وصبوا فوق الأحجار التراب ودكوها ، وذلك من جهة الشمال والغرب ، ثم علوا عليها وناوشوها الطعن والضرب ، وفوض أمر الحصار لأمير من أمرائه الكبار يدعى جهان شاه ، فتكفل بذلك وعاناه ، ونصب عليها المجانيق ، ونقب تحتها وعلقها بالتعاليق . وكان فيها من المقاتلة فئة غير طائلة ، أمثلهم شهاب الدين الزردكاش الدمشقى ، وشهاب الدين أحمد الزردكاش الحلبى » .
(٢) فى م : « قليل » . (٣) فى الأصلين : جميعه .

إينال الصَّصْلانى ، وعلى الأمير يَشْبُك شادّ الشَّرابْخاناه بنيابة طَرَابُلس عِوَضًا عن سُودُون من عبد الرحمن ، وعلى الأمير جَارْقُطْلُو بنيابة حَمَاة عوضا عن إِنِّيَّه[1] تَنِبَك البجاسى .

وأخذ السلطانُ فى تمهيد أمور حَلَب مُدَّةً ، ثم خرج منها عائدا إلى جهة الشام حتى نزل بحَمَاة ، وعزم على الإقامة بها حتى ينفصل فصل الشتاء ، فأقام بها أيامًا حتى بلغه عن القاهرة غُلُوُّ الأسعار واضطرابُ الناس بالديار المصرية لغيبة السلطان ، وفتنة العُرْبان ، فخرج من حَمَاة وعاد حتى قدِمَ إلى دمَشْق وأمْسَكَ بها سُودون القاضى رأس نَوْبَة النُّوَب ، وخلع على الأمير بُرْدْبَك قَصْقَا واستقرّ به عوضه رأس نَوْبَة النُّوَب ، وسجن سُودون القاضى بدمشق .

ثم خرج السلطان منها يريد الديار المصرية إلى أن قاربها فنزل المقامُ الصارمى إبراهيم ابن السلطان من قلعة الجبل ؛ وسار إلى لقاء والده ومعه الأمير كُزُل العجمى أمير جاندار[2] ، وسُودون قَرَاصُقَل حاجب الحجاب فى عِدَّةٍ من المماليك السلطانية حتى التقاهُ ، وعاد صحبته حتى نزل السلطانُ على السَّمَاسم[3] شمالى خانقاه سِرْيَاقُوس فى يوم الخميس رابع عشر ذى الحجة من سنة ثمانى عشرة وثمانمائة .

وركب فى الليلة المذكورة إلى أن نزل بخانقاه سِرْيَاقُوس ، وعمل بها مجتمعا بالقراء والصُّوفية ، وجمع فيه نحو عشر جُوَق من أعيان القُرّاء ، وعِدّة من المُنْشِدين أصحاب الأصوات الطيّبة ، ومدّ لهم أسْمِطة جليلة ثم بعد فَرَاغ القرّاء والمنشدين أُقيمَ السماعُ فى طول الليل ، ورقصت أكابرُ الفقراء الظُّرَفَاء وجماعةٌ من أعيان نُدَمَائه بين يديه الليلَ كله نَوْبَةً ، وهو جالس معهم كأحدهم ، هذا وأنواع الأطعمة والحَلاوَات تُمَدُّ شيئا

(١) إنيه : انظر فى التعريف بهذا المصطلح (الحاشية ٣ من ص ٩ ج ١٣ من هذا الكتاب) .
(٢) ورد فى هامش اللوحة « كزل العجمى أمير جاندار » .
(٣) السماسم : « السماسم » ، هى ترعة كانت تسق أراضى الشرقية قبل حفر خليج أبى المنجا (المقريزى — الخطط ١ : ٤٨٦ ، ٤٨٧) .

بعد شىء بكثرة ، والسُّقَاة تَطُوفُ على الحاضرين بالمشروب من السُّكَّر المذاب ، فكانت ليلة تُعَدّ من الليالى الملوكية لم يُعْمَل بعدها مثلُها .

ثم أنعم على القرّاء والمنشدين بمائة ألف درهم ، وركب بُكْرَة يوم السبت سادس عشر ذى الحجة المذكورة من الخانقاه حتى نزل بطرف الرَّيْدَانِيَّة ، فأقام بها ساعة ثم رَكِبَ وشَقّ القاهرة حتى طلع إلى القلعة من يومه ، وقد زُيِّنَت له القاهرة أحْسَن زينة ، فكان لقدومه إلى الديار المصرية يوما من الأيام المشهودة .

وبعد طلوعه إلى القلعة أصبح من الغد نادى بالقاهرة بالأمان ، وأن الأسعار بيد الله تعالى ، فلا يتزاحم أحد على الأفران ، ثم تصدّى السلطان بنفسه للنظر فى الأسعار ، وعمل مُعَدَّل القمح ، وقد بلَغ سعرُ الإردب منه أزيد من ستّمائة درهم إن وُجِد ، والإردب الشعير إلى أربعمائة درهم ، فانحطَّ السِّعْرُ لذلك قليلا ، وسَكَن رَوْعُ الناس ؛ لكون السلطان ينظر فى مصالحهم ، فلهذا وأبيك العملُ[1] ، ولعل الله سبحانه وتعالى أن يغفر للمؤيّد ذنوبه بهذه الفعلة ؛ فإن ذلك هو المطلوب من الملوك ، وهو حُسْنُ النظر فى أحوال رعيتهم — انتهى .

ثم فى يوم الاثنين خامس عشرينه خلع السلطانُ على الأمير جَقْمَق الأرْغُون شَاوِىّ الدَّوادار الثانى باستقراره دَوَادَارًا كبيرا[2] عوضا عن الأمير آقْبَاى المؤيّدى المنقول إلى نيابة حَلَب ، وخلع على الأمير يَشْبُك الجَكَمِىّ باستقراره دَوَادَارًا ثانيا عوضا عن جَقْمَق .

قلت : وكان الدَّوادار الثانى يوم ذاك لا يحكُم بين الناس[3] ، وليس على بابه نُقَباء ، وكذلك الرَّأس نَوبة الثانى ، وأوّل من حكم ممن وَلِىَ هذه الوظيفة قَرْقَمَاس الشَّعْبَانى ، وممن وِلِىَ رأس نوبة ثانى آقبَرْدِى المِنْقَار — انتهى .

(١) فى (ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٥٦ «قلت هذا من واجبات العمل» .
(٢) ورد فى هامش اللوحة «واستقرار جقمق فى الدوادارية الكبرى عوضا عن آقباى» .
(٣) ورد فى هامش اللوحة «والدوادار الثانى بغير حكم بين الناس ولا على بابه نقباء ، وكذلك الرأس نوبة» .

هذه [1] السنة ، وكتب فى الحال إلى العساكر الشامية بالمسير إلى حلب والأخذ فى تهيئة الإقامات السلطانية .

وأصبح السلطان فى يوم الثلاثاء سادس عشرين شعبان جَمَعَ القضاةَ والخليفة وطلب شيخَ الإسلام جلال الدين البُلْقِينى ، وقصّ عليهم خبَرَ قرايُوسف وما حصل لأهل حلب من الخوف والفزع وجَفْلتهم هُمْ وأهلُ حماة ، وأن الحِمار بلغ ثمنُه عندهم خمسمائة درهم فضّة ، والإكْديش [2] إلى خمسين ديناراً ، وأن قرايُوسُف فى عصمته أربعون امرأة ، وأنه لا يدين بدين الإسلام ، وكُتِبت صورةُ فتوى فى المجلس فيها كثيرٌ من قبائحه ، وأنه قد هجم على ثُغُور المسلمين ، ونحو هذا من الكلام ، فكَتَب البُلْقِينى والقضاةُ بجواز قتاله [3] ، وكتب الخليفة خَطَّه بها أيضا وانصرفوا ومعهم الأمير مُقْبِل الدَّوَادار ، فنادوا فى الناس بالقاهرة بينَ يدى الخليفة والقضاة بأن قَرَايُوسُف يستحلّ الدماء ويَسْبى الحريم ، فعليكم بجهاده كلكمَ بأموالكم وأنفسكم ، فَدُهِىَ الناسُ عند سماعهم ذلك واشتد قلقهم .

ثم كُتِبَ إلى ممالك الشام أن يُنَادَى بمثل ذلك فى كل مدينة ، وأنّ السلطان واصل إليهم بنفسه .

ثم فى يوم الأربعاء سابع عشرين شعبان المذكور نُودِىَ بالقاهرة فى أجناد [4] الحلقة بتجهيز أمرهم بالسفر إلى الشام ، ومن تأخّرَ منهم حلَّ به كذا وكذا من الوعيد .

ثم فى أوّل شهر رمضان قَدِمَ الخبرُ من حَلَب برحيل قَرَايُلُك منها كما تقدم

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «انثنى عزم السلطان عن سفر الحجاز» .
(٢) الإكديش : كلمة فارسية تطلق على الحيوان الذى يجمع بين فصيلتين عامة ، ثم أطلقه العرب على الخيل من فصيلتين . هامش (ابن عبد الظاهر – تشريف الأيام والعصور ٩٩) .
(٣) فى (ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٨٤ «قتله») .
(٤) أجناد الحلقة : هم عدد كبير من العسكر من غير المماليك ، وربما دخل فيهم من ليس من الجند كالمتعممين ، ولكل أربعين منهم مقدم يحكم عليهم وقت خروج العسكر فقط . هامش (ج ١٢ : ٣٢٨ من هذا الكتاب) و (القلقشندى – صبح الأعشى ٤ : ١٦) .

ذكره ، وأن يَشْبُك نائب حَلَب مقيمٌ بالميدان وعنده نحو مائة وأربعين فارسا ، وقد خلت حَلَبُ من أهلها إلا من الْتَجَأ لقلعتها ، وأن يَشْبُك بينما هو فى المَيْدَان جاءه الخبرُ أن عسكر قَرَايُوسُف قد أدركه فركبَ قُبَيْل الفَجْرِ من الميدان وإذا بمقدّمتهم على وطاة بابلّة [1] فواقعهم يَشْبُك بمن معه حتى هَزَمَهم وقتل وأسر جماعةً ، فأخبروه أنهم جاءوا للكشف لخبر قَرَايُلُك ، وأن قَرَايُوسُف بعَيْن تَاب ، فعاد يَشْبُك وتوجّه إلى سَرْمِين ، فلمّا بلغ قَرَايُوسُفَ هزيمةُ عسكره كتَبَ إلى يَشْبُك نائب حَلَب يَعْتَذِر عن نُزوله بعَيْن تَاب ، وأنه ما قصد إلا قَرَايُلُك ، فبعث إليه يَشْبُك صَارُوخَانَ مِهْمِنْدَار [2] حَلَب ، فلقيه على جانب الفرات وقد جازت عساكره الفرات ، وهو على نية الجواز ، فأكرمه قَرَايُوسُف واعتذر إليه ثانيا عن وصوله إلى عَيْن تَاب ، وحَلَف له أنه لم يقصد دخول الشّام ، وأعاده بهدية للنائب ، فهدأ ما بالناس بحَلَب ، وسَرَّ السلطان أيضا بهذا الخبر .

وكان سبب حركة قَرَايُوسف أن قَرَايُلُك المذكور فى أوائل شعبان هذا نَزَلَ على مدينة مَارِدين [3] — وهى دَاخِلَةٌ فى حكم قَرَايُوسُف — فأوقع بأهلها وأسرف فى قتلهم وسَبْى أولادهم ونسائهم ، وباع الأولادَ كلّ صغير بدرهمين ، وحَرَقَ المدينة ونهبها ، ثم رجع إلى آمِد ، فلما بَلَغ قَرَايُوسُفَ الخبرُ غضب من ذلك وسار ومعه الأمراء الذين تسَحبوا من واقعة قَانِى بَاى مثل الأمير سُودُون مِن عَبْد الرحمن ، وطَرَبَاى ، وتَنِبَك البَجَاسِىّ ، ويَشْبُك الجَكَمِى وغيرهم ، يريدون أخذ الثأْرِ من قَرايُلُكْ حتى نَزل آمِدَ ثم رحل عنها يريد قَرَايُلُك ، فسار قَرَايُلُك إلى جهة البلاد الحَلَبِيَّة ، فسار خلفه قَرَايُوسُف حتى قطع الفرات ووقع ما حكيناه .

ثم فى خامس شهر رمضان المذكور نُودِىَ فى أجناد الحلقة بالعرض على السلطان

---

(١) بابله أو بابلا : قرية كبيرة بظاهر حلب (ياقوت – معجم البلدان ١ : ١٧) .
(٢) المهمندار : هو الذى يتلقى الوافدين على السلطان ، وينزلهم دار الضيافة ، ويقوم بشئونهم . وانظر (الحاشية ١ ص ١٤٩ ج ٨ من هذا الكتاب ط . دار الكتب) .
(٣) ماردين : قلعة بالجزيرة الفراتية . وانظر (الحاشية ١ ص ٦٠ ج ١٣ من هذا الكتاب) .

الجميع فى يوم واحد ، فتحيّرنا بمن نبدأ بتجهيزه ودفنه على اختلاف سُكناهم وقلّة التّوابيت والدّكك ، وبالله لم أشهد منهم غيرَ يُوسُف الرّماح ، وأرسلتُ لمن بقِى غيْرِى ، مع أنّ كلّ واحد منهم أهل لنزول السلطان للصلاة عليه .

ثم أصبح من الغد مات سُنقُر دَوَادار الوالد الثانى ، وكان من أكابر الخاصّكيّة من الدّولة المؤيّدية ، هذا خلاف من مات منهم من الجمَدارية ومن مماليك الأمراء ، وأما من مات من عندنا من المماليك والعبيد والجوارى والخدم فلا يدخل تحت حَصْر ، ومات من أخوتى وأولادهم سبعةُ أنفس مابين ذكور وإناث ، وأعظمهم أخى إسماعيل ؛ فإنه مات وسنه نحو العشرين سنة ، وكان من محاسن الدّهر .

قال المقريزى : ثم تزايدت عِدّةُ الأموات عما كانت فأُحصِىَ فى يوم الاثنين رابع جمادى الآخرة مَن أُخرِج عن أبواب القاهرة فبلغت عِدّتُهم ألفاً ومائتى ميّت سوى من خرج عن القاهرة من أهل الحكور والحُسَينيّة وبُولاق والصّليبة ومدينة مصر والقرافتَين والصحراء ، وهم أكثر من ذلك ، ولم يورد بديوان المواريث بالقاهرة سوى ثلاثمائة وتسعين ، وذلك أن أناساً عملوا التوابيت للسّبيل ، فصار أكثرُ الناس يحمِلُون موتاهم عليها ولا يوردون الديوان أسماءهم .

قال : وفى هذه الأيام ارتفَعَتْ أسعارُ الثّياب التى يُكفّنُ بها الأموات ، وارتفع سعرُ سائر ما يحتاج إليه المَرْضى كالسّكّر وبزر الرّجلة والكُمّثْرَى على أن القليل من المَرْضى هو الذى يُعالج بالأدْوِيَة ، بل بعضهم يموت موتاً سريعاً فى ساعة وأقلّ منها ، وعظم الوباء فى المماليك السلطانية سكان الطباق بالقلعة الذين كَثُرَ فسادُهم وشرُّهم وعَظُمَ عُتُوُّهم وضررهم ، بحيث إنه كان يصبح منهم أربعمائة وخمسون مملوكا مرضى فيموت [منهم] (١) فى اليوم زيادة على الخمسين مملوكا — انتهى كلام المقريزى .

قلتُ : والذى رأيتُه أنا أنه مات بعض(٢) أعيان الأمراء مقدّمى الألوف ، فلم يقدروا

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٥٥) .
(٢) ورد فى هامش الأصل « وفاة أخى سيدى يوسف المؤرخ » .

له على تابوت حتى أخذ له تابوت من السّبيل ، وأما الأخ [رحمه الله] (١) فإنه لما تُوُفّى إلى رحمة الله تعالى وجدنا له تابوتاً ، غير أنه لا عدّة فيه ، فلما وضع الأخ فيه طُرِحَ عليه سَلّارِى سَمّور من قماشه ، على أن الغاسل أخذ من عليه قماشاً يساوى عشرين ألف(٢) درهم ، ومع هذا لم ينهض أهلُ الحانوت بكسوة تابوته .

وبلغ عِدّة من صلى عليه من الأموات بمصلّى باب النصر فى يوم الأحد عاشر جمادى الآخرة خمسمائة وخمسة ، وقد أقام هناك جماعة كبيرة بأدوية وأقلام لضبط ذلك ، وبطل الصلاة بالمصلاة وإنما صار الناس يصلون على أمواتهم صَفّاً واحداً من باب المُصَلّى إلى تجاه باب دار الحاجب ، فكان يُصَلّى على الأربعين والخمسين معاً دفعة واحدة ، ومات لشخص بخدمتنا يُسَمّى شمس الدين الذّهبى ولدٌ فخرجنا معه إلى المُصَلّى ، وكان سِنُّ الميّت دون سبع سنين ، فلما أن وضعناه للصّلاة عليه بين الأموات جىء(٣) بعدّة كبيرة أُخرى إلى أن تجاوزَ عددُهم الحدّ ، ثم صُلِّىَ على الجميع ، وتقدمنا لأخذ الميّت المذكور(٤) فوجدنا غيرنا أخذه وترك لنا غيره فى مقدار عُمْره ، فأخذه أهلُه ولم يفطنوا به ، ففهمت أنا ذلك ، وعرّفت جماعةً أخر ولم نُعْلِمْ أباه بذلك ، وقلنا لعلّ الذى أخذه يُوَارِيه أحسن مُوَاراة ، وليس للكلام فى ذلك فائدة غير زيادة فى الحُزْن ، فلما دُفِنَ الصّبِىّ وأخذ أهلُ الحانوت التّابوت صاحوا وقالُوا : ليس هذا تابُوتَنا هذا عتيق وقماشه أيضاً خَلَق ، فأشرتُ إليهم بالسّكات وهدّدَهُم بعضُ المماليك بالضّرب ، فأخذوه ومضوا ، فكانت هذه الواقعة من الغرائب المهولة ، كل ذلك والطاعون فى زيادة ونموّ حتى أيقن كلُّ أحد أنه هالك لا محالة ، وكنا نخرج من صلاة الجمعة إلى بيتنا وقد وقف جماعةٌ من الأصحاب والخَدَم فنتعادد إلى الجمعة الثانية فينقُص منا عِدّة كبيرةٌ ما بين ميّت ومريض ، واستسلم كلُّ أحد للموت وطابت نفسه لذلك ، وقد أوصى وتابَ وأنابَ ورجع عن أشياء كثيرة ، وصار غالب الشّباب فى يَدِ

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٥٤) .
(٢) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٥٦ « عشرة آلاف » .
(٣) فى الأصل « فجاء » وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٥٦) .
(٤) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٥٦) .

مُغَفّلى[1] الأتراك ، وساق الحكايةَ فى ذلك الملأمن الناس من أولها إلى آخرها ، وأبو الخير ينقله من ذلك [الكلام][2] إلى كلام غيره ، ويقصد كفّه عن الكلام ، بكل ماتصل قدرته إليه ، وهو لايرجع عما هو فيه ، إلى أن استتم الحكاية ؛ وكان من جملة اعتذاره إليه ، أن قال له ، مامعناه : « والله ياسيدى القاضى ، أنا رأيتك شاب فقير ، من جملة الباعة ، وحرّضونى[3] عليك ، بأنك تأكل أموالَ الناس ، فما كنت أعرف أنك تصل إلى هذا الموصل ، فى هذه المدة اليسيرة ؛ ووالله [لو كنت][4] أعرف أنك تبقى رئيس ، لكنت وزنتُ [١٤٣] عنك المال » . وشرع فى اعتذار آخر ، وقد ملأ النحاس مما سمع من التوبيخ ، فاستدرك فارطه بأن قام على قدميه واعتنق السُّودونى ، وأظهر له أنه زال ما عنده وأوهم أنه يريد الدخول إلى حرمه حتى مضى عنه إلى حال سبيله ؛ وتحاكى الناس ذلك المجلس أياما كثيرة[5]. هذا ما بلغنا من بعض أصحاب النحاس ، وقد حكى غيرُ واحد هذه الحكايةَ على عدة وجوه ، وليس هذا الأمر من أخبارٍ تُحَرر ، وماذكرناه إلا على سبيل الاستطراد — انتهى .

وفى هذه الأيام توقف ماء النيل عن الزيادة ، بل تناقص نقصا فاحشا ، ثم أخذ فى زيادة مانقصه ، فاضطرب الناس لذلك ، وتزايدت الأسعار إلى أن أبيع الإردب القمح بأربعمائة درهم[6] .

---

(١) فى ا (منفلين) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (حرضوا) .
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا (كثيرا) .
(٦) بصدد نقصان النيل وارتفاع الأسعار ، رسم السلطان جقمق بأن يخرج الناس للاستسقاء ، فخرج القضاة الأربعة والخليفة المستكفى بالله سليمان ومشايخ العلم والصلحاء وأعيان الناس ، ولكن السلطان جقمق لم ينزل مع الناس على عكس المؤيد شيخ الذى نزل بنفسه من قبل واستسقى مع القوم .
وقد اضطربت أحوال الناس لارتفاع الأسعار حتى سعر الماء ، وزاد من سوء الحال أن الأمراء نقلوا المخزون من حبوبهم إلى منازلهم خوفا من نهب العامة .
يقول ابن إياس : «وتشحط اللحم والجبن وسائر البضائع» . ورثى بعض الشعراء الخبز لما عزّ ، بشعر طريف ، أشار فيه إلى فداحة ارتفاع السعر (بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١-٣٢) .

ثم فى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه ، وصل الأمير جانِبَك الظاهرى نائب جدة ، وخلع السلطانُ عليه خلعةً هائلة ، ونزل إلى داره ، وبين يديه وجوه الناس على كَره من أبى الخير النحاس .

ثم فى يوم الاثنين ثانى عشر شهر رجب ، خلع السلطان على الشيخ يحيى المناوى ، باستقراره قاضىَ قضاةِ الشافعية ، بعد عزل قاضى القضاة علمِ الدين صالح البُلْقِينى .

ثم فى يوم الخميس خامس عشره ، استقر الأميرُ يَرْشباى الإينالى المؤيدى الأمير آخور الثالث ، أميرَ آخور ثانيا بعد موت سُودون أتمكجى ، وأنعم عليه بطبلخاناته ، واستقر الأميرُ سُنْقُر الظاهرى الُجعَيْدِى أميرَ آخورٍ ثالثا ، وهو فى التجريدة بالبحيرة .

ثم فى يوم الثلاثاء عشرينه ، رسم السلطانُ بأن يُكتب مرسوم شريف إلى دمشق ، بضرب الزينى عبدِ الرحمن بن الكُوَيْز ، وحبْسِه بقامة دمشق ، وله سبب ذكرناه فى « الحوادث »[1] .

ثم فى يوم الاثنين سادس عشرين [شهر][2] رجب ، استقر علاء الدين بن آقْبَرس ناظر الأحباس ، بعد عزل قاضى القضاة بدر الدين محمود[3] العينى عنها ، لكبر سنه ، فلم يُشْكر ابنُ أقبرس على ما فعله لسعيه فى ذلك سعياً زائدا ، وكان الأَليق عدم مافعله لأن مقام كل منهما معروف فى العلم والقدر والرئاسة .

ثم فى يوم الخميس تاسع عشرين [شهر][4] رجب [المذكور][5] ، جرت حادثة غريبة ، وهو أنه لما كان وقت الخدمة السلطانية ، أعنى بعد طلوع الشمس بقدر عشرة[6] درج ، وقفت العامة بشوارع القاهرة من داخل باب زَوِيلة إلى تحت القلعة ، وهم يستغيثون

---

(١) راجع حوادث الدهور ج ١ ورقة ١١٤ .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا ، والمثبت عن ا والتبر المسبوك .
(٤) ، (٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى ا (عشر) .

والفناء ، فأيقن كلُّ أحد بتزايد أثمان الأضحية ، فلما كان العشر الأول من ذى الحجة ، وصل إلى القاهرة من البقر والغنم شىء كثير ، حتى أبيعت بأبخس الأثمان .

ثم فى يوم تاسع عشر ذى الحجة المذكور ، سُمِّرَ نجمُ الدين أيوب [بن حسن بن محمد نجم الدين بن البدر ناصر الدين][1] بن بشارة ، وطيف به ، ثم وسِّط من يومه ، ووُسِّط معه شخص آخر من أصحابه ، وقد ذكرنا سبب القبض عليه وما وقع له فى تاريخنا « حوادث الدهور فى مدى[2] الأيام والشهور » ، إذ هو محله[3] .

ثم فى يوم السبت رابع عشرينه ، عَزل السلطانُ الأميرَ علان المؤيدى ، عن حجوبية حجاب حلب ، لأمر وقع بينه وبين نائب حلب ، الأمير قانى باى الحمزاوى ، ورسَم بتوجُّه علان المذكور إلى مدينة طرابلس بطالا ، واستقر عوضَه فى حجوبية حلب قاسم بن جمعة القساسى ، وأنعم بإقطاع قاسم على الأمير جانِبَك المؤيدى المعروف بشيخ ، المعزول أيضا [١٤٦] عن حجوبية حلب قبل تاريخه ، والإقطاع إمرة طبلخانات بدمشق . وفيه رسم السلطانُ لمَمَاى السيفى بَيْبَغَا المظفرى ، أحد الدَّوَادَارِيَة الصغار ، بالتوجه إلى ثغر دِمْياط ، وأخذ الأمير يَشْبَك الصوفى منه وتحبسه بثغر الإسكندرية مقيّدا ؛ ووقع ذلك .

ثم فى يوم الخميس خامس عشرين ذى الحجة ، رسم باستقرار الأمير يَشْبَك النَّوْرُوزِى ، حاجب حجاب دمشق ، فى نيابة طرابلس ، عوضا عن يَشْبَك الصوفى المقبوض عليه قبل تاريخه ، وولاية يشبك المذكور طرابلس ، على مال كبير بذله له ، وحَمل إليه التقليدَ والتشريفَ بنيابة طرابلس ، الأميرُ أَسَنْبَاى الجمالى الساقى الظاهرى

(١) من الضوء اللامع .
(٢) فى ا (مدا) .
(٣) نجم الدين هذا هو مقدم المشير ببلاد صيدا ، وقد وصفه أبو المحاسن بسوء السيرة ونعته بالظلم ، من ذلك أنه – أى نجم الدين – « تزوج بثمانى نسوة وأنه قتل بيده جماعة ، وأمر بقتل سبعة وعشرين نفرا ، وأنه استولى فى مدة مباشرته ، وهى نحو أربع سنوات ، على مائتى ألف دينار وسبعة عشر ألف دينار وأربعمائة .. »
(حوادث الدهور ﺟ ١ ورقة ١٠٦ ؛ انظر كذلك التبر المسبوك ص ٢٦٨) .

جَقْمَق ، ورسم السلطان بإعادة الأمير جانِبَك الناصرى إلى حجوبية دمشق ، عوضا عن يَشْبَك النَّوْرُوزِى .

وفرغت هذه السنة والديارُ المصرية فى غاية ما يكون من غلو الأسعار . وفى هذه السنة أيضا ، ورد الخبرُ بوقوع خَسْفٍ بين أرض سِيس وطرسوس ، ولم أتحقق مقدارَ الأرض التى خُسفت . وفيها أيضا كان فراغُ مدرسة زين الدين الأستادّار ، بخط بولاق على النيل ، ولم أدر المصروفَ على بنائه من أى وجه ، ومَن كان له شىء فله أجره .

واستهلت سنة أربع وخمسين وثمانمائة الموافقة لحادى عشرين مسرى ، والناسُ فى جهد وبلاء من غلو الأسعار ، وسعر القمح ثمانمائة درهم الأردب ، وقد ذكر سعر جميع المأكولات فى « حوادث الدهور »[1] .

ولما كان يوم السبت أول محرم سنة أربع وخمسين المذكورة ، وصل الأميرُ بَرْدبك العجمى الجَكَمى المعزول عن نيابة حماة من ثغر دِمْياط ، وطلع إلى القلعة ، وأنعم السلطانُ عليه بإمرةِ مائةٍ وتقدمةِ ألفٍ بدمشق .

وفى هذه الأيام وصلت إلى القاهرة رِمَّة[2] قاسم المؤذى الكاشف ، غريم السُّنْقُطى ليدفن بالقاهرة .

ثم فى يوم الخميس ثالث عشر المحرم ، وصل الأميرُ جَرِبَاش الكَرِيمى ، أمير سلاح من الحجاز ، وتخلف قاضى القضاة بدرُ الدين الحنبلى عنه مع الركب الأول من الحاج ، وكان الزينى عبدُ الباسط بن خليل ، سبق الأميرَ جَرِبَاش من العقبة ، ودخل القاهرة قبل تاريخه ، وخلع السلطانُ على جَرِبَاش المذكور كاملية بمقلب سَمُّور ، وخرج من عند السلطان ، ودخل إلى ابنته زوجة السلطان ، وهى يوم ذلك صاحبةُ القاعة

(١) راجع حوادث الدهور ﺟ ١ ق ١ ورقة ١٢٠ ، وانظر التبر المسبوك ص ٢٧١ .
(٢) رمة أى جثمان ، أو العظام البالية (انظر القاموس المحيط) .

وكان السلطان قد أرسل فى أول هذا النهار جوهراً التركمانى الطواشى ، إلى أبى الخير النحاس ، يسأله عن الأموال ، ويهدده بالضرب والنكال ، فلم يلتفت أبو الخير إلى ما جاء فيه جوهر ، وقال : قد أخذ السلطانُ جميعَ مالى ، وما بقى فهو يباع فى كل يوم .

ثم أخذ أمرُ الشريف المُدَّعِى على أبى الخير النحاس ، فى انحلال ، من كَوْن [القاضى][1] الشافعى أثبت فِسقَ القاضى عز الدين البساطى ، أحد نواب الحكم المالكى ، وهو أحد من شهد على أبى الخير المذكور لأمر من الأمور ، ولا نعرف على الرجل إلا خيراً ، ووقع بسبب ذلك أمور ، وعَقْدُ مجالس بالقضاة ، بحضرة السلطان ، وآل[2] الأمرُ [على][3] أن السلطان حبس الشريفَ والشهودَ فى الحبس بالمقشَرة ، وتراجَع أمرُ أبى الخير النحاس بعد ما أُرجف بضرب رقبته غيرَ مرة ، ثم رسم السلطانُ فى اليوم الذى حبَس فيه الجماعةَ المذكورة ، بإخراج أبى الخير النحاس من حبْس الديلم ، وتوجُّهه إلى بيت قاضى القضاة الشافعى ، فأخرجه الوالى من سجن الديلم مُجنزراً بين يديه ، وشق به الشارعَ وهو راكبٌ خلفه ، ماشٍ على قدر مشية النحاس ، إلى أن أوصله إلى بيت القاضى الشافعى ، بخط سُوَيقة الصاحب ، وقد ازدحمت الناسُ لرؤيته ، وكان الوقت قبيل العصر بنحو العشر درج ؛ ومَرَّ أبو الخير على مواضع كان يمر بها فى موكبه أيام عزه ، والناس بين يديه ؛ وبالجملة فخروجُه الآن من حَبْس الديلم ، خير من توجهه إليه من بيت القاضى المالكى ، والمرادُ به الآن خير مما كان يُراد به بعد[4] ذلك .

ولما وصل أبو الخير إلى بيت القاضى الشافعى ، أسلمه والى القاهرة إليه ، فأمر القاضى فى الوقت ، برفع الجنزير من عنقه ، ثم قام بعد ساعة ، شخصٌ وادعى على أبى الخير بدعاوٍ كثيرة شنعة ، اعترف أبو الخير ببعضها ، وسكت عن البعض ، فحكم القاضى عند ذلك بإسلامه ، وحقن دمه ، وفعل ما وجَب عليه من التعزير ، بمقتضى مذهبه ،

(١) ، (٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (وذاك) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى طبعة كاليفورنيا (يوم) ، والأنسب ما أثبت فى المتن عن ا .

وسلمت مهجتُه ، بعد أن أيقن كلُّ أحد بسفك دمِه ، وذهاب روحه ، وذلك لعدم أهلية أخصامه ، وضعف شوكتهم ، وعدم مساعدة المقر الجمالى ناظر الخواص[1] على قتله ، فإنه لم يتكلم فى أمره من يوم أُمسك [١٥٣] ، إلا فيما يتعلق به من شأنه ، ولم يداخلهم فيما هم فيه البتة ، مع أنه كان لا يكره ذلك ، لو وقع ، غير أنه لم يتصدّى لهذا الأمر فى الظاهر بالكلية ، احتفاظاً لرئاسته ودينه . وأنا أقول : لو كان أمرُ النحاس هذا مع ذلك الجزار جمال الدين الأستادّار ، أو غيره من أمثاله ، لألحقوه بمن تقدمه من الأمم السالفة ، ولكن « لكل أجل كتاب » .

وبعد أن عزّره القاضى ، أمر بالترسيم عليه ، حتى يتخلص من تعلقات السلطنة .

ثم فى يوم الجمعة ثامن عشرين جمادى الآخرة ، رسم السلطانُ بالإفراج عن الشريفِ غريمِ النحاس ، وعن الشهود من حَبْس المقشرة ؛ ورسَم بنفى النحاس إلى مدينة طرسوس ، محتفظاً به ، وأنه يقيد ويجنزر من خانقاه سرياقوس ، فمضى جانبك الوالى إليه ، وأخرجه من بيت القاضى الشافعى راكباً على فرس فى الثلث الأول من ليلة السبت تاسع عشرينه ، وذلك بعد أن حلف أبو الخير المذكور فى أمسه يميناً مغلظاً بمجلس قاضى القضاة شرفِ الدين يحيى المناوى ، أنه لم يبق معه شىء من المال غير مبلغ يسير جداً ، برسم النفقة ، وأنه صار فقيراً لا يملك ما قلّ ولا جلّ ، فسبحان المطلع على السرائر .

وفرغ هذا الشهرُ والناسُ فى جهد وبلاء من غلوّ الأسعار فى جميع المأكولات ، وتزايد أثمان البغال ، لكثرة طلابها من الفقهاء والمتعممين ، لشدة المماليك الجلبان فى منعهم من ركوب الخيل .

ثم فى يوم الخميس رابع[2] [شهر][3] رجب ، برز الأميرُ سَونْجُبُغا اليونسى الناصرى من القاهرة ، إلى بركة الحاج أميرَ الرجبية ، وسافر فى الركب المذكور الأميرُ

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (رابع عشر) ، والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك ، ومما يلى من سياق الحوادث .
(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

إلى التقاوى والأبتار ، وقد عزّ وجود البقر حتى أبيع الزوج البقر الهائل ، بمائة وعشرين ديناراً ، وما دونها ، وأغرب من ذلك ماحدثنى السيفى إياس خازندارُ الأتابك آقبغا التمرازى ، بحضرة الأمير أزْبَك الساق ، أنه رأى ثوراً هائلا ، ينادى عليه بأربعين ألف درهم[1] ، فاستبعدتُ أنا ذلك ، حتى قال [١٥٨] الأمير أزبك : « نعم ، وأنا سمعته أيضاً يقول هذا الخبر للمقر الجمالى ناظر الخواص » . ثم استشهد إياس المذكور بجماعة كثيرة على صدق مقالته ، وهذا شىء لم نعهد بمثله . هذا مع كثرة الفقراء والمساكين ، ممن افتقر فى هذه السنين المتداولة بالغلاء والقحط ، مع أنه تَمَفْقَرَ خلائق كثيرة ممن ليس له مروءة ، وأمسك فى هذه الأيام جماعة كثيرة من الباعة ، ومعهم لحوم الدواب الميتة ، ولحم الكلاب ، يبيعونها [على الناس][2] ، وشهروا بالقاهرة ، وقد استوعبنا أمر هذا الغلاء وما وقع فيه من الغرائب من ابتداء أمره إلى آخره ، وقد مكث نحو الأربع سنين فى تاريخنا « حوادث الدهور فى[3] مدى الأيام والشهور » ، محرراً باليوم والساعة[4] .

ثم فى يوم الخميس حادى عشر شهر رمضان استقر الناصرى [ناصر الدين][5] محمد ابن مبارك [نائب البيرة][6] فى حجوبية دمشق ؛ بعد عزل الأمير جانبَك الناصرى ؛ وتوجهه إلى القدس بَطّالا .

(١) انظر التبر المسبوك ص ٣٥٢-٣٥٣ .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (على) .
(٤) عن حوادث الدهور (حـ ١ ورقة ١٧٤-١٧٥) : « .. الأسعار فى زيادة عن الحد ، فالقمح بألف وخمسمائة درهم الأردب إلى ما دونها ، الشعير نحو ألف درهم الأردب ، وهما فى قلة إلى الغاية ، الدقيق العلامة : البطة ٥٠٠ درهم إلى ما دونها ، التبن : ٥٠٠ درهم الحمل ، وأبيع التبن بثغر دمياط الحمل بألف درهم ، الفدان البرسيم الأخضر ٢٠ أشرفيا إلى ٣٠ ؛ الحطب ١٠٠ درهم الحمل ، اللحوم قليلة ، الجبن المقلى لا يوجد إلا نادرا ، الجبن الأبيض الجاموسى ١٢ درهما الرطل ، الشيرج والزيت ٢٤ درهما الرطل ، الزيت الحار ٢٥ درهما الرطل ؛ وأجرة طحن الأردب من القمح ١٢٠ درهما ، وقد اتخذ غالب الناس فى بيوتهم كل واحد رحى من حجر يطحن بها قمحه ، والسمن ٣٠ درهما الرطل ، والعسل النحل نحو ذلك ، الدبس ١٢ درهما الرطل .. »
(٥) ، (٦) ما بين الحواصر عن التبر المسبوك ص ٣٥٢ .

ووقع فى هذا الشهر ، أعنى عن شهر رمضان ، غريبة ، وهى أن جماعةَ أرباب التقويم والحساب أجمعوا على أنه يكون فى أوائل العشر الأخير من هذا الشهر قران نحس يكون فيه قطع عظيم ؛ على السلطان الملك الظاهر جَقْمق ، ثم فى أواخر العشر المذكور يكون قران آخر ، ويستمر القطع على السلطان من أول العشر إلى آخره ، وأجمعوا على زوال السلطان بسبب هذه القطوع ، فمضى هذا الشهر والسلطانُ فى خير وسلامة ، فى بدنه وحواسه ، ولازمته أنا فى العشر المذكورة ملازمةً غيرَ العادة ، لأرى ما يقع له من التوعك أو الأنكاد ، أو شىء يقارب مقالةَ هؤلاء ، ليكون لهم مندوحة فى قولهم ، فلم يقع له فى هذه المدة ما كدّر عليه ؛ ولاتشوّش فى بدنه ، ولا ورد عليه من الأخبار ما يسوء ؛ ولا تنكد بسب من الأسباب ؛ وقد كان شاع هذا القولُ حتى لعله بلغ السلطانَ أيضا ، وفرغ الشهر ، ولم يقع شىء مما قالوه بالكلية ؛ ويأبى الله إلا ما أراد ؛ ويعجبنى فى هذا المعنى قول القائل ، ولم أدر لمن هو : [البسيط]

دَعِ المُنَجِّمَ يَكْبُو فى ضَلاَلَته ... إن ادَّعَى علمَ ما يَجْرى به الفَلَكُ
تَفَرَّدَ اللهُ بالعلم القديم فلا ... الإنسانُ[1] يُشْرِكُهُ فيه ولا المَلَكُ

ومثل هذا أيضا ، وأظنه قد تقدم ذكره : [البسيط]

دع النجومَ لِطُرْقِىٍّ يعيشُ بها ... وبالعزيمة فانْهَضْ أيها المَلِكُ
إن النبىَّ وأصحابَ النبىِّ نَهَوْا ... عن النجوم وقد أبصرتَ ما مَلَكُوا

ثم فى يوم الجمعة ثالث شوال ، ورد الخبر بموت يَشْبُكَ الحمزاوى نائب صَفَد بها ، فى ليلة السبت سابع عشرين[2] شهر رمضان ، فرسم السلطانُ بنيابة صَفَد للأمير بَيْغُوت الأعرج ثانياً ، وحُمل إليه التقليد والتشريف[3] على يد الأمير يشبك الفقيه المؤيّدى ، بنيابة صَفَد ؛ ويشبك المذكور من محاسن الدنيا ، نادرة فى أبناء جنسه ؛ وأنم بتقدمة

(١) فى ا (انسان) .
(٢) فى ا (عشر) ، والمثبت هو الصواب من طبعة كاليفورنيا والضوء اللامع .
(٣) فى ا (بالتشريف) .

يدَّعِى فى الهوَى إخَائى ونُصْحى ليْتَ شِعرى من أيْنَ هذا الإخاء؟
عَيْنُهُ عن محاسن الحبِّ عميا ءُ وأذْنِى عن عَذْلِهِ صَمَّاءُ

وهى أطول من هذا ، تزيد على ستين بيتا ، كلها على هذا النسق [١]،[٢] عفا الله تعالى عنه [٣] :

[٢٠٠] وتوفى السيد الشريف سراج الدين عبد اللطيف الفاسى الأصل ، المكى المولد والمنشأ ، الحنبلى ، قاضى قضاة الحنابلة بمكة ، بها ، فى أواخر هذه السنة ، عن سن عال ، وكان سيداً كريماً متواضعاً ، رحل إلى بلاد الشرق غير مرة ، وأقبل عليه [القانُ معين الدين] شاه رخ بن تَيْمُور وابنُهُ أُلُوغ [٤] بك صاحب سَمَرْقَنْد ، وعاد إلى مكة بأموال كثيرة ، أتلفها فى مدة يسيرة ، لكرم كان فيه ، وهو [٥] أول حنبلى تولى القضاء بمكة استقلالا ، رحمه الله تعالى [٦] .

وتوفى قاضى القضاة أمين الدين أبو اليمن محمد [بن محمد بن على بن أحمد بن العزيز الهاشمى العُقيلى] [٧] النويرى الشافعى، قاضى قضاة مكة وخطيبها ، فى ذى القعدة عن نحو ستين سنة تخميناً ، وهو قاض ، وكان فاضلا دينا خيِّراً خطيبا فصيحا مفوها كثير الصوم والعبادة ، مشكور السيرة فى أحكامه ، فرداً فى معناه ، لم أر بمكة المشرفة فى مدة مجاورتى من يدانيه فى الطواف ، وفى كثرة العبادة ، رحمه الله تعالى [٨] .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم سبعة أذرع وخمسة عشر أصبعا ، مبلغ الزيادة : ثمانية عشر ذراعا وثلاثة أصابع .

(١) أورد السخاوى فى التبر المسبوك (ص ٢٩٤-٢٩٨) وفى الضوء اللامع (حـ١٠ ص ٢١٧-٢٢١) ترجمة وافية له ، فضلا عن كثير من شعره .
(٢) ، (٣) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (الفرع) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا وزمباور (حـ٢ ص ٤٠١) .
(٥) فى ا (وهذا) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ، ولا فرق يذكر .
(٦) هذه الفقرة الخاصة بترجمة الشريف سراج الدين عبد اللطيف الفاسى هى التى ذكرت سهوا فى ا فى غير موضعها ، ومكانها الصحيح هو المثبتة به هنا بالمتن (راجع ما سبق ص ٥١٨ حاشية ٣) .
(٧) عن التبر المسبوك .
(٨) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

السنة الثالثة عشرة من سلطنة الملك الظاهر جقمق على مصر

وهى سنة أربع وخمسين وثمانمائة .

فيها كان الشراقى العظيم [١] بمصر ، والغلاء المفرط المتداول إلى سنة سبع وخمسين، وكان ابتداء الغلاء من السنة الخالية ، لكنه عظم فى هذه الجهة بوقع الشراقى ، وتزايد ، وبلغ سعر القمح إلى ألفى درهم الأردب ، والحمل التبن إلى سبعمائة درهم ، وقس على ذلك حسبما نذكره فى وقته ، على طول السنين .

[فيها] [٢] توفى المسند [٣] المعمر شمس الدين محمد بن الخطيب عبد الله الرشيدى ، الشافعى ، خطيب جامع الأمير حسين بِحِكْر النُّوبى [٤] خارج القاهرة ، فى يوم الجمعة حادى عشر شهر [ربيع الأول ، ومولده فى ليلة رابع عشر] [٥] شهر رجب سنة تسع وستين وسبعمائة ، وكانت له مسموعات كثيرة ، وحدّث سنين وتفرّد بأشياء كثيرة ، ولنا منه إجازة ، وكان شيخاً منوَّر الشيبة فصيحاً مفوها خطيبا بليغا ، رحمه الله .

وتوفى الأمير سيف الدين شاد بك بن عبد الله الجَكَمى ، أحد مقدمى الألوف بديار مصر ، ثم نائب الرُّهَا، ثم حماة ، بطالا بالقدس ، بعد مرض طويل ، فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول ؛ وكان أصله من مماليك الأمير جَكَم مِن عَوَض نائب حلب ، وتنقل فى الخدم من بعده ، إلى أن صار بخدمة الأمير طَطَر ، فلما تسلطن ططر ، قرَّبَه وأنعم عليه ، ثم تأمّر عشرةً بعد موته ، وصار من جملة رؤوس النوب ، ثم

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (السيد) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) حكر النوبى منسوب لجوهر النوبى ، أحد أمراء الدولة الأيوبية (الخطط حـ ٢ ص ١١٩ ، السلوك حـ ١ ص ٥٠٥ حاشية ١) .
(٥) عن طبعة كاليفورنيا .

السنة الرابعة عشرة من سلطنة الملك الظاهر جقمق على مصر

وهى سنة خمس وخمسين وثمانمائة :

وفيها كان تزايد الغلاء حتى خرج عن الحدّ ، وبيع القمح بنحو ألف وخمسمائة درهم الإردب ، والفول والشعير بألف درهم الإردب ، ثم تزايد بعد ذلك على ما حرّرناه فى الحوادث [1] .

وفيها تُوُفِّىَ الخليفةُ أمير المؤمنين المستكفى بالله أبو الرّبيع سليمان ابن الخليفة المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بالقاهرة ، فى يوم الجمعة ثانى المحرم ، وقد تقدّم ذكرُ نسبه إلى العباس فى ترجمة أخيه المعتضد داود من هذا الكتاب .

وتولى الخلافةَ بعدة أخوه حمزة بغير عَهْدٍ منه ، ولُقّب بالقائم بأمر الله .

ونزل السلطانُ الملكُ الظاهرُ للصلاة عليه بمصلاة المؤمنى [2] ، ومشى فى جنازته إلى أن شهد دفنه ، وربما أراد حمل نعشه فى طريقه ، ومات المستكفى وهو فى عشر الستين ، بعد أن أقام فى الخلافة تسع سنين ونحو عشرة أشهر . وكان ديّنًا خيّرًا ، مُنْجَمِعًا عن الناس بالكُلِّيَّة ، كثير الصَّمت ، قليل الكلام ، ذكر عنه أخوه أمير المؤمنين المعتضد داود — وكان شقيقه — عند ماعهد له بالخلافة فى مرض موته ، أنه لا يعرف عليه كبيرةً فى مدة [3] عمره — رحمه الله تعالى .

---

(١) يقصد المؤلف بذلك كتابه الذى عنوانه «حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور» ، وهو يشير هنا إلى ذلك الكتاب بهذا اللفظ الواحد فى كثير من المواضع فيما يلى ، وقد رمز إليه المستشرق وليم پوپر فى تحقيق الجزء السابع من النجوم الزاهرة طبعة كاليفورنيا بحرف H . معتبرا إياه نسخة أخرى من كتاب النجوم الزاهرة ، كما يكثر كذلك من الإشارة إلى كتابه الآخر الذى عنوانه المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى باللفظين الأولين من هذا العنوان .

(٢) مصلاة المؤمنى : تنسب إلى الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله المؤمنى فقد أنشأها وأنشأ بجوارها سبيلا حوالى سنة ٧٦٥ هـ (على مبارك الخطط ٥ : ١٢٣) .

(٣) فى جميع الأصول «منذ» والصواب ما أثبتناه .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشرين شهر رمضان نُودِىَ بالقاهرة من قِبَل السلطان بعدم تعرّض المماليك الأجْلاب إلى الناس والباعة والتجار ، فكانت هذه المناداة كضرب رباب أو كطنين ذُبَاب ، واستمرّوا على ما هم عليه من أخذ أموال الناس والظلم والعنف حتى غلَت الأسعار فى سائر الأشياء من المأكول والملبوس والغلال والعلوفات ، وصاروا يخرجون إلى ظواهر القاهرة ، ويأخذون ما يجدون من الشّعير والتِّبن والدّريس بأبخس الأثمان إن أعطوا ثمنا ، وإن شاءوا أخذوه بلا ثمن ، وكلٌّ من وقع له ذلك معهم لم يعد ثانياً إلى بيع ذلك الصنف إلا أن يكون محتاجاً لبيعه ، ففرّت لذلك هذه الأصناف بحيث إنها صارت أقل وجوداً من أيّام الغلاء ، فصار هذا هو الغلاء بعينه ، وزيادة على الغلاء عدم الشىء .

ثم شرعوا فى نهب حواصل البطيخ الصيفى وغيره ، ثم تزايد أمرُهم ، وشرعوا يفعلون ذلك مع تجار القماش وغيره ، فغلت جميع الأسعار مع كثرتها عند أربابها ، فضرّ ذلك بحال الناس قاطبة ، رئيسها وخسيسها ، وهذا أول أمرهم[1] ، وما سيأتى فأهول .

وفى يوم الاثنين تاسع عشر شوال خرج أمير حاج المحمل بالمحمل من بركة الحاج[2] ، وهو الأمير قانم من صفر خجا أحد مقدّمى الألوف ، وسار إلى البركة دفعة واحدة ، فكان عادة أمراء المحمل النزول بالمحمل إلى الريدانية ، فبطل ذلك ، وصاروا يتوجهون إلى البركة فى مسير واحد ، وأمير الرّكب الأوّل عبد العزيز بن محمد الصغير أحد الأجناد .

وفى هذه الأيّام كانت عافية الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص من مرض

(١) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٤١ عن كتاب الحوادث « والسلطان مع ذلك لا يزداد فى مماليكه المذكورين إلا محبة وقياما فى نصرتهم بكل ما تصل إليه قدرته . فلا قوة إلا بالله » .

(٢) وصف المقريزى (الخطط ، طبعة النيل ، ج ٣ ، ص ٢٦٥–٢٦٧) هذه البركة بقوله : « هذه البركة فى الجهة البحرية من القاهرة على نحو بريد منها ، عرفت أولا بجب عميرة ، ثم قيل لها رأس الجب ، وعرف إلى اليوم ببركة الحجاج من أجل نزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودهم » .

أشرف فيه على الموت ، وطلع إلى القلعة ، وخلع السلطان عليه ونزل إلى داره فى يوم مشهود لم يُرَ مثله إلا نادراً .

وفى يوم الخميس سابع عشرين ذى القعدة استقرّ الأمير سودون النوروزى السلاح دار أحد أمراء الطبلخانات فى نيابة قلعة الجبل بعد موت قانى باى الأعمش النّاصرى ، وأنعم السلطان بإقطاع قانى باى المذكور على ولده الصغير المقام الناصرى محمد ، والإقطاع إمرة عشرة .

واستهلت سنة إحدى وستين وثمانمائة يوم الاثنين الموافق لثالث كيهك أحد شهور القبط .

فلما كان يوم السبت سادس المحرم ضرب السلطان والى القاهرة خيربك القصروى ، وعزله عن ولاية القاهرة ، وحبسه بالبرج على حمل عشرة آلاف دينار ، فدام فى البرج إلى أن أُطلق فى يوم عاشره ، واستقر عوضه فى ولاية القاهرة على بن إسكندر ، واستقرّ فى نقابة الجيش الأمير ناصر الدين بن أبى الفرج — على عادته أوّلا — عوضاً عن على بن إسكندر المذكور[1] .

وفى يوم السبت هذا نودى أيضاً على الذّهب بأن يكون صرف الدّينار الذى هو وزن درهم وقيراطين ثلاثمائة درهم نقرة ، وكان بلغ صرفه قبل ذلك إلى ثلاثمائة وسبعين نقـــرة ، وأضرّ ذلك بحال الناس زيادة على ما هم فيه من أمْرِ المماليك الأجلاب .

وفى يوم الاثنين خامس عشر المحرم المذكور ورد الخبر على السلطان بموت يشبك[2] حاجب حجّاب طرابُلُس ، فرسم باستقرار شادْ بك الصارمى[3] عوضه فى حجوبية الحجاب ، والمتوفى والمولّى كلاهما وَلِىَ بالبذْل .

(١) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٤٧٣ عن كتاب الحوادث « ببذل المال فى ولاية كل من الوظيفتين ، وكان السبب فى عزل خير بك شكوى بعض الناس عليه » .

(٢) هو يشبك السيفى قانى باى (هامش و. پوپر ٧ : ٤٧٣) .

(٣) أحد أمراء طرابلس (هامش المرجع السابق) .

القضاةُ ، وسُرَّ الناس بهذا الأمر غاية السرور ؛ فإنه كان حصل بتلك الفضّة المغشوشة غاية الضرر فى المعاملات وغيرها .

غير أنه ذهب للناس بهذا النقص فى سعر الفضة المغشوشة مالٌ كثير ، وصار كل أحد يخسر ثلث ما كان معه من المال من هذه الفضة المذكورة ، فانحسر[1] كل من كان عنده من هذه الفضة لوقوع النقص فى ماله ، فرسم السلطان فى اليوم المذكور بالمناداة بنقص ثلث ثمن جميع البضائع فى المأكول والملبوس كما نقص سعر الدرهم الثلث ، وكذلك فى نقص الذهب ، فهان عند ذلك على الناس ما وقع من خسارة الذهب والفضة بهذه المناداة الثانية التى هى بنقص ثلث أثمان جميع الأشياء ، وقال كل واحد فى نفسه : « كما نقص من مالى الثلث نقص من ثمن ما كنت أبتاعه الثلث » ، فكأنه لم ينقص له شىء .

ثم فى يوم الخميس سابع عَشره عمل السلطان المولد النبوى بالحوش من القلعة على العادة فى كل سنة .

ثم فى يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر أنعم السلطان على الأمير أزْبَك مِنْ طَطَخْ الظاهرى المقدَّم ذكره بإمرة عشرة ، عوضاً عن الأمير جَانَم الأشرفى البهلوان ، بحكم وفاته كما سيأتى ذكر وفاته ووفاة غيره فى ذكر الوفيات بعد فراغ الترجمة ، على عادة هذا الكتاب .

وفى يوم الاثنين ثالث عشر شهر ربيع الآخر المذكور وجد السلطان نشاطاً فى نفسه من مرض كان حصل له أياما ، وخرج إلى قاعة الدّهيشة ، ودقّت البشائر لذلك بقلعة الجبل وغيرها ثلاثة أيام .

ثم فى يوم الأحد سادس عشرين ربيع الآخر مات الأمير سودون السلحدار نائب قلعة الجبل ، فأنعم السلطان من إقطاعه بنصف قرية كوم أشْفين[2] على شريكه الأمير يَشْبُك الفقيه المؤيدى ، ليكون من جملة أمراء الطبلخانات ، وأنعم بباقى إقطاع سودون

(١) فى الأصول «فانحصر» .

(٢) كوم أشفين : إحدى قرى مركز قليوب حاليا .

المذكور على الأمير أرغون شاه[1] الأشرفى ليكون من جملة أمراء العشرات ، وأنعم بإقطاع أرْغون شاه[1] المذكور على شريكه الأمير تنبك الأشرفى ليكون تنبك أيضا أمير عشرة ، واستقر كَسْبَاى المؤيدى السمين نائب قلعة الجبل[2] عوضاً عن سودون المذكور على إمْرَة عشرة ضعيفة ، واستقرّ الأمير جانبك الإسماعيلى المؤيَّدى المعروف بكُوهِيَة من جملة رؤوس النُّوَب عوضاً عن كَسْبَاى المقدَّم ذكره ، ولبسا الخلع بعد ذلك بأيام .

ثم فى سلخ شهر ربيع الآخر المذكور خلع السلطان على الأمير بَرْسْبَاى البجاسى حاجب الحجاب باستقراره أمير حاج المحمل .

وفيه خلع السلطان على الحكماء لعافيته من مرضه ، وحضر السلطان موكب[3] القصر مع الأمراء والخاصكية على العادة .

ثم فى يوم الاثنين رابع جمادى الأولى استقر [الطواشى][4] مرجان [الحصنى][4] مقدَّم المماليك السلطانية أمير حاج الرّكب الأول ، لحصل بتولية مرجان هذا إمرة الحاج الأول على أهل مكة مالا خير فيه ؛ لأنه كان فى نفسه وضيعاً[5] ، لم تشمله تربية مُرَبٍّ ، لأنه نشأ ببلاد الحصن ، وخرج منها على هيئة المكدِّين من فقراء العجم ، ودار البلادَ على تلك الهيئة سنين كثيرة ، إلى أن اتصل بخدمة جماعة كثيرة من الأمراء ، ثم آل أمرُه إلى بيت السلطان ، وغلط الدهر بولايته النيابة ثم التقدمة ، ثم بولايته إمرة الركب الأول فى هذه السنة ، فلما سافر أخذ معه جماعة كبيرة من إنيانه[6] المماليك الأجْلاب ، ففعلوا فى أهل مكة أفعالا ما تفعلها الخوارج ، من الظلم وأخذ أموال الناس له ولأنفسهم ، كما سيأتى ذكر ذلك عند عوده من الحج إن شاء الله تعالى .

(١) هذه العبارة ساقطة من ص .

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٩٧ عن كتاب الحوادث « أحد أمراء العشرات ورأس نوبة » .

(٣) فى ص «خدمة القصر» .

(٤ ، ٤) إضافة عن (هامش و. پوپر ٧ : ٤٩٨) .

(٥) فى ص « بغيضا» والمثبت عن ط كاليفورنيا .

(٦) انظر فى التعريف بإنيات حـ ١٢ ص ٩ من هذا الكتاب ط الهيئة العامة للتأليف والنشر .

وكان التعريف فى هذا اليوم ثلاثمائة وستة عشر نفرا ، وكان الذى حرروه فى السبع عشرة مصلاة ألف إنسان وتسعمائة إنسان وعشرة ، وأنكر ذلك غير واحد من الناس استقلالا ، بل قال بعضهم وبالغ : بأن عدة من يموت فى اليوم بالقاهرة أكثر من ثلاثة آلاف نفر ، واعتل بقوله إن الذين ندبوا لضبط المصلوات اشتغل كل منهم بنفسه وبمن عنده وبغلمانه (١) .

قلت : الصواب بل الأصح مقالة الثانى لما شاهدناه من كثرة الجنائز، وازدحام الناس بكل مصلاة — والله أعلم .

وأما أمر الغلاء فنى هذا الشهر أبيع فيه القمح كل إردب بستمائة درهم ، والبطة من الدقيق العلامة بمائة وسبعين درهما ، والرطل الخبز بأربعة دراهم ، وهو عزيز الوجود بالحوانيت فى كثير من الأوقات ، والشعير والفول وكلاهما بأربعمائة درهم الإردب ، وهما فى قلة إلى الغاية والنهاية ، والحمل التبن بأربعمائة درهم ولا بدّ له من حارس من الأجناد يحرسه من المماليك الأجلاب ، هذا والموت فيهم بالجريف (٢) — وصلوات الله على سيدنا عزرائيل — وماسوى ذلك من المأكل فسعره متحسن ، لا كسعر الشعير والتبن والقمح والفول ؛ كون هذه الأشياء يحتاج إليها الأجلاب ، فيأخذونها بأبخس الأثمان ، فترك الناس بيع هذه الأصناف إلا المحتاج ، فعز وجودها لذلك .

ووقع للأجلاب فى هذا الوباء أمور عجيبة ؛ فإنهم لما فرغوا من أخذ بضائع الناس ظهر منهم فى أيام الوباء أخذ إقطاعات الأجناد ، فصاروا إذا رأوا شخصا على حانوت عطار أخذوه ، وقالوا له : لعل الضعيف يكون له إقطاع ، فإن كان له إقطاع عرفهم به ؛ وإن لم يكن للضعيف إقطاع طال أمره معهم إلا أن يخلصه منهم أحد من الأعيان .

ثم بدا لهم بعد ذلك أن كل من سمعوا له إقطاعا من أولاد الناس أو الأجناد القرانيص أخذوا إقطاعه ، فإن كان صحيحا يرتجون مرضه ، وإن كان ضعيفا ينتظرون

(١) فى ص: «وبغلمانه» والمثبت عن ط . كاليفورنيا .

(٢) بالجريف : أى بالكثرة .

موته ، فعلى هذا الحكم خرج إقطاع غالب الناس — الحى والميت — حتى إنهم فعلوا ذلك بعضهم مع بعض ، فصار السلطان والناس فى شغل شاغل ، لأن الأجلاب صاروا يزدحمون عليه لأخذهم إقطاعات الناس ، وعند ما يتفرغ من المماليك الأجلاب يتظلم كل أحد إليه ممن خرج إقطاعه وهو فى قيد الحياة ، فلم يسعه إلا ردّه عليه ، فصار الإقطاع يخرج اليوم ويُرَدّ إلى صاحبه فى الغد ، فصار يكتب فى اليوم الواحد عدة مناشير ما بين إخراج وردّ ، واستمر الناس على ذلك من أول الفصل إلى آخره .

وأغرب من هذا أن بعض الأجلاب اجتاز فى عِظَم أيام الوباء بالصحراء ، فحازى جنازة امرأة على نعشها طرحة زَرْكش ، فاختطفها وساق فرسه فلم يوقف له على أثر .

ووقع لبعض الأجلاب أيضا أنه صدف فى بعض الطرقات جنازة وهو سكران ، فأمره المدير بالوقوف لتمر الجنازة عليه ، فحنق منه ، وأراد ضرب المدير ، فهرب منه ، فضرب الميت على رأسه ، وقد شاهد ذلك جماعة كثيرة من الناس .

وفيما حكيناه كفاية عن فعل هؤلاء الظَّلَمَة — ألا لعنة الله على الظالمين .

وفى يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخرة وصل إلى القاهرة تَغْرى بَرْدى الطيارى الخاصكى المتوجه فى الرسلية إلى جزيرة قُبْرُس ، وصحبته جماعة كثيرة من ملوك الفرنج وأهل قُبْرُس .

والقادمون من الفرنج على قسمين : فرقة تسأل إبقاء مُلك قُبْرُس على المملكة المتولية ، وفرقة تسأل عزلها وتولية أخيها جاكُم الفرنجى الذى قدم إلى القاهرة قبل تاريخه ، فلم يبت السلطان الأمر من ولاية ولا عزل فى هذا اليوم ، وأحال الأمر إلى ما سيأتى ذكره .

وفى يوم الخميس ثالث جمادى الآخرة المذكورة عظم الطاعون بالقاهرة وظواهرها ، واختلفت كلمة الحُسَّاب ؛ لاشتغال كل أحد بنفسه وبمن عنده ، فمنهم من قال : يموت فى اليوم أربعة آلاف إنسان ، ومنهم من قال : ثلاثة آلاف وخمسمائة ، وقاس

فلما كان يوم الخميس ثامن عشرينه للوعود بذكره كان فيه عدّة من صلى عليه بمصلاة باب النصر مائة وتسعين ، وبالجامع الأزهر زيادة على مائة وثلاثين ، وبمصلاة البياطرة مائة وأربعة عشر ، وبمصلاة المؤمنى مائة وسبعة وثلاثين ، ونذكر - إن شاء الله تعالى - فى يوم الاثنين الآتى عدّة ذلك أيضاً .

وفى يوم الأربعاء تاسع شهر رجب فيه فشا نقص[1] الطاعون ، وانحط سعر الفلال ، وظهر الشعير والتبن والدريس لموت تلك الجبابرة الأجلاب .

وفيه طُعن جامعه[2] ، ثمّ منّ الله تعالى بالعافية بعد أمور ، ولله الحمد عَلَى المهلة .

وفى يوم الجمعة ثالث شهر رجب المذكور - الموافق لسابع برمودة - لبس السلطانُ القماش الأبيض البعلبكى المعتد لبسه لأيام الصيف .

ثم فى يوم الاثنين سادسه كان فيه عدّة من صلِّى عليه من الأموات بمصلاة باب النصر مائة ، وقيل تسعين ، وبمصلاة البياطرة زيادة عَلَى الخمسين ، وبمصلاة المؤمنى زيادة على التسعين .

ثم فى يوم السبت حادى عشره استقر الأمير أرغون شاه الأشرفى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة أستادار الصحبة السلطانية ، بعد موت يَشْبُك الأشرفى الأشقر .

ثم فى يوم الاثنين ثالث عشر شهر رجب كان فيه عدّة من صلى عليه من الأموات بمصلاة باب النصر نحواً من خمسة وعشرين نفراً ، وبمصلاة البياطرة ثلاثة وعشرين ، وبالجامع الأزهر خمسة نفر ، وبمصلاة المؤمنى نيفاً وثلاثين نفراً ، هذا والعلة موجودة فى الأكابر والأعيان إلى آخر رجب .

ثم فى يوم الثلاثاء رابع عشره استقر القاضى تقى الدين بن نصر الله ناظر ديوان المفرد عوَضاً عن الصاحب شمس الدين منصور [بن الصفى][3] .

(١) كذا فى ص . وفى ط كاليفورنيا « فشا الطاعون » .
(٢) هذه إشارة إلى أن المؤلف أصيب بالطاعون المنتشر فى القاهرة فى تلك السنة ثم شفى منه .
(٣) إضافه عن (هامش و. پوپر ٧ : ٥٤٢) .

وفيه استقر الشيخ سراج الدين [عمر][1] العبادى الشافعى ناظر الأحْبَاس بعد موت القاضى زين الدين عبد الرحيم العَيْنِىّ .

واستهل شعبان يوم الخميس وقد خفّ الطاعون من الديار المصرية بالكلية ، فكان عدّة من مات فى هذا الطاعون من المماليك الأجلاب الإينالية فقط ألفاً وأربعمائة نفر - فالله يلحق بهم من بقى منهم - وهذا خلاف من مات فى هذا الطاعون من المماليك السلطانية الذين هم من سائر الطوائف[2] .

ثم فى يوم الثلاثاء سادس شعبان المذكور من سنة أربع وستين وقع فى المملكة[3] أمر شنيع ؛ وهو أن السلطان جمع أعيان الفرنج القبارسة فى الملأ بالحوش السلطانى ، وأراد بقاء الملكة صاحبة قُبْرُس على عادتها ، وخلع عَلَى قصادها أعيان الفرنج ، واستقر تَغْرى بَرْدى الطيّارىّ مسفرها ، وعَلَى يده تقليدها وخلعتها .

وكان الفرنجى جَاكُم أخوها حاضر الموكب ، وقد جلس تحت مقدمى الألوف ، فعزّ عليه ولاية أخته وإبقاؤها عَلَى ملك الأقفسية من جزيرة قُبْرُس مع وجوده ، فقام عَلَى قدميه واستغاث ، وتكلم بكلام معناه أنه قد جاء إلى مصر ، والتجأ إلى السلطان ، ودخل تحت كنفه ، وله عنده هذه المدّة الطويلة ، وأنه أحقّ بالملك من أخته وبكى ، فلم يسمع السلطان له وصمم عَلَى ولاية أخته ، وأمره بالنزول إلى حيث هو سكنه ، فما هو إلا أن قام جَاكُم المذكور وخرج من باب الحوش الأوسط ثم خرج بعده أخصامه حواشى أخته ، وعليهم الخلع السلطانية مَدّت الأجلاب أيديها إلى أخصام جَاكُم من الفرنج ، وتناولوهم بالضرب

(١) هو عمر بن حسين بن حسن بن أحمد بن على بن عبد الواحد بن خليل بن الحسن - السراج أبو حفص ابن البدر العبادى ، ولد سنة ٨٠٤ هـ بمنية عباد بالغربية ومات سنه ٨٨٥ هـ (السخاوى - الضوء اللامع ٦ : ٨١ - ٨٣) .
(٢) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٥٤٣ عن كتاب الحوادث « الظاهرية برقوق ، والناصرية فرج ، والمؤيدية شيخ ، والأشرفية برسباى ، والظاهرية جقمق ، والسيفية وهم مماليك الأمراء الذين يخدمون بباب السلسلة ، وأولاد الناس وهم أيضا شىء كثير جداً » .
(٣) أى فى القلعة كما جاء فى (هامش و. پوپر ٧ : ٥٤٣) .

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامي

كتاب
تخريج الدلالات السمعية

على ما كان في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم
من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية

للعلامة أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالخزاعي التلمساني
المتوفى سنة ٧٨٩هـ

تحقيق
الأستاذ/ الشيخ أحمد محمد أبو سلامة
من علماء الأزهر الشريف

القاهرة

الباب الثالث

فى الوزان

روى مسلم[1] رحمه الله تعالى عن محارب : سمع جابر بن عبد الله – رضى الله عنه – يقول : اشترى منى النبى – صلى الله عليه وسلم – بعيرًا بأُوقيتين وبدرهم[2]، أو درهمين قال : فلما قدم صِرَارًا أمَر ببقرة فذبحت ، فأكلوا منها ، فلما قدم المدينة أمرنى أن آتى المسجد فأُصلى ركعتين ، فوزن لى ، وزادنى ، وروى : ووزن لى ثمن البعير فأَرجح لى . –

وروى النسائى[3] رحمه الله تعالى عن جابر – رضى الله عنه – قال : لما قدم النبى – صلى الله عليه وسلم – المدينة دعا بميزان فوزن لى وزادنى .

وروى أبوداود[4] رحمه الله تعالى عن سويد بن قيس – رضى الله عنه – قال : جلبت أنا ومخرمة العبدىّ بَزًّا من هجر ، فأتينا به مكة ، فجاءنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يمشى فساومنا . بسراويل ، فبعناه وثم رجل يزن بالأجر فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : زن وارجح .

وذكر أبوعمر بن عبد البر رحمه الله تعالى فى الاستيعاب فى أخبار أبى سفيان بن حرب : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أعطاه من غنائم حنين – وكان شهدها معه – مائة بعير وأربعين أُوقية ، وزنها له بلال .

تنبيـــــه :

قد تقدم ذكر بلال – رضى الله عنه – فى باب الأذان مافيه كفاية ، والحمد لله .

(١) صحيح مسلم (كتاب البيوع) باب بيع البعير واستثناء ركوبه .
(٢) فى مسلم : بوقيتين ، ودرهم
(٣) النسائى (كتاب البيوع) باب التجارة (الزيادة فى الوزن) .
(٤) سنن أبى داود (كتاب البيوع) باب فى الرجحان فى الوزن ، والوزن بالأجر .

فوائد لغوية فى سبع مسائل :

الأولى :

ابن القوطية : وزنت الشىء : امتحنته بما يعادله .

ابن سيده : وَزْنًا وزِنَةً .

ابن طريف : وزنت الرجل ووزنت له : إذا اقتضيته ثمن شىء يوزن، وفى القرآن : (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)[1] .

ابن سيده : وإنه يحسن الوِزْنَة جاءوا به على الأصل ، ولم يُعِلُّوه لأنه ليس بمصدر ، وإنما هو هيئة الحال .

الهروى : والآله التى توزن بها الأشياء : ميزان .

الجوهرى[2] : وأصله : موْزان ، انقلبت الواو ياء لكسرة ماقبلها ، قال : وكِفَّة الميزان وكَفَّته بالكسر والفتح ، والجمع : كِفَفٌ ، والسَّعْدَانات : العقد التى فى أسفل كِفَّة – الميزان . انتهى

وفى « الغريب المصنف » : العقد التى فى أسفل الميزان هى السَّعدانات ، والحَلْقَةُ التى تجتمع فيها الخيوط / فى طرف الحديدة : هى الكِظَامة ، والحديدة : هى المعترضة التى فيها اللسان وهى المِنْجم ويقال لما يكتف منها اللسان : الفيـاران ، واحدها فيار ، والخيط الذى يرفع به الميزان : العَذَبَةُ .

١٧١ ب

قلت :

والوَزَّان مما جاء على فَعَّال : مشدد العين على جهة النسب لذى صنعة أو حرفة يزاولها ويديمها كالنجَّار والعَطَّار قال الزمخشرى فى « المفصل »[3] فى باب النسب : وقد يبنى على فَعَّال وفاعِل على مافيه معنى النسب من غير إلحاق الياء كقولهم : ثَوَّاب وجمال ولابن وتامر، والفرق بينهما : أن فعالا لذى صفة يزاولها ويديمها ، وعليه أسماء المحترفين ، وفاعلا : لمن يلابس الشىء .

(١) سورة المطففين : آية ٣
(٢) الجوهرى : ٢ : ٢١٦
(٣) شرح المفصل ٦ : ١٢

وأعيانا يستغنى بها عن الموازين فجمعوا أصغرها وأكبرها وضربوه على وزنهم الكيل ولعله كان الوزن الذى يتعاملون به حينئذ كيلا بالمجموع، ولهذا سمى كيلا وإن كانت قائمة مفردة غير مجموعة . انتهى

وقال أبوعمر بن عبد البر فى الاستذكار أيضًا : وما أظن عبد الملك وعلماء عصره نقضوا شيئًا من الأصل ، وإنما أنكروا وكرهوا الضرب الجارى عندهم من ضرب الروم فردوها إلى ضرب الإسلام . انتهى

وقال أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابى – رحمه الله تعالى – فى كتابه «معالم السنن[1]» فى الكلام على الحديث الذى خرجه أبو داود – رحمه الله تعالى – عن ابن عمر – رضى الله عنه – عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : الوزن وزن أهل مكة والمكيال مكيال أهل المدينة / ١٧٠ب إنما جاء الحديث فى نوع ماتتعلق به أحكام الشريعة فى حق من حقوق الله سبحانه[2] دون مايتعامل به الناس فى بياعاتهم وأمور معايشهم .

وقوله : الوزنُ وزنُ أهلِ مكة ، يريد من الذهب والفضة خصوصا دون سائر الأوزان ، ومعناه أن الوزن الذى يتعلق به حقُّ الزكاة فى النقد وزنُ أهل مكة ، وهى دراهم الإسلام المُعَدَّلَة منها العشرة بسبعة مثاقيل . والدرهم الوازن الذى هو من دراهم الإسلام الجائزة بينهم فى عامة البلدان ستة دوانق وهو نقد أهل مكة ووزنهم الجائز بينهم ، وكان أهل المدينة يتعاملون بالدراهم عددًا وقت مَقْدَم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إياها والدليل على صحة ذلك : أن عائشة – رضى الله عنها – قالت : فيما روى عنها من قصة بُريرة : إن شاء أهلك أن أعُدَّها لهم عَدَّةً واحدةً فعلتُ . تريد الدراهم التى هى ثمنها .

فأرشدهم – صلى الله عليه وسلم – إلى الوزن فيها وجعل العيار وزن أهل مكة دون – ما يتفاوت وزنه منها فى سائر البلدان، وقد تكلم الناس فى هذا الباب، وهل كانت هذه الدراهم لم تزل فى الجاهلية على هذا العيار وإنما غيّروا السكك منها ونقشوا فيها اسم الله عز وجل ،

(١) معالم السنن : ٥ : ١٣

(٢) كذا فى نسخة تونس ، وفى الأصل : لايتعلق به أنواع الشريعة فى حقوق الله سبحانه

وقام الإسلام والأُوقية وزنها أربعون درهما ولذلك قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة » وهى مائتا درهم .

وهذا بلغنى عن أبى العباس بن سُرَيْج أنه كان يقوله ويذهب إليه . انتهى

تنبيـــــه :

أقرب ما يتناول فى هذا الاختلاف الواقع فى الدرهم الشرعى هل كان معلومًا فى عصر النبى – صلى الله عليه وسلم – أو غير معلوم القدر وهو أن يكون معلوم القدر غير موجود العين مثل درهم الصَّنْجَة عندنا الآن فإنه معلوم القدر غير موجودالعين ، وإنما توجد صنجته ومنه تتركب الأوزان التى فوقه بالدينار والأُوقية والرطل وغيرها ، ومن أبين الأدلة على ذلك الحديث المتقدم على هذا الباب الذى خرجه النسائى فى شرائه – صلى الله عليه وسلم – : رجْل سراويل بثلاثة دراهم : وفيه « فوزن لى فأرجح لى » .

والحديث الذى خرجه مسلم[1] والبخارى[2] – رحمهما الله تعالى – عن جابر – رضى الله عنه – :

اشترى منى النبى – صلى الله عليه وسلم – بعيرًا بأُوقيتين ودرهم أو درهمين ، وفيه : ووزن لى ثمن البعير فأرجح لى . وقد تقدم فى / ١٧١أ باب الوزان ، فلو لم يكن الدرهم معلومًا فى حين عقد هاتين الصفقتين المباركتين لما صح البيع ولما عرف الرجحان الذى أرجح لهما – صلى الله عليه وسلم – بعد استيفائهما حقوقهما والله تعالى أعلم .

وبهذا تتفق الأقوال ، ويندفع التعارض عنهما ، فيحمل قول من قال : إن درهم مكة كان معلومًا فى زمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أن المراد بذلك قدره ووزنه ، لاعينه . ويحمل قول من قال: إن الدراهم كانت غير معلومة إلى أيام عبد الملك بن مروان : أن المراد بذلك أنها لم تكن معلومة بأعيانها ، وإنما كانوا يتعاملون بتلك الدراهم المختلفة المتنوعة ويرجعون فى أقدارها . إلى قدر الدرهم المعلوم الذى تركبت منه الأُوقية والنش والنواة.

(١) صحيح مسلم (باب الربا) بيع البعير واستثناء ركوبه

(٢) صحيح البخارى (كتاب البيوع) باب شراء الدواب والحمير

المسألة الثالثة :

فى ذكر فائدتين لغويتين :

الفائدة الأولى :

فى ديوان الأدب : كل ماكان على فِعَّال من الأسماء أبدل من أحد حرف تضعيفه ياء فيصير على فِيعَال مثل دِينار وقيراط كراهية أن تلتبس بالمصادر إلا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل دِبابه وصِنَّارَة لأنه الآن أمن من التباسه بالمصدر (١) .

قال العزفى فى « الإثبات » : والدليل على أن أصله دنَّار جمعه على دنانير ولو جمعوه على لفظه لقالوا فيه ديانير ودوانير .

الفائدة الثانية :

قال العزفى فى « الإثبات » : المثقال اسم لماله ثقل كبير أو صغير إلا أن عُرْفَه غلب على الصغير ، وفى عُرْف الفقهاء والعلماء على الدينار .

ذكر الدَّانَق :

قلت : لا أعلم أنه جاء فى شىء من الحديث ولا الشعر ولكنه جاء فى تحديد الدرهم ، فلذلك ذكرته ويتحصل المقصود من الكلام عليه فى مسألتين :

المسألة الأولى :

فى معرفة قدره ، ولم يختلف أنه سدس الدرهم فيكون وزن الدانق على هذا على قول من قال : إن الدرهم خمسون حبة وخمسا حبة ، فالوسط ثمانى حبات وخمسا حبة من الشعير قال العزفى فى الإثبات وزنه ثمانى حبات من الشعير وخمسا حبة .

المسألة الثانية :

قال العزفى فى الإثبات : دانِق ودانَق بفتح النون وكسرها وأصله أعجمى معرب .

قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : لعن الله الدانِقَ وأولَ / من أخرج الدانق ، ما كانت العرب تعرف الدانق ولا أبناء فارس ، أنه لادين لمن لا مروءة له .

(١) راجع شرح المفصل لابن يعيش - ٩ : ١٥

وفى ديوان الأدب الدانِق والدانَق بكسر النون وفتحها لغتان .

وزاد الجوهرى : دَانق كما قالوا للدرهم درهام . قال وهو سدس الدرهم .

ذكر القيراط :

وفيه ثلاث مسائل :

الأولى :

فى استعماله .

روى مسلم (١) رحمه [illegible] فى حديث شراء رسول الله - صلى الله [illegible] وسلم - [illegible] ل من جابر - رضى الله تع[illegible] طريق عثمان بن أبى شيبة (٢) عن جابر وفيه :

ثم قال لى بعنى جم[illegible] هذا . قال : قلت : لا بل هو لك . قال : لا : بل بعنيه قال : قلت : لا [illegible] هو لك يا ر[illegible] الله قال : بل بعنيه . قلت : فإن لرجل على أوقية من ذهب (٣) فهو لك بها . قال : قد أخذته فتبلغ عليه إلى المدينة قال : فلما قدمت المدينة . قال : رسول الله - صلى الله [illegible] يه وسلم - لبلال أعطه أوقية من [illegible] ، فأعطانى أوقية من ذهب وزادنى [illegible] ال [illegible] : لاتفارقنى ز[illegible] رسول الله - صلى الله عليه و[illegible] - قال : فك[illegible] [illegible] رة .

[illegible] الثانية :

فى مقداره :

قد تقدم عند ذكر [illegible] : أن الدينار أربعة وعشرون قيراطا والقيراط جزء من أربعة وعشرين جزءا من الدينار وتقدم أيضا هنالك أن القيراط ثلاث حبات من الشعير .

المسألة الثالثة :

قد تقدم قول الفارابى عند ذكر الدينار - أن مثقال القيراط فِعَّال أبدل من أحدى حرفى تضعيفه ياء فصار على فِيعال .

(١) صحيح مسلم - كتاب البيوع . باب بيع البعير واستثناء ركوبه

(٢) كذا فى مسلم وفى الأصل : أبو شيبة

(٣) فى مسلم : أوقية ذهب

قال ابن هشام فى السير[1] : سباعُ بن عُرفُطة الغِفارى استعمله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على المدينة فى غزوة دُومَةِ الجندل . انتهى

فائدة لغوية :

فى « الاشتقاق » لابن سيد : « العُرْفُط » ضرب من الشجر .

قال محمد : بلغنى شيئًا يقال له المغافير واحده مُغثُور ، وهو حلوله رائحة منكرة ، وبضم الميم والفاء قيده التبَّارانى ، وبضم العين والفاء قيد العُرفُط أيضًا .

(١) راجع ابن هشام ٣ : ٢٢٤

الباب الثالث

فى الرجل يستخلفه الامام على أهله اذا سافر

فى « السير » قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مرجعه من عمرته لست بقين من ذى القعدة من سنة ثمان ، ثم أقام بالمدينة مابين ذى الحجة إلى رجب ، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم ، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قلما يخرج فى غزوة إلا كنى عنها إلاَّ غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذى يَعْمِد له ليتأهب الناس لذلك أهبته .

ولما خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ضرب عسكره على ثنية الوداع .

قال ابن هشام[1] :

واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى .

وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردى . أن النبى – صلى الله عليه وسلم – استعمل على المدينة مخرجه إلى تبوك سباع بن عرفطة .

قال ابن إسحاق :

وضرب عبد الله بن أُبَى معه على حِدَة عسكره ، أسفل منه نحو ذُباب ، وكان فيما يذكرون ليس بأقل العسكرين ، فلما سار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تخلف عنه عبد الله ابن أُبَى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الرَّيْب ، وخلف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على بن أبى طالب على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون فقالوا : ما خلفه إلا استثقالا له ، وتخففًا منه ، فلما قال ذلك المنافقون أخذ على بن أبى طالب سلاحه ،

(١) راجع ابن هشام ٤ : ١٦٢

الباب الثامن

فى اتخاذ الابل

وفيه فصلان :

الفصل الأول : فى ذكر إبله صلى الله عليه وسلم

ذكر ابن جماعة فى « مختصر السير » له : أنه كان لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من النعم الناقة التى هاجر عليها من مكة إلى المدينة وتسمى بالعضباء ولم يكن يحمله إذا نزل عليه الوحى غيرها كما قال الحافظ محب الدين الطبرى رحمه الله تعالى/اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه بأربعمائة درهم وهى القصواء والجدعاء ولم يكن بها عضب ولا جدع وإنما سميت بذلك ، وقيل كان بأذنها شىء فسميت به ، وكانت شهباء ، وقيل هن ثلاث وهى التى سُبِقت فشق على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١٨٦ أ

« إن حقا على الله لا يرفع شيئاً من هذه الدنيا إلا وضعه »[1] وقيل : المسبوق غيرها .

وعن قدامة بن عبد الله قال : رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حجه يرمى على ناقة صهباء . والصهباء : الشقراء . ووقف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعرفة فى حجة الوداع على جمل أحمر وكان له صلى الله عليه وسلم جمل يقال له الثعلب بعث عليه صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية إلى قريش بمكة يوم الحديبية ليبلغهم ما جاء له فعقروا الجمل وأرادوا قتل خراش فمنعه الأحابيش ، وغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر جملا مَهْرياً لأبى جهل لعنه الله فى أنفه بُرَةٌ من فضة أهداه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الحديبية ليغيظ بذلك المشركين ، وكانت له عشرون لَقْحَة بالغابة ، والغابة بريد من المدينة طريق الشام يراح إليه صلى الله عليه وسلم كل ليلة بقِرْبتين من ألبانها وكانت له لَقْحَةٌ تدعى بردة أهداها له الضحاك ابن سفيان كانت تحلب كما تحلب لقحتان غزيرتان وكانت له خمس عشرة لقحة غزارا

(١) رواه البخارى فى كتاب الرقاق

كان يرعاها يسار مولى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذى الجدر ناحية قباء قريباً من عين على ستة أميال من المدينة وأستاقها العرنيون وقتلوا يسارا وقطعوا يديه وغرزوا الشوك فى لسانه وعينيه حتى مات وباقى قصتهم مشهور فى الصحاح ، وكانت له صلى الله عليه وسلم بذى الجَدْر أيضاً سبع لقائح وكانت له لقحة أيضاً تسمى الجعدة ، ومعنى الجعد : السرعة وكانت له لقحة أسمها مروة وكانت له مهرية أرسل بها سعد بن عبادة من نعم بنى عقيل .

فوائد لغوية فى ثمانى مسائل :

المسألة الأولى :

فى « المشارق »[1] النَعَم بفتح النون والعين : الإبل خاصة / وإذا قيل : الأنعام دخلت معها فى ذلك البقر والغنم ، وقيل : هما لفظان بمعنى واحد على الجميع .

١٨٦ ب

الثانية :

فى « المحكم » العضباء : ناقة للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اسم لها ، وليس من العضب الذى هو الشق فى الأذن . وفى المقصور والممدود لابن القوطية العضباء اسم لناقة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وناقة عضباء وجدعاء وقصواء مقطوعة الأذن ، والذكر أعضب وأجدع ومقصو .

وفى « المشارق »[2] قال الحربى فى الحديث كانت للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ناقة تسمى العضباء لا تُسْبَق ، وكذا رواه مالك فى أكثر حديثه . ومن رواية مصعب عن مالك كانت القصواء وذكر مثله ، وفى الحديث خطب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ناقته الجدعاء ، ومثله فى حديث الهجرة . وفى حديث آخر على ناقة خرماء مخضرمة[3] ، قال الحربى والعضب والجدع والخرم والقصو ، والخضرمة كله فى الأذن ، فقيل فى الحديث الأول أنه اسمها كانت عضباء الأذن فقد جعل اسمها .

قال القاضى ـ رحمه الله تعالى[4] ـ إذا كانت الأحاديث جاءت بذلك باختلاف هذه الصفات فيها لا سيما فى وقوفه عليها فى موطن واحد فى حجة الوداع ، وفى حديث المسابقة فدل

(١) ٢ : ١٧

(٢) ٢ : ٩٥ ، ٩٦

(٣) فى المشارق : وفى الحديث الآخر مخضرمة

(٤) ٢ : ٩٦

ذكر الدرهم وفيه سبع مسائل :

الأولى :

فى ذكر استعماله : روى النسائى[1] – رحمه الله تعالى – عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال :
قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: سبق درهم مائة ألف : قالوا: يا رسول الله وكيف؟
قال : « رجل له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به ، ورجل له مال كثير فأخذ من عرض ماله مائة ألف فتصدق بها » .

وروى النسائى[2] أيضًا عن سماك قال : سمعت مالكا أبا صفوان، يقول: بعتُ من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رِجْلًا من سراويل قبل الهجرة بثلاثة دراهم، فوزن لى فأرجح لى.

المسألة الثانية :

هل كان معلوم القدر أم لا ؟ فى ذلك قولان :

القول الأول :

أن الدرهم لم يكن فى زمن النبى – صلى الله عليه وسلم – معلوما حتى ضربت الدراهم فى زمن عبد الله بن مروان .

قال أبو عمر بن عبد البر فى « الاستذكار » قال أبوعبيد : كانت الدراهم غير معلومة إلى أيام عبد الملك بن مروان فجمعها وجعل كل عشرة من الدراهم وزن ستة مثاقيل ، قال : وكانت الدراهم يومئذ درهما من ثمانية دوانق زيف ودرهما من أربعة دوانق جيد .

قال : فاجتمع رأى علماء ذلك الوقت لعبد الملك على أن جمعوا الأربعة دوانق إلى الثمانية فصارت اثنى عشر دانقا وجعلوا الدرهم ستة دوانق وسموه كيلا . انتهى

وقال أبو محمد عبد الحق بن عطية فى جواب سؤال سئله فى سنة ست عشرة وستمائة :
قال أبوعبيد القاسم بن سلام[3] عن بعض شيوخه إن الدرهم كانت على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نوعان :

---

(١) النسائى (كتاب الزكاة) جهد المقل

(٢) فى النسائى (كتاب البيوع) الرجحان فى الوزن ، عن أبى صفوان : بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سراويل قبل الهجرة فأرجح لى

(٣) الأموال : ٥٢٤

السوداء الوافية[1] ووزن الدرهم منها ثمانية دوانق ، والطبرية العتق وزن الدرهم منها أربعة دوانق . قال : وكان الناس يزكون بشطرين من الكبار والصغار فلما أراد عبد الملك بن مروان ضرب الدرهم خشى إن ضرب على الوزن الوافى أن يبخس الزكاة ، وإن ضرب على الطبرية أن يبخس الناس فجمع الوزنين وأخذ نصفهما مراعاة لما كانت زكاة الناس عليه فجعل الدرهم من ستة دوانق .

والقول الثانى :

إن الدرهم كان معلوما فى زمن النبى – صلى الله عليه وسلم –

قال أبوالعباس / العزفى ، قال أبوجعفر الداودى : وذكر قول من قال : إن الدرهم لم ١٧٠أ يكن معلوما فى زمن النبى – صلى الله عليه وسلم – هذا قول فاسد لم يكن القوم ليجهلوا أصلا من أصول الدين فلا يعلمون فيه نصًا، وقد كان النبى – صلى الله عليه وسلم – يخرج السعاة فلا يجوز أن يظن بهم جهل مثل هذا ولم يأت ماقاله من طريق صحيح .

قال : وقد قال : أبوعمر بن عبد البر لايجوز أن تكون الأوقية على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مجهولة المبلغ من الدراهم فى الوزن ثم يوجب الزكاة عليها وهى لايعلم مبلغ وزنها .

قال : وتلاهما على هذا القول القاضى الجليل أبوالفضل عياض – رحمه الله تعالى – قال : ولايصح أن تكون الأوقية والدرهم مجهولة القدر فى زمن النبى – صلى الله عليه وسلم – وهو يوجب الزكاة فى أعداد منها وتقع بها البياعات والأنكحة كما جاء فى الأحاديث الصحيحة ، وهذا يبين أن قول من قال: إن الدراهم لم تكن معلومة إلى زمن عبد الملك حتى جمعها برأى الفقهاء – وهم .

وإنما معنى ذلك أنها لم تكن من ضرب أهل الإسلام وعلى صفة لاتختلف ، وإنما كانت مجموعات من ضرب فارس والروم وصغارًا وكبارًا وقطع فضة غير مضروبة ولا منقوشة ويمانية ومغربية فرأوا صرفها إلى ضرب الإسلام ونقشه وتصييرها وزنًا واحدًا لايختلف ،

---

(١) فى التراتيب : « السوداء الدامية »

وأعيانا يستغنى بها عن الموازين فجمعوا أصغرها وأكبرها وضربوه على وزنهم الكيل ولعله كان الوزن الذى يتعاملون به حينئذ كيلا بالمجموع، ولهذا سمى كيلا وإن كانت قائمة مفردة غير مجموعة . انتهى

وقال أبوعمر بن عبد البر فى الاستذكار أيضًا : وما أظن عبد الملك وعلماء عصره نقضوا شيئًا من الأصل ، وإنما أنكروا وكرهوا الضرب الجارى عندهم من ضرب الروم فردوها إلى ضرب الإسلام . انتهى

وقال أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابى – رحمه الله تعالى – فى كتابه «معالم السنن[1]» فى الكلام على الحديث الذى خرجه أبو داود – رحمه الله تعالى – عن ابن عمر – رضى الله عنه – عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : الوزن وزن أهل مكة والمكيال مكيال أهل المدينة / إنما جاء الحديث فى نوع ماتتعلق به أحكام الشريعة فى حق من حقوق الله سبحانه[2] دون مايتعامل به الناس فى بياعاتهم وأمور معايشهم .

١٧٠ب

وقوله : الوزنَ وزنُ أهلِ مكة ، يريد من الذهب والفضة خصوصا دون سائر الأوزان ، ومعناه أن الوزن الذى يتعلق به حقُّ الزكاة فى النقد وزنُ أهل مكة ، وهى دراهم الإسلام المُعَدَّلَة منها العشرة بسبعة مثاقيل . والدرهم الوازن الذى هو من دراهم الإسلام الجائزة بينهم فى عامة البلدان ستة دوانق وهو نقد أهل مكة ووزنهم الجائز بينهم ، وكان أهل المدينة يتعاملون بالدراهم عددًا وقت مَقْدَم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إياها والدليل على صحة ذلك : أن عائشة – رضى الله عنها – قالت : فيما روى عنها من قصة بُريرة : إن شاء أهلك أن أعُدَّها لهم عَدَّةً واحدةً فعلتُ . تريد الدراهم التى هى ثمنها .

فأرشدهم – صلى الله عليه وسلم – إلى الوزن فيها وجعل العيار وزن أهل مكة دون – ما يتفاوت وزنه منها فى سائر البلدان، وقد تكلم الناس فى هذا الباب، وهل كانت هذه الدراهم لم تزل فى الجاهلية على هذا العيار وإنما غيَّروا السكك منها ونقشوا فيها اسم الله عز وجل ،

(١) معالم السنن : ٥ : ١٣

(٢) كذا فى نسخة تونس ، وفى الأصل : لايتعلق به أنواع الشريعة فى حقوق الله سبحانه

وقام الإسلام والأوقية وزنها أربعون درهما ولذلك قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : «ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة» وهى مائتا درهم .

وهذا بلغنى عن أبى العباس بن سُرَيْج أنه كان يقوله ويذهب إليه . انتهى

تنبيــــه :

أقرب ما يتناول فى هذا الاختلاف الواقع فى الدرهم الشرعى هل كان معلومًا فى عصر النبى – صلى الله عليه وسلم – أو غير معلوم القدر وهو أن يكون معلوم القدر غير موجود العين مثل درهم الصُّنْجَة عندنا الآن فإنه معلوم القدر غير موجودالعين ، وإنما توجد صنجته ومنه تتركب الأوزان التى فوقه بالدينار والأوقية والرطل وغيرها ، ومن أبين الأدلة على ذلك الحديث المتقدم على هذا الباب الذى خرجه النسائى فى شرائه – صلى الله عليه وسلم – : رجل سراويل بثلاثة دراهم : وفيه « فوزن لى فأرجح لى » .

والحديث الذى خرجه مسلم[1] والبخارى[2] – رحمهما الله تعالى – عن جابر – رضى الله عنه – :

اشترى منى النبى – صلى الله عليه وسلم – بعيرًا بأوقيتين ودرهم أو درهمين ، وفيه : ووزن لى ثمن البعير فأرجح لى . وقد تقدم فى / باب الوزان ، فلو لم يكن الدرهم معلومًا فى حين عقد هاتين الصفقتين المباركتين لما صح البيع ولما عرف الرجحان الذى أرجح لهما – صلى الله عليه وسلم – بعد استيفائهما حقوقهما والله تعالى أعلم .

١٧٦أ

وبهذا تتفق الأقوال ، ويندفع التعارض عنهما ، فيحمل قول من قال : إن درهم مكة كان معلومًا فى زمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أن المراد بذلك قدره ووزنه لاعينه . ويحمل قول من قال : إن الدراهم كانت غير معلومة إلى أيام عبد الملك بن مروان : أن المراد بذلك أنها لم تكن معلومة بأعيانها ، وإنما كانوا يتعاملون بتلك الدراهم المختلفة المتنوعة ويرجعون فى أقدارها . إلى قدر الدرهم المعلوم الذى تركبت منه الأوقية والنش والنواة .

(١) صحيح مسلم (باب الربا) بيع البعير واستثناء ركوبه

(٢) صحيح البخارى (كتاب البيوع) باب شراء الدواب والحمير

وفيات الأعيان

وأنباء أبناء الزمان

لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان
(٦٠٨ - ٦٨١هـ)

حققه

الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة
بيروت - لبنان

(٢٢٢)

ربعى بن خراش العبسى الكوفى

رِبْعِيّ بن خِرَاش الكوفى ، ابن جحش بن عمرو بن عبد الله(١) ، العَبْسِى ، الكوفى

يقال : إنه لم يكذب قط ، وكان له ابنان عاصيان زَمَنَ الحجاج ، فقيل للحجاج : إن أباهما لا يكذب قط ، لو أرسلت إليه فسألته عنهما ، فأرسل إليه فقال له : أين ابناك ؟ قال : هما فى البيت ، قال : قد عفونا عنهما لصدقك .

وكان ربعى بن خراش آلى أن لا تفترّ أسنانُه بالضحك حتى يعلم أين مصيره ، فما ضحك إلا بعد موته .

وكان أخوه بعده آلى أن لا يضحك حتى يعلم أفى الجنة هو أم فى النار ، فأخبر غاسلُه أنه لم يزل متبسما على سريره ونحن نغسله حتى فَرَغْنَا منه .

وتوفى سنة أربعمائة .

* * *

(٢٢٣)

أبو المقدام رجاء بن حيوة الكندى

أبو المقدام رجاء بن حَيْوَةَ بن جَرْوَلٍ ، الكندى

كان من العلماء ، وكان يجالس عمر بن عبد العزيز ، ذكر أنه بات ليلة عنده فهم السراج أن يخمد ، فقام إليه ليصلحه ، فأقسم عليه عمر ليقعدَنَّ ، وقام هو فأصلحه ، قال : فقلت له : تقوم أنت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قمت وأنا عمر ، ورجعت وأنا عمر .

[قال(٢) : وأمرنى عمر بن عبد العزيز أن أشترى له ثوباً بستة دراهم ، فأتيته به فجسّه وقال : هو على ما أحب لولا أن فيه ليناً ، قال : فبكيت ، قال : فما يبكيك ؟

(١) سقطت هذه الترجمة برمتها من ا

(٢) من هنا إلى آخر السطر الخامس من ص ٦١ ساقط من ا وحدها

قال : أتيتك وأنت أمير بثوب بستمائة درهم ، فجسسته وقلت : هو على ما أحب لولا أن فيه خشونة ، وأتيتك وأنت أمير المؤمنين بثوب بستة دراهم ، فجسسته وقلت : هو على ما أحب ، لولا أن فيه ليناً ، فقال : يا رجاء إن لى نفساً تَوَّاقَةً تاقت إلى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها ، وتاقت إلى الامارة فوليتها ، وتاقت إلى الخلافة فأدركتها ، وقد تاقت إلى الجنة فأرجو أن أدركها إن شاء الله عزوجل]

وقال : قَوَّمْتُ ثياب عمر بن عبد العزيز ، وهو يخطب ، باثنى عشر درهما ، وكانت قَبَاء وعمامة وقميصاً وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة ، وله معه أخبار وحكايات .

وكان يوماً عند عبد الملك بن مروان ، وقد ذكر عنده شخص بسوء ، فقال عبد الملك : والله إن أمكننى الله منه لأفعلن به ولأصنعن ، فلما أمكنه الله منه همّ بإيقاع الفعل به ، فقام إليه رجاء بن حَيْوَةَ المذكور وقال له : يا أمير المؤمنين قد صنع الله لك ما أحببت فاصنع ما يحب الله من العفو ، فعفا عنه ، وأحسن إليه .

[ولما(١) حضر أيوب بن سليمان بن عبد الملك الوفاة ـ وكان ولى عهد أبيه ـ دخل عليه أبوه وهو يجود بنفسه ، ومعه عمر بن عبد العزيز وسعيد بن عقبة ورجاء بن حَيْوَةَ ، فجعل سليمان ينظر فى وجه أيوب ، فخنقته العَبْرَةُ ، ثم قال : إنه ما يملك العبد نفسه أن يسبق إلى قلبه الوَجْدُ عند المصيبة ، والناس فى ذلك أصناف : فمنهم المحتسب ، ومنهم من يغلب صبره جَزَعَهُ ، فذلك الجَلْدُ الحازم ، ومنهم من يغلب جزُعه صبره فذلك المغلوب الضعيف ، وإنى أجد فى قلبي لوعة إن أنا لم أبردها خفت أن ينصدع كبدى كمداً ، فقال له عمر : يا أمير المؤمنين ، الصبر أولى بك فلا يُحْبِطَنَّ أجرَكَ . وقال سعيد بن عقبة : فنظر إلىّ وإلى رجاء بن حيوة نظر مستغيث يرجو أن نساعده على ما أدركه من البكاء ، فأما أنا فكرهت أن آمره أو أنهاه ، وأما رجاء فقال : يا أمير المؤمنين ، إنى لا أرى بذلك بأساً مالم

(١) سقط هذا الحديث برمته من ا

فضحك المنصور وأحضره ، وقال : ما قصتك ؟ قال : دفعتُ إلى أبي أيوب رقعة مختومة أسأل فيها إعفائى من لزوم الذى أمرتنى بلزومه ، فقال له أبو جعفر : اقرأها ؟ قال : ما أحسن أن أقرأ ، وعلم أنه إن قرأها يَحُدُّه بذكر الصلاة ، فلما رآه يتنصل من ذلك ، قال له : أحببت لو كنت أقورت لأضربك الحد ، ثم قال : أعفيتك من لزوم المسجد ، فقال أبو دلامة : أوكنت ضاربى يا أمير المؤمنين لو أقورت ؟ قال : نعم ، قال : مع قول الله عز وجل (يقولون ما لا يفعلون) ؟ فضحك منه وأعجب من إسراعه ، ووصله] [١] .

وكان المنصور قد أمر بهدم دور كثيرة ، منها دار أبي دلامة ، فكتب إلى المنصور [من الخفيف] :

يا بنَ عم النبى دَعْوَةُ شيخ — قدْ دَنَا هَدْمُ داره وَبَوَارُهْ
فهو كالماخض التى اعتادها الطَّلْـقُ فَقَرَّتْ وما يقـر قَرَارُهْ
لكم الأرضُ كلها فأعيروا — عبدكم ما احتوى عليه جدارُهْ

فأمر له بدار عوضاً عنها.

ولما قدم المهدى بن المنصور من الري إلى بغداد دخل عليه أبو دلامة للسلام والتهنئة بقدومه ، فأقبل عليه المهدى ، وقال له : وكيف أنت يا أبا دلامة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين [من الكامل] :

إنى حلفت لئن رأيتك سالماً — بقُرَى العراق وأنتَ ذو وَفْرِ
لتصلينَّ على النبى محمد — ولتملأنَّ دراهما حِجْرِى

فقال المهدى : أما الأولى فنعم ، وأما الثانية فلا ، فقال : جعلنى الله فداك ! إنهما كلمتان لا يفرق بينهما ، فقال : تملأ حجر أبي دلامة دراهم ، فقعد وبسط حجره فملىء دراهم ، فقال له : قم الآن يا أبا دلامة ، فقال : يتخرق قميصى يا أمير المؤمنين ، حتى أشيل الدراهم وأقوم ، فردها إلى الأكياس ثم قام.

(١) إلى هنا نهاية الساقط من ا

وله أشعار كثيرة ، وذكر [١] ابن المنجم فى كتاب « البارع، فى اختيار شعر المحدثين » [منها جملة] .

[٢][وخرج المهدى وعلى بن سليمان إلى الصيد ومعهما أبو دلامة ، فرمى المهدى ظبياً فأصابه ، ورمى على بن سليمان ظبياً فأخطأه وأصاب كلباً ، فضحك المهدى ، وقال : يا أبا دلامة ، قل فى هذا ، فقال [من مجزوء الرمل] :

قدْ رَمَى المهدىُّ ظَبْياً — شَكَّ بالسَّهم فُؤَادَهْ
وعلى بن سُلَيْمَا — نَ رمى كَلْباً فَصَادَهْ
فهنيئاً لكما كـــل امرىء يأكل زادَهْ

فأمر له بثلاثين ألف درهم .

ودخل أبو دلامة على المهدى ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ماتت أم دلامة ، وبقيتُ ليس أحد يعاطينى ، فقال : إنا لله ، أعطوه ألف درهم يشترى بها أمة تعاطيه ، وكان قد دَسَّ أم دلامة على الخيزران ، فقالت : ياسيدتى مات أبو دلامة وبقيتُ ضائعة ، فأمرت لها بألف درهم ، فدخل المهدى على الخيزران ، وهو حزين ، فقالت : ما بال أمير المؤمنين ؟ قال : ماتت أم دلامة ، فقالت : إنما مات أبو دلامة ، فقال : قاتل الله أبا دلامة وأم دلامة ! قد خدعانا والله .

وكان أبو عطاء السندى مولى بنى أسد قد هجاه بقوله [من الوافر] :

ألاَ أبلغْ هُديتَ أبا دُلاَمَهْ — فليس مِنَ الكرام ولا كَرَامَهْ
إذا لبسَ العمامة كانَ قِرْداً — وَخنزيراً إذا وضعَ العمامَهْ

فلم يتعرض له أبو دلامة] [٢] .

وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائة ، رحمه الله تعالى! ويقال : إنه عاش إلى أيام الرشيد ، وكانت ولاية الرشيد سنة سبعين ومائة .

(١) فى ا « وذكره ابن المنجم » وليس فيها قوله « منها جملة »
(٢) سقط ما بين المعقوفين من ا

سِيَر أعلام النُّبلاء

تصنيف

الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

المتوفى

٧٤٨هـ - ١٣٧٤م

حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه

شعيب الأرنؤوط و حسين الأسد

مؤسسة الرسالة

وفي سنة ٢٥٨ جرت وقعةٌ بين الزنج، وبين العسكر، فانهزم العسكرُ، وقُتل قائدُهم منصور، ثم نهض أبو أحمد الموفَّقُ ومُفْلِح في عسكرٍ عظيم إلى الغاية لحربِ الخبيث، فانهزم جيشُه، ثم تهيأ وجمعَ الجيوش، وأقبل فتمت ملحمةٌ لم يُسمع بمثلِها . وظهر المسلمون، ثم قُتل مُقدَّمُهم مُفْلح[1]، فانهزم الناسُ، واستباحهم الزَّنجُ، وفرَّ المُوفَّق إلى الأُبُلَّةِ، وتراجعت إليه العساكر. ثم التقى الزنجَ فانتصرَ ، وأسر طاغيتهم يحيى. وبَعث به إلى سامَرَّاء فذُبح ، ووقع الوباءُ، فمات خلائقُ . ثم التقى الموفقُ الزنجَ فانكسر، وقُتل خلقٌ من جيشِه ، وتحيَّز هو في طائفةٍ، وعَظُم البلاءُ . وكاد الخبيثُ أن يملِكَ الدنيا، وكان كذَّاباً ممخرِقاً ماكراً شجاعاً داهيةً ، ادعى انه بُعث إلى الخلق،فردُّ الرسالة.وكان يدَّعي علم الغيب، لعنهُ الله .

ودخلت سنةُ تسعٍ ، فعرض الموفَّقُ جيشَه بواسط، وأما الخبيثُ فدخل البطائح، وبَثَق حولَه الأنهار وتحصَّن ، فهجم عليه الموفَّقُ، وأحرقَ وقَتل فيهم، واستَنقذ من السبايا ، وردَّ إلى بغداد، فسار خبيثُ الزَّنج إلى الأهواز، فوضع السيفَ ، وقتل نحواً من خمسين ألفاً، وسبى أربعين ألفاً. فسار لحربِه موسى بُن بُغا فتحاربا بضعةَ عشر شهراً، وذهب تحت السيف خلائقُ من الفريقين .فإنا لله، وإنا اليه راجعون .

وفيها عصى كَنْجور[2]، فسار لحربِه عدةُ أمراء، فأُسِر وذبح[3] . وأقبلتِ الرومُ ،فنازلوا ملطية وسُمَيْساط، فبرز القابوسُ بأهلِ ملطية، فهُزِم الرُّوم، وقُتل مُقدَّمهم[4] .

---

(١) راجع خبر مقتله في « تاريخ الطبري » ٤٩٢/٩ .

(٢) في « الكامل » لابن الأثير : كيجور . (٣) انظر « تاريخ الطبري » ٥٠٢/٩ .

(٤) وهو نصرِ الإقريطشيّ بِطْريق البطارقة ، قتله أحمد بن محمد القابوس راجع « تاريخ الطبري » ٥٠٦/٩.

وفيها تملَّك يعقوبُ الصَّفَّارُ نيسابور، وركبَ إلى خدمتِه نائبُها محمدُ ابن طاهر بن عبد الله بن طاهر، فعنَّفه وسبَّه، واعتقله، فبعث المُعتمد يلوم الصَّفَّار، ويأمُره بالانصراف إلى ولايته ، فأبى، واستولى على الإقليم، ودانت له البلاد[1] .

وفي سنة ستين التقى الصَّفَّارُ الحسنَ بن زيد العلوي[2] فانهزم العلويُّ ، ودخل الصَّفَّار طَبَرِسْتان والديلم، واحتمى العلويُّ بالجبال، فتبِعه الصَّفَّار، فهلك خلقٌ من جيشِه بالثلج، ووقع الغَلاءُ، وأُبيع ببغداد الكُرُّ[3] بمئةٍ وخمسين ديناراً . وأخذت الرومُ مدينة لؤلؤة[4] .

وفي سنة ٢٦١ مالت الديلمُ إلى الصَّفَّار ونابذوا العَلَويَّ، فصار إلى كرْمان .

وأما الزنج فحروبهم متتالية، وسار يعقوب الصفَّار إلى فارس، فالتقى هو وابنُ واصل، فهزمه الصَّفَّار ، وأخذ له من قلعته أربعين ألف ألف درهم . وأعيا المعتمد شأنُ الصَّفَّار، وحار، فَلاَن له، وبعثَ إليه بالخِلَع وبولاية خراسان وجُرجان ، فلم يرضَ بذلك، حتى يجيء إلى سامَرَّاء ، وأضمر الشرَّ، فتحوَّل المعتمدُ إلى بغداد، وأقبل الصَّفَّار بكتائب كالجبال. فقيل: كانوا سبعين ألف فارس، وثِقَلُهُ على عشرة آلاف جمل، فأناخ بواسط في سنة اثنتين

---

(١) خبر دخول يعقوب بن الليث نيسابور في « تاريخ الطبري » ٥٠٧/٩ بتوسع .

(٢) « تاريخ الطبري » ٥٠٨/٩ .

(٣) الكُرُّ : مكيال لأهل العراق ، وهو عندهم ستون قَفِيزاً ، والقفيز ثمانية مكاكيك ، والمكوك صاع ونصف . قال الأزهري : والكُرُّ من هذا الحساب اثنا عشر وسقاً ، كل وَسْقٍ ستون صاعاً .

(٤) وهي قلعة قرب طَرَسوس ، غزاها المأمون وفتحها . والخبر في « تاريخ السيوطي » : ٣٦٤ .

شَرَفُ الدَّوْلَةِ فيه عَدْلٌ ، وَوَزَرَ في أيامه أبو منصور محمدُ بنُ الحسن ، ومما قدم معه عشرون ألف ألف دِرْهم ، وكان ذا رِفْقٍ ودِينٍ[1] . ومن عَدْلِ شرفِ الدَّوْلة ردُّه على السَّيد أبي الحسن محمدِ بنِ عمرَ أملاكَه . وكان مَغَلُّها في السَّنة أزيدَ من ألفِ ألفِ دينار[2] .

وعظُم الغَلاءُ ببغدادَ ، حتى بيعت كارة[3] الدقيق الخُشكار[4] بمِئتين وأربعين دِرْهماً[5] .

وفي هذا الحدودِ جاء بالبَصْرة سَمُوم حارَّةٌ[6] ، فمات جماعة في الطُّرُق[7] . وجاء « بفم الصُّلْح » ريح خَرَقَتْ[8] دِجْلَةَ ، حتى بانَتْ أرضُها فيما قيل ، وهدَّتْ في جامِعِها ، واحتملَتْ زورقاً فيه مواشيَ ، فَطَرَحَتْهُ بأرضِ جوخَى[9] فرأوه بعدَ أيام ، نسأل الله العافية[10] .

ولما مات شَرَفُ الدَّوْلةِ ، جاء الطَّائع يُعزي أخاه[11] بَهاءَ الدولة أبا نصر . فقبَّل أبو نصرٍ الأرضَ مرات ، وسَلْطَنَه الطَّائع بالطَّوْق والسَّوارين والخِلَع السَّبْع ، فأَقَرَّ في وزارَتِهِ أبا منصور المذكور ، ويُعرف بابن

(١) « المنتظم » : ٧ / ١٣٥ .

(٢) « المنتظم » : ٧ / ١٣٦ . وكان عضد الدولة قد صادره .

(٣) الكارة : خمسون رطلاً .

(٤) الخبز الأسمر غير النقي (فارسي) .

(٥) « المنتظم » : ٧ / ١٣٦ .

(٦) في الأصل : حادة .

(٧) « المنتظم » : ٧ / ١٤٢ .

(٨) ربما يكون الوجه : « جرفت » .

(٩) قال ياقوت : بالضم والقصر ، وقد يفتح ، وضبطها صاحب القاموس بالفتح ، وهي بلدة من أعمال واسط .

(١٠) « المنتظم » ٧ / ١٤١ .

(١١) في الأصل : ابنه ، وهو وهم .

صَالحان[1] . وكان بَهاءُ الدَّوْلةِ ذاهَيْبَةٍ وَوَقَار وحَزْم ، وحَارَبَه ابنُ صَمْصَام الدولةِ الذي كُحِلَ . وخُرِّبَت البَصْرةُ والأهوازُ ، وعَظُمَت الفِتَنُ ، وتواتَرَ أخذُ العَمَلات ببغداد[2] ، وتحارَبَت الشِّيعةُ والسُّنَّة مُدَّةً ، ثم وثبوا على الطَّائع لله في دارِه في تاسع عشر شعبان[3] سنة ٣٨١ وسَبَبُه أن شيخَ الشِّيعة ابنَ المعلِّم[4] كان من خواصِّ بهاءِ الدَّوْلة فَحُبِسَ ، فجاء بهاءُ الدَّوْلةِ ، وقد جَلَس الطَّائع في الرِّوَاق متقلِّدُ السيفَ ، فقبَّل الأرضَ ، وجلَس على كُرْسيٍّ ، فتقدم جماعةٌ من أعوانه ، فجذَبُوا الطَّائع بحمائل سيْفِه ، ولفُّوه في كِسَاءٍ ، وأُصْعِدَ في سفينته إلى دارِ المملكةِ ، وماجَ النَّاسُ وظنَّ الجُندُ أن القَبْضَ على بهاءِ الدولةِ ، فوقَعَ النَّهْبُ ، وقُبض على الرَّئيس عليِّ بن حاجب النُّعمي[5] وجماعةٍ . وصُودروا واحتيط على الخَزَائنِ والخَدَم أيضاً[6] .

فكانَ الطَّائع هَمَّ بالقَبْضِ على ابنِ عمِّه القادرِ باللهِ وهو أميرٌ ، فَهَرَب إلى البطائح[7] ، وانضمَّ إلى مهذِّبِ الدَّوْلةِ[8] ، وبقي معه عامين ، فأظهر

(١) « المنتظم » : ٧ / ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) « المنتظم » : ٧ / ١٥٣ والعملات : السرقات .

(٣) في « المنتظم » : ٧ / ١٥٦ « رمضان » .

(٤) هو علي بن محمد ، الكوكبي ، قال عنه ابن الأثير في « كامله » : ٩ / ٧٧ : « كان المدبر لدولة بهاء الدولة ، وإليه الحكم » .

(٥) هو علي بن عبد العزيز بن إبراهيم ، أبو الحسن ، المعروف بابن حاجب النعمان ، شاعر من بلغاء الكتاب ، كتب للطائع ثم للقادر ، وخُوطب برئيس الرؤساء ، توفي سنة / ٤٢٣ / هـ له ترجمة في « معجم الأدباء » : ١٤ / ٣٥ - ٣٩ .

(٦) « المنتظم » : ٧ / ١٥٦ - ١٥٧ . وفي « الكامل » : ٩ / ٧٩ سبب آخر للخلع غير حبس ابن المعلم ، وهو قلة المال بين يدي بهاء الدولة ، وطمعه في ثروة الخليفة ، ويرجع هذا الخبر قبض بهاء الدولة على ابن المعلم وقتله في سنة / ٣٨٢ / هـ .

(٧) مفردها : البطيحة : وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة ، وسميت بطائح لأن المياه تبطحت فيها ، أي سالت واتسعت في الأرض . « معجم البلدان » : ١ / ٤٥٠ .

(٨) هو علي بن نصر ، أبو الحسن ، أمير البطيحة ، وليها بعد وفاة خاله المظفر / ٣٧٦ / =

ولَقَدْ تَعِبْتُ بِبَيْنِكُمْ   تَعَبَ المهاجِرِ في الهَوَاجِرِ[1]

قيل : إنَّه أُحضِرَ إلى المُعِزِّ بمصر كتابٌ[2] فيه شهادةُ جدِّهم عُبيد اللّه بسَلَمِيَّة . وفيه : وكَتَبَ عُبيدُ اللّهِ بنُ محمدِ بن عبد اللّه البَاهِلِيُّ ، فقال : نَعَمْ ، هذه شهادةُ جَدِّنا ، وأرادَ بقوله البَاهِلِي ، أنَّه من أهل المبَاهَلَة[3] لا أنه من بَاهِلة[4] .

قلتُ : ظهرَ هذا الوَقْت الرَّفْضُ ، وأبدى صَفْحَتَه ، وشَمَخَ بأَنْفِهِ في مصر والشَّام والحجاز والغَرْب بالدولَة العُبيدية ، وبالعراقِ والجزيرةِ والعَجَم بني بُوَيه ، وكان الخليفةُ المطيعُ ضعيفَ الدَّستِ والرُّتْبَة مع بني بُوَيه . ثم ضَعُفَ بَدَنُه ، وأصابَه فَالِجٌ ، وخَرِسَ فعزلوه ، وأقاموا ابنَه الطَّائعَ للّهِ . وله السِّكَّة والخُطبةُ ، وقليلٌ من الأمور ، فكانَتْ مملكةُ هذا المُعِزِّ أعظمَ وأمكنَ . وكذلك دولةُ صاحبِ الأندلس المُسْتَنْصِر باللّهِ المَرْوَانِي ، كانت مُوطَّدة مُسْتَقِلَّة كوالده النَّاصر لدين اللّه الذي ولي خمسينَ عاماً .

وأعلنَ الأذانُ بالشَّام ومصر بحيّ على خَيْرِ العَمَل . فللّه الأمر كلُّه[5] .

قيل : ما عُرِفَ عن المُعِزّ غير التَّشيُّع ، وكان يُطيل الصَّلاة ، ومات قبلَه

(١) « وفيات الأعيان » : ٥ / ٢٢٨ .

(٢) في الأصل : فيها .

(٣) المباهلة : الملاعنة ، باهلت فلاناً أي لاعنته ، ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا .
« لسان العرب » (بهل) .

(٤) اسم لقبيلة عظيمة من قيس بن عيلان .
انظر ما كتبه عنها ابن الأثير في « اللباب » : ١ / ٩٣ - ٩٤ .

(٥) « النجوم الزاهرة » : ٤ / ٥٨ .

بسنةٍ ابنُه عبدُ اللّه ، وليُّ العهد ، وصَبَرَ . وغُلِّقت مصر لعزائه ثلاثاً . وشيَّعوه بلا عمائم بل بمناديل صوف ، فأَمَّهُم المعزُّ بأتَمِّ صلاةٍ وأحسَنِها .

في سنة ستين وثلاث مئة ، وجِدَ بالسُّوق . . .[1] قد نُسِجَ فيه : « المُعِزُّ عَزَّ وجَلَّ » ، فأُحضر [النَّسَّاج][2] إلى جَوْهَر ، فأنكر ذلك ، وصُلِبَ النَّساجُ ثم أُطلق .

وأخذ المُحتَسِب من الطحَّانين سبع مئة دينار فأنكر عليه جَوْهر ، وردَّ الذَّهَبَ إليهم .

وأبيع تلَّيس[3] الدقيق بتسعة عشر ديناراً ، ثم انحلَّ السِّعر في سنةِ ستين وثلاث مئة . وكان الغَلاءُ أربع سنين .

وقَبَضَ جَوْهَر على تسع مئة وأربعين جندياً والإخْشيد في وقتٍ واحد ، وقُيِّدوا[4] .

وثارتْ عليه القَرامِطة ، واستولوا على كثيرٍ من الشَّام ، وساروا حتَّى أتَوْا مِصْرَ ، فحارَبَهُم جَوْهر ، وجَرَت أمور مهولة[5] .

وعزِل سنةَ ٣٦١ من الوَزَارة ابنُ حِنْزابة ، وأُهين[6] .

ووقع المصاف بين جَوْهر والقَرامِطة . وقُتِل خَلْق وذلك بظَاهر القاهرة ،

(١) بياض في الأصل مقدار كلمة .

(٢) زيادة يقتضيها سياق النص .

(٣) شبه القفه ، ويقول عامة صعيد مصر « للشوال » الضخم : « تليس » .

(٤) « اتعاظ الحنفا » : ١٨٢ .

(٥) « الكامل » : ٨ / ٦١٤ - ٦١٦ .

(٦) انظر « وفيات الأعيان » ١ / ٣٤٦ - ٣٥٠ .

وفي سنة اثنتين وستين ، قُطِعَتْ من مكّة الدعوةُ المستنصريّة ، وخُطب للقائم بأمر الله . وتُرِكَ الأذانُ « بحي على خير العَمَل »[1] . وذلك لذلّة المِصْريين بالقحط الأكبر وفنائهم . وأكَلَ بعضُهم بعضاً ، وتمزّقوا في البلاد من الجوع ، وتمحّقَتْ خزائنُ المُسْتَنْصِر ، وافتقرَ ، وتعثّر[2] .

وفي هذه النوبة نقل صاحبُ « المرآة »[3] ، أن امرأة خَرَجَتْ وبيدها مُدُّ لؤلؤ لتشتريَ به مُدَّ قمحٍ ، فلم يلتفتْ إليها أحدٌ ، فرمته فما كان له مَنْ يَلْتقِطُه[4] . فكاد الخرابُ أن يستولي على سائر الأقاليم ، حتى لأُبيع الكَلْبُ بستةِ دنانير والقط بثلاثةِ دنانير ، حتى أُبيع الإردبّ بمئة دينار[5] .

وفي سنة ٦٣ هَزَمَ السُّلْطان ألب أرسلان طاغيةَ الرُّوم وأسَرَه . وقُتِلَ من العدوِّ ستونَ ألفاً[6] .

وأقبل أطز[7] الخوارزميُّ ، أحدُ أمراء ألب أرسلان ، فاستولى على الشّام إلا قليلاً ، وعَسَف وتمرّد وَعَتا[8] .

واشتغل جيشُ مصر بنفوسهم . ثُمّ اختلفوا ، واقتتلوا مُدّةً ، وصاروا

(١) « الكامل » : ١٠ / ٦١ .
(٢) « الكامل » : ١٠/٦١ - ٦٢ .
(٣) هو يوسف بن قزغلي ، أبو المظفر ، سبط ابن الجوزي ، مؤرخ من الكتاب ، ولد ونشأ ببغداد ، وربّاه جده ، وانتقل الى دمشق ، فاستوطنها ، وتوفي فيها سنة / ٦٥٤ / هـ من كتبه «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» صور منه المجلد الثامن ، وهو آخر الكتاب .
(٤) « النجوم الزاهرة » : ٥ / ١٧ .
(٥) « النجوم الزاهرة » : ١٦/٥ والإردب كيل كبير يستعمل لتقدير الحبوب ، ويزن مئة وخمسين كيلوغرام .
(٦) « المنتظم » : ٨ / ٢٦٠ - ٢٦٥ .
(٧) في الأصل : أطسز ، والصواب ما أثبتناه كما سيذكره المصنف في الصفحة ١٩٣ .
(٨) « ذيل تاريخ دمشق » : ٩٨ - ٩٩ .

فِرْقَتين . فرقة العبيد وعرب الصَّعيد ، وفرْقة التُّرك والمغاربة ، ورأسُهم ابنُ حمدان ، فالتقوا بكَوْم الرِّيش ، فهَزَمهم ابنُ حَمْدان . وقُتِلَ وغَرِقَ نحوٌ من أربعينَ ألفاً . ونفِذَتْ خزائنُ المُسْتَنصر على التُّرْك ، ثم اختَلَفُوا ، ودام الحربُ أياماً ، وطَمِعُوا في المستنصر ، وطالبوه حتى أُبيعت فُرُش القَصْر ، وامتعَتُه بأبخسِ ثمنٍ ، وغلبَت العبيدُ على الصَعيد ، وقطعوا الطُّرقَ ، وكان نَقْدُ الأتراك في الشهر أربع مئة ألف دينار ، واشْتَدَّت وطأةُ ناصر الدولة ، وصارَ هو الكلّ ، فحسَدَه الأمراء ، وحاربوه ، فهزموه ، ثُمّ جمع ، وأقْبَلَ ، فانتصرَ ، وتعثَّرَتِ الرَّعيّةُ بالهَيْج مع القحط ، ونهبت الجندُ دورَ العَامّة[1] .

قال ابنُ الأثير : اشْتَدَّ الغلاءُ حتى حُكِيَ أن امرأةً أكلتْ رغيفاً بألفِ دينارٍ ، باعت عروضاً تساوي ألفَ دينار بثلاث مئة دينار ، فاشترتْ بها جُوالِق[2] قمح ، فانْتَهَبَهُ النَّاسُ ، فنَهَبَتْ هي منه فَحَصَلَ لها ما خُبِزَ رَغِيفاً[3] .

واضمحلَّ أمْرُ المستنصر بالمرّة ، وخَمُل ذِكْرُهُ . وبعَثَ ابنُ حمدان يُطالبه بالعَطاء ، فرآه رسولُه على حَصيرٍ ، وما حولَه سوى ثلاثة غِلْمان . فقال : أما يكفي ناصر الدولة أنْ أجلِسَ في مثل هذا الحال ؟ فبكى الرّسولُ ، ورقَّ له ناصرُ الدَّولة ، وقرَّر له كلَّ يوم مئة دينار .

وكان ناصرُ الدَّوْلة ، يظهر التسنُّن ، ويعيب المستنصرَ لخبث رَفْضِه وعقيدَتِه ، وتفرّق عن المستنصر أولادُه ، وأهلهُ من الجوع . وتفرّقوا في

(١) انظر « الكامل » : ١٠ / ٨٠ - ٨٥ .
(٢) وعاء من صوف أو غيره ، جمعه : جوالق - بفتح الجيم ، وهو عند العامة (شوال) .
(٣) « الكامل » : ١٠ / ٨٥ .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : طلحة ممن قضى نحبه .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وطلحة ، والزبير ، فتحركت الصخرة ، فقال رسول الله : اهدأ ! فما عليك إلا نبىٌّ أو صدّيق أو شهيد .

سويد بن سعيد : ثنا صالح بن موسى ، عن معاوية بن إسحاق ، عن عائشة بنت طلحة .

عن عائشة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : منْ سرّه أن ينظر إلى رجل يمشى على الأرض قد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة .

قال ت : ثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا أبو عبد الرحمن نصر بن منصور ،

حدثنا عقبة بن علقمة اليشكرى ، سمعت علياً يوم الجمل يقول : سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : طلحةُ والزبيرُ جاراى فى الجنة .

وهكذا رواه ابن زيدان البجلى ، وأبو بكر الجارودى ، عن الأشج ، وشذ أبو يعلى الموصلى فقال عن نصر ، عن أبيه ، عن عقبة .

دحيم : ثنا محمد بن طلحة ، عن موسى بن محمد ، عن أبيه .

عن سلمة بن الأكوع قال : ابتاع طلحة بئراً بناحية الجبل ، ونحر جزوراً فأطعم الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت طلحة الفيّاض .

سليمان بن أيوب بن عيسى بن موسى بن طلحة : عن جدى ، عن موسى بن طلحة .

عن أبيه قال : لما كان يوم أحد ، سماه النبى صلى الله عليه وسلم طلحة الخير . وفى غزوة العمرة ، طلحة الفياض (٨ آ) ، ويوم خيبر ، طلحة الجود .

إسناده لين .

قال مجالد ، عن الشعبى .

عن قبيصة بن جابر قال : صحبتُ طلحة ، فما رأيت أعطى لجزيلِ مالٍ من غير مسألةٍ منه .

أبو إسماعيل الترمذى : ثنا سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن موسى ، حدثنى أبى ، عن جدى ، عن موسى .

عن أبيه ، أنه أتاه مالٌ من حَضْرَمَوْت سبعُ مئة ألف ، فبات ليلته يتململ . فقالت له زوجته : مالك ؟ قال : تفكرتُ منذ الليلة ، فقلت ما ظنٌّ رجلٍ بربه يبيتُ وهذا المال فى بيته ؟ قالت : فأين أنت من بعض أخلاّئك (١) فإذا أصبحت ، فادعُ بجفان وقِصاع فقسّمْه . فقال لها : رحمك الله ، إنك موفّقةٌ بنتُ موفّق ، وهى أم كلثوم بنت الصدّيق . فلما أصبح دعا بجفان ، فقسّمها بين المهاجرين والأنصار ، فبعث إلى علىٍّ منها بجفنة ، فقالت له زوجته : أبا محمد ! أما كان لنا فى هذا المال من نصيب ؟ قال : فأين كنتِ منذ اليوم ؟ فشأنك بما بقى . قالت : فكانت صرة فيها نحو ألف درهم .

أخبرنا المسلم بن علان ، وجماعة ، كتابة ، قالوا : أنبأ عمر بن محمد ، أنبأ هبة الله بن الحصين ، أنبأ ابن غيلان ، أنبأ أبو بكر الشافعى ، ثنا إبراهيم الحربى ، ثنا عبد الله بن عمر ، ثنا محمد بن يعلى ، ثنا الحسن بن دينار .

عن على بن زيد قال : جاء أعرابى إلى طلحة يسأله ، فتقرب إليه برحم فقال : إنّ هذه لرحم ما سألنى بها أحدٌ قبلك ، إنّ لى أرضاً قد أعطانى بها عثمان ثلاث مئة ألف ، فاقبضها ، وإن شئت بعتها من عثمان ودفعتُ إليك الثمن ، فقال : الثمن . فأعطاه .

الكريمى : ثنا الأصمعى .

حدثنا ابن عمران قاضى المدينة أن طلحة فدى عشرة من أسارى بدر (٢) بماله . وسُئل مرّة برحم فقال : قد بعت لى حائطاً (٣) بسبع مئة ألف ، وأنا فيه بالخيار . فإن شئت خذه ، وإن شئت ثَمَنَه .

إسنادها منقطع مع ضعف الكريمى .

---

(١) « اخلاوك » .
(٢) ص « يدري » .
(٣) ص « حائط » .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : طلحة ممن قضى نحبه .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان على حرآء هو ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وطلحة ، والزبير ، فتحركت الصخرة ، فقال رسول الله : اهدأ ! فما عليك إلا نبىٌّ أو صدّيق أو شهيد .

سويد بن سعيد : ثنا صالح بن موسى ، عن معاوية بن إسحاق ، عن عائشة بنت طلحة .

عن عائشة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : منْ سرّه أن ينظر إلى رجل يمشى على الأرض قد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة .

قال ت : ثنا أبوسعيد الأشج ، ثنا أبو عبد الرحمن نصر بن منصور ،

حدثنا عقبة بن علقمة اليشكرى ، سمعت علياً يوم الجمل يقول : سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : طلحةُ والزبيرُ جاراى فى الجنة .

وهكذا رواه ابن زيدان البجلى ، وأبو بكر الجارودى ، عن الأشج ، وشذ أبو يعلى الموصلى . فقال عن نصر ، عن أبيه ، عن عقبة .

دحيم : ثنا محمد بن طلحة ، عن موسى بن محمد ، عن أبيه .

عن سلمة بن الأكوع قال : ابتاع طلحة بئراً بناحية الجبل ، ونحر جزوراً فأطعم الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت طلحة الفيّاض .

سليمان بن أيوب بن عيسى بن موسى بن طلحة : عن جدى ، عن موسى بن طلحة .

عن أبيه قال: لما كان يوم أحد ، سماه النبى صلى الله عليه وسلم طلحة الخير . وفى غزوة العمرة ، طلحة الفياض (٨ آ) ، ويوم حنين ، طلحة الجود .

إسناده لين .

قال مجالد ، عن الشعبى .

عن قبيصة بن جابر قال : صحبتُ طلحة ، فما رأيت أعطى لجزيل مالٍ من غير مسألةٍ منه .

أبو إسماعيل الترمذى : ثنا سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن موسى ، حدثنى أبى ، عن جدى ، عن موسى .

عن أبيه ، أنه أتاه مالٌ من حَضْرَمَوْت سبعُ مئة ألف ، فبات ليلته يتململ . فقالت له زوجته : مالك ؟ قال : تفكرتُ منذ الليلة ، فقلت ما ظَنٌّ رجلٍ بربه يبيتُ وهذا المال فى بيته ؟ قالت : فأين أنت من بعض أخلاّئك (١) فإذا أصبحت ، فادعُ بجفان وقِصاع فقسّمْه . فقال لها : رحمكِ الله ، إنك موفّقةٌ بنتُ موفّق ، وهى أم كلثوم بنت الصدّيق ، فلما أصبح دعا بجِفان ، فقسّمها بين المهاجرين والأنصار ، فبعث إلى علىٍّ منها بجفنة ، فقالت له زوجته : أبا محمد ! أما كان لنا فى هذا المال من نصيب ؟ قال : فأين كنتِ منذ اليوم ؟ فشأنك بما بقى . قالت : فكانت صرة فيها نحو ألف درهم .

أخبرنا المسلم بن علان ، وجماعة ، كتابة ، قالوا : أنبأ عمر بن محمد ، أنبأ هبة الله بن الحصين ، أنبأ ابن غيلان ، أنبأ أبو بكر الشافعى ، ثنا إبراهيم الحربى ، ثنا عبد الله بن عمر ، ثنا محمد بن يعلى ، ثنا الحسن بن دينار .

عن على بن زيد قال : جاء أعرابى إلى طلحة يسأله ، فتقرب إليه برحم فقال : إنّ هذه لرحم ما سألنى بها أحدٌ قبلك ، إنّ لى أرضاً قد أعطانى بها عثمان ثلاث مئة ألف ، فاقبضها ، وإن شئت بعتها من عثمان ودفعتُ إليك الثمن ، فقال : الثمن . فأعطاه .

الكريمى : ثنا الأصمعى .

حدثنا ابن عمران قاضى المدينة أن طلحة فدى عشرة من أسارى بدر (٢) بماله . وسُئل مرّة برحم ، فقال : قد بعت لى حائطاً (٣) بسبع مئة ألف ، وأنا فيه بالخيار . فإن شئت خذه ، وإن شئت ثمنه .

إسنادها منقطع مع ضعف الكريمى .

---

(١) « اخلاك » .

(٢) ص « يدرى » .

(٣) ص « حائط » .

قال ابن سعد (١) : أنبأ سعيد بن منصور ، ثنا صالح بن موسى ، عن معاوية بن إسحاق .

عن عائشة وأمّ إسحاق بنتىْ طلحة قالتا : جُرح أبونا يوم أحُد أربعاً وعشرين جراحة ، وقع منها فى رأسه شَجّةٌ مربّعة ، وقُطع نسَاه ، يعنى العرق . وشلّت أصبعُه ، وكان سائر الجراح فى جسده ، وغلبه الغَشْىُ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مكسورةٌ رُباعيته ، مشجوجٌ فى وجهه ، قد علاه الغشىُ ، وطلحةُ محتملُه يرجعُ به القهقرى ، وكلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه ، حتى أسنده إلى الشعب .

ابن عيينة :

عن طلحة بن يحيى ، حدثنى جدتى سُعْدى بنت عوف المرّية قالت : دخلتُ على طلحة يوماً وهو خاثر ، فقلت : مالك ؟ لعل رابك من أهلك شىء ؟ قال : لا والله ، ونِعم (٨ ب) حَليلة (٢) المسلم أنتِ ، ولكن مالٌ عندى قد غمّنى . فقلتُ : ما يغمّك ؟ عليك بقومك ، قال : يا غلام ! أدعُ لى قومى . فقسّمه فيهم ، فسألتُ الخازن : كم أعطى ؟ قال أربع مئة ألف .

هشام وعوف :

عن الحسن البصرى أنّ طلحة بن عُبيد الله باع أرضاً له بسبع مئة ألفٍ . فبات أرِقاً من مخافة ذلك المال حتى أصبح ففرّقه .

محمد بن سعد (٣) : ثنا محمد بن عمر ، ثنا موسى بن محمد بن إبراهيم التيمى .

عن أبيه قال : كان طلحة يغلّ بالعراق أربع مئة ألف (٤) ، ويغل بالسراة (٥) عشرة آلاف دينار أو [أقل أو] أكثر ، [وبالأعراض (٦) له غلات]

---

(١) فى الطبقات ٣/١ : ١٥٥

(٢) ص « خليلة » .

(٣) فى الطبقات ٣/١ : ١٥٧ ؛ وما أضيف بين قوسين هنا من الطبقات

(٤) نص ابن سعد « كان طلحة يغل كل يوم من العراق ما بين أربع مئة ألف إلى خمس مئة ألف » .

(٥) انظر عن السراة معجم البلدان ٥ : ٥٩ وما بعدها .

(٦) أعراض المدينة قراها التى فى أوديتها ، أو بطون سوادها حيث الزرع والنخل . معجم البلدان ١ : ٢٨٩ .

وكان لا يدع أحداً (١) من بنى تيم عائلاً إلاّ كفاه وقضى دينه . ولقد كان يرسل إلى عائشة [إذا جاءت غلته] كل سنة بعشرة آلاف ، ولقد قضى عن فلان (٢) التيمى ثلاثين ألفاً .

قال الزبير بن بكار : حدثنى عثمان بن الرحمن أنّ طلحة بن عُبيد الله قضى عن عبيد الله بن معمر ، وعبد الله بن عامر بن كُريز ثمانين ألف درهم .

قال الحميدى : ثنا ابن عيينة . ثنا عمرو بن دينار .

أخبرنى مولى لطلحة قال : كانت غلّة طلحة كل يوم ألف وافٍ (٣) .

قال الواقدى : ثنا إسحاق بن يحيى

عن موسى بن طلحة أن معاوية سأله : كم ترك أبو محمد من العَين ، قال : ترك ألفى ألف درهم ومئتى ألف درهم ، ومن الذهب مئتى ألف دينار ، فقال معاوية : عاش حميداً سخيّاً شريفاً وقتل فقيراً (٤) رحمه الله (٥) .

وأنشد الرياشى لرجل من قريش :

أيا يا سائلى عن خيارِ العباد   صادفتَ ذا العلم والخِبْرَه
خيارُ العباد جميعـاً قريشُ   وخيرُ قريش ذوو الهِجْرَه
وخيرُ ذوى الهجرة السابقون   ثمانيـة وحـدهم نصَرَه
علىٌّ وعثمانُ ثم الزبـيرُ   وطلحـةُ واثنان من زُهرَهْ
وبَرّان قد جاورا أحمـداً   وجـاوَرَ قبرُهمـا قبرَه
فمن كان بعـدهم فاخـراً   فلا يذكـرن بعدهم فخره

يحيى بن معين : ثنا هشام بن يوسف . عن عبد الله بن مصعب .

أخبرنى موسى بن عقبة ، سمعت علقمة بن وقاص الليثى قال : لما خرج

---

(١) ص « أحد » .

(٢) فى ابن سعد أنه « صبيحة التيمى » .

(٣) الوافى : درهم وأربعة دوانق (القاموس)

(٤) ص « فقيدا » .

(٥) روى ابن سعد هذا الخبر ، وهو هنا مختصر .

الأوزاعى : حدثنى نهيك بن مريم ،

حدثنا مغيث بن سمىّ ، قال : كان للزبير بن العوّام ألفُ مملوك يؤدّون إليه الخراج ، فلا يُدْخِل بيتَه من خراجهم شيئاً .

رواه سعيد بن عبد العزيز نحوه ، وزاد : بل يتصدّق بها كلها .

وقال الزبير بن بكار : حدثنى أبو غزية محمد بن موسى ، ثنا عبد الله بن مصعب، عن هشام ابن عروة ، عن فاطمة بنت المنذر ،

عن جدتها أسماء بنت أبى بكر قالت: مرّ الزبير بمجلس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحسّان ينشدهم من شعره، وهم غير نِشاطٍ لما يسمعون منه، فجلس معهم الزبير ثم قال : مالى أراكم غير أذِنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة ! فلقد كان يعرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه ويجزل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه ، فقال حسان يمدح الزبير : (١)

أقام على عهد النبى وهديـــه	حواريُّه والقول بالفعل يعدل (٢)
أقام على منهاجه وطريقـــه	يوالى ولىّ الحق والحقُّ أعدلُ
هو الفارسُ المشهور والبطل الذى	يصول إذا ما كان يومٌ محجّلُ
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشّها (٣)	بأبيض سباق إلى الموت يرقل (١٣آ)
وإن امرءاً كانت صفية أمه	ومن أسد فى بيتهـــا لمُؤثّلُ
له من رسول الله قربى قريبةٌ	ومن نصرة الإسلام مجدٌ مؤثّلُ
فكم كربةٍ ذبّ الزبيرُ بسيفه	عن المصطفى والله يعطى فيجزلُ
ثناؤك خيرٌ من فعال معاشرٍ	وفعلك يا ابن الهاشمية أفضلُ

٥

قال جويرية بن أسماء : باع الزبير دارًا له بست مئة ألف ، فقيل له

(١) لا توجد هذه القصيدة فى ديوان حسان (طبعة ليدن سنة ١٩١٠)
(٢) فى تاريخ الإسلام ٢ : ١٥٤ « يكمل » .
(٣) حش الحرب أسعرها .

يا أبا عبد الله ! غبنت ! قال : كلا هى فى سبيل الله .

الليث :

عن هشام بن عروة ، أن الزبير لما قُتل عمر محا نفسه من الديوان ، وأن ابنه عبد الله لما قُتل عثمان محا نفسه من الديوان .

أحمد فى المسند (١) : ثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، ثنا شداد بن سعيد، ثنا غيلان بن جرير.

عن مُطَرِّف قال : قلت للزبير : ما جاء بكم ؟ ضيعتم الخليفة حتى قُتل، ثم جئتم تطلبون بدمه ؟ قال : إنا قرأنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ﴿ واتقوا فتنةً لاتصيبنّ الذين ظَلَمُوا منكم خاصّة ﴾ (٢) لم نكن نحسِب أنا أهلها حتى وقعتْ منا حيث وقعت .

مبارك بن فضالة :

عن الحسن ، أن رجلاً أتى الزبير وهو بالبصرة فقال : ألا أقتلُ علياً ؟ قال : كيف تقتله ومعه الجنود ؟ قال: ألحقُ به ، فأكونُ معك ، ثم أفتِك به ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الإيمان قيْد الفتك ، لا يفتك مؤمن .

هذا فى المسند (٣) . وفى الجعديات .
الدولابى « فى الذرية الطاهرة » : ثنا الدقيق ، ثنا يزيد ، سمعت شريكاً .

عن الأسود بن قيس ، حدثنى من رأى الزبير يقتفى آثار الخيل قعصاً بالرمح ، فناداه علىّ : يا أبا عبد الله ! فأقبل عليه حتى التقت أعناق دوابهما ، فقال : أنشدك بالله ، أتذكر يوم كنتُ أناجيك فأتانا رسول الله

(١) المسند ٣ : ٩ ، رقم ١٤١٤ .
(٢) سورة الأنفال ، ٨ ، الآية ٢٥ .
(٣) مسند أحمد ٣ : ١٩ ، رقم ١٤٢٦ . وهنا زيادة ليست فى المسند .

مئة ألف، فقال حكيم : ما أرى أموالكم تتسع لهذه! فقال عبد الله : أفرأيت إن كانت ألفي ألف ومئتي ألف ! قال : ما أراكم تطيقون هذا ، فإن عجزتم عن شيء فاستعينوا بي وكان الزبير قد اشترى الغابة بسبعين ومئة ألف ، فباعها عبدُ الله بألف ألف وست مئة ألف ، وقال : من كان له على الزبير دين فليأتنا بالغابة . فأتاه عبد الله بن جعفرَ ، وكان له على الزبير أربع مئة ألف ، فقال لابن الزبير : إنْ شئت تركتها لكم ، قال : لا ، قال : فاقطعوا لي قطعة ، قال لك من ههنا إلى ههنا ، قال : فباعه بقضاء دينه ، قال : وبقي منها أربعة أسهم ونصف ، فقال المنذر بن الزبير : قد أخذت سهماً بمئة ألف ، وقال عمرو بن عثمان : قد أخذت سهماً بمئة ألف ، وقال ابن ربيعة : قد أخذت سهماً بمئة ألف ، فقال معاوية : كم بقي ؟ قال سهم ونصف ، قال : قد أخذته بمئة وخمسين ألفاً ، قال : وباع ابن جعفر نصيبه من معاوية بست مئة ألف، فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه (١٥ ب) قال بنو الزبير : أقسم بيننا ميراثنا . قال : لا والله ! حتى أنادي بالموسم أربع سنين : ألاَ منْ كان له على الزبير دينٌ فليأتنا فلنقضه . فجعل كل سنة يُنادي بالموسم. فلما مضتْ أربعُ سنين قسم بينهم . فكان للزبير أربعُ نسوة . قال : فرفع الثلث ، فأصاب كلَّ امرأة ألفُ ألفٍ ومئة ألف ، فجميع ماله خمسون ألفاً[١] ومئتا ألف .

للزبير في مسند بقيّ بن مخلد ثمانية وثلاثون حديثاً منها في الصحيحين حديثان . وانفرد البخاري بسبعة أحاديث .

قال هشام : عن أبيه ، قال : بلغ حصةُ عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل زَوجَةِ الزبير من ميراثه ثمانين ألف درهم .

وقالت ترثية :

غدر ابن جرموز بفارس بُهْمَةٍ[٢] ... يوم اللقاء وكان غير مُعَرّدِ

(١) ص «ألف» .

(٢) البهمة الجيش

يا عمرو لو نبّهته لوجدته ... لا طائشاً رعش البنانِ[١] ولا اليدِ

ثكلتكَ أمّك إنْ[٢] ظفرتَ بمثله ... فيما مضى فيما تروح وتغتدي

كم غَمْرةٍ قد خاضها لم يُثْنِه ... عنها طرادك يا ابن فقْع الفدفد[٣]

والله ربك إن قتلت لمسلماً[٤] ... حلت عليك عقوبة المتعمّدِ

(١) في طبقات ابن سعد «الجنان» .

(٢) » » » «هل ظفرت» .

(٣) » » » «شلت يمينك إن قتلت ....» .

(٤) » » » «يا ابن فقع القردد» . والفقع الذليل ، والفدفد والقردد كلاهما بمعنى .

قال : فما أقرضُ يا رسول الله ؟ فأرسل إليه : أتانى جبريل فقال : مرْه فليضف الضيفَ ، وليعط فى النائبة ، وليطعم المسكين[1] .

خالد بن الحارث وغيره : قالا : ثنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ،

عن أبيه قال : رأيتُ الجنة ، وأنى دخلتها حبواً ، ورأيتُ أنه لا يدخلها إلاّ الفقراء .

قلتُ : إسناده حسن ، فهو وغيره منام ، والمنام له تأويل . وقد انتفع ابن عوف بما رأى وبما بلغه حتّى تصدق بأموال عظيمة اطلقت له والحمد لله قدميه ، وصار من ورثة الفردوس ، فلا ضَير .

أنبأنا ابن أبى عمر ، أنبأ حنبل ، أنبأ ابن الحصين ، ثنا ابن المذهب ، ثنا أبو بكر ، ثنا عبد الله ، حدثنى أبى ، ثنا محمد بن عبيد ، ثنا الأعمش ،

عن شقيق قال : دخل عبد الرحمن على أمّ سلمة فقال : يا أم المؤمنين ! إنى أخشى أن أكونَ قد هلكت . إنى من أكثر قريش مالاً ، بعتُ أرضاً لى بأربعين ألف دينار . قالت : يا بنىّ ! أنفق ، فإنى سمعتُ رسولَ الله (١٨ ب) صلى الله عليه وسلم يقول : إنّ من أصحابى منْ لن يرانى بعد أن أفارقه . فأتيتُ

(١) انظر رواية ثانية مفصلة لهذا الخبر فى ابن سعد ٣/١ : ٩٣ . وقد جاء فيها « عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : يا ابن عوف ؛ إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفاً ، فأقرض الله يطلق لك قدميك . قال ابن عوف : وما الذى أقرض الله ؟ قال : تبدأ بما أمسيت فيه . قال : أمن كله أجمع يا رسول الله ؟ قال : نعم . قال فخرج ابن عوف وهو يهم بذلك ، فأرسل إليه رسول الله فقال : إنّ جبريل قال : مر ابن عوف فليضف الضيف ، وليطعم المسكين ، وليعط السائل ، ويبدأ بمن يعول فإنه إن فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه . اهـ .

عمرَ فأخبرته . فأتاها فقال : بالله ! أنا منهم ؟ قالت : اللهم لا ، ولن أبرئ أحداً بعدك .

رواه أيضاً أحمد ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش فقال : عن شقيق ، عن أم سلمة .

زائدة : عن عاصم ، عن أبى صالح ،

عن أبى هريرة قال : كان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف شىء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوا لى أصحابى أو أصيحابى ، فإنّ أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً لم يُدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه .

وأما الأعمش فرواه عن أبى صالح ، عن أبى سعيد الخدرى ، وفى الباب حديث زهير بن معاوية عن حميد ، عن أنس .

أبو إسماعيل المؤدب : عن إسماعيل بن أبى خالد ،

عن ابن أبى أوفى قال : شكا عبد الرحمن بن عوف خالداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا خالد ! لا تؤذ رجلاً من أهل بدر ، فلو أنفقتَ مثلَ أحد ذهباً لم تدرك عمله . قال : يقعون فىّ فأردّ عليهم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا تؤذوا خالداً فإنه سيفٌ من سيوف الله صبّه الله على الكفار .

لم يروه عن المؤدب سوى الربيع بن ثعلب . وقد روى نحوه جرير بن حازم ، عن الحسن مرسلا .

شعبة : أنبأ حصين ، سمعت هلال بن يساف يحدث عن عبد الله بن ظالم المازنى ،

٢١٠

حويطب بن عبد العزى القرشى *

العامرى ، المعمَّر . من الصحابة الذين أسلموا يوم الفتح .

يَروى عن عبد الله بن السعدى ، عن عمر ، حديث العِمالة [١] .

رواه عنه السائبُ بن يزيد الصحابى . ولا نعلمِ حُويطباً يروى سواه . وهو أحد الذين أمرهم عُمر بتجديد أنصاب حَرَم [٢] الله ، وأحد مَن دَفن عثمان ليلاً .

وقد باع من معاوية داراً له بالمدينة بأربعين ألف دينار ، فيما بلغنا . وكان حميدَ الإسلام .

عاش مائةً وعشرين سنة . مات سنة أربع وخمسين .

وقيل :

سنة اثنين وخمسين .

وله ترجمة فى تاريخ ابن عساكر .

وسار إلى الشام مجاهداً . وقد حضر بدراً ، فقال : رأيت الملائكة تقاتل وتأسر ، فقلت : هذا رجل ممنوع [٣] .

واستقرضنى [٤] النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين (١٢٣٤) أربعين ألفا ، وأعطانى من غنائم حنين مائة من الإبل [٥] .

رواه الواقدى .

(*) خ : البخارى . م : مسلم . س : النسائى . الطبقات (٥ : ٣٣٥) الاستيعاب (١ : ٣٨٣) الإصابة (٣ : ٣٦١) أسد الغابة (٢ : ٥٧) التهذيب (٣ : ٦٦) . تاريخ ابن عساكر . تاريخ الإسلام (٢ : ٢٧٨) .

(١) فى تاريخ الإسلام : « حديث رزق العامل » .

(٢) أنصاب الحرم : حدوده . والعبارة فى الأصل : « أنصاب حدود حرم الله » . وفى تاريخ الإسلام « أنصاب الحرم » .

(٣) أى مكلوء محفوظ : يريد النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) فى الأصل : « واستقرض » تحريف . وفى الاستيعاب والإصابة : « واستقرضه » . ولم يذكر فيهما أن ذلك كان يوم حنين . وقد أشار ابن حجر إلى أن ذلك كان بعقب فتح مكة وإسلام حويطب .

(٥) كان حويطب من المؤلفة قلوبهم الذين أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين يتألفهم ويتألف قومهم .

٢١١

سعيد بن يربوع القرشى *

شيخ بنى مخزوم . من مسلمة الفتح .

عاش أيضاً مائة وعشرين سنة .

وكذلك حكيم بن حزام ، وحسان بن ثابت .

عند سعيد حديث ، أخرجه أبو داود ، رواه عنه ابنه عبد الرحمن .

وقد تألفه النبى صلى الله عليه وسلم بخمسين بعيراً من غنائم حُنين .

وكان ممن يُجدِّد أنصاب الحرم .

أضرَّ بأخَرة [١] . وتُوفى سنة أربع وخمسين .

٢١٢

مخرمة بن نوفل *

ابن أهيب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب . أبو المسوّر القرشى الزهرى الصحابى . من الطلقاء . وكان كبير بنى زُهرة .

كساه النبى صلى الله عليه وسلم حُلة فاخرة باعها بأربعين أوقية . وكان من المؤلّفة قلوبهم .

أبو عامر الخزاز ، عن أبى يزيد المدنى ، عن عائشة ، قالت :

(*) د : أبوداود . الاستيعاب (٢ : ١٤) الإصابة (٢ : ٤٩) أسد الغابة (٢ : ٣١٦) التهذيب (٤ : ٩٩) تاريخ الإسلام (٢ : ٢٨٩) .

(١) أضر : أى عمى .

(*) الاستيعاب (٣ : ٣٩٥) الإصابة (٣ : ٣٧٠) أسد الغابة (٤ : ٣٣٧) تاريخ الإسلام (٢ : ٣١٦) .

مالك :

عن يحيى بن سعيد قال : كان قيس بن سعد يطعم الناس فى أسفاره مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا نفد ما معه تديّن . وكان ينادى فى كل يوم : هلموا إلى اللحم والثريد .

قال ابن سيرين : كان سعد ينادى على أطُمه[1] ؛ من أحبّ شحماً ولحماً فليأت ، ثم أدركتُ ابنه مثل ذلك .

وعن هشام بن عروة ،

عن أبيه قال : باع قيس بن سعد مالاً من معاوية بتسعين ألفاً ، فأمر من نادى فى المدينة ؛ من أراد القرض فليأت . فأقرض أربعين ألفاً وأجاز بالباقى وكتب على من أقرضه . فمرض مرضاً قلّ عوّاده ، فقال لزوجته قريبة أخت الصديق : لمَ قلّ عُوّادى ؟ قالت : للدّين ، فأرسل إلى كل رجل بصكه وقال : اللهم ارزقنى مالاً وفعالاً ، فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال :

عمرو بن دينار ،

عن أبى صالح : أن سعداً قسم ماله بين ولده وخرج إلى الشام فمات ، وولد له ولد بعد ؛ فجاء أبو بكر وعمر إلى ابنه قيس فقالا : نرى أن تردّ على هذا ، فقال : ما أنا بمغيّر شيئاً صنعه سعد ، ولكن نصيبى له .

وجاءت هذه عن ابن سيرين ، وعن عطاء .

قال مسعر :

عن معبد بن خالد قال : كان قيس بن سعد لا يزال هكذا رافعاً أصبعه المسبحة ، يعنى يدعو .

وجود قيس يضرب به المثل ، وكذلك دهاؤه .

روى الجراح بن مليح البهرانى ، عن أبى رافع

عن قيس بن سعد قال : لولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المكر والخديعة فى النار » لكنت من أمكر هذه الأمة .

(١) الأطم بضم الهمزة والطاء بناء مرتفع شامخ قوى . قال ابن الأثير فى النهاية وأطم فى حديث بلال أنه كان يؤذن على أطم ؛ الأطم بالضم بناء مرتفع وجمعه آطام .

(ص ٤٨) ابن عيينة :

حدثنى عمرو قال : قال قيس : لولا الإسلام لمكرت مكراً لا تطيقه العرب .

وعن الزهرى : كانوا يَعُدُّون قيساً من دهاة العرب . وكان من ذوى الرأى . وقالوا : دهاة العرب حين ثارت الفتنة خمسة ؛ معاوية ، وعمرو ، وقيس ، والمغيرة ، وعبد الله ابن بُديل بن ورقاء الخزاعى[1] .

وكان قيس وابن بديل مع علىّ . وكان المغيرة معتزلاً بالطائف حتى حكم الحكمان .

عوف :

عن محمد قال : كان محمد بن أبى بكر ، ومحمد بن أبى حذيفة بن عتبة من أشدّهم على عثمان ، فأمّر علىّ قيس بن سعد على مصر ، وكان حازماً . فنُبّئت أنه كان يقول : لولا أن المكر فجور ، لمكرت مكراً تضطرب منه أهل الشام بينهم. فكتب معاوية وعمرو إليه يدعوانه إلى مبايعتهما . فكتب إليهما كتاباً فيه غلظ. فكتبا إليه بكتاب فيه عنف فكتب إليهما بكتاب فيه لين. فلما قرآه علما أنهما لايدان لهما بمكره. فأذاعا بالشام أنه قد تابعنا ، فبلغ ذلك علياً . فقال له أصحابه : أدرك مصر فإن قيساً قد بايع معاوية. فبعث محمد بن أبى بكر ، ومحمد بن أبى حذيفة إلى مصر ، وأمّر ابن أبى بكر . فلما قدما على قيس بنزعه علما أن علياً قد خُدع . فقال لمحمد : يابن أخى احذر ، يعنى أهل مصر ، فإنهم سيسلمونكما فتقتلان . فكان كما قال .

وعن يزيد بن أبى حبيب : قال : ضبط قيس مصر ، وكان ممتنعاً بالمكيدة والدهاء من معاوية وعمرو ، أدرّ الأرزاق عليهم : ولم يحمل إلى أهل الشام طعاماً . قال : فكرا بعلىّ ، وكتب معاوية كتاباً من قيس إليه . يذكر فيه ما أتى إلى عثمان من الأمر العظيم وإنى على السمع والطاعة . ثم نادى معاوية « الصلاة جامعة » ، فخطب وقال : يا أهل الشام ! إن الله ينصر خليفته المظلوم ويخذل عدوّه ، أبشروا . هذا قيس بن سعد ناب العرب قد أبصر الأمر وعرفه على نفسه ، ورجع إلى الطلب بدم خليفتكم وكتب إلىّ . فأمر بالكتاب فقرئ ، وقد أمر بحمل الطعام إليكم . فادعوا الله لقيس وارفعوا أيديكم ، فعجّوا وعجّ معاوية ورفعوا أيديهم ساعةً ، فقال معاوية لعمرو : تحيّن خروج العيون ، فى سبع أو ثمان يصل الخبر إلى

(١) عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى الصحابى الجليل (– ٣٧) انتهت له زعامة خزاعة وكان فصيحاً لسناً ، أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً وما بعدها قتل يوم صفين . ن الإصابة ٢/٢٨٠ .

وقال هشيم : قدم الزبير الكوفة وعليها سعيد بن العاص ، فبعث إلى الزبير بسبعمائة ألف فقبلها .

وقال صالح بن كيسان : كان سعيد بن العاص يخف بعض الخفة من المأمومة التى أصابته ، وهو على ذلك أوفر الرجال وأحلمه .

ابن عون :

عن عمير بن إسحق قال : كان مروان يسبّ علياً رضى الله عنه فى الجُمَع . فعزل سعيد بن العاص فكان لا يسبه .

قال ابن عيينة : كان سعيد بن العاص إذا قصده سائل وليس عنده شىء قال : اكتب علىّ سجلاً بمسألتك إلى الميسرة .

وذكر عبد الأعلى بن حماد : أن سعيد بن العاص استسقى (ص٢١٠) من بيت فسقوه واتفق أن صاحب المنزل أراد بيعه لديْن عليه ، فأدى عنه أربعة آلاف دينار . وقيل : إنه أطعم الناس فى قحط حتى نفد ما فى بيت المال وادّان فعزله معاوية .

وقيل : مات وعليه ثمانون ألف دينار .

وعن سعيد قال : القلوب تتغير ، فلا ينبغى للمرء أن يكون مادحاً اليوم ذاماً غداً .

قال الزبير بن بكار : توفى سعيد بن العاص بقصره بالعرصة على ثلاثة أميال من المدينة ، وحمل إلى البقيع فى سنة تسع وخمسين . كذا أرخه خليفة وغيره .

وقال مسدد : مات مع أبى هريرة سنة سبع أو ثمان وخمسين .

وقال أبو معشر : سنة ثمان . وقيل : إن عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق سار بعد موت أبيه إلى معاوية فباعه منزله وبستانه الذى بالعرصة بثلاثمائة ألف درهم . ويقال : بألف ألف درهم . قاله الزبير . وفى ذلك المكان يقول عمرو بن الوليد بن عقبة :

القصر ذو النخل والجمّار فوقهما ... أشهى إلى النفس من أبواب جيرون

وقد كان سعيد بن العاص أحد من ندبه عثمان لكتابة المصحف لفصاحته ، وشبه لهجته بلهجة الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣٠٧

فأما ابنه

عمرو الأشدق *

فمن سادة بنى أمية . استخلفه عبد الملك بن مروان على دمشق لما سار ليملك العراق . فتوثب عمرو على دمشق وبايعوه . فلما توطدت العراق لعبد الملك وقتل مصعب ، رجع وحاصر عمراً بدمشق ، وأعطاه أماناً مؤكداً فاغتر به عمرو . ثم بعد أيام غدر به وقتله . وخرجت أخته تندبه ، وهى زوجة الوليد فقالت :

أيا عين جودى بالدموع على عمرو ... عشية يبتزّ الخلافة بالغدر[1]

غدرتم بعمرو يا بنى خيط باطل ... وكلكم يبنى البيوت على غدر

وما كان عمرو غافــلاً غير أنه ... أتتــه المنايا غفلة وهو لا يدرى

كأن بنى مروان إذ يقتلــونه ... خشاش من الطير اجتمعن على صقر

لحى الله دنيــا تعقب النار أهلها ... وتهتــك ما بين القرابة من ستر

(ص٢١١) ألا يالقومى للوفاء وللغدر ... وللمغلقين الباب قسراً على عمرو

فرُحنا وراح الشامتــون عشية ... كأن على أعناقهم فلق الصخر

وقد كان عمرو كتب إلى عبد الملك بهذه الأبيات :

يريد ابن مروان أموراً أظنها ... ستحمله منى على مركب صعب

---

* ترجم له الطبرى ، الفهرس ٤١٧/١ ، ابن سعد ١٧٦/٥ ، وابن عبد البر فى الاستيعاب ٤٢٩/٢ ، والخزرجى فى الخلاصة ص ٢٤٥ ، وابن حجر فى الإصابة ٣٠٠/٤ ، والمصنف فى تاريخ الإسلام ٥٧/٣ .

(١) روى المصنف هذه المقطوعة فى تاريخ الإسلام ٥٨/٣ ونسب هذه الأبيات إلى يحيى بن الحكم عم عبد الملك . وهى :

أعينى جودى بالدموع على عمرو ... عشية تبتز الخلافة بالغدر

كأن بنى مروان إذ يقتلونــه ... بغاث من الطير اجتمعن على صقر

غــدرتم بعمــرو يا بنى خيط باطل ... وأنتم ذوو قرباته وذوو صهر

فرحنــا وراح الشامتون عشية ... كأن على أكتافنــا فلق الصخر

لحا الله دنيا يدخل النار أهلها ... وتهتك ما دون المحارم من ستر

وكان مروان يلقب بخيط باطل

حماد بن زيد : أنبأنا هشام ،

عن محمد قال : مر عثمان بسبخة، فقيل: اشتراها عبد الله بن جعفر بستين ألفًا، فقال : ما يسرني أنها لي بنعل. فجزأها عبدالله بثمانية أجزاء وألقى فيها العمال. ثم قال عثمان لعلي: ألا تأخذ على يَدَيْ ابن أخيك وتحجر عليه؟ اشترى سبخة بستين ألفًا . قال : فأقبلت. فركب عثمان يومًا فرآها، فبعث إليه فقال: ولّني [1] جزئين منها قال: أما والله دون أن ترسل إليّ من سفّهني عندهم فيطلبون إليّ ذلك فلا أفعل. ثم أرسل إليه أني قد فعلت. قال: والله لا أنقصك جزئين من مائة ألف وعشرين ألفا . قال: قد أخذتها .

وعن العمري؛ أن ابن جعفر أسلف الزبير ألف ألف، فلما توفي الزبير قال ابن الزبير لابن جعفر : إني وجدت في كتب الزبير أن له عليك ألف ألف قال: هو صادق ثم لقيه بعد ذلك فقال: يا أباجعفر وهمت؛ المال لك عليه قال: فهو له . قال: لا أريد ذلك.

عن (ص٢١٦) الأصمعي؛ أن امرأة أتت بدجاجة مسموطة فقالت لابن جعفر : بأبي أنت! هذه الدجاجة كانت مثل بنتي فآليت أن لا أدفنها إلا في أكرم موضع أقدر عليه، ولا والله ما في الأرض أكرم من بطنك . قال : خذوها منها واحملوا إليها ، فذكر أنواعًا من العطاء حتى قالت: بأبي أنت ! إن الله لا يحب المسرفين .

هشام :

عن ابن سيرين؛ أن رجلاً جلب سكرًا إلى المدينة فكسد، فبلغ عبد الله بن جعفر، فأمر قهرمانه أن يشتريه وأن ينهبه الناس

ذكر الزبير بن بكار ، أن عبيد الله بن أبي مليكة، عن أبيه ،

عن جده قال : دخل ابن أبي عمار وهو يومئذ فقيه أهل الحجاز على نخاس ، فعرض عليه جارية، فعلق بها وأخذه أمر عظيم، ولم يكن معه مقدار ثمنها ،فمشى إليه عطاء، وطاوس، ومجاهد، يعذلونه . وبلغ خبره عبد الله فاشتراها بأربعين ألفًا، وزيّنها، وحلّاها ثم طلب ابن عمار فقال : ما فعل حبك فلانة ؟ قال : هي التي هام قلبي بذكرها ، والنفس مشغولة بها ، فقال : يا جارية أخرجيها، فأخرجتها ترفل في الحلي والحلل. فقال:

(١) بيع التولية كما هو مذكور في كتب الفقه هو أن يبيع المشتري ما اشتراه بثمنه بلا زيادة ولا نقص كأنه كان متوليا ذلك العقد نيابة عن هذا المشتري الثاني .

شأنك بها بارك الله لك فيها . فقال : لقد تفضلت بشيء ما يتفضل به إلا الله . فلما ولّى بها، قال: يا غلام ! احمل معه مائة ألف درهم. فقال: لئن والله وعدنا نعيم الآخرة فقد عجلت نعيم الدنيا .

ولعبد الله بن جعفر أخبار في الجود والبذل . وكان وافر الحشمة كثير التنعم وممن يستمع الغناء .

قال الواقدي ومصعب الزبيري : مات في سنة ثمانين

وقال المدائني : توفي سنة أربع أو خمس وثمانين .

وقال أبو عبيد : سنة أربع وثمانين . ويقال : سنة تسعين .

٣١٣
قيس بن عائذ *

أبو كاهل الأحمسي .

عداده في صغار الصحابة. نزل الكوفة، وهو بكنيته أشهر . رأى النبي صلى الله عليه وسلم يخطب على ناقته .

حدّث عنه ؛ إسماعيل بن أبي خالد ، وأبو معاذ رجل تابعي .

روى له أحمد ، والنسائي ، وابن ماجة .

بقي إلى حدود سنة ثمانين .

٣١٤
حجر بن عدي **

(ص٢١٧) ابن جبلة بن عدي[1] بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية الكندي ، وهو حجر الخير ، وأبو عدي الأدبر . وكان قد طعن موليًا فسمي الأدبر ،

* ترجم له ابن سعد ٦/٤١ ، وابن عبد البر في الاستيعاب ٢/٦٥٥، وابن حجر في الإصابة ٧/١٦١، والخلاصة ص ٣٩٤ .

** ترجم له الطبري ، الفهرس ، ١/١٢٥ ، وابن سعد ٦/١٦١ ، وابن عبد البر في الاستيعاب ٢/٥٤٨ ، وابن حجر في الإصابة ١/٣٢٩ ، والمصنف في التاريخ ٢/٢٧٦ .

(١) قال المصنف في تاريخ الإسلام هو حجر بن عدي ، ويدعى حجر بن الأدبر بن جبلة الكندي .

جرير بن حازم، عن نافع، قال: لقد رأيتُ المدينة وما بها شابٌ أشدُّ تشميراً ولا أفْقهُ ولا أنسكُ ولا أقرأ لكتابِ الله مِنْ عبد الملك[1].

وقال أبو الزناد: فقهاءُ المدينة: سعيدُ بن المسيِّب، وعبد الملك، وعُرْوة، وقبيصةُ بن ذؤيب[2].

وعن ابن عُمر: ولَدَ الناسُ أبناء، ووَلد مروانُ أباً.

وعن يحيى بن سعيد الأنصاري: أول من صلَّى بين الظهر والعصر عبد الملك بن مروان وفتيان معه كانوا يصلُّون إلى العصر.

إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، قال: ما جالستُ أحداً إلا وجدتُ لي عليه الفَضْل إلاّ عبد الملك، وقيل: إنه تأوَّه من تنفيذ يزيد جيشه إلى حرب ابن الزبير، فلما وَلِي الأمر، جهَّز إليه الحجاج الفاسق.

قال ابن عائشة: أفْضى الأمرُ إلى عبد الملك والمُصْحَفُ بَيْنَ يديْه، فأطبقَهُ وقال: هذا آخِرُ العَهْد بك[3].

قلت: اللهمَّ لاَ تَمْكُر بنا.

قال الأصمعي: قيل لعبد الملك: عَجِل بك الشيْبُ. قال: وكيف لا وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جُمعة.

قال مالك: أوَّل مَنْ ضرب الدنانير عبدُ الملك، وكتب عليها القرآن[4].

---

(١) ابن عِساكر ٢٥٤/١٠ آ، وانظر ابن سعد ٢٣٤/٥.

(٢) المعرفة والتاريخ ٥٦٣/١.

(٣) تاريخ بغداد ٣٩٠/١٠.

(٤) وقال المؤلف في تاريخه ٢٧٩/٣: «وقال مصعب بن عبد الله: كتب عبد الملك على الدينار (قل هو الله أحد) وطوّقه بطوق فضة وكتب فيه ضرب بمدينة كذا» وكتب في خارج الطوق (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق).

وقال يوسف بن الماجِشُون: كان عبدُ الملك إذا جلس للحُكْم قِيمَ على رأسه بالسُّيوف.

وعن يحيى بن يحيى[1] الغسَّاني، قال: كان عبدُ الملك كثيراً ما يجلسُ إلى أُمِّ الدرداء في مؤخَّرِ مسجدِ دمشق، فقالتْ: بلغني أنَّكَ شربْتَ الطِّلاء[2] بعد النُّسْك والعبادة! فقال: إي واللهِ، والدِّماء.

وقيل: كان أبخر[3].

قال الشعبي: خطب عبد الملك، فقال: اللهمَّ إن ذنوبي عِظَام، وهي صغار في جنْبِ عفوك يا كريم، فاغفرها لي[4].

قلتُ: كان من رجال الدَّهْر ودُهاةِ الرجال، وكان الحجَّاجُ من ذنوبه. تُوفِّي في شوَّال سنة ستٍّ وثمانين عن نيِّفٍ وستين سنة.

٩٠- عبد العزيز بنُ مروان * (د)

ابن الحكم، أمير مِصْر، أبو الأصْبَغ المدنيّ، وَلِيَ العَهْدَ بَعْدَ عبد الملك، عقد لَهُ بذلك أبوه، واستقلَّ بمُلْك مِصْر عشرين سنة وزيادة.

---

(١) في الأصل: (يحيى بن بحر) وهو تصحيف وما أثبتناه من الميزان للمؤلف، والخبر في ابن عساكر ٢٦٢/١٠ آ.

(٢) الطِلاء: ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه، وبعض العرب تسمي الخمر به.

(٣) له نتن في فمه.

(٤) ابن عساكر ٢٦٣/١٠ آ.

* طبقات ابن سعد ٢٣٦/٥، طبقات خليفة ت ٢٠٦٢، تاريخ البخاري ٨/٦، المعارف ٣٥٥ و٣٦٢، ولاة مصر وقضاتها ٤٨، الجرح والتعديل القسم الثاني من المجلد الثاني ٣٩٣، تاريخ ابن عساكر ١٩٤/١٠ ب، تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من الجزء الأول ٢٠٦، تهذيب الكمال ص ٨٤٧، تاريخ الإسلام ٢٧٤/٣، العبر ٩٩/١، تذهيب التهذيب ٢٤٣/٢ ب، البداية والنهاية ٥٧/٩، خطط المقريزي ٢٠٩/١، تهذيب التهذيب ٣٥٦/٦، النجوم الزاهرة ١٧٧/١ وما بعدها، حسن المحاضرة ٢٦٠/١ و٥٨٦، خلاصة تذهيب التهذيب ٢٤١، شذرات الذهب ٩٥/١، خزانة الأدب ٥٨٣/٣.

أخذتُ ،ولا لبستُ لهم ثوباً .

وعن سُحنون قال: كان بعضُ مَنْ مضى يُريد أن يتكلَّم بالكلمة، ولو تكلَّم بها لانتفع بها خلقٌ كثير، فيحبِسُها، ولا يتكلَّم بها مخافةَ المُباهاة . وكان إذا أعجبه الصمتُ تكلَّم ، ويقول: أجرأُ الناس على الفُتيا أقلُّهم عِلْماً .

وعنه قال : أنا أحفَظُ مسائلَ فيها ثمانيةُ أقاويل من ثمانيةِ أئمة ، فكيف ينبغي أن أُعجِّل بالجواب ؟ .

وقيل : إن زيادةَ الله الأميرَ بعثَ يسألُ سُحنوناً عن مسألةٍ ، فلم يُجِبْه ، فقال له محمدُ بنُ عُبدوس : أَخْرُجْ من بلد القوم ، أمسِ ترجع عن الصلاةِ خلفَ قاضيهم ، واليوم لا تجيبُهم ؟!. قال : أفأُجيب من يُريد أن يَتَفَكَّهَ ، يُريد أن يأخُذ قَولي وقولَ غيري ، ولو كان شيئاً يَقصِدُ به الدينَ لأجَبْتُه .

وعنه قال : ما وجدتُ مَنْ باع آخرتَه بدنيا غيرِه إلا المُفتي .

وعن عبدِ الجبار بن خالد قال : كنا نسمعُ من سُحنون بقريته ، فصلَّى الصبحَ ، وخرجَ ، وعلى كتفِه محراثٌ ، وبين يديه زوجُ بقر . فقال لنا : حُمَّ الغلامُ البارحةَ ، فأنا أحرثُ اليومَ عنه ، وأجيئُكم . فقلتُ : أنا أحرثُ عنك ، فقرَّبَ إليَّ غداءَهُ ، خبزَ شعيرٍ وزيتاً[1].

وعن إسماعيلَ بنِ إبراهيم قال : دخلْتُ على سحنون ، وهو يومئذٍ قاضٍ ، وفي عنقه تسبيح يُسبِّح به[2].

---

(١) «ترتيب المدارك» ٢/٥٩٤ .

(٢) «ترتيب المدارك» ٢/٦١٧ .

وعن أبي داود العطار قال : باع سُحنونٌ زيتوناً له بثمانِ مئةٍ ، فدفعها إليَّ ، ففرقتُها عنه صدقةً .

وقيل: كان إذا قُرِئت عليه «مغازي» ابن وهب تَسيلُ دموعُه، وإذا قُرِىء عليه «الزهد» لابنِ وهب يبكي .

وعن يحيى بن عَوْن : قال: دخلتُ مع سُحنونٍ على ابن القصَّار وهو مريض ، فقال: ما هذا القَلَقُ ؟ قال له: الموتُ والقُدومُ على الله . قال له سُحنون : ألستَ مُصَدِّقاً بالرسلِ والبعثِ والحسابِ، والجنةِ والنارِ، وأنَّ أفضلَ هذه الأمةِ أبو بكر ، ثم عُمر ،والقرآنُ كلامُ اللهِ غَيْرُ مخلوق ، وأنَّ اللهُ يُرى يومَ القيامة ، وأنَّه على العرش استوى، ولا تخرجُ على الأئمةِ بالسيف، وإن جارُوا . قال: إي والله ، فقال: مُتْ إذا شئتَ ، مُت إذا شئت .

وعن سحنون قال : كَبِرنا وساءت أخلاقُنا ، ويعلم اللهُ ما أَصيحُ عليكم إلا لأُؤَدِّبكم .

وعن سُحنون قال : ما عَمِيَتْ عليَّ مسألةٌ إلا وجدتُ فَرَجها في كتب ابن وهب .

وقيل : إنَّ طالباً قال : رأيتُ في النوم كأنَّ سحنوناً يبني الكعبة ، قال : فغدوتُ إليه ، فوجدتُه يقرأُ للناس «مناسكَ الحج» الذي جمعه .

وقيل : إنَّه سمع من حفصِ بنِ غياث ، وإسحاق الأزرق ، ووكيعٍ ، ويحيى بن سليم الطائفي ، وعبدِ الله بن طليب المُرادي ، وبُهلول ابن راشد، وعليِّ بن زياد التونسيِّ ، وعبدِ الله بن عُمر بنِ غانم الرُّعَيْني ، وشعيب بنِ الليثِ المصري، ومعنِ القَزَّاز ، وأبي ضَمْرة الليثي ، ويزيدَ بنِ هارون، وعدةٍ .

طبقات الشافعية الكبرى

لشيخ الاسلام علم الاعلام حجة الحفاظ والمفسرين

سيف النظار والمتكلمين ناصر السنة مؤيد الملة

تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب

ابن تقي الدين السبكي

رضي الله عنه

ونفعنا به

الطبعة الثانية

دار المعرفة

للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف ٢٣٦٧٦٩ — ٢٤٦١٦١

الحوامل وقتلوا الاجنة فانالله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قلت) وحيث كنا في أول هذا الكتاب ذكرنا انه كتاب تاريخ وأدب وفقه وحديث لاق بنا ان نشرح هذا الامر العظيم على وجه الاختصار ونحكى هذا الخطب الجسيم الذى أظلم البصائر وأعمى الابصار فنقول كان القاآن الاعظم جنكزخان طاغية التتار وملكهم الاول الذى خرب البلاد وأباد العباد يسمى تموجين وكانوا ببادية الصين وهم من أصبر الناس على القتال وأشجعهم فملكوا جنكزخان عليهم وأطاعوه طاعة العباد المخلصين لرب العالمين وكان مبدأ ملكه في سنة سبع وتسعين وخمسمائة بعد وقائع اتفقت له هناك يقضى المرء عند سماعها العجب العجاب لانرى التطويل بشرحها ولا زال أمره يعظم ويكبر وكان من أعقل الناس وأخبرهم بالحروب ووضع له شرعا اخترعه ودينا ابتدعه لعنه الله سماه الياسا لايحكمون الا به وكان كافرا يعبد الشمس وكان السلطان الاعظم للمسلمين هو السلطان علاء الدين خوارزمشاه محمد بن تكش وكان ملكا عظيما اتسعت ممالكه وعظمت هيبته وأذعنت له العباد ودخلت تحت حكمه وخلت تلك الديار من ملك سواه لانه قهر الناس كلهم وصار الناس كلهم تحت حكمه وكان رجلا فاضلا كريما حليما خيرا وكان له عشرة آلاف مملوك كل منهم يصلح للملك وكانت عساكره عدد الحصى لايعرف اولها من آخرها فتجبر وطغى وأرسل الى خليفة الوقت وهو الناصر لدين الله الذى لا يصطلى لمكره بنار ولا يعامل في أحواله بخداع يقول له كن معي كما كانت الخلفاء قبلك مع سلاطين السلجوقية طالب رسلان وملكشاه وأقربهم بنا عهدا السلطان سنجر فيكون أمر بغداد والعراق لى ولا يكون لك الا الخطبة فيقال والله أعلم ان الخليفة جهز رسله الى جنكزخان يحركه عليه وأما جنكزخان فانه لما علم عظمة خوارزمشاه شرع في عقد التوادد بينه وبينه علما من جنكزخان بانه لايقدر على معاداة خوارزمشاه وأرسل اليه الهدايا المفتخره والتقادم السنية كل ذلك وخوارزمشاه لايرضا باصطناعه ويدل بعظم ملكه ليقضى الله أمرا كان مفعولا وجرت في أثناء ذلك فصول يطول شرحها آخرها ان خوارزمشاه منع التجار ان تسير من بلاده الى بلاد جنكزخان فانقطعت أخبار بلاده عن جنكزخان زمنا وكان جنكزخان لعنه الله على مااستفاض عنه فيه حسن خلق وتمسك بما أداه اليه عقله من الطريقة التى ابتدعها ومشى على قانون واحد وله تؤدة عظيمة وبالجملة فقد كان سديد العقل وافر الكرم بحيث انه قدم اليه مرة في الصيد بعض الفلاحين ثلاث بطيخات ولم يتفق في ذلك

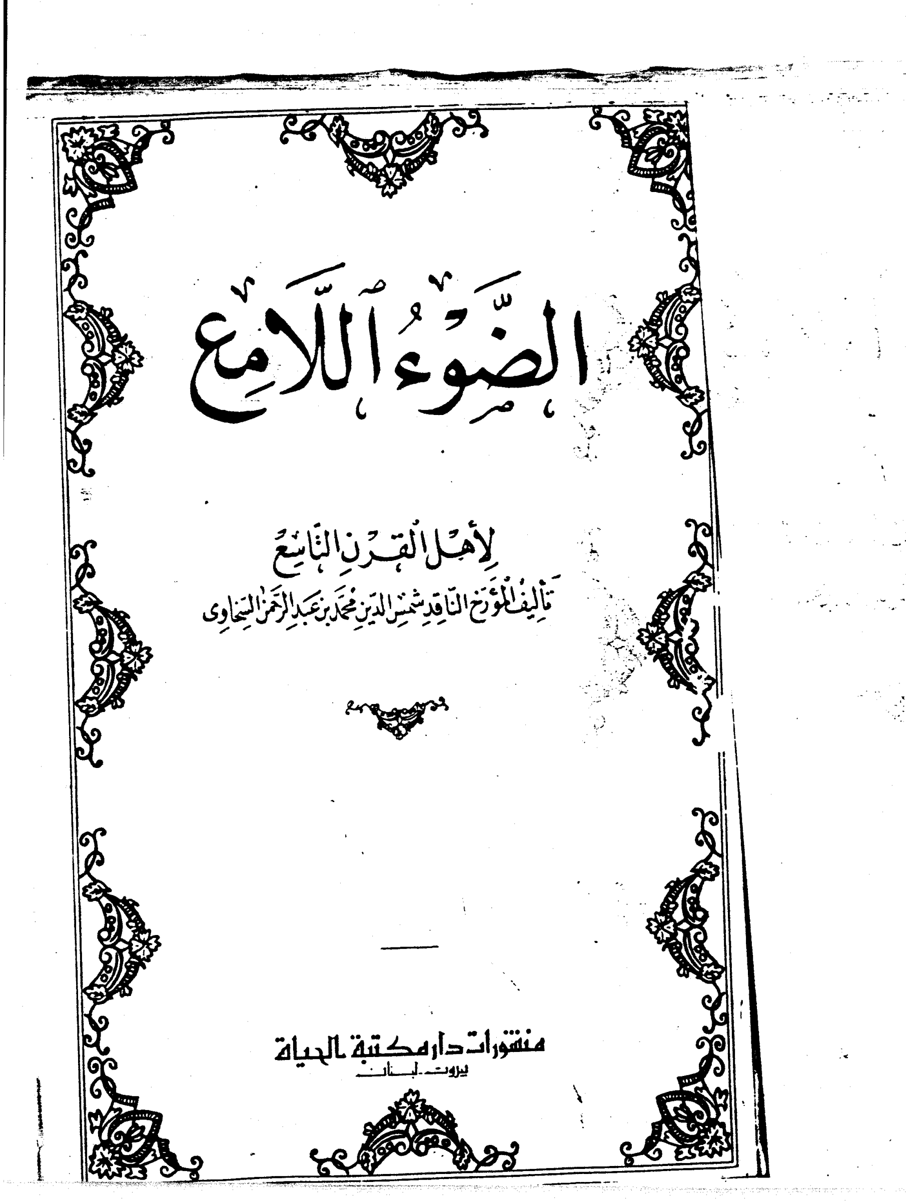
الوقت ان يكون أحد من الخزندارية التى له عنده فقال لزوجته الخاتون اعطه هذين القرطين اللذين في اذنيك وكان فيهما جوهرتان عظيمتان جدا لاقيمة لهما فشحت المرأة بهما وقالت أنظره الى غد فقال انه يبيت الليلة مبلبل الخاطر وربما لايحصل له شئ بعد هذا وان هذين من اشتراهما لم يسعه الا ان يحضرهما الينا لان مثلهما لايكون الا عندنا فدفعتهما الى الفلاح فطار عقله بهما وذهب فباعهما لبعض التجار بالف دينار لانه لم يعرف قيمتهما وكانت قيمة كل واحدة اضعاف اضعاف ذلك بما لايوصف فحملهما التاجر اليه فردهما الى زوجته وحكاياته في هذا الباب كثيرة وأمر مرة بقتل ثلاثة قد اقتضت الياسا قتلهم واذا امرأة تبكى وتصيح فاحضرها فقالت هذا ابنى وهذا أخى وهذا زوجى فقال اختارى واحدا منهم أطلقه فقالت الزوج والابن يجىء مثلهما والاخ لاعوض له فاستحسن ذلك منها وأطلق لها الثلاثة وله أشياء كثيرة من هذا كان يفعلها بسجية وما أداه اليه عقله واما خوارزمشاه فكان سعده قد تكامل ورأى من العظمة مالم يعهد مثله لملك من زمن مديد وطالت مدته ولقد يحكى من سعده انه كان حسن الغناء وان شخصا فداويا جهز عليه ليقتله فما صادف ليلة يمكنه فيها اغتياله الا ليلة واحدة وخوارزمشاه في جمع قليل من مماليكه وهو يغنى فاراد الفداوى ان يبادر اليه ليغتاله فسمعه يغنى فوقف يتصنت فاذا هو يغنى بالفارسية مامعناه (قد عرفت بك فانج بنفسك واهرب) وكان هذا اتفاقا فما شك الفداوى انه قد علم به فهرب الا ان خوارزمشاه بعد ذلك طغت نفسه ليقضى الله ماقدره ثم ان جماعة من التجار أخذوا معهم شيا من المستظرفات لما سمعوا بمكارم جنكزخان وتحيلوا حتى وصلوا الى بلاده ولم يعلم بهم نواب خوارزمشاه ولو علموا بهم لراحت أرواحهم ونهبت أموالهم فلما وصلوا اليه أكرمهم غاية الاكرام وقال لاى شئ انقطعتم عنا فقالوا ان السلطان خوارزمشاه منع التجار من المسافرة الى بلادك ولو علم بنا لاهلكنا لجمع أولاده فاشاروا عليه بان يخرج لقتاله فقال لا ولكننا نرسل اليه فارسل رسله الى خوارزمشاه وقال ان التجار هم عمارة البلاد وهم الذين يحملون التحف والنفائس الى الملوك وما ينبغى ان تمنعهم ولا انا أيضا نمنع تجارنا عنك بل ينبغى لنا ان تكون كلمتنا واحدة لتعمر الاقاليم وأرسل من جهته تجارا معهم أموال لاتعد ولا تحصى فلما انتهوا الى الاترار عمد نائب خوارزمشاه بها وهو والد زوجته كشلى خان فكتب الى خوارزمشاه بان هؤلاء التجار جاؤا باموال لاتحصى والرأى قتلهم وأخذ أموالهم فجاء مرسوم خوارزمشاه

عن ابراهيم بن السرى الزجاج النحوى انه كان يذهب الى ان الصاد تبدل سينا مع الحروف كلها لقرب مخرجهما فحضر يوما عند على بن عيسى فتذاكرا هذه المسئلة واختلفا فيها وثبت الزجاج على مقالته فلم يأت على ذلك الا قليل من المدة فاحتاج الزجاج الى كتاب الى بعض العمال في العناية فجاء الى على بن عيسى الوزير ينتجز الكتاب فلما كتب على ابن عيسى صدر الكتاب وانتهى الى ذكره كتب وابراهيم بن السرى من أخس اخوانى فقال الرجل أيها الوزير الله الله في أمرى فقال له على بن عيسى انما أردت أخص وهذه لغتك فانت أبصر فان رجعت والا أنفذت الكتاب بما فيه فقال قد رجعت أيها الوزير فاصلح الحرف واطو الكتاب

﴿دعلج بن احمد بن دعلج أبو محمد السجزى﴾ الفقيه المعدل ولد سنة ستين ومائتين أو قبلها وسمع بعد الثمانين من على بن عبد العزيز بمكة وهشام بن على السيرافي وعبد العزيز بن معاوية بالبصرة ومحمد بن أيوب وابن الجنيد بالرى ومحمد بن ابراهيم البوشنجي وقشمرد ومحمد بن عمرو الحرشي وطائفة بنيسابور وعثمان بن سعيد الدارمى وغيره بهراة ومحمد بن غالب ومحمد بن ربح البزار ومحمد بن سليمان الباغندى وخلقا ببغداد وغيرها روى عنه الدارقطنى والحاكم وابن زرقونة وأبو على ابن شاذان والاستاذ أبو اسحاق الاسفراينى وخلق قال الحاكم أخذ عن ابن خزيمة المصنفات وكان يفتى بمذهبه وكان شيخ أهل الحديث له صدقات دارة على أهل الحديث بمكة والعراق وسجستان سمعته يقول تقدم الى ليلة بمكة ثلاثة فقالوا أخ لك بخراسان قتل أخانا ونحن نقتلك به فقلت اتقوا الله فان خراسان ليست بمدينة واحدة فلم أزل أداريهم الى ان اجتمع الخلق وخلوا عنى فهذا سبب انتقالى من مكة الى بغداد قال الحاكم سمعت الدارقطنى يقول صنفت لدعلج المسند الكبير فكان اذا شك في حديث ضرب عليه ولم أر في مشايخنا أثبت منه قال الحاكم اشترى دعلج بمكة دار العباسية بثلاثين ألف دينار قال ويقال لم يكن في الدنيا من التجار أيسر من دعلج وقال الخطيب بلغنى انه بعث المسند الى ابن عقدة لينظر فيه وجعل في الاجزاء بين كل ورقتين دينارا وقال ابن حيوية أدخلنى دعلج داره وأرانى بدرا من الاموال معباة وقال لى يا أبا عمرو خذ من هذا ماشئت فشكرت له وقلت أنا في كفاية وقال أبو ذر الهروى خلف دعلج ثلثمائة ألف دينار قال أبو العلاء الواسطى كان دعلج يقول ليس في الدنيا مثل دارى لانه ليس في الدنيا مثل بغداد ولا ببغداد مثل القطيعة ولا بالقطيعة مثل درب أبى خلف ولا في الدرب مثل دارى ونقل الخطيب

ان رجلا صلى الجمعة فرأى رجلا ناسكا لم يصل فكلمه فقال استر على ان على لدعلج خمسة آلاف درهم فلما رأيته أحدثت في ثيابى فبلغ دعلجا فطلب الرجل الى منزله وأبرأه منها ووصله بخمسة آلاف لكونه روعه وقال أحمد بن الحسين الواعظ فيما روى الخطيب باسناده عنه أودع أبو عبد الله بن أبى موسى الهاشمى عشرة آلاف دينار ليتيم فانفقها فلما كبر الصبى أمر السلطان بدفع المال اليه قال ابن أبى موسى فضاقت على الدنيا فبكرت على بغلتى الى الكرخ فوقفت على باب مسجد دعلج فصليت خلفه الفجر فلما انفتل رحب بى ودخلنا داره فقدم هريسة فاكلنا وقصرت فقال أراك منقبضا فاخبرته فقال كل فحاجتك مقضية فلما فرغنا وزن لى عشرة آلاف دينار فقمت أطير فرحا ثم أعطيت الصبى المال وعظم ثناء الناس على فاستدعانى أمير من أولاد الخليفة فقال قد رغبت في معاملتك وتضمينك املاكى فضمنت منه فربحت ربحا مفرطا حتى كسبت في ثلاثة أعوام ثلاثين الف دينار فحملت الى دعلج ذهبه فقال ماخرجت والله الدنانير عن يدى ونويت ان آخذ عوضها حل بها الصبيان فقلت أيها الشيخ أى شئ أصل هذا المال حتى تهب لى منه عشرة آلاف دينار فقال نشأت وحفظت القرآن وطلبت الحديث وتاجرت فوافانى تاجر فقال أنت دعلج قلت نعم قال قد رغبت في تسليم مالى اليك مضاربة وسلم الى برنا مجاءت بالف ألف درهم وقال لى ابسط يدك فيه ولا تعلم موضعا تنفقه الاحملت منه اليه ولم يزل يتردد الى سنة بعد سنة يحمل الى مثل هذا والمال ينمى فلما كان في آخر سنة اجتمعنا قال لى أنا كثير الاسفار في البحر فان قضى الله على قضاء فهذا المال كله لك على ان تتصدق منه وتبنى المساجد قال دعلج فانا أفعل مثل هذا وقد نمر الله المال في يدى فاكتم على ماعشت توفي دعلج في جمادى الآخر سنة احدى وخمسين وثلثمائة وله نيف وتسعون سنة

﴿زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى﴾ أبو على السرخسى الفقيه المقرى المحدث امام من الائمة تفقه على أبى اسحاق المروزى ودرس الادب على أبى بكر ابن الانبارى وسمع أبا الوليد محمد بن ادريس السامى وأبا القاسم البغوى ويحيى بن صاعد ومؤمل بن الحسن الماسرخسى وغيرهم روى عنه أبو عثمان اسماعيل الصابونى وأبو عثمان سعيد بن محمد البحترى وكريمة الكشميهنية المجاورة وخلق وأخذ علم الكلام عن الشيخ أبى الحسن الاشعرى قال الحاكم فيه الفقيه المحدث شيخ عصره بخراسان سمعت مناظرته في مجلس أبى بكر ابن اسحاق الصبغى وكان قد قرأ القرآن على أبى بكر ابن مجاهد



الضوء اللامع

لأهل القرن التاسع

تأليف المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

المحل وأنت عند سيد الكل ! هذا أو نحوه ، مات فى المحرم سنة سبع وخمسين ودفن بالجامع المذكور رحمه الله تعالى .

(٨١٥) احمد يبروق . لقيه ابن عربشاه بقرم .

(٨١٦) احمد ممن يذكر بالجذب ويعتقد بين العامة ، مات فى يوم الأحد سلخ ذى الحجة سنة ثمان وستين، ودفن بجوار زاوية حليمة المبرقعة داخل باب الشعرية من القاهرة وكان لايزال فى عنقه طبل، أرخه المنير .

﴿ ذكر من اسمه إدريس إلى انتهاء حرف الألف ﴾

(٨١٧) ادريس بن حسن بن عجلان الحسنى المكى مات فى شوال سنة سبع وثلاثين أرخه ابن فهد

(٨١٨) ادريس بن على بن ابراهيم بن محمد بن حسن بن ابراهيم بن على بن حمديس ابن الحوات العقيلى فيما قيل اليمانى الزيلعى الحديدى ـ نسبة إلى الحديدة من اليمن بمهملات أولاها مضمومة والثانية بمفتوحة ثم مثناة تحتانية مشددة ـ الشافعى ؛ ولد بها فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة أو التى بعدها. شيخ صالح معتقد له جلالة وشهرة بناحيته روى عن القسم بن محمد بن الأهدل ولقيته بمكة فى سنة إحدى وسبعين وسيما الخير عليه ظاهرة فسلمت عليه ودعالى وله تردد كبير إلى الحرمين للحج والزيارة بل لا ينقطع كل عام عن المجىء وجاور بمكة فى سنة ست وسبعين وله بها دار اشتراها مما أرسل به إليه أحد نواب الشام وهو خمسمائة دينار ؛ ومات فى يوم الخميس ثامن ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين رحمه الله ونفعنا به .

(٨١٩) ادريس بن ودى الحسنى النموى . مات بمكة فى جمادى الأولى سنة خمس وأربعين ، ذكره ابن فهد .

(٨٢٠) ادريس بن يحيى بن أبى الفهد بن عبد القوى السرى أبو العلاء البجائى الاصل المكى الآتى أبوه وجده واخوته نعم وغيره، ولد فى صفر سنة ست وأربعين بمكة وحفظ القرآن والرسالة لابن أبى زيد أوغالبها ، ودخل القاهرة والشام واليمن للاسترزاق وزار المدينة النبوية .

(٨٢١) أدكى ـ بكسر الدال المهملة وفتحها ـ صاحب مملكة الدست مات قتيلا فى سنة اثنتين وعشرين واستقر بعده محمد خان من ذرية جنكزخان .

(٨٢٢) ارخن بك بن محمد كرسجى عثمان أخو مراد بك ملك الروم، له ذكر فى ولده سليمان.

(٨٢٣) أردبغا الظاهرى برقوق نائب صفد فى أيام الاشرف برسباى؛ وليها فى سنة سبع وعشرين إلى أن مات بعد سنة ثلاثين.

(٨٢٤) ارسطاى الظاهرى برقوق. كان فى أيام استاذه من أعيان أمراء الطبلخاناه

وباشر فيها رأس نوبة كبير بحرمة وافرة عند المماليك ثم تولى الحجوبية الكبرى بالقاهرة فى الدولة الناصرية ثم نيابة الإسكندرية حتى مات فى العشر الأوسط من ربيع الآخر سنة احدى عشرة واستقر عوضه فى النيابة سنقر الرومى ذكره العينى وأهمله شيخنا.

(٨٢٥) أرغون شاه الابراهيمى المنجكى الظاهرى برقوق نائب السلطنة بحلب. كان أصله لابراهيم بن منجك فتنقل حتى صار جداراً عند الناس وخازندارا وأرسله أيام يلبغا الناصرى إلى حلب حاجباً فلم يمكنه الناصرى وكاتب فى الاعفاء فأجيب فلما قتل الناصر ولاه الظاهر نيابة صفد ثم طرابلس ثم حلب فى سنة ثمانمائة وبها مات فى العشر الأخير من صفر فيما قيل سنة احدى ودفن خارج باب المقام بتربة بنت له، ويقال ان بعض الأكابر سقاه وقيل ان بعض العرب أغار على جمال له فتوجه فى طلبهم ففروا منه فلج فى أثرهم وغر بنفسه فأصابه عطش بحيث مات بعض من معه من أناس وخيول وضعف هو واستمر إلى أن مات ، وكان حسن السيرة بل سار فى حلب أحسن سيرة، قال شيخنا تبعاً لابن خطيب الناصرية وكان شاباً جسيما عاقلا عادلا شجاعاً كريماً ، ومن عدله أن غلمانه توجهوا لتحويل الملح الذى فى أقطاع النيابة فاستكروا جمالا فخرج عليهم العرب فنهبوهم فغرم لأصحابها ثمنها وان شخصاً ادعى عنده فى جمل عند صلاة الجمعة وجذبه عيباً ليرده فاستمهله إلى أن يصلى فمات الجمل فغرم له ثمنه وقال نحن فرطنا .

(٨٢٦) أرغون شاه البيدمرى الظاهرى برقوق، كان من مماليك بيدمر الخوارزمى نائب الشام فقدمه للظاهر فحظى عليه وجعله ساقيا خاصاً ثم أنعم عليه بأمرة عشرة ثم طبلخاناه وجعله رأس نوبة ثم قدمه وجعله أمير مجلس وكان شجاعاً جسيماً خيراً محبا فى العلماء والصالحين ذا خلق حسن وتواضع تركى الجنس يفهم لغة العجم ولكن مع عجلة وقلة تثبت، قاله العينى قال وقد سمع على البخارى ومسلماً والمصابيح وقتل مع أيتمش فى شعبان سنة اثنتين بقلعة دمشق وقد زاد على الثلاثين، زاد غيره وهو أبو المقام الناصرى محمد بن الظاهر جقمق .

(٨٢٧) ارغون شاه السيفى تغرى بردى أتابك غزة بعد تقدمة دمشق، مات فى سنة تسع عشرة .

(٨٢٨) أرغون شاه النوروزى نوروز الحافظى ويقال له المحمودى أيضاً عمل استدارية استاذه فظلم وعسف فلما انقضت أيامه صودر ثم ولى الوزارة بعد الفخر بن أبى الفرج ثم قبض عليه وعوقب ثم نفى ثم عاد وولاه الاشرف الاستادارية مرة بعد أخرى ثم أضيفت إليه الوزارة أيضاً ثم عزل عنهما وصودر ثم أفرج عنه بطالا ثم استقر فى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حرف الباء الموحدة﴾

١ (بابى سنقر) بن شاه رخ بن تيمور لنك صاحب مملكة كرمان وأخو محمد الآتى . مات فى ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وقيل من التى قبلها ، وكان ولى عهد أبيه وفيه شجاعة موصوفة وجرأة عظيمة . ذكره شيخنا باختصار عن هذا .

٢ (باشاه) الحاجب بالديار المصرية ، مات وهو بطال فى العشر الأخير من شوال سنة اثنتين . (باكير) هو أبو بكر بن اسحاق بن خلد .

٣ (باك) نائب قلعة حلب ، مات فى أواخر سنة احدى وأربعين .

(بايزيد) فى أبى يزيد من الكنى .

٤ (بتخاس) بمثناة ثم معجمة السودونى . أرخ ابن دقاق موته فى سنة أربع .

٥ (بتخاص) العثمانى الظاهرى برقوق . دام جندياً نحو خمسين سنة ثم أمره الظاهر جقمق عشرة ثم صار حاجبا ثانيا إلى أن أخرج الظاهر خشقدم أقطاعه ووظيفته وأنعم عليه بأقطاع حلقة تقوم بأوده واستمر بطالا حتى مات فى ربيع الاول سنة أربع وسبعين ، وقد ناهز المائة .

٦ (بجاس) بضم أوله وتخفيف الجيم وآخره مهملة سيف الدين العثمانى النوروزى النحوى من كبار الجراكسة فى بلاده ، وأصله من مماليك يلبغا الخاصكى . قدم القاهرة وهو كبير فاشتراه الظاهر برقوق وترقى عنده إلى أن أمره وصار أحد المقدمين وكان خيراً قليل الشر ، مات فى عاشر رجب سنة ثلاث بطالا ؛ فانه كان استعفى فأعفاه الظاهر وأعطاه أقطاعا تكفيه مع ما كان له من الثروة والمال والاملاك ، واليه ينسب جمال الدين الاستادار وتزوج ابنته سارة . ذكره شيخنا فى إنبائه باختصار عن هذا .

٧ (بختك) الناصرى أحد أمراء العشرات وصهر يشبك الفقيه ، مات فى صفر سنة ثلاث وخمسين بالطاعون ، وكان متوسط السيرة .

٨ (بداق) بن جهانشاه بن قرا يوسف ، ناب عن أبيه فى شيراز ثم خالف عليه فقصده أبوه ففر لبغداد فتملكها وحاصره أبوه دون السنتين حتى ملكها

---

(١) فى الصفحات الأولى من هذا الجزء طمس فى بعض الكلمات فى النسخة المصرية استدركناه من النسخة الظاهرية فى دمشق .

تحقيق وطبع اوفست گوزوغرافير ـ بيروت

وقتله مع خلق كثيرين جدا وغلت الاسعار بسبب الحصار حتى حكى لى بعض من كان فى العسكر أن رأس الغنم بيع بما يوازى مائة دينار مصرية والرطل البغدادى من الثوم بنحو خمسة عشر ديناراً قال وأكلت لحوم البغال والحمر الاهلية ونحوها وكان شجاعا كريماً ظهر له كنز كبير قيل انه اثنا عشر خابية ففرقه على العسكر ولم ينظر اليه بل قال إن أصحابه لم ينتفعوا به فنحن أولى ، هذا مع شيعيته وفساد عقيدته وتجاهره بالمعاصى بحيث يأكل في رمضان نهاراً على السماط مع كثيرين .

٩ (بدر) بن على القويسنى القاهرى الشافعى ، كان عالماً صالحا درس وأفتى وأخذ عنه غير واحد ممن لقيناهم ، وأجاز النور البلبيسى وكتب فى عرض سنة ست ؛ وما رأيت من ترجمه .(وكأن بدراً لقبه واسمه)[١] .

١٠ (بدر) القبة واسمه بدر أبو النور الحبشى فتى ابن عزم. اعتنى به سيده وأسمعه الكثير واستجاز له ثم مات فى سنة اربع وسبعين ، وكان حاذقاً .

١١ (بدر) الحبشى مولى سابق الدين منقال الطواشى . كان بوابا لمدرسته بالقصر وفيه خير وديانة ، مات بعد سنة ثمانمائة ذكره المقريزى فى عقوده وانه اخبره انه من ولد بعض اجناد الحطى [٢] متملك الحبشة وانهم كانوا إذا توقف نزول المطر ببلادهم من وقته احضر الحطى طائفة معروفين بينهم فيأمرهم ان ينزلوا المطر فان امتنعوا عاقبهم إلى ان يقع المطر وعندهم ان هذه الطائفة تسحر المطر حتى لا ينزل وأنه شاهد هناك حية تنتصب بأعلى الجبل وتمتد محنية فتصير على قدر قوس قزح وانه شاهد شجرة يستظل بها مائتا فارس وقال انه ثقة صدوق شديد فى الله يوثق بقوله وامانته صحبناه سنين .

١٢ (بدر) الحبشى مولى أبى جمال الدين المغربى . رباه سيده وعلمه القرآن والخطوط المتنوعة مع فصاحة ثم صار لابن علبية ثم للسلطان واغتبط به وعول عليه فى أشياء ، وصار يكثر السفر لمكة واسكندرية فى التجارة مع عقل وتؤدة.

١٣ (بدر) الكمالى بن ظهيرة. ذبح بجدة سنة احدى وتسعين ○

١٤ (بدر) الشهير بالحسام . مات فى المحرم سنة احدى وستين بمكة .

١٥ (البدر) بن الشجاع عمر الكندى ثم المالكى من بنى مالك بطن من كندة الظفارى ملك ظفار ووالد احمد الماضى . غلب ابوه على مملكة ظفار فى حدود الستين وسبعمائة ؛ وكان وزير صاحبها المغيث بن الواثق من ذرية على بن رسول. فوثب عليه فقتله وتملك ظفار ثم مات عن قرب فاستقر ولده صاحب الترجمة فطالت

(١) مابين القوسين مستدرك من الشامية .(٢) لقب ملك الحبشة .

مدته ، وغلب على أعدائه ومهد بلاده وعدل فيها واشتهر ، وكان جواداً مهاباً .مات فى سنة ثلاث . ذكره شيخنا فى إنبائه .

١٦ (بدلاى) المسمى شهاب الدين احمد بن سعد الدين أبى البركات بن احمد ابن على الجبرتى سلطان المسلمين بالحبشة ومن كان ينكى هو وأخ له اسمه صبر الدين فى كفار الحبشة حسبما حكى العينى بعضه فى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة من تاريخه . قتل فى المعركة سنة سبع وأربعين ، وكان ابتداء ملكه فى سنة خمس وثلاثين بعد موت أخيه جمال الدين محمد الآتى .

١٧ (بدير) ويسمى أحمد بن سكر [١] شهاب الدين الحسنى نسبة لحسن بن عجلان لكون والده عتيقه كان زعيم الأقطار الحجازية وعميدها ووزيرها . ولد فى سنة سبع أو تسع وثمانمائة بمكة . مات فى جمادى الأولى سنة تسع وستين ، ورأيت من أرخه فى التى بعدها بوادى الآبار من عمل مكة ، وحمل الى مكة فغسل بالبيت الذى أنشأه صاحب مكة ؛ وصلى عليه عقب الصبح ودفن بالمعلاة على والده [٢] وكانت جنازته حافلة جداً ومشى الشريف فمن دونه معها الى محل دفنه :ولم يخلف من أبناء جنسه مثله رياسة وحشمة ووجاهة وسناء وتواضعاً وهو القائم بأعباء ولاية السيد الجمال محمد بن بركات بعد موت أبيه ثم مشى الواشى بينهما فى أواخر سنة أربع وستين فنزع عن طاعته إلى موضع يقال له اليربوع فتبعه بعسكره فلم يقابله وأرسل يطلب الامان الى أن أصلح بينهما عبد الكبير الحضرمى وغيره فى جمادى الثانية سنة سبع وستين وحلف على الطاعة وكتب بذلك خطه عفا الله عنه . (بديد) فى أحمد بن مفتاح .

١٨ (برجان) قرا الناصرى . كتب عنه البدرى فى مجموعه قوله :

من آل حام قمر مشرق ... تحسبه فى سيره ساكن
سألته ما الاسم ياسيدى ... فقال يامغرور بى (فاتن)

(بردبك) اثنى عشر . يأتى قريبا فى بردبك الظاهرى .

١٩ (بردبك) الاسمعيلى الظاهرى برقوق أحد العشرات . مات فى جمادى الاولى سنة أربعين

٢٠ (بردبك) الأشرفى اينال . ملكه فى سنى قبرس سنة تسع وعشرين وثمانمائة فرباه وأعتقه وعمله خازنداره وزوجه ابنته الكبرى ثم دواداره فلما تسلطن عمله دواداراً ثالثا مع إقطاعه امرة عشرة ثم نقله الى الدوادارية فى سنة تسع وثمانين واستقر فى امرته أنه شاذبك بن صديق وفى الشادية قانصوه الطويل

(١) فى الشامية «شكر» بالمعجمة .(٢) فى المصرية «وآله» وهو غلط ظاهر .

على يد العرب فى تجريدة البحيرة سنة ثمان وستين .

(جانبك)السيفى . مضى فى جانبك النوروزى قريباً .

٢٢٩ (جانبك) الشمسى المؤيدى . اشتراه المؤيد فى أيام أتابكيته ، وترقى من بعده حتى صار من أمراء طرابلس ، ثم ولى حجوبية الحجاب بحلب ثم عزل وتوجه الى دمشق فأنعم عليه بامرة طبلخاناه بها الى ان مات فيها فى أواخر ذى القعدة أو أوائل الذى بعده سنة تسع وخمسين .(جانبك) شيخ . هو المؤيدى يأتى .

٢٣٠ (جانبك) الصوفى الظاهرى برقوق أحد المقدمين وصاحب تلك الوقائع والحروب. فر من محبسه باسكندرية وأعيا السلطان تطلبه، وامتحن جماعة بسببه الى أن ظهر عند ابن دلغادر . مات فى منتصف ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين واختلف فى سبب قتله؛ وكان فيما قاله المقريزى ظالماً عاتياً جباراً لم يعرف بدين ولا كرم.

٢٣١ (جانبك) الطيارى الظاهرى متولى مكس جدة [١] . مات فى سنة ثمان وستين . أرخه ابن عزم ؛ ويحرر مع الآتى بعد ثلاثة .

٢٣٢ (جانبك) الطويل الأشرفى قايتباى. رقاه أستاذه لنيابة صفد ثم الكرك ثم لدواداريته بدمشق ؛ وتزوج ابنة جانم زوج النجمى وأم ولده فاشترت له دار إبراهيم بن بيغوت ، وهى من أجل دور دمشق بثلاثة آلاف دينار ؛ واتحد مع حاجبها اينال الخصيف فى الظلم والمعاصى والمخالفة على نائبها فى الخروج مع التجريدة حتى كانت منيته بعد انفصال نائبها عنها للتجريدة إما فى رجب أو شعبان سنة ثلاث وتسعين. واستراح الدمشقيون منه .

٢٣٣ (جانبك) الظاهرى الأبلق أحد العشرات؛ ممن ساق المحمل فى جملة الباشات قتله الفرنج فى الماعوصة بجزيرة قبرس فى أحد الجمادين سنة ثمان وستين.

٢٣٤ (جانبك) الظاهرى البواب عفريت ، ممن قتل على يد العرب فى تجريدة البحيرة سنة ثمان وستين .

٢٣٥ (جانبك) الظاهرى جقمق الجركسى الدوادار شاد جدة. أصله فيما قيل لجرباش المحمدى الناصرى ثم ملكه قبل بلوغه اسنبغا الطيارى واشتراه منه الظاهر قريباً من سنة سبع وثلاثين ، وأعتقه وسافر معه فى تجريدة أرزنكان فلما تسلطن صيره خاصكياً ، ثم ولاه النظر على الكنائس وهدم ما تجدد فيها ثم شادية جدة فى سنة تسع وأربعين ، فنهض بخبرته فى الظلم لما لم يصل إليه من قبله

(١) هو نائب جدة ظناً ـ هامش الأصل.

وعاد بشىء كثير له وللسلطان فزاد عنده حظوة، وظهرت له كفاءته ولا زال أمره فيها فى نمو وزيادة وعظم حتى قيل له نائب جدة ، ثم بعد أستاذه استقر به المنصور فى الاستادارية وتعذر لذلك توجهه لجدة فى تلك السنة ، بل تخلف عنها فيما تقدم أحيانا ، ثم كان فى أيام الأشرف اينال أعز طائفته بحيث انتفع بسفارته من شاء الله من الظاهرية، وأعفى من الاستادارية واستمر على تكلمه فى جدة بل زيد من الاقطاعات وصار من أمراء الطبلخانات وأثرى وحصل بالشراء وغيره من القرى والضياع بديار مصر وغيرها الكثير وأنشأ التربة الجليلة خارج باب القرافة المشتملة على المدرسة والتصوف وكتاب الايتام والحوض وغير ذلك، والبستان الهائل الفائق الوصف وما احتوى عليه من البحرة ، وكذا القبتين والرصيف تجاههما الدال على علو همته والبستان والسبيل ظاهر مكة قريباً من العسيلات بطريق منى وغير ذلك ؛ وملك الاشرفية فضلا عن الظاهرية بالعطاء والبذل وانقادت له العظماء ، وانثالت عليه الاموال من كل وجه لاسيما من بلاد الحجاز فهو المتصرف فيه بحيث كاتبه أكابر ملوك الهند وغيرها، وجلبوا اليه التحف ولذا لم يتخلف عن المسير اليها فى سنة أربع وستين مع كونه مقدماً بل كان هو القائم بخلع المؤيدى مع مزيد ترفقه به واستجلابه له ثم برجوع جانم وانحلال أمره لقوة شوكته من خجداشيته وحواشيه ؛ وبعد ثلاثة أيام من استقرار الظاهر خشقدم استقر به فى الدوادارية الكبرى بعد موت يونس الاقباى ، وصار مدبر المملكة وصاحب حلها وعقدها ومحط الرحال وزادت عظمته وشاع ذكره وبعد صيته فى الآفاق ، وكاتبه الملوك وقصد فى المهمات التى لا يسدها غيره وسمح بالبذل بما يفوق الذكر كألفى دينار دفعة ومائة ناقة ودون ذلك وفوقه، وكان مهاباً شهماً حاذقاً حسن الشكالة فصيح العبارة باللسانين قصير القامة كيساً سيوساً ، ومحاسنه كثيرة وضدها أكثر وأخش . مات مقتولا بيد الاجلاب وقت الاسفار من يوم الثلاثاء مستهل ذى الحجة سنة سبع وستين عند باب سر الجامع الناصرى فجهز ثم صلى عليه بباب القلة ثم دفن بتربته بباب القرافة ؛ وما تبعه إلا دون عشرة من مماليكه من أكثر من مائتى مملوك فسبحان المعز المذل الفعال لما يريد؛ وما أحسن ماقيل :

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم ... غلب الرجال فلم تمنعهم القلل
واستنزلوا من أعالى عز معقلهم ... فأسكنوا حفرة يابئس مانزلوا
ناداهم صارخ من بعد مادفنوا ... أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت محجبة ... من دونها تضرب الاستار والكلل

الرَّوْضَتَيْن

في أخبار الدَّولتَين

تأليف الشيخ الامام العالم الفاضل الصدر الكامل
الأوحد فريد عصره وحيد دهره مجموع الفضائل

شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسمعيل
ابن ابراهيم المقدسي الشافعي

رواية الشيخ الإمام مجد الدين ابي المظفر يوسف بن محمد بن عبد الله الشافعي عفا الله عنه

دار الجيل
بيروت

يتصرف فيما يخصه الا من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين احضر الفقهاء واستفتاهم فى أخذ ما يحل له من ذلك فاخذ ما أفتوه بحله ولم يتعده الى غيره البتة ولم يلبس قط ما حرمه الشرع من حرير اوذهب اوفضة ومنع من شرب الخمر و بيعها فى جميع بلاده ومن ادخالها الى بلد ما وكان يحد شاربها الحد الشرعى كل الناس عنده فيه سوا

حدثنى صديق لنا بدمشق كان رضيع الخاتون ابنة معين الدين زوجة نور الدين و وزيرها قال كان نور الدين اذا جاء اليها يجلس فى المكان المختص به وتقوم فى خدمته لا تتقدم اليه الا ان يأذن فى أخذ ثيابه عنه ثم تعتزل عنه الى المكان الذى يختص بها و ينفرد هو تارة يطالع رقاع أصحاب الاشغال أوفى مطالعة كتاب أتاه و يجيب عنهما وكان يصلى فيطيل الصلاة وله أوراد فى النهار فاذا جاء الليل وصلى العشاء ونام يستيقظ نصف الليل و يقوم الى الوضوء والصلاة الى بكرة فيظهر الركوب و يشتغل بمهام الدولة قال وانها قلت عليها النفقة ولم يكفها ما كان قرره لها فارسلتنى اليه اطلب منه زيادة فى وظيفتها فلما قلت له ذلك تنكر واحمر وجهه ثم قال من أين أعطيها ما يكفيها ما لها والله لا أخوض نار جهنم فى هواها ان كانت تظن ان الذى بيدى من الاموال لى فبئس الظن انما هى أموال المسلمين مرصدة لمصالحهم ومعدة لفتق ان كان من عدو الاسلام وأنا خازنهم عليها فلا أخونهم فيها ثم قال لى بمدينة حمص ثلاثة دكاكين ملكا وقد وهبتها اياها فلتأخذها قال وكان يحصل منها قدر قليل قال ابن الاثير وكان رحمه الله لا يفعل فعلا الا بنية حسنة كان بالجزيرة رجل من الصالحين كثير العبادة والورع شديد الانقطاع عن الناس وكان نور الدين يكاتبه و يراسله و يرجع الى قوله و يعتقد فيه اعتقادا حسنا فبلغه ان نور الدين يدمن اللعب بالكرة فكتب اليه يقول ما كنت اظنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل لغير فائدة دينية فكتب اليه نور الدين بخط يده يقول والله ما يحملنى على اللعب بالكرة اللهو والبطر وانما نحن فى ثغر العدو قريب منا و بينما نحن جلوس اذ يقع صوت فنركب فى الطلب ولا يمكننا أيضا ملازمة الجهاد ليلا ونهارا شتاء وصيفا اذ لا بد من الراحة للجند ومتى تركنا الخيل على مرابطها صارت جماما لا قدرة لها على ادمان السير فى الطلب ولا معرفة لها أيضا بسرعة الانعطاف والطاعة لراكبها فى الحرب فهذا والله الذى يبعثنى على اللعب بالكرة قال ابن الاثير فانظر الى هذا الملك المعدوم النظير الذى يقل فى أصحاب الزوايا المنقطعين الى العبادة مثله فان من يجئ الى اللعب يفعله بنية صالحة حتى يصير من أعظم العبادات وأكبر القربات يقل فى العالم مثله وفيه دليل على انه كان لا يفعل شيئا الا بنية صالحة وهذه أفعال العلماء الصالحين العاملين وحكى عنه انه حمل اليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة فلم يحضرها عنده فوصفت له فلم يلتفت اليها و بيناهم معه فى حديثها واذ قد جاءه رجل صوفى فامر بها له فقيل له انها لا تصلح لهذا الرجل ولو أعطى غيرها كان أنفع له فقال اعطوها له فانى أرجو ان اعوض عنها فى الاخرة فسلمت اليه فسار بها الى بغداد فباعها بستمائة دينار اميرى أو سبعمائة دينار قلت قرأت فى حاشية هذا المكان من كتاب ابن الاثير بخط ابن المعطى اياها قال أعطاها الشيخ الصوفية عماد الدين أبى الفتح بن حمويه بغير طلب ولا رغبة فبعثها الى همدان فبيعت بألف دينار قال ابن الاثير وحكى لنا الامير بهاء الدين على بن السكرى وكان خصيصا بخدمة نور الدين قد صحبه من الصبا وأنس به وله معه انبساط قال كنت معه يوما فى الميدان بالرها والشمس فى ظهورنا فكلما سرنا تقدمنا الظل فلما عدنا صار ظلنا وراء ظهورنا فاجرى فرسه وهو يلتفت وراءه وقال لى اتدرى لاى شئ أجرى فرسى وألتفت ورائى قلت لا قال قد شبهت ما نحن فيه بالدنيا تهرب ممن يطلبها وتطلب من يهرب منها قلت رضى الله عن ملك يفكر فى مثل هذا وقد أنشدت بيتين فى هذا المعنى

مثل الرزق الذى تطلبه ❋ مثل الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا ❋ فاذا وليت عنه تبعك

قال ابن الاثير وكان يعنى نور الدين رحمه الله يصلى كثيرا من الليل ويدعو و يستغفر ويقرأ ولا يزال كذلك الى ان يركب

جمع الشجاعة والخشوع لربه ❋ ما أحسن المحراب فى المحراب

قال وكان عارفا بالفقه على مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه ليس عنده تعصب بل الانصاف سجيته فى كل شئ وسمع الحديث وأسمعه طلبا للاجر وعلى الحقيقة فهو الذى جدد للملوك اتباع سنة العدل والانصاف وترك

المحرمات من المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك فانهم كانوا قبل ذلك كالجاهلية همة أحدهم بطنه وفرجه لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا حتى جاء الله بدولته فوقف مع أوامر الشرع ونواهيه والزم بذلك اتباعه وذويه فاقتدى به غيره منهم واستحيوا ان يظهر عنهم ما كانوا يفعلونه ومن سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامه قال فان قال قائل كيف يوصف بالزهد من له الممالك الفسيحة وتجبى اليه الاموال الكثيرة فليذكر نبى الله سليمان ابن داود عليهما السلام مع ملكه وهو سيد الزاهدين فى زمانه ونبينا صلى الله عليه وسلم قد حكم على حضرموت واليمن والحجاز وجميع جزيرة العرب من حدود الشام الى العراق وهو على الحقيقة سيد الزاهدين قال وانما الزهد خلو القلب من محبة الدنيا الا خلو اليد عنها قال وأما عدله فانه كان أحسن الملوك سيرة وأعدلهم حكما فمن عدله انه لم يترك فى بلد من بلاده ضريبة ولا مكسا ولا عشرا بل اطلقها رحمه الله جميعها فى بلاد الشام والجزيرة جميعها والموصل واعمالها وديار مصر وغيرها مما حكم عليه وكان المكس فى مصر يؤخذ من كل مائة دينار خمسة وأربعون دينارا وهذا لم تتسع له نفس غيره وكان يتحرى العدل و ينصف المظلوم من الظالم كائنا من كان القوى والضعيف عنده فى الحق سواء وكان يسمع شكوى المظلوم و يتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك الى حاجب ولا أمير فلا جرم سار ذكره فى شرق الارض وغربها قال ومن عدله انه كان يعظم الشريعة المطهرة و يقف عند أحكامها و يقول نحن سحر لها نمضى أوامرها فمن اتباعه أحكامها انه كان يلعب بدمشق بالكرة فرأى انسانا يحدث آخر و يومى بيده اليه فأرسل اليه يسأله عن حاله فقال لى مع الملك العادل حكومة وهذا غلام القاضى ليحضره الى مجلس الحكم يحاكمنى على الملك الفلانى فعاد اليه ولم يتجاسر ان يعرفه ما قال ذلك الرجل وعاد يكتمه فلم يقبل منه غير الحق فذكر له قوله فالقى الجوكان من يده وخرج من الميدان وسار الى القاضى وهو حينئذ كمال الدين ابن الشهرزورى وأرسل الى القاضى يقول له انى قد جئت محاكما فاسلك معى مثل ما تسلكه مع غيرى فلما حضر ساوى خصمه وحاكمه فلم يثبت عليه حق وثبت الملك لنور الدين فقال نور الدين حينئذ للقاضى ولمن حضر هل ثبت له عندى حق قالوا لا فقال اشهدوا انى قد وهبت له هذا الملك الذى قد حاكمنى عليه وهوله دونى وقد كنت أعلم انه لا حق له عندى وانما حضرت معه لئلا يظن انى ظلمته فحيث ظهر ان الحق لى وهبته له قال ابن الاثير وهذا غاية العدل والانصاف بل غاية الاحسان وهى درجة وراء العدل فرحم الله هذه النفس الزكية الطاهرة المنقادة للحق الموافقة معه قلت وهذا مستكثر من ملك متأخر بعد فساد الازمنة وتفرق الكلمة والا فقد انقاد الى المضى الى مجلس الحكم جماعة من المتقدمين مثل عمر وعلى رضى الله عنهما ثم حكى نحو ذلك عن أبى جعفر المنصور وقد نقلنا ذلك كله فى التاريخ الكبير وفيه عن عبد الله بن طاهر قريب من هذا لكنه أحضر الحاكم عنده ولم يمض اليه وقد بلغنى ان نور الدين رحمه الله تعالى استدعى مرة أخرى بحلب الى مجلس الحكم بنفسه أو نائبه فدخل حاجبه عليه متعجبا واعلمه ان رسول الحاكم بالباب فانكر عليه تعجبه وقام رحمه الله مسرعا ووجد فى أثناء طريقه ما منعه من العبور من حفر جب بعض الحشوس واستخراج ما فيه فوكل من ثم وكيلا وأشهد عليه شاهدين بالتوكيل ورجع قال ابن الاثير ومن عدله انه لم يكن يعاقب العقوبة التى يعاقب بها الملوك فى هذه الاعصار على الظنة والتهمة بل يطلب الشهود على المتهم فان قامت البينة الشرعية عاقبه العقوبة الشرعية من غير تعد فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما يوجد فى غير ولايته مع شدة السياسة والمبالغة فى العقوبة والاخذ بالظنة وأمنت بلاده مع سعتها وقل المفسدون ببركة العدل واتباع الشرع المطهر قال وحكى لى من أثق به انه دخل يوما الى خزانة المال فرأى فيها مالا أنكره فسأل عنه فقيل ان القاضى كمال الدين أرسله وهو من جهة كذا فقال ان هذا المال ليس لنا ولا لبيت المال فى هذه الجهة شئ وأمر برده واعادته الى كمال الدين ليرده على صاحبه فأرسله متولى الخزانة الى كمال الدين فرده الى الخزانة وقال اذا سأل الملك العادل عنه فقولوا له عنى انه له فدخل نور الدين الخزانة مرة أخرى فرآه فأنكر على النواب وقال ألم أقل لكم يعاد هذا المال على أصحابه فذكروا له قول كمال الدين فرده اليه وقال للرسول قل لكمال الدين أنت تقدر على حمل هذا المال وأما أنا فرقبتى دقيقة لا أطيق حمله والمخاصمة عليه بين يدى الله تعالى يعاد قولا واحدا قال ومن عدله أيضا بعد موته وهو من أعجب ما يحكى ان انسانا كان بدمشق غريبا استوطنها وأقام بها لما رأى من عدل نور الدين رحمه الله فلما توفى تعدى بعض الاجناد على هذا الرجل فشكاه

كبارمن الحورتربى أوتارالجامع دمشق وهى وقف عليه وقد مدحه العرقلة وغيره من الشعراء قال ابن الاثير فلما
قتل عطاء قوى طمع نورالدين فى دمشق فراسل احداث البلد وناطرته واستمالهم فأجابوه الى تسليم البلد فسار اليهم
وحاصرهم عشرة أيام فكاتب مجيرالدين الفرنج وبذل لهم الاموال وقلعة بعلبك ان رحلوا نورالدين عنه فالى ان جمعوا
وجاؤا بلغهم أخذ نورالدين دمشق فعادوا بخفى حنين وأما نورالدين فانه لما حاصرهم وضيق عليهم ثار الاحداث الذين
كاتبهم نورالدين وسلموا اليه البلد من الباب الشرقى فدخله بالامان عاشر صفر وحصر مجيرالدين فى القلعة وراسله
وبذل له الاقطاع الكثير من جملته مدينة حمص فأجاب الى تسليم القلعة وصار الى حمص وقال ابن ابى طى أنفذ نورالدين
أسدالدين شيركوه رسولا الى صاحب دمشق فخرج فى تجمل عظيم ومعه ألف فارس فعظم على مجيرالدين ذلك وقال
ماهذه رسالة هذه مكيدة ولم يتجاسر على الخروج الى لقائه ولا أحد من أمراء دمشق فاستوحش أسدالدين ونزل بمرج
القصب وأغلظ لصاحب دمشق فى المقال وأنفذ الى نورالدين يعرفه بما جرى عليه فسار نورالدين فى عساكره وزحف
الى البلد من شرقيه وكانت الحرب فى عاشر صفر وتولى أسدالدين القتال وأبلى الجهد فكسر عساكر دمشق الى الاسوار
من قبلى البلد ولم يكن أحد من المقاتلة على السور من ذلك الجانب لان نورالدين كان من شرقها وجل العسكر مقابله
ورأى من كان مع نورالدين من الجاندارية والحلبيين الى خلو السور من المقاتلة فتسرعوا الى السور وتعلقوا به وحصلوا
فى الحال على الاسوار ويقال ان امرأة كانت على السور فدلت حبلا فصعدوا فيه وصار على السور جماعة ونصبوا
السلالم وصعد جماعة أخرى ونصبوا علما وصاحوا بشعار نورالدين فوقع على أهل البلد الخذلان وكسر باب البلد
ودخلت الخيالة منه وملك نورالدين دمشق وكان لاسد الدين اليد الطولى فى فتحها فولاه نورالدين أمرها ورد اليه
جميع أحوالها وفى هذه السنة اقطعه نورالدين الرحبة وقال الرئيس أبو يعلى فى العشر الثانى من المحرم وصل
الامير أسدالدين شيركوه رسولا من نورالدين الى ظاهر دمشق وخيم بناحية القصب من المرج فى عسكر يناهز الالف
فأنكر ذلك ووقع الاستيحاش منه واهمال الخروج اليه لتلقيه والاختلاط به وتحررت المراسلات فيما اقتضته الحال
ولم تسفر عن سداد ولا نيل مراد وغلا سعر الاقوات لانقطاع الواصلين بالغلات ووصل نورالدين فى عسكره الى
شيركوه ثالث صفر وخيم بعيون الفاسريا عند دومة ورحل فى الغد ونزل بيت الابار من الغوطة وزحف الى البلد من
شرقيه وزحف اليه من عسكره واحداثه الخلق الكثير ووقع الطراد بينهم ثم عاد كل من الفريقين الى مكانه ثم زحف
يوما بعد يوم وتأكد الزحف يوم الاحد عاشر صفر وظهر اليه العسكر الدمشقى فاندفع بين أيديهم حتى قربوا من سور
باب كيسان والدباغة من قبلى البلد وليس على السور أحد من العسكرية والبلدية لسوء تدبير صاحب الامر غير نفر
يسير لا يؤبه لهم فتسرع بعض الرجالة الى السور وعليه امرأة يهودية فأرسلت اليه حبلا فصعد فيه وحصل على السور
ولم يشعر به أحد وتبعه من تبعه وطلعوا على ما نصبوه على السور وصاحوا نورالدين يامنصور وامتنع الاجناد والرعية من
الممانعة لما هم عليه من المحبة لنورالدين وعدله وحسن ذكره وبادر بعض قطاعى الخشب بفأسه الى الباب الشرقى فكسر
اغلاقه وفتحه فدخل منه العسكر وسعوا فى الطرقات ولم يقف أحد بين أيديهم وفتح باب توما أيضا ودخل الناس منه ثم
دخل نورالدين وخواصه وسر كافة الناس من الاجناد والعسكرية لما هم عليه من الجوع وغلاء الاسعار والخوف من
منازلة الفرنج الكفار وكان مجيرالدين لما أحس بالغلبة والقهر قد انهزم فى خواصه الى القلعة وأنفذ اليه فأومن على
نفسه وماله وخرج الى نورالدين فطيب نفسه ووعده الجميل ودخل نورالدين القلعة فى اليوم المقدم ذكره وامر بالمناديه
بالامان للرعية والمنع من انتهاب شئ من دورهم وتسرع قوم من الرعاع والاوباش الى سرق على وغيره فعاثوا ونهبوا
وأنفذ نورالدين الى أهل البلد بما طيب نفوسهم وأزال نفرتهم وأخرج مجيرالدين ما كان له فى دوره بالقلعة والخزائن من
المال والآلات والاثاث على كثرته الى الدار الاتابكية دار جده وأقام أياما ثم تقدم اليه بالمسير الى حمص فى خواصه
ومن أراد الكون معه من أسبابه وأتباعه بعد ان كتب له المنشور باقطاعه عدة ضياع باعمال حمص برسمه ورسم جنده
وتوجه الى حمص على القضية المقررة ثم أحضر نورالدين غد ذلك اليوم أماثل الرعية من القضاة والفقهاء والتجار
وخوطبوا بما زاد فى ايناسهم وسرور نفوسهم وحسن النظر لهم بما يعود بصلاح أحوالهم فأكثروا الدعاء له والثناء
عليه والشكر لله تعالى على ما أصارهم اليه ثم تلا ذلك ابطال حقوق دار البطيخ وسوق البقل وضمان الانهار
وانشأ

وأنشأ بذلك المنشور وقرئ على المنبر بعد صلاة الجمعة فاستبشر الناس بصلاح الحال وأعلن الناس برفع الدعاء الى
الله تعالى بدوام أيامه ونصرة أعلامه وقال ابن الاثير لما استقل نورالدين فى البلد عمل مع أهله مكرمة عظيمة وأظهر
فيهم عدلا عاما قلت قد تقدم ذكره فى أول الكتاب وسيأتى منه أشياء متفرقة فيما بعد قال وألقى الاسلام جرانه بدمشق
وثبتت أوتاده وأيقن الكفار بالبوار ووهنوا واستكانوا وصار جميع ما بالشام من البلاد الاسلامية بيد نورالدين وأما
مجيرالدين فانه أقام بحمص وأرسل أهل دمشق فى اثارة الفتنة فانتهى الامر الى نورالدين فخاف ان يحدث ما يشق
تلافيه بل ربما تعذر لاسيما مع مجاورة الافرنج فأخذ حمص من مجيرالدين وعوضه عنها مدينة بالس فلم يرضها وسار
عن الشام الى العراق فأقام ببغداد وابتنى دارا تجاور المدرسة النظامية وتوفى بها قال ولما ملك نورالدين دمشق خافه
الفرنج وعلموا انه لا يقعد عنهم وعن غزو بلادهم والمبادرة الى قتالهم فراسله كل كند وقمص وتقربوا اليه ثم ان من
بتل باشر راسلوه وبذلوا له تسليمها اليه فأرسل الى الامير حسان المنبجى وهو من أكابر أمراء نورالدين واقطاعه منبج
فأمره ان يتسلمها منهم فسار اليها وتسلمها وحصنها ورفع اليها ذخائر كثيرة

﴿فصل﴾ قال الرئيس أبو يعلى وقد كان مجاهد الدين بزان أطلق يوم الفتح من الاعتقال وأعيد الى داره ووصل
الرئيس مؤيد الدين المسيب الى دمشق مع ولده النائب عنه فى صرخد الى داره معولا على لزومها وترك التعرض لشئ
من التصرفات والاعمال فبدا منه من الاسباب المعربة عن اضمار الفساد والعدول الى خلاف مناهج السداد
والرشاد ما كان داعيا الى فساد النية فيه وكان فى احدى رجليه فتح قد طال به ونسيه ثم لحقه مرض وانطلاق
متدارك أفرط عليه وأسقط قوته مع فهاق متصل وقلاع فى فيه زائد فقضى نحبه فى رابع ربيع الاول ودفن فى داره
واستبشر الناس بهلاكه والراحة من سوء أفعاله قال ووردت الاخبار بقتل خليفة مصر الملقب بالظافر بن الحافظ
وأقيم ولده عيسى مقامه وهو صغير يناهز ثلاث سنين ولقبوه بالفائز وعباس الوزير ثم ورد الخبر بان الامير فارس الدين
طلائع بن رزيك وهو من أكابر الامراء المقدمين الشجعان المذكورين لما انتهى اليه الخبر وهو غائب عن مصر
قلق لذلك وامتعض وجمع واحتشد وقصد العود الى مصر فلما عرف عباس بما جمع خاف الغلبة فتأهب للهرب فى
خواصه وأسبابه وحرمه وما تهيأ من ماله وسار مغذا فلما قرب من أعمال عسقلان وغزة خرج اليه جماعة من خيالة
الافرنج فاغتر بكثرة من معه وقلة من قصده فلما حملوا عليه فشل أصحابه وأعانوا عليه وانهزم أقبح هزيمة هو وابنه الصغير
وأسر ابنه الكبير الذى قتل العادل بن السلار مع ولده وحرمه وماله وكراعه وحصلوا فى أيدى الفرنج ومن هرب
لقى من الجوع والعطش شدة ومات العدد الكثير من الناس والدواب ووصل فى أثرهم فارس الدين فوضع السيف
فيمن ظفر به من أصحاب عباس وانتصب فى الوزارة وتدبير الامور موضعه ووصل الى دمشق منهم من الجأه الهرب على
أشنع صفة من العدم والعرى فى آخر ربيع الآخر قلت وفى ذلك يقول عمارة اليمنى من قصيدة له

لكم يابنى رزيك لازال ظلكم * مواطن سحب الموت فيها مواطر
حكمتم على عباس بيض صوارم * قهرتم بها سلطانه وهو قاهر

وذكر الامير أسامة بن منقذ فى كتاب الاعتبار ان نصر بن عباس لما قتل ابن السلار وتوزر أبوه عباس كان نصر
يعاشر الخليفة الظافر ويخالطه وعباس كاره لذلك مستوحش من ابنه لعلمه بمذهب القوم وضرب بعض الناس ببعض
حتى يفنوهم وشرع الظافر مع ابن عباس فى حمله على أبيه ومراسلته بالعطايا الكثيرة ففاتحنى فى ذلك فنهيته فاطلع
والده على الامر فاستماله أبوه ولطف به وقرر معه قتل الظافر وكانا يخرجان متنكرين وهما تربان سنهما واحد فدعاه
الى داره ورتب من أصحابه معه فى جانب الدار نفرا ثم لما استقر به المجلس خرجوا عليه فقتلوه وذلك سلخ محرم سنة تسع
وأربعين وخمسمائة ورموه بجب الدار وأصبح عباس جاء الى القصر ضحوة نهار السلام وجلس فى مجلس الوزارة ينتظر
جلوس الظافر فلما تجاوز وقت جلوسه استدعى صاحب زمام القصر وقال ما لمولانا ما جلس للسلام فتبلد الاستاذ فى
الجواب فصاح عليه وقال مالك لا تجاوبنى قال يامولاى مولانا ما ندرى أين هو وقال مثل مولانا يضيع ارجع واكشف
الحال فمضى ورجع فقال ما وجدنا مولانا فقال يبقى الناس بلا خليفة ادخل الى الموالى اخوته يخرج منهم واحد لنبايعه
نى وعاد وقال الموالى يقولون لك ما لنا فى الامر شئ والدنا عزله عنا وجعله فى الظافر والامر لولده بعده قال أخرجوه

فكيف لا ندعو له قال وكان الخطيب بالمدينة يقول فى خطبته اللهم صن حريم من صان حرم نبيك بالسور محمد بن على
ابن ابى منصور قال فلو لم يكن له الا هذه المكرمة لكفاه فخرا فكيف وقد كانت صدقاته تجوب شرق الارض وغربها
وسمعت عن متولى ديوان صدقاته التى يخرجها على باب داره للفقراء سوى الادرارات والتعهدات قال كان له كل يوم
مائة دينار أميرية يتصدق بها على باب داره قال ومن أبنيته العجيبة التى لم ير الناس مثلها الجسر الذى بناه على دجلة
عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص والكلس الا انه لم يفرغ لانه قبض قبل فراغه وبنى أيضا جسرا
على نهر الاربادعند الجزيرة أيضا وبنى الربط بالموصل وسنجار ونصيبين وغيرها وقصده الناس من اقطار الارض
ويكفيه ان صدر الدين الخجندى رئيس اصحاب الشافعى رضى الله عنه باصبهان وابن الكافى قاضى قضاة همدان قصداه
فاخرج عليهما مالا جزيلا وكذلك غيرهما من الصدور والعلماء ومشايخ الصوفية وصارت الموصل فى أيامه مقصدا وملجأ
وكان أحب الاشياء اليه اخراج المال فى الصدقات وكان يضيق على نفسه وبيته ليتصدق حكى لى والدى قال كنت يوما
عنده وقد أحضر بين يديه قندز ليعمل على وبر ايلبسه بخمسة دنانير فقال هذا الثمن كثير اشتروا لى قندزا بدينارين وتصدقوا
بثلاثة دنانير قال فراجعناه غير مرة فلم يفعل قال وحكى لى من اثق اليه من العدول بالموصل ان الاقوات تعذرت فى
بعض السنين بها وغلت الاسعار وكان بالموصل رجل من الصالحين يقال له الشيخ عمر الملا فاحضره جمال الدين وسلم اليه
مالا وقال له تخرج هذا على مستحقيه وكلما فرغ ارسل الى لانفذ غيره فلم يمض الا أيام يسيرة حتى فرغ ذلك المال لكثرة
المحتاجين فانفذ له شيئا آخر ففنى ثم أرسل يطلب ما يخرجه فقال جمال الدين للرسول والله ما عندى شئ ولكن خذوا
هذه المحافر التى فى دارى بيعوها وتصدقوا بثمنها الى ان يأتينى شئ آخر فترسله الى الشيخ عمر فبيعت المحافر وتصدقوا
بثمنها وعرفوه ذلك فلم يكن عنده ما يرسله فأعطاه ثيابه التى كان يلبسها مع العمامة التى كانت على رأسه وأرسل الجميع
قال للرسول قل للشيخ لا يمتنع من الطلب فهذه أيام مواساة فلما وصلت الثياب الى الشيخ عمر بكى وباعها وتصدق بثمنها
وقال وحكى لى بعض الصوفية ممن كان يصحب الشيخ عمر النسائى شيخ الشيوخ بالموصل قال احضرنى الشيخ فقال لى
انطلق الى مسجد الوزير وهو بظاهر الموصل واقعد هناك فاذا أتاك شئ فاحفظه الى ان أحضر عندك ففعلت واذا قد
أقبل جمع من الحمالين يحملون أحمالا من النصافى والخام واذا قد جاء نائب جمال الدين مع الشيخ ومعهما قماش كثير وثمانية
عشر ألف دينار وعدة كثيرة من الجمال فقال لى تأخذ هذه الاحمال وتسير الى الرحبة فتوصل هذه الرزمة وهذا الكتاب
الى متوليها فلان فاذا احضر لك فلانا العربى فتوصل اليه هذه الرزمة الاخرى وهذا الكتاب وتسير معه فاذا أوصلك
الى فلان العربى فتوصل اليه هذه الرزمة وهذا الكتاب وهكذا الى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام
توصل الى وكيلى فلان هذه الاحمال وهذه الكسوات والمال الذى عليه اسم المدينة ليخرجها بمقتضى هذه الجريدة
ثم يأخذ الباقى الذى عليه اسم مكة ويسير اليها فيتصدق به وكيلى بها بموجب الجريدة الاخرى قال فسرنا كذلك
الى وادى القرى فرأينا به نحو مائة جمل تحمل الطعام الى المدينة وقد منعهم خوف الطريق فلما رأونا سار وامعنا اليها
فوصلناها والحنطة بها كل صاعين بدينار مصرى والصاع خمسة عشر رطلا بالبغدادى فلما رأوا الطعام والمال
اشتروا كل سبعة آصع بدينار فانقلبت المدينة بالدعاء له ثم سرنا الى مكة ففعلنا ما أمرنا قال وحكى لى والدى قال
رأيت جمال الدين وقد حضر عنده رجل فقيه قبل ان يصير وزيرا فطلب منه شيئا فتردد اليه عدة أيام ثم انقطع
فسأل عنه فقيل انه سافر فشق ذلك عليه ثم قال هكذا تنصرف الاحرار عن دور الكلاب ورد ذلك غير مرة ثم سأل
عنه فقيل انه سار نحو ماردين فأرسل اليه خلعة ونفقة الى ماردين قال ولو رمت شرح مفردات أعماله لاطلت
واضجرت وهى ظاهرة لا تحتاج الى بيان فلهذا تركنا أكثرها وقد ذكره الامير مؤيد الدولة اسامة بن منقذ فى كتاب
الاعتبار فقال اجتمعت بجمال الدين الموصلى سنة خمس وخمسين وخمسمائة وانا متوجه الى الحج وكانت بينى وبينه
مودة قديمة وعشرة ومؤانسة فعرض على الدخول الى داره فى الموصل فامتنعت ونزلت بخيمتى على الشط فكان مدة
مقامى كل يوم يركب يجوز على الجسر نحو نينوى وأنا بك قد ركب الى الميدان وينفذ الى يقول اركب فأنا واقف أنتظرك
فاركب فأسير أنا وهو فنتحدث فوجدت يوما منه خلوة من أصحابى فقلت له فى نفسى شئ يتردد من حين اجتمعنا
اشتهى ان أقوله لك وما يتفق لى خلوة وقد خلونا الساعة قال قل قلت أقول ما قاله الشريف الرضى

ما ناصحتك خفايا الود من أحد ❊ مالم يصبك بمكروه من العذل
مودتى لك تأبى ان تسامحنى ❊ بان أراك على شئ من الزلل

وقد بسطت يدك فى انفاق المال فى الصدقات ووجوه البر والمعروف والسلاطين ما يحتملون اخراج المال ولا تصبر
نفوسهم عليه ولو ان الانسان يخرجه من ميراثه وهذا الذى أهلك البرامكة فانظر لنفسك كيف المخرج مما قد
دخلت فيه فاطرق ساعة وقال جزاك الله خيرا لكن الامر قد عبر عما تخافه ففارقته وسرت الى الحجاز وعدت
من مكة على طريق الشام ونكب جمال الدين ومات فى الحبس قلت ولعلم الدين الحسن بن سعيد الشاتانى فى هذا
الوزير الجواد لما نكب

ماحط قدرك من أوج العلى القدر ❊ كلا ولا غيرت أفعالك الغير
أنت الذى عم أهل الارض نائله ❊ ولم ينل شأوه فى سودد بشر
سارت صفاتك فى الآفاق واتضحت ❊ وصدق السمع عنها ما رأى البصر
فاصبر لصرف زمان قد منيت به ❊ فآخر الصبر يا طود النهى الظفر
فما ترى أحدا فى الخلق يسلم من ❊ صروف دهر له فى أهله غير
سعوا بقصدك سرا واستبد لهم ❊ ولو سعوا نحوه جهرا لما قدروا
لولا الامانى التى تحيى النفوس بها ❊ لمت من لوعة فى القلب تستعر
وأصدق الناس فى حفظ العهود اذا ❊ ميزت بالفكر أحوال الورى عمر
الزاهد العابد البر التقى ومن ❊ يزوره ويقوى أزره الخضر

وقال العرقلة يرثى جمال الدين الوزير والصالح بن رزيك

لا خير فى الدنيا ولا أهلها ❊ بعد جمال الدين والصالح
بحران لولا دمع باكيهما ❊ ما كان ماء البحر بالمالح

قال ابن الاثير قال والدى كنت أرى من الوزير جمال الدين فى الايام الشهيدية من الكفاية والنظر فى صغير الامور
وكبيرها والمحاققة فيها ما يدل على تمكنه من الكفاية فلما وصل الامر الى الملك قطب الدين مودود بن اتابك الشهيد
وجمال الدين وزيره حينئذ وقد تمكن زين الدين على بن بكتكين فى الدولة تمكنا عظيما وتقدم عند قطب الدين جماعة
من أصحابه فكان جمال الدين مع تمكنه وعلو محله يهمل بعض الامور قال فقلت له يوما أين تلك الكفاية التى
كنا نراها منك فى الايام الشهيدية ما أرى الآن منها شيئا فقال لى والآن ما عندى كفاية فقلت ما هذا العمل من
ذلك بشئ فقال أنت صبى غر ليست الكفاية عبارة عن فعل واحد فى كل زمان انما الكفاية ان يسلك
الانسان فى كل زمان ما يناسبه ذلك الوقت كان لنا صاحب متمكن قوى العزم لا يتجاسر أحد على الاعتراض عليه
ولا يتلون باقوال أصحابه فحفظناه فكان ما أفعله هو الكفاية وأما الآن فلنا سلطان غير متمكن وهو محكوم عليه
فهذا الذى أفعله هو الكفايه

❊(ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة)❊ قال ابن الاثير فيها فتح نور الدين قلعة بانياس من الفرنج وكان قد سار اليها بعد
عوده من فتح حارم وأذن لعسكر الموصل وديار بكر بالعود الى بلادهم وأظهر انه يريد طبرية فجعل من بقى من الفرنج
همهم حفظها وتقويتها فسار نور الدين مجدا الى بانياس لعلمه بقلة من فيها من الحماة المانعين عنها ونازلها وضيق
عليها وقاتلها وكان فى جملة عسكره أخوه نصرة الدين أمير اميران فأصابه سهم أذهب احدى عينيه فلما رآه نور الدين
قال له لو كشف لك عن الاجر الذى أعد لك لتمنيت ان تذهب الاخرى وجد فى حصارها وسمع الفرنج بذلك فجمعوا فلم
تتكامل عدتهم حتى فتحه الله تعالى على ان الفرنج كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بحارم وأسرهم فملك القلعة وملأها
ذخائر وعدة ورجالا وعاد نور الدين الى دمشق وفى يده خاتم بفص ياقوت من أحسن الجوهر فسقط من يده فى
شعراء بانياس وهى كثيرة الاشجار ملتفة الاغصان فلما أبعد من المكان الذى ضاع فيه الفص علم به فأعاد بعض

أصحابه فى طلبه وختم على مكانه وقال أظنه هناك ضاع فعادوا اليه فوجدوه فقال بعض الشعراء الشاميين وأظنه أحمد بن منير من جملة قصيدة يمدحه بها ويهنيه بهذه الغزاة وعود الفص الياقوت

ان يمترالشكاك فيك فانك الـــمهدى مطفى جمرة الدجال

فلعودة الجبل الذى أظلته * بالامس بين عناطل وجبال

مستر جعالك بالسعادة آية * ردت مطال الفال غير مطال

لم يعطها الاسليمان وقد * تلت الرقاء بوشك الاعجال

زجرجرى لسرير ملكك انه * كسريره عن كل جذر عال

فلو البحار السبعة استهوينه * وأمرتهن قذفنه فى الحال

قلت هذه الابيات لابن منير بلاشك ولكن فى غير هذه الغزاة فان ابن منير قد سبق انه توفى سنة ثمان وأربعين وفتح بانياس كما تراه فى سنة ستين وقد قرأت فى ديوان ابن منير وقال يمدحه يعنى نور الدين ويهنيه بالعود من غزاة وضياع فص ياقوت جبل من يده لاشتغاله بالصيد شراه ألف ومائة دينار وفى نسخة ووجدان خاتم ضاع منه فى الصيد قيمته ألف ومائة دينار وأنشدها ياها بقلعة حمص فذكر القصيدة أولها (يوماك يوم ندى ويوم نزال) يقول فيها

أخرست شقشقة الضلال وقدته * قود الذلول أطاع بعد صيال

ورميت دار المشركين بصيلم * ألحت فيها الحرب بعد حيال

وسعرت بين تريبهم وترابهم * ذعرا يشيب نواصى الاطفال

فوق الحطيم وقد خطمت زعيمهم * ضربا سوابقه بغير توالى

ضربا ملأت فرنجة من حره * رهبا به سيف الصقال صالى

وبقبح حارم أحرمت لقراعهم * هيم أحلن النوم غير خلال

عجموا على جسر الحديد حديدها * نبعا بعاذمه ادير دصال

زلزلت أرضهم بوقع صواعق * أعطيننا امنا من الزلزال

فى مازق شمرت ذيلك تحته * والنصر فوقك مسبل الاذيال

فى دولة غراء محمودية * سحبت رداء الحمد غير مذال

تنسى الفتوح بها الفتوح وتجتنى * زهر المقال بياهر الافعال

لبست بنور الدين نور حدائق * ثمراتهن غرائب الافضال

ملك تحجب فى السرير بزأرة * زرت حواشيها على ريبال

تجاب عن ذى لبدتين شذاته * فى بردتى بدل من الابدال

رفع الرواق برونق انطاكية * فرمى الخليج بمرهق البلبال

بدر لاربع عشرة اقتبس السنا * من خمس عشرة سورة الانفال

فوز المآل أخاضه ماء الطلى * وسواه يقعده احتياز المال

متقسم بين القسمين العلى * عن عم عم أو مخايل خال

لازلت تطلع من ثنايا جحفل * يقفو لواءك كالوى المنهال

لك ان تطل على الكواكب راقيا * ولحاسديك بكا على الاطلال

ومما يناسب هذه السعادة فى وجدان الخاتم بعد وقوعه فى مظنة الهلاك والضياع ما بلغنى ان موسى الهادى لما ولى الخلافة سأل عن خاتم عظيم القيمة كان لابيه المهدى فبلغه ان أخاه الرشيد أخذه فطلبه منه فامتنع فالح عليه فيه فحنق الرشيد ومر على جسر بغداد فرماه فى دجلة فلما مات الهادى وولى الرشيد الخلافة أتى ذلك المكان بعينه ومعه خاتم من رصاص فرماه ثم أمر الغطاسين ان يلتمسوه ففعلوا فاستخرجوا الخاتم الاول فعد ذلك من سعادة الرشيد وبقاء ملكه قال ابن الاثير ولما فتح نور الدين حصن بانياس كان ولد معين الدين انر الذى سلم بانياس الى الافرنج قائما على

رأسه فالتفت اليه وقال له للناس بهذا الفتح فرحة واحدة ولك فرحتان فقال كيف ذلك قال لان الله تعالى اليوم برد جلدة والدك من جهنم وقد تقدم انه كان صانع بها عن دمشق لمنازل الفرنج عليها وفيها توفى وزير بغداد عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيبانى من بنى ذهل بن شيبان ابن ثعلبة بن الحصن وكان عالما دينا مدبرا حنبلى المذهب وزر للمقتفى ثم للمستنجد بعده وله عدة مصنفات منها الافصاح فى شرح الاحاديث الصحاح وكان يجمع فى مجلسه أفاضل الوقت من أعيان المذاهب الاربعة والنحاة وغيرهم ويجرى بحضرتهم فوائد كثيرة ثم توفى وهو ساجد فى صلاة الصبح من يوم الاحد ثالث عشر جمادى الاول سنة ستين وخمسمائة ورؤيت له منامات حسنة ومدحه جماعة من الفضلاء ومولده فى ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وأربعمائة بقرية من أعمال دجيل تعرف بالدور وهو الذى محا رسوم سلاطين العجم من العراق وأجلاهم عن خطتها بحسن تدبيره ومن كلامه لبعض من كان يأمر بالمعروف اجتهد ان تستر العصاة فان ظهور معاصيهم عيب فى الاسلام وأولى الامور ستر العيوب

(ثم دخلت سنة احدى وستين وخمسمائة) ففيها توفى فتح الدين بن أسد الدين شيركوه أخو ناصر الدين وقبره بالمقبرة النجمية الى جانب قبر ابن عمه شاهنشاه بن أيوب فى قبة فيها أربع قبورهما الاوسطان منها وفى هذين الاخوين ناصر الدين وفتح الدين يقول العرقلة حسان

لله شبلا أسد خادر * ما فيهما جبن ولا شح

ما أقبلا الا وقال الورى * قد جاء نصر الله والفتح

وفيها سار نور الدين أيضا الى حصن المنيطرة وهو للفرنج ولم يحشد له ولا جمع عساكره انما سار اليه على غرة من الفرنج وعلم انه ان جمع العساكر حذروا وجمعوا فانتهز الفرصة وسار الى المنيطرة وحصرها وجد فى قتالها وأخذها عنوة وقهرا وقتل من بها وسبى وغنم غنيمة كثيرة لانه من به فأخذتهم خيل الله بغتة وهم لا يشعرون ولم يقدر الفرنج على ان يجتمعوا لدفعه الا وقد ملكه ولو علموا انه جرد جريدة لاسرعوا وانما ظنوا ان نور الدين فى جمع كثير فلما ملكه تفرقوا وايسوا منه هذا قول ابن الاثير وذكر القاضى ابن شداد ان ذلك كان فى سنة اثنتين وستين كما سيأتى والله أعلم وفيها توفى الجليس بن الحباب بمصر قال العماد فى الخريدة القاضى الجليس أبو المعالى عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الاغلبى السعدى التميمى جليس صاحب مصر فضله مشهور وشعره مأثور وكان أوحد عصره فى مصره نظما ونثرا وترسلا وشعرا ومات بها فى سنة احدى وستين وقد أناف على السبعين أنشدنى له الامير نجم الدين بن مصال من قصيدة يقول فيها

ومن عجب ان السيوف لديهم * تحيض دماء والسيوف ذكور

واعجب من ذا انها فى أكفهم * تأجج نارا والاكف بحور

قال وأنشدنى له الشريف ادريس الادريسى قصيدة سيرها الى الصالح بن رزيك قبل وزارته يحرضه على ادراك ثار الظافر وكان عباس وزيرهم قتله وقتل اخوته يوسف وجبريل يقول فيها

أصادفهم قولا وغيبا ومشهدا * نحوهم على عمد بفعل أعادى

فأين بنو رزيك عنها ونصرهم * وما لهم من منعة وذياد

فلو عاينت عيناك بالقصر يومهم * ومصرعهم لم تكتحل برقاد

فخرق جموع المارقين فانها * بقايا زروع أذنت بحصاد

وله فيه من أخرى فى هذه الحادثة

ولما ترامى البربرى بجهله * الى فتكة ما رامها قط رائم

ركبت اليهم متن عزمتك التى * بأمثالها تلقى الخطوب العظائم

أعدت اليهم ملكهم بعد ما لوى * به غاصب حق الامامة ظالم

وأنفذ اليه فى المعنى يقول

أعدت الى جسم الوزارة روحها * وما كان يرجى بعثها ونشورها

يورّى عنهم ولا يكشف لشاور حالهم ويقال ان الملك أقطعه ثلاث عشرة قرية على أن يتم على المصريين الحيلة ويعلم شاور انه انما قصد مصر للخدمة ففعل ذلك بدران ولما سمع ذلك شاور أشفق منه وأحضر الامير شمس الخلافة محمد بن مختار وقال له كأنّ بدران قد غشني ولم ينصحني وأنا فوائق بك فأريد تخرج وتكشف لى حال الفرنج فسار شمس الخلافة الى مرى وكان بينهما مؤالفة فلما دخل على الملك قال له مرحبا بشمس الخلافة فقال مرحبا بالملك الغدار والاما الذى أقدمك الينا قال اتصل بى ان الفقيه عيسى زوج اخت الكامل بن شاور من صلاح الدين يوسف بن أيوب وتزوج الكامل أخت صلاح الدين فقلنا هذا عمل علينا فقال له شمس الخلافة ليس لهذا صحة ولو فعل ذلك لم يكن فيه نقض للعهد فقال له الملك الصحيح ان قوما من وراء البحر اتوا الينا وغلبونا على آرائنا وخرجوا طامعين فى بلادكم فخفنا من ذلك فخرجنا لنتوسط الامر بينكم وبينهم فقال شمس الخلافة فأى شئ قد طلبوا قال ألفى ألف دينار فقال مكانكم حتى أصل الى شاور وأبلغه مقالكم وأعود بالجواب فقال له ملك الفرنج فنحن تنزل على بلبيس الى أن تعود قال وحكى ان ملك الفرنج لما وصل الى الداروم كتب الى شاور يقول له انى قد قصدت الخدمة على ما قررته لى من العطا فى كل عام فأجابه شاور ان الذى قررته لك انما جعلته متى احتجت اليك أو اذا اقدم على عدو فأما مع خلو بالى من الاعداء فلا حاجة لى اليك ولا لك عندى مقرر فأجابه مرى أن لا بد من حضورى وأخذى المقرر فعلم شاور انه قد غدر بالعهد ونقض الايمان وانه قد طمع فى البلاد فأخذ فى تجنيد الاجناد وحشد العساكر الى القاهرة وأنفذ الى بلبيس قطعة من الجيش وميزه وعدّه ثم ان ملك الفرنج سار خلف رسول شاور لا يلوى على قول حتى خيم على بلبيس فى صفر وكان معه جماعة من المصريين منهم علم الملك ابن النحاس وابن الخياط يحيى وابن قرجلة وأرسل الى طى بن شاور وكان ببلبيس وقال له أين تنزل قال على أسنة الرماح وقال له أتحسب ان بلبيس جبنة تأكلها فأرسل اليه مرى نعم هى جبنة والقاهرة زبدة ثم قاتل بلبيس ليلا ونهارا حتى افتتحها بالسيف وقتل من أهلها خلقا عظيما وخرب أكثرها وأحرق حلل أدرها ثم أخرج الاسارى الى ظاهر البلد وحشروا فى مكان واحد وجعل فى وسطهم برمحه ففرقهم فرقتين فأخذ الفرقة التى كانت عن يمينه لنفسه وأطلق الفرقة التى كانت عن يساره لعسكره وقال لفرقته قد أطلقتكم شكرا لله تعالى على ما أولانى من فتح بلاد مصر فانى قد ملكتها بلا شك ووقف الى ان عدى أكثرهم النيل الى جهة منية حمل وأخذ العسكر نصيبهم من الاسارى فاقتسموهم وبقى أهل بلبيس الذين أسروا أكثر من أربعين سنة فى أسر الفرنج وهلك أكثرهم فى أيديهم وأفلت منهم اليسير لان الملك الناصر رحمه الله لما ملك ديار مصر وقف مغل بلبيس على كثرته على فكاك الاسرى منهم وسامح أهل بلبيس بخراجهم الى آخر أيامه ولما اتصل بشاور ما جرى على أهل بلبيس من القتل والاسر وان الفرنج شحنوها بالرجال والعدد وجعلوها لهم ظهرا أشفق من ذلك وطلب الاذن على العاضد فلما اجتمع به بكى بين يديه وقال اعلم ان البلاد قد ملكت علينا ولم يبق الآن تكتب الى نور الدين وتشرح له ما جرى وتطلب نصرته ومعونته فكتب جميع ذلك وأرسل شاور طى تلك الكتب كتبا وسخم أعاليها بالمداد قال وحدثنى شمس الخلافة موسى بن شمس الخلافة محمد بن مختار قال انما كتب هذا الكتاب برأى أبى شمس الخلافة لانه لما رجع من عند مرى لعنه الله بعد أخذ بلبيس اجتمع بالكامل بن شاور وقال له عندى أمر لا يمكننى ان أفضى به اليك الا بعد ان تحلف لى انك لا تطلع أباك عليه فلما حلف له قال له ان أباك قد وطن نفسه على المصابرة وآخر أمره يسلم البلاد الى الفرنج ولا يكاتب نور الدين وهذا عين الفساد فاصعد أنت الى العاضد وألزمه ان يكتب الى نور الدين فليس لهذا الامر غيره فقصد الكامل وكتب الكتاب فلما وصل الى نور الدين انزعج انزعاجا عظيما وأنفذ أسد الدين وكان ذلك من مناه وأرسل الفقيه عيسى الهكارى الى مصر برسالة ظاهرة الى شاور يعلمه ان العساكر واصلة وبرسالة سرية الى العاضد وأمره ان يستحلفه على أشياء عينها وان يكتم ذلك من شاور وأما الفرنج فساروا الى جهة مصر وأمر شاور باحراق مصر وانذر أهلها فخرج الناس منها على وجوههم وهجوا فى بلاد مصر وبلغ أجرة الجمل الى القاهرة ثلاثين دينارا وترك الناس أكثر أموالهم فنهبت وأحرقت مصر فى تاسع صفر وأقامت النار تعمل فيها أربعة وخمسين يوما ثم ان الفرنج لعنهم الله نزلوا فى بركة الحبش وانبثت أخبارهم فى الاطراف وتخطفوا من ظفروا به فأنفذ شاور شمس الخلافة الى مرى لعنه الله فلما دخل عليه سأله

ان يخرج معه الى باب الخيمة ففعل فأراه شمس الخلافة جهة مصر وقال له أترى دخانا فى السماء قال نعم قال هذا دخان مصر ما أتيت الا وقد أحرقت بعشرين ألف قارورة نفط وفرقت فيها عشرة آلاف مشعل وما بقى فيها ما يؤمل بقاؤه ونفعه فخل الآن عنك مدافعتى ومخاتلتى وكن كلما قلت لك انزل فى مكان تقدمت الى غيره وما بقى لك الآن تنزل بالقاهرة فقال هو كما تقول ولا بد من نزول القاهرة ومعى فرنج من وراء البحر قد طمعوا فى اخذها ثم رحل فنزل على القاهرة مما يلى باب البرقية نزولا قارب به البلد حتى صارت سهام البرج تقع فى خيمته فقاتلوا البلد أياما فلما تيقن شاور الضعف عدل الى طريق المخادعة والمخاتلة والمغاررة والمدافعة الى ان تصل عساكر الشام فأنفذ شمس الخلافة الى مرى لعنه الله تعالى برسالة طويلة قبل بها فى غاربه ودار من حواليه وفى ضمنها (ان هذا بلد عظيم وفيه خلق كثير ولا يمكن تسليمه البتة ولا أخذه الا بعد ان يقتل من الفريقين عالم عظيم وما تعلم أنت ولا أنا لمن الدائرة والرأى ان تحقن دماء أصحابك ودماء أصحابنا وتحصل شيئا أدفعه لك يحصل لك عفوا) فاستقرت المصانعة على أربعمائة ألف دينار وقيل ألفى ألف دينار يعجل له منها مائة ألف دينار فأجاب مرى الى ذلك وانعقدت الهدنة وحلف مرى ورحل الى بركة الحبش وحمل شاور اليه مائة ألف دينار فى عدة دفعات سوّف فيها الاوقات ثم أخذ يمطله بالباقى انتظارا لقدوم العساكر ويوهم انه يجمع لهم الاموال فلم يشعر الفرنج الا بهجوم عسكر الشام عليهم فلما رأوهم رحلوا الى بلبيس ونزل أسد الدين بالمقس ثم رحل ملك الفرنج ونزل على فاقوس وأتبعه أسد الدين ونزل على بلبيس وكان لما اتصل بشاور وصول أسد الدين الى صدر أنفذ شمس الخلافة الى ملك الفرنج يستطلق له منه بعض المال فصار اليه واجتمع به وقال قد قل علينا المال فقال ملك الفرنج اطلب منه شيئا فقال اشتهى ان تهب لى النصف قال قد فعلت فقال شمس الخلافة ما بلغنى ان ملكا فى مثل حالك وقدرتك علينا وهب مثل هذه الهبة لقوم هم فى مثل حالنا فقال ملك الفرنج أنا أعلم انك رجل عاقل وان شاور املك وانكما ما سألتمانى ان أهبكما هذا المال العظيم الا لامر قد حدث فقال له صدقت هذا أسد الدين قد وصل الى صدر نصرة لنا وما بقى لك مقام وشاور يقول لك أرى ان ترحل ونحن باقون على الهدنة فانه أوفق لك ولنا واذا حصل هذا الرجل عندنا ارضيناه من هذا المال بشئ وحملنا الباقى اليك متى قدرنا وان نحن أخرجنا فى رضاهم أكثر من هذا المال عدنا عليك بما يبقى علينا من المقدار فقال ملك الفرنج أنا راض بذلك وان بقى على شئ حملته اليكم وعوّل على الرحيل فقال له بعد ان تطلق طى ابن شاور وجميع من فى عسكرك من الاسارى ولا تأخذ من بلبيس بعد انصرافك شيئا فأجابه الى جميع ذلك ولما رحلت الفرنج عن القاهرة نزل اسد الدين بأرض يقال لها اللوق وأخرج اليه شاور الاقامات الحسنة والخدم الكثيرة ولما اجتمعا قال شاور لاسد الدين قد رأيت من الرأى ان أخرج أنا وأنت وان ندرك الفرنج ونوقع بهم فقال أسد الدين هذا كان رأيى والفرنج على البر الغربى وليس لهم وزر وأما الآن فلا لانهم على البر المتصل ببلادهم ونحن فقد خرجنا من البر فى أسوأ حال من الضعف والتعب وقد كفانا الله شرهم ونحن الى الراحة والاستجمام أحوج ولما نزل أسد الدين باللوق أرسل له العاضد هدية عظيمة وخلعا كثيرة وأخرج الى خدمته أكابر أصحابه ثم انه خرج اليه فى الليل سرا متنكرا واجتمع به فى خيمته وأفضى اليه بأمور كثيرة منها قتل شاور ثم عاد الى قصره وكان شاور قد رأى ليلة نزل أسد الدين على القاهرة كانه دخل دار الوزارة فوجد على سريرملكه رجلا وبين يديه دواة الوزارة وهو يوقع منها بأقلامه فسأل عنه فقيل هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما حصل أسد الدين بالديار المصرية وانفصل عنها الفرنج أمنت البلاد وتراجع الناس الى بيوتهم وأخذوا فى اصلاح ما شعثه الفرنج وأفسدوه وتقاطر الناس الى خدمة أسد الدين فتلقاهم بالرحب والسعة وأحسن اليهم وأما شاور فانه أخذ فى التودد الى أسد الدين والتقرب الى قلبه بجميع ما وجد السبيل اليه وأقام له ولعسكره الميرة الكثيرة والنفقات الغزيرة حتى استحوذ على قلبه ونوى تبقيته فى ملكه وصفا له قلبه حتى أنفذ اليه سرا أحرس نفسك وأما عساكر الشام فانهم لما رأوا طيب بلاد مصر وكثرة خيرها وسعة أموالها تاقت أنفسهم الى الاقامة بها واختاروا سكناها ورغبوا فيها رغبة عظيمة فقوى طمع أسد فى الاستيلاء عليها والاستبداد بملكها ثم علم انه لا يتم له ذلك وشاور باق فيها فأخذ فى اعمال الحيلة عليه وكان العاضد قد تقدم اليه بقتله فجمع أصحابه

أكثر ما اجرى الله الخلائق على يد المولى من الارزاق التي تفضل عن الاستحقاق وما أولاه بان يتوخى بالمعروف مكانه من هذين الحرمين الشريفين المهجورين من اسعاف أهل الاقتدار والمحروم من قدر فيهما على خير فاضاع فرصته بترك البدار وغير خاف عن مولانا همة الفرنج بالقدس براوبحرا ومركبا وظهرا وسلما وحربا وبعدا وقربا وتوافيهم على حماسه وهو أنف في وجه الاسلام ومسارعتهم الى نصرة أهليه بالارواح والاموال على مر الايام ومعاذ الله ان يستبصر وافى الضلال ونصرف نحن عن الحق ويضيق بنا في التوسعة على أهله سعة المجال والمملوك في مستهل رجب بمشيئة الله معول على السفر الى الحجاز لقضاء الفريضة قولاً وفعلا والسائرون في هذه السنة بطمعة وقفة الجمعة وبفسحة وضع المكس خلق لا يحصى والمولى شريك في أجرهم فليهنه ان الملوك عمرت بيوتها لخربت وان المولى عمر بيت الله فمن كرمه سبحانه ان يعمر بيت المولى وما أشد خجل الملوك من النبي صلى الله عليه وسلم في التقصير في قوت جيرانه في هذه السنة وما هكذا أوصى للمطيع ولكن للغائب حجته قلت وفي هذه المكرمة التي فعلها صلاح الدين رحمه الله بالحاج يقول الشيخ الفاضل أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الاندلسي من قصيدة له يمدح بها صلاح الدين وستأتي فيما بعد أخبرني بها ثقة نقلها من خطه

رفعت مغارم مكس الحجا ✽ ز بانعامك الشامل الغامر
وأمنت أكناف تلك البلا ✽ د فهان السبيل على العابر
وسحب أياديك فياضة ✽ على وارد وعلى صادر
فكم لك بالشرق من حامد ✽ وكم لك بالغرب من شاكر
وكم بالدعاء لكم كل عا ✽ م بمكة من معلن جاهر
وقد بقيت حسبة في فلا ✽ ن وتلك الذخيرة للذاخر
يعنف حجاج بيت الالـه ويسطو بهم سطوة الجابر
ويكشف عما بأيديهم ✽ وناهيك من موقف صاغر
وقد وقفوا بعدما كشفوا ✽ كأنهم في يد الآسر
ويلزمهم حلفا باطلا ✽ وعقبى اليمين على الفاجر
وان عرضت بينهم حرمة ✽ فليس لها عنه من ساتر
أليس يخاف غدا عرضه ✽ على الملك القادر القاهر
أليس على حرم المسلميـن بتلك المشاهد من غاير
الا حاضر نافع زجره ✽ فيا ذلة الشاهد الحاضر
الا ناصح مبلغ نصحه ✽ الى الملك الناصر الظافر
ظلوم تضمن مال الزكا ✽ ة لقد تعست صفقة الخاسر
يسر الخيانة في باطن ✽ ويبدى النصيحة في الظاهر
فاوقع به حادثا انه ✽ يقبح أحدوثة الذاكر
فما للمناكير من زاجر ✽ سواك وبالعرف من آمر
وحاشاك ان لم تزل رسمها ✽ فما لك في الناس من عاذر
ورفعك أمثالها موسع ✽ رداء فخارك للناشر
وآثارك الغر تبقى لها ✽ وتلك المآثر للآثر
نذرت النصيحة في حقكم ✽ وحق الوفاء على الناذر
وحبك أنطقني بالقريـض وما ابتغى صلة الشاعر
ولا كان فيما مضى مكسبي ✽ وبئس البضاعة للتاجر
اذا الشعر صار شعار الفتى ✽ فناهيك من لقب شاهر

وان كان نظمي له نادرا ✽ فقد قيل لا حكم للنادر
ولكنما خطرات الهوى ✽ تعن فتلعب بالخاطر
وأما وقد زان ذاك العلى ✽ فقد فاز بالشرف الباهر
وان كان منك قبول له ✽ فتلك الكرامة للزائر
ويكفيه سمعك من سامع ✽ ويكفيه لحظك من ناظر
ويزهى على الروض غب الحيا ✽ بما حاز من ذكرك العاطر

قال العماد وفي المحرم من هذه السنة توفي الحكيم مهذب الدين أبو الحسن علي بن عيسى المعروف بابن النقاش البغدادي بدمشق وكان كنعته مهذبا ومن الملوك لتفرده بفضله مقربا وهو مبرز في فنه حتى ان من شدى أشياء من الطب تبجح بانه قرأ عليه وتردد لاستفادته اليه وقد راضته العلوم الرياضيه وأحكمت أخلاقه المعارف الحكميه وفي الثاني عشر من جمادى الاولى توفي الامير نجم الدين بن مصال بمصر وجاءنا نعيه ونحن بحمص فجاوز اغتمام السلطان برزئه حده وجلس في بيت الخشب مستوحشا وحده وقال لا يخلف الدهر لي صديقا مثله بعده وأجرى ما كان له جميعه لولده وحفظ عهده وكان لجماعة من الاعيان والشعراء والاماثل والادباء بعنايته ووساطته من السلطان رزق ابقاء عليهم كأنه عليه مستحق وفي العشر الاول من ربيع الآخر أغارت طائفة من الفرنج على بلد حماه فخرج اليها متولي عسكر حماه الامير ناصر الدين منكورس بن خمارتكين صاحب حصن بوقبيس فأسر المقدمين وسفك بسيفه دم الباقين وجاء الى الخدمة السلطانية بظاهر حمص وساق معه الاسارى فأمر السلطان بضرب أعناقهم وان يتولى ذلك أهل التقى والدين من الحاضرين فتقدم امامه الضياء الطبري وضرب عنق بعضهم وتلاه الشيخ سليمان المغربي ثم الامير ايطغان بن ياروق واستدعى العماد وأمر بذلك فلم يفعل وطلب ان يملكه السلطان منهم صغيرا فعوض عنه ثم رحل السلطان على طريق الزراعة الى بعلبك فنازلها محاصرا من غير قتال فطال أمرها ولم يسمح بها صاحبها ودخل فصل الشتاء فرحل السلطان عنها الى دمشق ووكل بها من يحصرها بالمنع من الخروج والدخول من غير قتال وهم جماعة مع طغرل الجاندار ودخل الى دمشق في العشر الاواخر من رجب وتمادى الامر الى ان رضي ابن المقدم بحصن بعرين وأعماله وبلد كفرطاب وأعيان نواحي وقرى من بلد المعره وسلم بتسليم بعلبك من المضرة والمعره وكان الذي أخذه أكثر وأنفع مما خلاه وما خطر بباله ما حصل له ولا ترجاه ولا تمناه

﴿فصل﴾ كالذي قبله في حوادث متفرقه قال العماد كتب النواب بدمشق الى السلطان ان الاموال ضائعه وان الاطماع فيها رائعه وان في أرباب الصدقات أغنياء لا يستحقونها وما لهم رقبة من الله يتقونها وان أرباب العنايات استوعبوها وما استوجبوها وان المصلحة تقتضي افراد جهات لما سنح من مهمات وكانت الصدقات مبلغ أحد عشر ألف دينار فقال لي اكتب عليها جميعها بالامضاء ولا تكدر على ذوي الآمال موارد العطاء فقلت أما أتلو عليك الاسماء فقال لا بل نزهني عن هذه الاشياء فبقيت تلك الرسوم داره والآمال بها ساره قال وفي شعبان من هذه السنة توفي متولي المقياس بمصر ففوض السلطان منصبه الى أخيه قال وهذا المقياس موضع مبني من عهد خلفاء بني العباس ليعرف زيادة الماء ونقصانه بالقياس وهناك عمود في الماء مقسوم بالاذرع والاذرع مقسومة بالاصابع في مسجد ينوب في الجزيرة عن الجامع تصلي فيه الجماعات والجمع ويتولاه من العهد القديم متول من ولد أبي الرداد ممن هو معروف بالنزاهة والعلم والسداد وله راتب دار ورسم وقرار قلت بلغني ان أبا الرداد هذا كان معلما من أهل الصدق والصلاح رتبه جعفر المتوكل على الله في ولاية المقياس وبقي من بعده على ولده وقرأت في تاريخ الغرباء الذين قدموا مصر لابي سعيد بن يونس قال (عبد الله بن عبد السلام بن الرداد العمي بصري قدم مصر وحدث بها وكان قد جعل على قياسة النيل توفي بمصر لسبع بقين من رجب سنة ست وستين ومائتين وذكره أبو سعيد في أهل مصر أيضا وقال فيه ولد هو وأبوه بمصر) قال ابن الاثير وفي سنة أربع وسبعين وخمسمائة اشتد الغلاء وعم أكثر البلاد العراق ومصر وديار بكر وديار الجزيرة والشام وغير ذلك من البلاد ودام الى ان انقضى سنة خمس وسبعين وخرج الناس في البلاد يستسقون فلم يسقوا ثم ان الله تعالى رحم عباده ولطف بهم وأنزل عليهم الغيث وأرخص الاسعار ومن

فتوح مصر وأخبارها

تأليف

أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم

تقديم وتحقيق

محمد صبيح

ذكر سبب دخول عمرو بن العاص مصر

قال : ثم رجع الى حديث عثمان بن صالح قال :

« فلما كانت سنة ثماني عشرة ، وقدم عمر الجابية . خلا به عمرو بن العاص فاستاذنه في المسير الى مصر ، وكان عمرو قد دخل مصر في الجاهلية وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها » .

« وكان سبب دخول عمرو اياها :

كما حدثنا يحيى بن خالد العدوى ، عن ابن لهيعة . ويحيى بن أيوب ، عن خالد بن يزيد :

« انه بلغه أن عمرا قدم الى بيت المقدس لتجارة في نفر من قريش ، فاذا هم بشماس من شمامسة الروم من أهل الاسكندرية قدم للصلاة في بيت المقدس ، فخرج في بعض جبالها يسيح ، وكان عمرو يرعى ابله وابل أصحابه ، وكانت رعية الابل نوبا بينهم ، فبينا عمرو يرعى ابله اذ مر به ذلك الشماس وقد أصابه عطش شديد في يوم شديد الحر ، فوقف على عمرو ، فاستسقاه ، فسقاه عمرو من قربة له ، فشرب حتى روى ونام الشماس مكانه ، وكانت الى جنب الشماس حيث نام حفرة ، فخرجت منها حية عظيمة ، فبصر بها عمرو ، فنزع لها بسهم فقتلها ، فلما استيقظ الشماس نظر الى حية عظيمة قد أنجاه الله منها . فقال لعمرو : ما هذه ؟ فأخبره عمرو أنه رماها فقتلها ، فأقبل الى عمرو فقبل رأسه . وقال : قد أحياني الله بك مرتين : مرة من شدة العطش ، ومرة من هذه الحية ، فما أقدمك هذه البلاد ؟ قال : قدمت مع أصحاب لي نطلب الفضل في تجارتنا . فقال له الشماس : وكم تراك ترجو أن تصيب في تجارتك ؟ قال : رجائي أن أصيب ما أشترى به بعيرا ، فاني لا أملك الا بعيرين ، فأملي أن أصيب بعيرا آخر فتكون ثلاثة أبعرة . فقال له الشماس : أرأيت دية أحدكم بينكم كم هي ؟ قال : مائة من الابل . قال له الشماس : لسنا أصحاب ابل انما نحن أصحاب دنانير . قال : يكون ألف دينار . فقال له الشماس : اني رجل غريب في هذه البلاد وانما قدمت أصلي في كنيسة بيت المقدس ، وأسيح في هذه الجبال شهرا جعلت ذلك نذرا على نفسي ، وقد قضيت ذلك ، وأنا أريد الرجوع الى بلادي ، فهل لك أن تتبعني الى بلادي ؟ ولك عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين ، لأن الله تعالى أحياني بك مرتين . فقال له عمرو : أين بلادك ؟ قال : مصر ، في مدينة يقال لها : الاسكندرية . فقال له عمرو : لا أعرفها ولم أدخلها قط . فقال له الشماس : لو دخلتها لعلمت أنك لم تدخل قط مثلها . فقال عمرو : وتفي لي بما تقول وعليك بذلك العهد والميثاق ؟ فقال له الشماس : نعم ، لك الله علي بالعهد والميثاق أن أفي لك وأن أردك الى أصحابك . فقال عمرو : وكم يكون مكثي في ذلك ؟ قال : شهرا . تنطلق معي ذاهبا عشرا ، وتقيم عندنا عشرا ، وترجع في عشر ، ولك علي أن أحفظك ذاهبا وأن أبعث معك من يحفظك راجعا . فقال له عمرو : أنظرني حتى أشاور أصحابي في ذلك . فانطلق عمرو الى أصحابه ، فأخبرهم بما عاهده عليه الشماس ، وقال لهم : تقيموا علي حتى أرجع اليكم ، ولكم علي العهد أن أعطيكم شطر ذلك ، على أن يصحبني رجل منكم آنس به . فقالوا : نعم ، وبعثوا معه رجلا منهم . فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس الى مصر حتى انتهى الى الاسكندرية ، فرأى عمرو من عمارتها ، وكثرة أهلها وما بها من الاموال والخير ما أعجبه ، وقال : ما رأيت مثل مصر قط وكثرة ما فيها من الاموال . ونظر الى الاسكندرية وعمارتها وجودة بنائها وكثرة أهلها وما بها من الاموال فازداد عجبا . ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيه ملوكهم واشرافهم ولهم أكرة من ذهب مكللة ، يترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها بأكمامهم ، وفيما اختبروا من تلك الاكرة على ما وضعها من مضى منهم ، انها من وقعت الاكرة في كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم . فلما قدم عمرو الاسكندرية أكرمه الشماس الاكرام كله ، وكساه ثوب ديباج ألبسه اياه ، وجلس عمرو والشماس مع الناس في ذلك المجلس حيث يترامون بالاكرة وهم يتلقونها بأكمامهم ، فرمى بها رجل منهم

أحياني بك مرتين

فأقبلت تهوي حتى وقعت في كم عمرو ، فعجبوا من ذلك . وقالوا : ما كذبتنا هذه الاكرة قط الا هذه المرة . أترى هذا الاعرابي يملكنا ؟ هذا ما لا يكون أبدا » .

« وان ذلك الشماس مشى في أهل الاسكندرية وأعلمهم أن عمرا أحياه مرتين ، وأنه قد ضمن له ألفي دينار ، وسألهم أن يجمعوا ذلك له فيما بينهم ، ففعلوا ودفعوها الى عمرو . فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا وزودهما وأكرمهما حتى رجع وصاحبه الى أصحابهما . فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها ، ورأى منها ما علم أنها أفضل البلاد وأكثرها مالا . فلما رجع عمرو الى أصحابه دفع اليهم فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه ألفا . قال عمرو فكان أول مال اعتقدته وتأثلته » .

ذكر فتح مصر

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عبيد الله بن أبي جعفر ، وعياش بن عباس القتباني وغيرهما ، يزيد بعضهم على بعض . قال :

« فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية ، قام اليه عمرو فخلا به . وقال : يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أسير الى مصر ، وحرضه عليها . وقال : انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم ، وهي أكثر الارض أموالا وأعجزها عن القتال والحرب ، فتخوف عمر ابن الخطاب على المسلمين . وكره ذلك . فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمر بن الخطاب ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها ، حتى ركن لذلك عمر ، فعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عك . ويقال : بل ثلاثة آلاف وخمسمائة » .

حدثنا أبو الاسود النضر بن عبد الجبار حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب :

« أن عمرو بن العاص دخل مصر بثلاثة آلاف وخمسمائة » .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب :

« مثله الا أنه قال : ثلثهم غافق » .

قال : ثم رجع الى حديث عثمان قال :

« فقال له عمر : سر وأنا مستخير الله في مسيرك ، وسيأتيك كتابي سريعا ان شاء الله ، فان أدركك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئا من أرضها فانصرف ، وان أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره . فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس ، واستخار عمر الله فكأنه تخوف على المسلمين في وجهتهم ذلك ، فكتب الى عمرو ابن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين . فأدرك الكتاب عمرا وهو برفح ، فتخوف عمرو بن العاص ان هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد اليه عمر ، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش ، فسأل عنها ؟ فقيل : انها من مصر . فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين ، فقال عمرو لمن معه : ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر ؟ قالوا : بلى . قال : فان أمير المؤمنين عهد الي وأمرني ان لحقني كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع ، ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر . فسيروا وامضوا على بركة الله » .

امض .. واستعن بالله!

ويقال :

« بل كان عمرو بفلسطين فتقدم بأصحابه الى مصر بغير اذن ، فكتب فيه الى عمر فكتب اليه عمر وهو دون العريش ، فحبس الكتاب فلم يقرأه حتى بلغ العريش ، فقرأه فاذا فيه : من عمر بن الخطاب الى العاص بن العاص . أما بعد : فانك سرت الى مصر ومن معك وبها جموع الروم وانما معك نفر يسير ، ولعمري لو كانوا ثكل أمك ما سرت

كتاب النقائض

نقائض جَريرٍ والفَرَزْدَق

طبع
فى مدينة ليدن المحروسة
بمطبعة بريل
سنة ١٩٠٥ المسيحيّة

منها خَمْسَ عَشْرَةَ او عِشْرِين فضحِكَ غالِبٌ ✿ قال ابو عُبَيْدَةَ قال جَهْمٌ وكانت ابلُ غالِبٍ تَرِدُ لِخِمْسٍ فجاء غِلْمَتُه قد جَبَوْا فى حِياضِهم أَنْصافَها فقال لهم قَدْكُمُ الآنَ فقد أَرْوَيْتُمْ قالوا له وكيف أَرْوَيْنا وإنّما جَبَيْنا فى انصافِ الحِياض وكنّا نَمْلَأُها ثمّ لا نَضْبِطُها حتّى نأخذ عليها قَبْلًا سَقْيًا على رُءوسِها فنَسْقيها فقال بلى قد اروبتم فحَسْبُكم فلمّا

5 حانَ وِرْدُها (قال أَعْيَنُ بن لَبَطَةَ) فلَبِسَ حُلَّتَه وأخذ سيفَه وانطلق معه الفرزدق ✿

قال وصَوْءَرٌ وادٍ ذاهِبٌ فى الارض قال الفرزدق فعَلَوْناه وجاءت الابلُ فأَمْهَلَ حتّى اذا أَدْبَرَتْ فلم يَبْقَ منها شىء انْتَضَى سيفَه فأَهْوَى لعُرْقوبَىْ آخِرِها فنَفَرْنَ لمّا رأين الدَّمَ ووَجَدْنَ رِيحَه فذُعِرْنَ فأقبلن حتّى أَطَفْنَ بالحِياض نَوافِرَ عِطاشًا وأقبل فى اثرها فلمّا لحقها جعل يقول عَقْرًا عَقْرًا ويقول الفرزدق رُدَّها يا فُنَيْمُ فجعل الفرزدق يقول ايهِ عَقْرًا

10 ايهِ عَقْرًا ✿ قال ابو عُبَيْدَةَ قال إبلس فجعل يحول بينها وبين الحِياض فكلّما ورد بعيرٌ عَقَرَه (قال جَهْمٌ) حتّى اضطرّها الى بيتِ أُمِّ سُحَيْمٍ لَيْلَى بنت شَدّاد فعَقَرَ عن يمينه وشماله ومن ورائه حتّى قُطِعَتْ أَطْنابُه فوقع عليها فخرجت عليه فسَبَّتْه ودَعَتْ عليه وقالت يا غالِبُ إنّ عَقْرَك لن يُذْهِبَ لُؤْمَك او قالت إنّ هذه ليست مُذْهِبَةً بلُؤْمِك فقال إنّى لا أَشْتِمُ ابنةَ العَمّ ولكن كُلوا من هذا شَحْمًا ولَحْمًا ✿ قال فجعل يَعْقِرُها

15 ويرتجز

خَلَّفَنى قَوْمى وحانَ وِرْدى   أَسوقُها بذى حُسامٍ فَرْدِ   O 113ᵇ

قُلْ أَنْتَ يا سُحَيْمُ غَيْرُ عَبْدِ   أَسْوَدَ كالفِلْذِ مِنَ المِغْدِ ✿

وقال ايضا

آلَ رِياحٍ إنّه الفَضِيحْ   وإنّها المَخاضُ واللَّقِيحْ

20 قَدْ شاعَ فى أَسْوُقِها الجَريحْ   فلا تَصيحى وَاصْبِرى رِياحْ ✿

---

3 جَبَيْنا, O جِيْنا: O نملاوها. 4 O سعيا — on قَبْلًا see Lisān XIV 12 O سعيا. 61[13] seq.: the words سعيا على رءوسها are probably a gloss on قبلا. 20 O اسواقها. قطعت اطنابه.

قال أَعْيَنُ وفيها غُلامٌ لغالب يقال له سُحَيْمٌ أَبْصَرُ النّاسِ بالابل وأَرْعاهم فجعل يقول يا ابا الصِّمَّةِ ويَأْبَى غالِبٌ ✿ قال سُحَيْمٌ فلم ازل اطمعُ أَنْ يَكُفَّ حتّى مرّ بفحلٍ منها ثَمَنُه اربعةُ آلافِ درهمٍ فعقره فلمّا عقره علمتُ انّه لن يستبقى شيئًا ✿ فذهب سُحَيْمٌ غلامه يكفّه عنه فأهوى اليه السيفَ فأصاب رُكْبَتَه فقطع احدى رِجْلَيْه فستعدى عليه عُثْمٰنَ ابنَ عَفّانَ رضه فأعتقه فلمّا قُتِلَ عُثْمانُ رضه استرقّه غالِبٌ ✿ قال أَعْيَنُ فعقر اربعمائةِ 5 بعير وزعم إبلس انّها كانت مائةً وأربعين ناقةً فلمّا عقر مائةً منها ورأت البارقةَ ووجدت ريحَ الدّم طار منها اربعون فندَّتْ فنادى غالب أَنا غالِبُ بنُ صَعْصَعَةَ مَنْ اخذ بعيرًا فهو له وأُحَرِّجُ على رَجُلٍ يَجْمَعُ بين بعيرينِ فإنّى لا أُحِلُّ له ✿ فطلبه عُثْمانُ رضه ليعاقبه فركب الى ابيه صعصعةَ فرحّب به وقال حاجَتَك قال جئتُ لتُخْلِفَ علىَّ ما عقرتُ فقد رَحَضْتُ عنك الذّمَّ والعارَ فأَخْلِفْ لى قال نعم وكَرامَةً أُخْلِفُ ما عقرتَ وأَشْتَرِطُ 10 عليك أَنْ لا تَعْقِرَ بعيرًا ولا بهيمةً ولا تُعَذِّبَها ولا تُمَثِّلَ بها قال غالب لا أُعطيك هذا الشَّرْطَ ابدًا قال فلا إلّا على هذا الشَّرْطِ ✿ فلحق بالبصرة فأتى منزلَ الحُتات بن يَزيد فالْتَزَمَه وقَبَّلَه وقال أَقِمْ تَخْرُجْ أَعْطِيَةُ الحَىّ وفيهم ثَمانون على أَلْفَيْنِ فنُقاسِمُك من أَعْطِيَتِهم ففعل فأخذ اربعين أَلْفًا فارتحل بجَمَلِ وَرِقٍ فأتى المَوْسِمَ براحلةِ دَراهِمَ فلمّا قضى نُسُكَه زارَ البيتَ فى اوّلِ النّاس ثمّ ركب بين خُرْجَيْهِ بعيرًا نجيبًا لا يُجارَى ثمّ 15 نادى بالبَطْحاء يأيّها النّاس أَنا غالب بن صعصعة فمَنْ اخذ شيئًا فهو له ثمّ فتح الخُرْجَيْنِ ثمّ حَثا أَمامَه وعن يمينه وعن شِماله ووراءه حتّى اذا فَرَّغَ الخُرْجَيْنِ من الوَرِقِ احال السَّوْطَ فى بطن البعير ثمّ نَجا ✿ فقيل لعُثْمٰنَ عَتَبْتَ على غالب فى العَقْرِ وأَخَفْتَه وطَلَبْتَه لتُعاقِبَه فها هو ذاك قد أَنْهَبَ مالَه فبعث فى طلبه فهرب فأعجزهم ✿ قال ابو عُبَيْدَةَ وأمّا زَبّانُ ابو مُطَرِّفٍ الضُّبَيْرِىّ وسعيد الرِّياحىّ فزعما أَنّ امرأةً من بنى رِياحٍ نَذَرَتْ 20

---

1 O وارعاه. 7 O غالبُ بن. 10 O عقرتَ, O عَقَرْتُ. 13 O وقبله: وفيهم النح, i. e. "and among them are 80 persons who receive 2000 dirhams". 18 احال, read اجال (De Goeje).

ذخائر التراث العربي

شذرات الذهب
في
أخبار من ذهب

للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي

المتوفى سنة ١٠٨٩

١

يطلب من

المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

وكانوا تسعة وقيل عشرة وقيل اثنى عشر ولما وقف صلى الله عليه وسلم يوم أحد ورأى ما به من المثلة حلف ليمثلن بسبعين منهم فنزل قوله تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) الآية فقال بل نصبر وكفر عن يمينه

وفى ذى القعدة منها كانت غزوة بدر الصغرى وغزوة بنى النضير والصواب أنها فى الرابعة .

﴿ السنة الرابعه ﴾

فى صفر منها غزوة بئر معونة وكانوا سبعين وقيل أربعين . وفى ربيع الأول منها غزوة بنى النضير نزلوا صلحا وارتحلوا إلى خيبر . وفى محرمها غزوة ذات الرقاع وغزوة الخندق عند بعضهم وكان مقام الاحزاب فيها خمسة عشر يوما وقيل أكثر من عشرين يوما . وفيها نزول التيمم وقصة الافك وبراءة عائشة رضى الله عنها .

﴿ السنة الخامسة ﴾

فيها صلاة الخوف عند بعضهم وغزوة دومة الجندل وغزوة ذات الرقاع عند بعضهم وقيل وغزوة الخندق ثم غزوة بنى قريظة وصحح فى الروضة أن الخندق فى الرابعة وبنى قريظة فى الخامسة وجزم ابن ناصر الدين أنهما فى الخامسة كما سيأتى وهذا هو الصحيح لأنه توجه صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة فى اليوم الذى انصرف فيه من الأحزاب .

وفيها توفى سعد بن معاذ سيد الأوس واهتز لموته عرش الرحمن .

﴿ السنة السادسه ﴾

فيها بيعة الرضوان وموت سعد بن خولة الذى رثى له النبى صلى الله عليه وسلم أن مات بمكة . قيل وفيها غزوة بنى المصطلق . وفيها فرض الحج وقيل

سنة خمس . وكسفت الشمس . ونزل حكم الطهارة .

﴿ السنة السابعة ﴾

فيها غزوة خيبر وفتحها فى صفر وأكرم بالشهادة بضعة عشر وتزوج رسول الله ﷺ صفية وميمونة وأم حبيبة وجاءته مارية القبطية . وقدم جعفر ومهاجرة الحبشة رضى الله عنهم . وأسلم أبو هريرة رضى الله عنه . وفيها عمرة القضاء .

﴿ السنة الثامنة ﴾

فيها غزوة مؤتة واستشهد بها الامراء الثلاثة زيد بن حارثة الذى نوه القرآن بقدره وذكره وجعله النبى صلى الله عليه وسلم هو وابنه كفوًا للعربيات والقرشيات ثانيهم جعفر بن أبى طالب الطيار واستشهد وله إحدى وأربعون سنة ومناقبه عديدة قال له النبى صلى الله عليه وسلم أشبهت خَلقى وخلقى وناهيك بها فضيلة ثالثهم عبد الله بن رواحة الخزرجى أحد النقباء الصادق فى طلب الشهادة رضى الله تعالى عنهم أجمعين وفتح الله فيها على يد خالد بن الوليد وهى أول مشاهده فى الاسلام . وفى رمضان منها فتح مكة وغزوة حنين فى شوال ثم حصار الطائف ونصب النبى صلى الله عليه وسلم عليهم المنجنيق ثم رحل عنها عن غير فتح وأسلم أهلها فى العام القابل . وفيها غزوة ذات السلاسل وفيها غلا السعر فقالوا يارسول الله سعر لنا فقال ﷺ ان الله هو المسعر والقابض الباسط . وفيها ولد ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووهب النبى صلى الله عليه وسلم لأبى رافع لما بُشره بولادته عبداً وتنازعت الانصار فى رضاعه فدفعه صلى الله عليه وسلم إلى أبى سيف وزوجته ام سيف . وتوفيت ابنته زينب وهى أكبر أولاده ﷺ

الكبير الثقة المشهور أحد الاثبات سمع عبد الرزاق وطبقته .

وفيها عباسويه وهو العباس بن يزيد بن أبي حبيب أبو الفضل البحراني البصري صدوق ثبت ثقة .

وفيها حيويه وهو محمد بن يحيى بن موسى الاسفرائني الحافظ محدث اسفرائين في ذي الحجة سمع سعيد بن عامر الضبعي وطبقته وبه تخرج الحافظ أبو عوانة .

وفيها اسحق بن ابراهيم بن موسى العصار الوزدولي أحد الثقات الاخيار .

وفيها الحافظ أبو الحسن محمود بن سميع الدمشقي صاحب الطبقات وأحد الاثبات سمع اسماعيل بن أبي أويس وطبقته قال أبو حاتم ما رأيت بدمشق أكيس منه .

﴿سنة ستين ومائتين﴾

فيها كما قال في الشذور بلغ كر الحنطة مائة وخمسين ديناراً ودام أشهراً .

وفيها صال يعقوب بن الليث وجال وهزم الشجعان والابطال وترك الناس بأسوأ حال ثم قصد الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان فالتقوا فانهزم العلوي وتبعه يعقوب في تلك الجبال فنزلت على يعقوب كسرة سماوية ونزل على أصحابه ثلج عظيم حتى أهلكهم ورجع الى سجستان باسوأ حال وقد عدم من جيوشه أربعون ألفاً وذهبت عامة خيله وأثقاله .

وفيها توفي الامام أبو علي الحسن بن محمد الصباح الزعفراني الفقيه الحافظ صاحب الشافعي ببغداد روى عن سفيان بن عيينة وطبقته وكان من أذكياء العلماء وروى عنه البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم ونسبته الى زعفرانة قرية قرب بغداد ودرب الزعفران ببغداد الذي فيه مسجد الشافعي ينسب الى هذا الامام قال الشيخ أبو اسحق في طبقاته كنت أدرس فيه والزعفراني وأحمد بن حنبل وأبو ثور والكرابيسي رواة قديم الشافعي وروى الجديد المزني وحرملة والبويطي

ويونس بن عبد الأعلى والربيع الجيزي والربيع المرادي وللزعفراني هذا عدة مصنفات .

وفيها الحسن بن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحسيني أحد الاثني عشر الذين تعتقد الرافضة فيهم العصمة وهو والد المنتظر محمد صاحب السرداب .

وفيها حسين بن اسحق الشعراني شيخ الاطباء بالعراق ومعرب الكتب اليونانية ومؤلف المسائل المشهورة .

وفيها ملك بن طوق التغلبي أمير عرب الشام وصاحب الرحبة وبانيها .

﴿سنة احدى وستين ومائتين﴾

فيها كانت الفتن تغلي وتستعر بخراسان بيعقوب بن الليث وبالاهواز بقائد الزنج وتمت لها حروب وملاحم .

وفيها توفي أحمد بن سليمان الرهاوي الحافظ أحد الائمة طوف وسمع زيد ابن الحباب وأقرانه وهو ثقة ثبت .

وفيها أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي نزيل طرابلس المغرب وصاحب التاريخ والجرح والتعديل وله ثمانون سنة نزح الى المغرب أيام محنة القرآن وسكنها روى عن حسين الجعفي وشبابة وطبقتهما قال ابن ناصر الدين كان إماماً حافظاً قدوة من المتقنين وكان يعد كأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وكتابه في الجرح والتعديل يدل على سعة حفظه وقوة باعه الطويل . انتهى .

وفيها أبو بكر الأثرم أحمد بن محمد بن هانئ الطائي الحافظ الثبت الثقة أحد الائمة المشاهير روى عن أبي نعيم وعفان وصنف التصانيف وكان من أذكياء الائمة قال ابن أبي يعلى في طبقاته أحمد بن محمد بن هانئ الطائي ويقال الكلبي الاثرم الاسكافي أبو بكر جليل القدر حافظ إمام سمع حرمي بن حفص وعفان ابن مسلم وأبا بكر بن أبي شيبة وعبد الله بن مسلمة القعنبي واماما في آخرين

القواس والدارقطني وقال هو ثقة حافظ .

وفيها أبو الفضل البلعمي الوزير محمد بن عبيد الله احد رجال الدهر عقلا ورأيا وبلاغة روى عن محمد بن نصر المروزى وغيره وصنف كتاب تلقيح البلاغة و كتاب المقالات .

وفيها الراضى بالله الخليفة أبو إسحق محمد وقيل احمد بن أبى احمد بن المتوكل العباسى ولد سنة سبع وتسعين ومائتين من جارية رومية اسمها ظلوم و كان قصيرا أسمر نحيفا فى وجهه طول استخلف سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وهو آخر خليفة له شعر مدون وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش الى خلافة المتقى وآخر خليفة خطب يوم الجمعة الى خلافة الحاكم العباسى فانه خطب أيضاً مرتين وآخر خليفة جالس الندماء ولكنه كان مقهوراً مع أمرائه مرض فى ربيع الاول بمرض دموى ومات و كان سمحاً كريماً محباً للعلماء والادباء سمع الحديث من البغوى توفى فى نصف ربيع الآخر وله احدى وثلاثون سنة ونصف.

وفيها أبو بكر يوسف بن يعقوب بن إسحق بن بهلول أبو بكر التنوخى الانبارى الازرق الكاتب فى آخر السنة ببغداد وله نيف وتسعون سنة روى عن جده والحسن بن عرفة وطائفة .

﴿ سنة ثلاثين وثلثمائة ﴾

فيها كان الغلاء المفرط والوباء ببغداد وبلغ الكر مائتين وعشرة دنانير وأكلوا الجيف .

وفيها وصلت الروم فاغارت على أعمال حلب وبدعوا وسبوا عشرة آلاف نسمة .

وفيها أقبل أبو الحسين على بن محمد البريدى فى الجيوش فالتقاه المتقى وابن

رائق فكسرهما ودخلت طائفة من الديلم دار الخلافة فقتلوا جماعة وهرب المتقى وابنه وابن رائق إلى الموصل واختفى وزيره أبو إسحق القراريطى ووجدوا فى الحبس كورتكين وكان قد عثر عليه ابن رائق فسجنه فاهلكه البريدى ووقع النهب فى بغداد واشتد القحط حتى بلغ الكر ثلثمائة وستة عشر ديناراً وهذا شيء لم يعهد فى العراق ثم عم البلاء بزيادة دجلة فبلغت عشرين ذراعا وغرق الخلق ثم خاطر توزون وذهب إلى الموصل .

وأما ناصر الدولة بن حمدان فانه جاءه محمد بن رائق إلى خيمته فوضع رجله فى الركاب فشب به الفرس فوقع فصاح ابن حمدان لايفوتنكم فقتلوه ثم دفن وعفا قبره وجاء ابن حمدان إلى المتقى فقلده مكان ابن رائق ولقبه ناصر الدولة ولقب أخاه عليا سيف الدولة وعاد وهما معه فهرب البريدى من بغداد وكانت مدة استيلائه عليها ثلاثة أشهر وعشرين يوماً ثم تأهب البريدى فالتقاه سيف الدولة بقرب المدائن ودام القتال يومين فكانت الهزيمة أولا على بنى حمدان والاتراك ثم كانت على البريدى وقتل جماعة من امراء الديلم وأسر آخرون ورد إلى واسط باسوأ حال وساق وراءه سيف الدولة ففر إلى البصرة .

وفيها توفى فى رجب بمصر أبو بكر محمد بن عبد الله الصيرفى الشافعى له مصنفات فى المذهب وهو صاحب وجه روى عن احمد بن منصور الرمادى قال الاسنوى كان إماما فى الفقه والأصول تفقه على ابن سريج وله تصانيف موجودة منها شرح الرسالة وكتاب فى الشروط أحسن فيه كل الاحسان قال القفال الشاشى كان الصيرفى أعلم الناس بالاصول بعد الشافعى انتهى .

وفيها أبو حامد احمد بن محمد بن يحيى بن بلال النيسابورى روى عن الذهلى والحسن الزعفرانى وطبقتهما بخراسان والعراق ومصر .

وفيها أبو يعقوب النهرجورى شيخ الصوفية اسحق بن محمد صحب

وفيها الزاهد ابو محمود عبد الله بن محمد بن منازل النيسابورى المجرد على الصحة والحقيقة صحب حمدون القصار وحدث بالمسند الصحيح عن احمد بن سلمة النيسابورى وكان له كلام رفيع فى الاخلاص والمعرفة قاله فى العبر وقال السخاوى : من اجل مشايخ نيسابور له طريقة ينفردبها وكان عالماً بعلوم الظاهر كتب الحديث الكثير ورواه ومات بنيسابور ومن كلامه لاخير فيمن لم يذق ذل المكاسب وذل السؤال وذل الرد وقال (١) بلسانك عن حالك ولا تكن بكلامك حاكياً عن احوال غيرك وقال اذا لم تنتفع انت بكلامك كيف ينتفع به غيرك وقال لم يضيع أحد فريضة من الفرائض الا ابتلاه الله بتضييع السنن ولم يبتل احد بتضييع السنن الا أوشك ان يبلى بالبدع وقال التفويض مع الكسب خير من خلوه عنه وقال من عظم قدره عند الناس يجب ان يحتقر نفسه عنده وقال احكام الغيب لاتشاهد فى الدنيا ولكن تشاهد فضائح الدعاوى وقال لوصح لعبد فى عمره نفس من غير رياء ولا شرك لآثر بركات ذلك عليه آخر الدهر وقال لاتكن خصماً لنفسك على الخلق وكن خصماً للخلق على نفسك . انتهى ملخصاً .

وفيها أبو الحسن على بن محمد بن سهل الدينورى الصائغ الزاهد أحد المشايخ الكبار بمصر فى رجب كان صاحب أحوال ومواعظ سئل عن الاستدلال بالشاهد عن الغائب فقال كيف يستدل بصفات من يشاهد ويعاين ويمثل على من لايشاهد فى الدنيا ولا يعاين ولا مثل له ولا نظير وقال من فساد الطبع التمنى والأمل وقال كان بعض مشايخنا يقول من تعرض لمحبته جاءته المحن والبلايا وقال أهل المحبة فى لهيب شوقهم إلى محبوبهم يتنعمون فى ذلك اللهيب أحسن مما يتنعم أهل الجنة فيما اهلوا له من النعيم وقال محبتك لنفسك هى التى تهلكها وسئل ما المعرفة فقال رؤية المنة فى كل الأحوال والعجز عن

(١) كذا ولعله سقط لفظ « احك » أونحوه .

اداء شكر المنعم من كل الوجوه والتبرى من الحول والقوة فى كل شىء وقال من توالت عليه الهموم فى الدنيا فليذكر هماً لايزول يستريح منها وقال الأحوال كالبروق فاذا اثبتت فهو حديث النفس وملازمة الطبع ومن حلو كلامه من ايقن انه لغيره فماله أن يبخل بنفسه .

وفيها محمد بن مخلد العطار أبو عبد الله الدورى الحافظ ببغداد سمع يعقوب الدورقى وأحمد بن إسماعيل السهمى وخلائق وعنه الدارقطنى وآخرون وكان معروفا بالثقة والصلاح والاجتهاد فى الطلب وله تصانيف توفى فى جمادى الآخرة وله سبع وتسعون سنة .

وفيها صاحب ماوراء النهر أبو الحسن نصر بن الملك أحمد بن إسماعيل السامانى بقى فى المملكة بعد أبيه ثلاثين سنة وثلاثين يوما وولى بعده ابنه نوح .

وفيها هناد بن السرى بن يحيى الكوفى الصغير روى عن أبى سعيد الأشج وجماعة .

وفيها الجصاص أبو يوسف يعقوب بن عبد الرحمن بن أحمد البغدادى الدعاء روى عن أحمد بن اسماعيل السهمى وعلى بن اشكاب وجماعة وله أوهام وغلطات قال فى المغنى قال الخطيب فى حديثه وهم كثير انتهى .

﴿ سنة أثنتين وثلاثين وثلثمائة ﴾

قال فى الشذور فيها اشتد الغلاء وكثرت اللصوص حتى تحارس الناس بالليل بالبوقات انتهى .

وفيها قتل أبو عبد الله البريدى أخاه أبا يوسف لكونه عامل عليه ابن بويه ونسبه إلى الظلم .

ولم يحج الركب لموت القرمطى الطاغية أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنابى فى رمضان بهجر من الجدرى أهلكه الله به فلا رحم الله فيه مغرز

ابرة وقام بعده أبو القسم الجنابى قاله فى العبر .

وفيها توفى الحافظ ابن عقدة أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الكوفى الشيعى أحد أركان الحديث سمع من الحسن بن على بن عفان ويحيى بن أبى طالب وخلق لايحصون ومنه الطبرانى وابن عدى والدارقطنى وغيرهم ولم يرحل إلى غير الحجاز وبغداد لكنه كان آية من الآيات فى الحفظ حتى قال الدارقطنى اجمع أهل بغداد انه لم ير بالكوفة من زمن ابن مسعود رضى الله عنه إلى زمن ابن عقدة احفظ منه وسمعته يقول انا اجيب فى ثلثمائة الف حديث من حديث أهل البيت وبنى هاشم وروى عن ابن عقدة قال احفظ مائة الف حديث باسنادها واذاكر بثلثمائة الف حديث وقال أبو سعيد المالينى تحول ابن عقدة مرة فكانت كتبه ستمائة حمل قال فى العبر قلت ضعفوه واتهمه بعضهم بالكذب وقال أبو عمران جبوية كان يملى مثالب الصحابة فتركته انتهى . وعقدة لقب أبيه.

وفيها محمد بن بشر أبو بكر الزبيرى العكرى روى عن بحر بن نصر الخولانى وجماعة وعاش أربعاً وثمانين سنة .

وفيها محمد بن الحسن أبو بكر القطان النيسابورى فى شوال روى عن عبد الرحمن بن بشر واحمد بن يوسف والسلمى والكبار .

وفيها محمد بن محمد بن أبى حذيفة أبو على الدمشقى المحدث روى عن أبى أمية الطرسوسى وطبقته .

وفيها الامام ابن ولاد النحوى وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد التميمى المصرى مصنف كتاب الانتصار لسيبويه على المبرد وكان شيخ الديار المصرية فى العربية مع أبى جعفر النحاس .

﴿ سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ﴾

فيها حلف توزون أيمانا صعبة للمتقى لله فسار المتقى من الرقة واثقاً بأيمانه فى المحرم فلما قرب من الانبار جاء توزون وتلقاه وقبل الارض وأنزله فى مخيم ضربه له ثم قبض على الوزير أبى الحسين بن أبى على بن مقلة وكحل المتقى لله فسمل عينيه وأدخل بغداد مسمولا مخلوعا .

وتوفى فى شعبان سنة خمسين وقيل سنة سبع وخمسين وثلثمائة وله ستون سنة وبويع عبد الله بن المكتفى ولقب المستكفى الله فلم يحل الحول على توزون واستولى أحمد بن بويه على واسط والبصرة والاهواز فسار توزون لحربه فدام القتال والمنازلة بينهما أشهراً وابن بويه فى استظهار ومرض توزون بعلة الصرع واشتد الغلاء على ابن بويه فرد الى الاهواز وردتوزون الى بغداد وقد زاد به الصرع .

وفيها تملك سيف الدولة بن حمدان حلب وأعمالها وهرب متوليها يانس المونسى الى مصر فجهز الاخشيد جيشا فالتقاهم سيف الدولة على الرستن فهزمهم وأسر منهم الف نفس وافتتح الرستن ثم سار الى دمشق فملكها فسار الاخشيد ونزل على طبرية فخامر خلق من عسكر سيف الدولة الى الاخشيد فرد سيف الدولة وجمع وحشد فقصده الاخشيد فالتقاه بقنسرين وهزمه ودخل حلب وهرب سيف الدولة .

وأما بغداد فكان فيها قحط لم ير مثله وهرب الخلق وكان النساء يخرجن عشرين وعشراً يمسك بعضهن ببعض يصحن الجوع الجوع ثم تسقط الواحدة بعد الواحدة ميتة فانا لله وانا اليه راجعون قاله فى العبر .

وفى شوال مات أبو عبدالله البريدى وقام أخوه أبو الحسين مقامه وكان البريدى هذا على ماقال ابن الفرات ظلوماً عسوفاً وكان أعظم أسباب الغلاء.

يغداد لأنه صادر الناس فى أموالها وجعل على كل كر من الحنطة والشعير
خمسة دنانير فبلغ ثمن كر الحنطة ثلثمائة دينار وستة عشر ديناراً ثم افتتح
الخراج فى آذار وحصد أصحابه الحنطة والشعير وحملوه بسنبله الى منازلهم
ووظف الوظائف على أهل الذمة وعلى سائر المكيلات وأخذ أموال التجار
غصباً وظلمهم ظلما لم يسمع بمثله واستتر أكثر العمال لعظم ماطالبهم به
فسبحان الفعال لما يريد .

وفيها توفى الحافظ حافظ فلسطين أبو بكر أحمد بن عمرو بن جابر الطحان
بالرملة رحل الى الشام والجزيرة والعراق وروى عن العباس بن الوليد البيروتى
وطبقته وعنه ابن جميع وطبقته .

وفيها ـ على ماقال ابن درباس ـ الحافظ محدث الشام خيثمة بن سليمان بن
حيدرة الاطرابلسى أبو الحسن أحد الثقات روى عن أحمد بن الفرج وطبقته
وعنه ابن جميع وابن مندة وغيرهما قال الخطيب ثقة ثقة .

وفيها قال ابن ناصر الدين :

مثل الامام المغربى حز الادب   ذاك الفتى محمد أبو العرب

كان ثقة حافظا نبيلا كتب بيده ثلاثة آلاف كتاب وخمسمائة كتاب .

وفيها أبو على اللؤلؤى محمد بن أحمد بن عمرو البصرى راوية السنن عن
أبى داود لزم أبا داود مدة طويلة يقرأ السنن للناس .

(سنة اربع وثلاثين وثلثمائة)

فيها كما قال فى الشذور دخل معز الدولة وأبو الحسين بن بويه على المستكفى
فظنهما يريدان تقبيل يده فناولهما يده فنكساه عن السرير ووضعا عمامته فى
عنقه وجراه ونهض أبو الحسين وحمل المستكفى راجلا الى دار أبى الحسن
فاعتقل وخلع من الخلافة انتهى . أى وسملت عيناه أيضا وحبس فى دار

الخلافة الى ان توفى فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وسنه
ستة وأربعون سنة . وقال فى الشذور وفى هذه السنة اشتد الغلاء حتى ذبح
الصبيان وأكلوا وأكل الناس الجيف وصارت العقار والدور تباع برغفان
خبز واشترى لمعز الدولة كر دقيق بعشرين الف درهم انتهى .

وفيها اصطلح سيف الدلة والاخشيد وصاهره وتقرر لسيف الدولة حلب
وحمص وانطاكية .

وفيها تداعت بغداد للخراب من شدة القحط والفتن والجور .

وهلك توزون بعلة الصرع فى المحرم بهيت .

وفيها توفى كما قال ابن ناصر الدين :

بعد فتى يس المضعف   المروى احمد المصنف

وهو احمد بن محمد بن يس الهروى الحافظ الحداد أبو إسحق مصنف تاريخ
هراة وهو ليس بالقوى .

وفيها أبو الفضل احمد بن عبد الله بن نصر بن هلال السلمى الدمشقى فى
جمادى الأولى وله بضع وتسعون سنة تفرد بالرواية عن جماعة وحدث عن
موسى بن عامر المرى ومحمد بن اسمعيل بن علية وطبقتهما .

وفيها الصنوبرى الشاعر أبو بكر احمد بن محمد بن الحسين الضبى الحلبى
وشعره فى الذروة العليا .

وفيها الحسين بن يحيى أبو عبد الله المتوثى القطان فى جمادى الآخرة ببغداد
وله خمس وتسعون سنة روى عن احمد بن المقدام العجلى وجماعة وآخر
من حدث عنه هلال الحفار .

وفيها عثمان بن محمد أبو الحسين الذهبى البغدادى بحلب روى عن أبى بكر
ابن أبى الدنيا وطبقته .

وفيها ابن إسحق المادرائى أبو الحسن محدث البصرة روى عن على بن

الآية قول القاسم بن عبيد الله :

قتلت صناديد الرجال فلم أدع ... عدوا ولم أمهل على طيه(١) خلقاً
فلما بلغت النجم عزاً ورفعة ... وصارت رقاب الخلق أجمع لى رقا
رمانى الردى سهما فأخمد جمرتى ... فها أنا ذا فى حفرتى عاجلا ملقى
فاذهبت دنياى ودينى سفاهة ... فمن ذا الذى منى بمصرعه اشقى

ومات عن سبع وأربعين سنة واحد عشر شهرا ودفن فى دار المملكة و كتم ذلك ثم حمل بعد ذلك الى مشهد على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وفيها النضروى أبو منصور العباس بن الفضل بن زكريا بن نضرويه ـ بضاد معجمة ـ مسند هراة روى عن أحمد بن نجدة ومحمد بن عبدالرحمن الشامى وطائفة ووثقه الخطيب ومات فى شعبان .

وفيها الغزى أبو بكر محمد بن العباس بن وصيف الذى يروى الموطأ عن الحسن بن الفرج الغزى صاحب يحيى بن بكير ورخه أبو القاسم بن منده .

وفيها ابن بخيت أبو بكر محمد بن عبد الله بن خلف بن بخيت العكبرى الدقاق ببغداد فى ذى القعدة روى عن خلف العكبرى والفريابى .

وفيها ابن خميرويه العدل أبو الفضيل محمد بن عبد الله بن محمد بن خميرويه ابن سيار الهروى محدث هراة روى عن على الحكانى واحمد بن نجدة وجماعة

﴿سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة﴾

فى المحرم أظهرت وفاة عضد الدولة وكانت أخفيت حتى أحضروا ولده صمصام الدولة فجلس للعزاء ولطموا عليه أياما فى الأسواق وجاء الطائع الى صمصام الدولة فعزاه ثم ولاه الملك وعقد له لواءين ولقبه شمس الدولة وبعد أيام جاء الخبر بموت مؤيد الدولة أخو عضد الدولة بجرجان وولى مملكته أخوه

(١) لعله « ظنة » .

فخر الدولة الذى وزر له اسماعيل بن عباد .

وفيها كان القحط الشديد ببغداد و بلغ حساب الغرارة باربعمائة درهم .

وفيها توفى أبو بكر الشذائى أحمد بن نصر البصرى المقرىء أحد القراء الكبار تلا على عمر بن محمد الكاغدى وابن شنبوذ وجماعة وتصدر وأقرأ والشذائى بفتح المعجمتين نسبة الى شذا قرية بالبصرة .

وفيها أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن اسحق الاصبهانى العدل المعروف بالقصار نزيل نيسابور روى عن عبد الله بن سيرويه والسراج وعدة وكان ممن جاوز المائة .

وفيها الامير أبو الفتوح بلكين ـ بضم الباء الموحدة واللام وتشديد الكاف المكسورة وسكون الياء المثناة من تحت وبعدها نون ـ ابن زيرى ـ بكسر الزاى وسكون الياء المثناة من تحت وكسر الراء وبعدها ياء ـ بن مناد الحميرى الصنهاجى ويسمى أيضا يوسف لكن بلكين أشهر وهو الذى استخلفه المعز بن المنصور العبيدى على إفريقية عند توجهه الى الديار المصرية وكان استخلافه إياه يوم الاربعاء ثالث عشرى ذى الحجة سنة احدى وستين وثلاثمائة وامر الناس بالسمع والطاعة له وسلمه البلاد وخرجت العمال وجباة الاموال باسمه وأوصاه المعز بامور كثيرة واكد عليه فى فعلها ثم قال ان نسيت ما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء اياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية والسيف عن البربر ولا تول أحدا من اخوتك وبنى عمك فانهم يرون انهم أحق بهذا الامر منك وافعل مع أهل الحاضرة خيراً وفارقه على ذلك وعاد من وداعه وتصرف فى الولاية ولم يزل حسن السيرة تام النظر فى مصالح دولته ورعيته الى أن توفى يوم الاحد لسبع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين بموضع يقال له وارجلان مجاور افريقية وكانت علته القولنج وقيل خرجت فى يده بثرة فمات منها وكان له اربعمائة حظية حتى قيل ان البشائر وفدت عليه فى يوم واحد

وفيها الجوهرى أبو القسم عبد الرحمن بن عبد الله المصرى المالكى الذى صنف مسند الموطأ توفى فى رمضان .

وفيها أبو عدى عبدالعزيز بن على بن محمدبن اسحق المصري المقرىءالحاذق المعروف بابن الامام قرأ على أبى بكر بن سيف صاحب أبى يعقوب الأزرق وكان محققا ضابطا لقراءة ورش وحدث عن محمد بن زبان وابن قديد وتوفى فى شهر ربيع الأول .

وفيها أبو محمد بن معروف قاضى القضاة عبد الله بن أحمد بن معروف البغدادى قال الخطيب كان من أجلاد الرجال وألبائهم مع تجربة وحنكة وفطنة وعزيمة ماضية وكان يجمع وسامة فى منظره وظرفا فى ملبسه وطلاقة فى مجلسه وبلاغة فى خطابه ونهضة باعباء الأحكام وهيبة فى القلوب وقال العتيقى كان مجرداً فى الاعتزال انتهى ، قال فى العبر قلت ولد سنة ست وثلثمائة وسمع من يحيى بن صاعد وأبى حامد الحضرمى وجماعة وتوفى فى صفر انتهى .

وفيها أبو الفضل عبيد الله بن عبدالرحمن بن محمدالزهرى العوفى البغدادى سمع ابراهيم بن شريك الأسدى والفريابى وعبدالله بن اسحق المداينى وطائفة ومات فى أحد الربيعين وله احدى وتسعون سنة قال عبد العزيز الأزجى هو شيخ ثقة مجاب الدعاء .

وفيها ابن المقرى أبو بكر محمد بن ابراهيم بن على الأصبهانى الحافظ الثقة صاحب الرحلة الواسعة اول سماعه بعد الثلثمائة فأدرك محمد بن نصير المدينى ومحمد بن على الفرقدى صاحبي اسمعيل بن عمرو البجلى ثم رحل ولقى أبا يعلى وعبدان وطبقتهما قال أبو نعيم الحافظ كان محدثا كبيرا ثقة صاحب مسانيد سمع مالا يحصى كثرة وقال ابن ناصر الدين كان محدثا ثقة كبيراً من المكثرين وله المعجم الكبير وكتاب الأربعين انتهى ، توفى فى شوال عن ست وتسعين سنة.

وفيها قاضى الجماعة أبو بكر محمد بن يبقى بن زرب القرطبي المالكى

صاحب التصانيف وأحفظ أهل زمانه لمذهب مالك سمع قاسم بن اصبغ وجماعة وولى القضاء سنة سبع وستين وثلثمائة والى أن مات وكان المنصور بن أبى عامر يعظمه ويجلسه معه .

وفيها ابن دوست ابو محمد بن يوسف العلاف ببغداد روى عن البغوى وجماعة .

﴿ سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة ﴾

كان أبو الحسن بن المعلم الكوكبي قداستولى على أمور السلطان بهاء الدولة كلها فمنع الرافضة من عمل المأتم يوم عاشوراء الذى كان يعمل نحواً من ثلاثين سنة وغلت الأسعار بالكرخ حتى بيع رطل من الخبز بار بعين درهماً والجوزة بدرهم .

وفيها شغبت الجند وعسكروا وبعثوا يطلبون من بهاء الدولة أن يسلم اليهم ابن المعلم وصمموا على ذلك الى ان قال له رسولهم أيها الملك اختر بقاءه أو بقاءك فقبض حينئذ عليه وعلى أصحابه فما زالوا به حتى قتلة رحمه الله وكذلك قتلت بقية أصحابه .

وفيها توفى أبو أحمد العسكرى ـ بفتح العين المهملة وسكون السين المهملة وفتح الكاف بعدها راء نسبة الى عسكر مكرم مدينة من كور الأهواز ـ الحسن ابن عبدالله بن سعيد الأديب الاخبارى العلامة صاحب التصانيف روى عن عبدان الأهوازى وابى القسم البغوى وطبقتهما قال ابن خلكان وهو صاحب أخبار ونوادر وله رواية متسعة وله التصانيف المفيدة منها كتاب التصحيف وكتاب المختلف والمؤتلف وكتاب علم المنطق وكتاب الحكم والأمثال وكتاب الزواجر وغير ذلك وكان الصاحب بن عباد يود الاجتماع به ولا يجد اليه سبيلا فقال لمخدومه مؤيد الدولة بن بويه إن عسكر مكرم قد اختلف أحوالها

بالويه النيسابورى آخر من روى عن محمد بن الحسين القطان وكان ثقة نبيلا وجيهاً توفى فجاءة فى شعبان وكان يملى فى داره .

وفيها ابن بابك الشاعر المشهور عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك أحد الشعراء المجيدين المكثرين ديوانه فى ثلاث مجلدات وله أسلوب رائق فى نظم الشعر وجاب البلاد ومدح الرؤساء - وبابك بفتح الموحدتين - قال له الصاحب ابن عباد انت ابن بابك فقال ابن بابك فاعجب به غاية الاعجاب ومن شعره : -

واغيد معسول الشمائل زارنى ... على فرق والنجم حيران طالع
فلما جلى صبح الدجى قلت حاجب ... من الصبح أو قرن من الشمس لامع
الى ان دنا والسحر رائد طرفه ... كما ربع ظبى بالصريمة رائع
فنازعته الصهباء والليل دامس ... رقيق حواشى البرد والنسر واقع
عقاراً عليها من دم الصب بعضه ... ومن عبرات المستهام فواقع
تدر اذا شجت عيوناً كأنها ... عيون العذارى شق عنها البراقع
معودة غصب العقول كأنها ... لها عند ألباب الرجال ودائع
فبتنا وظل الوصل دان وسرنا ... مصون ومكتوم الصبابة ذائع
الى أن سلا عن ورده فارط القطا ... ولاذت باطراف الغصون السواجع
فولى أسير السكر يكبو لسانه ... فتنطق عنه بالوداع الأصابع

وله أيضاً :

ياصاحبي امزجا كاس المدام لنا ... كيما يضيء لنا من نورها الغسق
خمراً اذا ماندیمی هم يشربها ... أخشى عليه من اللالاء يحترق
لو رام يحلف ان الشمس ماغربت ... فى فيه كذبه فى وجهه الشفق

وله بيت من قصيدة وهو الغاية رقة :

ومر بى النسيم فرق حتى ... كأنى قد شكوت اليه مابى

وتوفى ببغداد رحمه الله تعالى .

وفيها أبو عمر بن مهدى عبد الواحد بن محمد بن عبد الله الفارسى ثم البغدادى البزاز آخر أصحاب المحاملى وابن مخلد وابن عقدة قال الخطيب ثقة توفى فى رجب وله اثنتان وتسعون سنة .

وفيها القاضى أبو منصور الأزدى محمد بن محمد بن عبد الله الفقيه شيخ الشافعية بهراة ومسند البلد رحل وسمع ببغداد من أحمد بن عثمان الأدمى وبالكوفة من ابن دحيم وطائفة توفى لجانة فى المحرم .

وفيها أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش - بميم مفتوحة وحاء مهملة ساكنة بعدها ميم مكسورة ثم شين معجمة - ابن على بن داود بن أيوب الاستاذ الزيادى الفقيه الشافعى عالم نيسابور ومسندها ولد سنة سبع عشرة وثلثمائة وسمع سنة خمس وعشرين من أبى حامد بن بلال ومحمد بن الحسين القطان وعبد الله بن يعقوب الكرمانى وخلق وأملى ودرس وكان قانما متعففا له مصنف فى علم الشروط وروى عنه الحاكم مع تقدمه عليه وأثنى عليه وعرف بالزيادى لأنه كان يسكن ميدان زياد بن عبد الرحمن وقال ابن السمعانى انما سمى بذلك نسبة الى بعض أجداده .

وفيها هبة الله سلامة بن أبى القيم البغدادى المفسر مؤلف كتاب الناسخ والمنسوخ وجد رزق الله التميمى لأمه كان من أحفظ الأئمة للتفسير وكان ضريرا له حلقة بجامع المنصور .

(سنة أحدى عشرة وأربعمائة)

فيها كان الغلاء المفرط بالعراق حتى أكلوا الكلاب والحمر .

وفيها توفى أبو نصر النرسى أحمد بن محمد بن أحمد بن حسنون البغدادى الصدوق الصالح روى عن ابن البخترى وعلى بن ادريس الستورى .

وفيها الحاكم بأمر الله أبو على منصور بن عبد العزيز نزار بن المعز العبيدى

في الشذور توفي المقتدي وكان أصح ما كان بينما هو جالس قال لقهرمانته من هؤلاء الأشخاص الذين قد دخلوا علينا بلا اذن فالتفتت فلم تر أحدا فسقط الى الأرض ميتا .

وفيها الحسن بن عبد الملك بن الحسين بن علي بن موسى بن عمران بن اسرافيل النسفي الحافظ حصل العالي من الاسناد قاله ابن ناصر الدين .

وفيها أبو القسم بن أبي العلاء المصيصي علي بن محمد بن علي بن أحمد قال الاسنوي كان فقيها فرضيا تفقه على القاضي أبي الطيب وروى الحديث عن جماعة بمصر والشام والعراق واستوطن دمشق ومات بها وروى عنه جماعة وأصله من المصيصة وولد بمصر في رجب سنة أربع وأربعمائة ومات في جمادى الآخرة ودفن بمقابر باب الفراديس قال الذهبي كان فقيها ثقة .

وفيها ابن ماكولا الحافظ الكبير الامام أبو نصر علي بن هبة الله بن علي ابن جعفر بن علي بن محمد بن دلف بن الأمير الجواد أبي دلف القسم بن عيسى العجلي الأمير سعد الملك أبو نصر بن ماكولا أصله من جرباذقان من نواحي اصبهان فهو الجرباذقاني ثم البغدادي النسابة صاحب التصانيف ولم يكن ببغداد بعد الخطيب احفظ منه ولد بعكبرا سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وزر أبوه للقائم بأمر الله وتولى عمه عبدالله قضاء القضاة وسمع هو من أبي طالب بن غيلان وطبقته قال الحميدي ما راجعت الخطيب في شيء إلا وأحالني على الكتاب وقال حتى أكشفه وما راجعت ابن ماكولا الا وأجابني حفظا كأنه يقرأ من كتاب وقال ابن سعد السمعاني كان لبيبا عارفا ونحويا مجودا وشاعرا مبرزا وقال الذهبي اختلف في وفاته على أقوال وقال ابن خلكان للامير أبي نصر المذكور كتاب الاكمال وهو في غاية الافادة في رفع الالتباس والضبط والتقييد وعليه اعتماد المحدثين وأرباب هذا الشأن فانه لم يوضع مثله أي في المؤتلف والمختلف ومشتبه النسب وهو في غاية الاحسان

وما يحتاج الأمير المذكور مع هذا الكتاب الى فضيلة أخرى ففيه دلالة على كثرة اطلاعه وضبطه واتقانه ومن الشعر المنسوب اليه :

قوض خيامك عن أرض تهان بها ... وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان في الأوطان منقصة ... فالمندل الرطب في أوطانه حطب

وكانت ولادته في عكبرا في خامس شعبان سنة احدى وعشرين وأربعمائة وقتله غلمانه بجرجان وقيل بخوزستان وقيل بالاهواز قال الحميدي خرج الى خراسان ومعه غلمان له ترك فقتلوه بجرجان وأخذوا ماله وهربوا وطاح دمه هدرا رحمه الله .

وفيها أبو عامر الأزدي القاضي محمود بن القاسم بن القاضي أبي منصور محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد المهلبي الهروي الفقيه الشافعي راوي جامع الترمذي عن الجراحي قال أبو نصر الفامي هو عديم النظير زهدا وصلاحا وعفة ولد سنة أربعمائة وتوفي في جمادى الآخرة .

وفيها المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر علي بن الحاكم بأمر الله منصور ابن العزيز بن المعز العبيدي الرافضي صاحب مصر وكانت أيامه ستين سنة وأربعة أشهر وقد خطب له ببغداد في سنة احدى وخمسين ومات في ذي الحجة عن ثمان وستين سنة وبويع بعده ابنه المستعلي قاله في العبر .

وقال ابن خلكان اتفق للمستنصر هذا أمور لم تتفق لغيره وسردها منها انه أقام في الأمر ستين سنة وهذا شيء لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس ومنها انه ولي وهو ابن سبع سنين ومنها انه حدث في أيامه الغلاء العظيم الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام وأقام سبع سنين وأكل الناس بعضهم بعضا وكانت ولادته صبيحة يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة وتوفي في ليلة الخميس ثامن عشر ذي الحجة وهذه الليلة تسمى عيد الغدير أعني غدير خم بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم اسم مكان

قاله ابن ناصر الدين . وفيها أبو الحسن علي بن ماشاء الله بن الحسين
ابن عبد الله بن عبد الله العلوي الحسيني البغدادي المأموني الفقيه الحنبلي
المقرىء ابن الجصاص ولد في أوائل سنة ست وستين وخمسمائة وقرأ القراءات
على ابن الباقلاني الواسطي بها وسمع الحديث من ابن شاتيل وشهدة وابن
كليب وغيرهم وتفقه على أبي الفتح بن المني وتكلم في مسائل الخلاف وناظر
وحدث وروى عنه ابن النجار وأجاز لسليمان بن حمزة والقسم بن عساكر
وغيرهما وتوفي في جمادى الاولى . وفيها أبو عبد الله محمد بن يوسف
ابن سعيد بن مسافر بن جميل البغدادي الازجي الحنبلي الاديب ولد في سابع
ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وسمع بافادة والده من ابن شاتيل
وابن كليب وغيرهما وكان لديه فضل وأدب وله تصانيف وسمع منه المحب
المقدسي وعلي بن عبد الدايم وتوفي في ثالث رجب ببغداد .

وفيها الجمال بن الخيلي أبو الفضل يوسف بن عبد المعطي بن منصور
ابن نجا الغساني الاسكندراني المالكي روى عن السلفي وجماعة وكان
من أكابر بلده توفي في جمادى الآخرة .

(سنة ثلاث واربعين وستمائة)

بها كان الغلاء المفرط بدمشق بيعت الغرارة بألف وستمائة درهم وأكلت
الجيف وتوفي بها خلق كثير من الاعيان . وفيها وجزم ابن كمال
باشا انه توفي في التي قبلها شمس الائمة الكردري الحنفي محمد بن عبد
الغفار بن محمد العلماوي الكردري - بفتح الكاف والدال المهملة وسكون الراء
الأولى نسبة إلى كردر ناحية بخوارزم - قال ابن كمال باشا في طبقاته كان أستاذ
الائمة على الاطلاق والموفود اليه من الآفاق أخذ عن شيخ الاسلام
برهان الدين علي المرغيناني صاحب الهداية والشيخ مجد الدين السمرقندي والشيخ

برهان الدين ناصر صاحب المغرب والعلامة بدر الدين عمر بن عبد الكريم
الورسكي والشيخ شرف الدين أبي محمد عمر بن محمد بن عمر العقيلي والقاضي
عماد الدين أبي العلي عمر بن محمد الزرنجري والامام الزاهد زين الدين العتابي
والشيخ نور الدين أبي محمد أحمد بن محمود الصابوني والامام فخر الدين قاضي
خان ، ونسبته إلى الجد المنسوب الى الكردر من عمل جرجانية خوارزم برع
في معرفة المذهب ورفع علم أصول الفقه بعد اندراسه من زمن القاضي أبي
زيد الدبوسي وشمس الائمة السرخسي وتفقه عنه كثير من الفقهاء ومات
ببخارى يوم الجمعة تاسع المحرم انتهى . وفيها سيف الدين أبو العباس
احمد بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي المحدث الحافظ
ابن ابن شيخ الاسلام موفق الدين الحنبلي ولد سنة خمس وستمائة بالجبل
وسمع من جده الكثير ومن أبي اليمن الكندي وأبي القاسم بن الحرستاني
وداود بن ملاعب وطبقتهم ورحل فسمع ببغداد من الفتح بن عبد السلام
وخلق من أصحاب ابن ناصر وغيرهم وكتب بخطه الكثير قال الذهبي كتب
العالي والنازل وجمع وصنف وكان ثقة حافظا ذكيا متيقظا مليح الخط عارفا
بهذا الشأن عاملا بالأثر صاحب عبادة وانابة تام المروءة أمارا بالمعروف قوالا
بالحق ولو طال عمره لساد أهل زمانه علما وعملا ومحاسنه جمة وألف مجلدا
كبيرا في الرد على الحافظ محمد بن طاهر المقدسي باباحته للسماع وانتفعت
كثيرا بتعاليق الحافظ سيف الدين انتهى توفي في مستهل شعبان بسفح
قاسيون ودفن به وله أيضا كتب أخر . وفيها الامام تقي الدين
أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي
الفقيه الحنبلي ولد في صفر سنة احدى وتسعين وخمسمائة وسمع بدمشق من
أبي طاهر الخشوعي وحنبل الرصافي وابن طبرزد وغيرهم ورحل في طلب
الحديث فسمع باصبهان من أسعد بن روح وعفيفة الفارقانية وخلق وببغداد

واحد وبايعهم القضاة وغيرهم . وفيها توفى السلطان الملك المنصور أبو بكر بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون خلع في صفر قال السيوطي لفساده وشرب الخمور حتى قيل انه جامع زوجات أبيه ونفي إلى قوص وقتل بها وتسلطن أخوه الملك الاشرف كجك ثم خلع من عامه وولى أخوه احمد ولقب الناصر وعقد المبايعة بينه وبين الخليفة الشيخ تقي الدين السبكي قاضي الشام وكان قد حضر معه . وفيها الحافظ الكبير جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن علي بن ابي الزهر الامام العلامة الحافظ الكبير المزي الشافعي قال ابن قاضي شهبة : شيخ المحدثين عمدة الحفاظ أعجوبة الزمان الدمشقي المزي مولده في ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وستمائة بظاهر حلب ونشأ بالمزة قرأ شيئاً من الفقه على مذهب الشافعي وحصل طرفا من العربية وبرع في التصريف واللغة ثم شرع في طلب الحديث بنفسه وله عشرون سنة وسمع الكثير ورحل قال بعضهم ومشيخته نحو الالف وبرع في فنون الحديث وأقر له الحفاظ من مشايخه وغيرهم بالتقدم وحدث بالكثير نحو خمسين سنة فسمع منه الكبار والحفاظ وولى دار الحديث الاشرفية ثلاثاً وعشرين سنة ونصفاً وقال ابن تيمية لما باشرها لم يلها من حين بنيت إلى الآن أحق بشرط الواقف منه لقول الواقف فان اجتمع من فيه الرواية ومن فيه الدراية قدم من فيه الرواية [1] وقال الذهبي في المعجم المختص شيخنا الامام العلامة الحافظ الناقد المحقق المفيد محدث الشام طلب الحديث سنة أربع وسبعين وهلم جراً وأكثر وكتب العالي والنازل بخطه المليح المتقن وكان عارفا بالنحو والتصريف بصيراً باللغة يشارك في الاصول والفقه ويخوض في مضايق المعقول انتهى وقال السبكي في

(١) أقول في قول ابن تيمية مجازفة اذ قد تولاها قبل المزي فحول من أهل الحديث الجامعين للرواية والدراية كابن الصلاح وأبي شامة والنووي يقيناً والسبكي في غالب ظني ، كما في هامش الاصل .

الطبقات ولا أحسب شيخنا المزي يدري المعقولات فضلا عن الخوض في مضايقها فسامح الله شيخنا الذهبي ثم قال الذهبي ويدري الحديث كما في النفس متنا واسناداً واليه المنتهى في معرفة الرجال وطبقاتهم ومن نظر في كتابه تهذيب الكمال علم محله من الحفظ فما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه في معناه وكان ينطوي على سلامة باطن ودين وتواضع وفراغ عن الرياسة وحسن سمت وقلة كلام وحسن احتمال وقد بالغ في الثناء عليه أبو حيان وابن سيد الناس وغيرهما من علماء العصر توفى في صفر ودفن بمقابر الصوفية غربي قبر صاحبه ابن تيمية ومن تصانيفه تهذيب الكمال والاطراف وغيرهما .

﴿سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة﴾

في محرمها جمع الناصر الاموال التي في قلعة الجبل وأخذها وراح إلى الكرك وترك الملك ونسبت اليه أشياء قبيحة فخلعوه من السلطنة وبايعوا أخاه السلطان الصالح اسمعيل فأرسل جيشاً إلى محاربة الناصر احمد في الكرك وأظهر انه يطلب الاموال ووقع بالشام غلاء بسبب هذا الحصار . وفيها توفي الحسن بن عمر بن عيسى بن خليل البعلبكي روى عن التاج بن عبد الخالق بن عبد السلام وتوفى في شعبان قاله في الدرر . وفيها الامام المشهور الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي شارح الكشاف العلامة في المعقول والعربية والمعاني والبيان قال ابن حجر كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن مقبلا على نشر العلم متواضعاً حسن المعتقد شديد الرد على الفلاسفة مظهراً فضائحهم مع استيلائهم حينئذ شديد الحب لله ورسوله كثير الحياء ملازما لاشغال الطلبة في العلوم الاسلامية بغير طمع بل يجديهم ويعينهم ويعير الكتب النفيسة لاهل بلده وغيرهم من يعرف ومن لا يعرف محباً لمن عرف منه تعظيم الشريعة وكان ذا ثروة من الارث والتجارة فلم يزل ينفقه في وجوه الخيرات حتى صار في آخر عمره فقيراً صنف شرح الكشاف والتفسير

سنة سبع وسبعين وسبعمائة

فيها كان الغلاء بحلب حتى بيع المكوك بثلثمائة ثم زاد إلى أن بلغ الالف حتى أكلوا الميتة والقطاط والكلاب وباع كثير من المقلين أولادهم وافتقر خلق كثير ويقال ان بعضهم أكل بعضاً حتى أكل بعضهم ولده ثم أعقب ذلك الوباء حتى فني خلق كثير حتى كان يدفن العشرة والعشرون في القبر الواحد بغير غسل ولا صلاة ويقال انه دام بتلك البلاد الشامية ثلاث سنين لكن أشده كان فى الأولى .

وفيها توفى برهان الدين ابراهيم بن علم الدين محمد بن أبى بكر الاخنائى وكان شافعى المذهب وحفظ التنبيه ثم تحول مالكياً كعمه سمع على الحجار وغيره وولى الحسبة ونظر الخزانة وناب فى الحكم ثم ولى القضاء استقلالا إلى أن مات وكان مهيباً صارماً قوالا بالحق قائما بنصر الشرع رادعاً للمفسدين وقد صنف مختصراً فى الإحكام مات فى رجب .

وفيها أحمد بن عبد الكريم بن أبى بكر بن أبى الحسن البعلبكى الحنبلى الصوفى المسند سمع صحيح مسلم من زينب بنت كندى وسمع من اليونينى وغيره وأجاز له أبو الفضل بن عساكر وابن القواس وحدث بالكثير وارتحلوا اليه واستدعاه التاج السبكى سنة احدى وسبعين الى دمشق فقرأ عليه الصحيح قال ابن حجى كان خيراً حسناً أخرجت له جزءاً توفي مناهز الثمانين. وفيها القاضى جمال الدين أحمد ابن محمد بن أحمد بن عمر بن الياس بن الخضر الدمشقى المعروف بابن الرهاوى الشافعى أدرك الشيخ برهان الدين وحضر عنده وتفقه على جماعة من علماء العصر وقرأ بالروايات واشتغل بالعربية وقرأ الاصول والمنطق على الشمس الاصفهانى ودرس وأفتى وتعانى الحساب ودرس بالمسرورية والكلاسة وولى وكالة بيت المال وقام على القاضى تاج الدين وآذاه من حوله فمقته أكثر الناس لذلك وناب فى الحكم عن البلقينى ودرس بالشامية البرانية ثم أخذت منه بعد شهر ودرس بالناصرية الجوانية ثم أخذت منه واوذى وصودر بعد موت القاضى تاج الدين وحصل له خمول إلى أن توفى فى ربيع الأول عن

سبع وسبعين سنة . وفيها شهاب الدين احمد بن يوسف بن فرج الله بن عبد الرحيم الشار مساحى ـ نسبة الى شارمساح بلد قرب دمياط ـ الشافعى تفقه على الشيخ جمال الدين الاسنوى وغيره وبرع فى الفقه والاصول وولى قضاء المحلة ومنفلوط ودمياط وغيرها وكان موصوفاً بالفضل والعقل . وفيها شرف الدين الحسين ابن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب الحلبي رحل وجمع وأفاد وذكره الذهبي فى المعجم المختص فقال شاب متيقظ سمع وخرج وكتب عنى الكاشف اعتنى به أبوه بحلب وسمع بنفسه من بنت صصرى وغيرها وكان مولده فى جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وأخذ عن والده وعبد الرحمن وابراهيم ابنى صالح وغيرهما انتهى وشرح الفهرست والمشيخة وأخذ عنه ابن أبى العشاير ووصفه بالفضل وكان يوقع على الحكم توفى بحلب فى ذى الحجة .

وفيها أبو يعلى حمزة بن على بن محمد بن أبى بكر بن عمر بن عبد الله السبكى المالكى سمع من الدبوسى والوانى وهذه الطبقة وكتب وطلب ودرس وناب فى الحكم ووقع فى الدست وفى الاحباس وله المام بالحديث مات راجعاً من الحج ودفن برابغ عن نحو ثمانين سنة . وفيها ذو النون بن أحمد بن يوسف السرمارى ـ بضم السين المهملة وسكون الراء نسبة الى سرمارى قرية ببخارى ـ الحنفى يعرف بالفقيه أخذ عن مشايخ أذربيجان وديار بكر وغيرهم ونزل عنتاب فى حدود الستين فاقام بها يشغل الطلبة وشرح مقدمة أبى الليث وقصيد البستى وتصدر بجامع النجار بجوار ميدان عنتاب وكان قائماً بالامر بالمعروف شديداً فى ذلك إلى أن مات فى رمضان قاله العينى فى تاريخه.

وفيها بهاء الدين عبد الله بن رضى الدين محمد بن أبى بكر بن خليل من ذرية عثمان ابن عفان العسقلانى ثم المكى الشافعى نزيل الجامع الحاكمى بالقاهرة ولد آخر سنة أربع وتسعين وستمائة وطلب العلم صغيراً بمكة فسمع من الصفى والرضى الطبريين والتوزرى وغيرهم وارتحل الى دمشق فأخذ عن مشايخها وتفقه بالعلاء القونوى والتبريزى والاصبهانى وأخذ عن أبى حيان وغيرهم وأخذ عن ابن الفركاح ورجع إلى مصر فاستوطنها وحفظ المحرر ومهر فى الفقه والعربية واللغة والحديث وقد بالغ الذهبي فى الثناء عليه فى

بالجماليه واستقر فى قضاء العسكر ثم رحل مع السلطان فى سفرته الى نوروز فاستقر قاضى الحنفية بالشام فباشره مباشرة لابأس بها ولم يكن يتعاطى شيئا من الاحكام بنفسه بل له نواب يفصلون القضايا بالنوبة على بابه وتوفى بدمشق فى تاسع عشرى رمضان.

وفيها نجم بن عبد الله القابونى احد الفقراء الصالحين انقطع بالقابون ظاهر دمشق مدة وكان صحب جماعة من الصالحين وكان ذا اجتهاد وعبادة وتحكى عنه كرامة وللناس فيه اعتقاد وتوفى فى صفر .

﴿سنة تسع عشرة وثمانمائة﴾

استهلت والغلاء والطاعون باقيين زائدين بمصر وطرابلس حتى قيل مات بطرابلس فى عشرة ايام عشرة آلاف نفس وتواتر انتشار الطاعون فى البلاد حتى قيل ان اهل اصبهان لم يبق منهم الا النادر وان اهل فاس احصوا من مات منهم فى شهر واحد فكانوا ستة وثلاثين الفا حتى كادت البلدان تخلو من اهلها .

وفيها امر السلطان الخطباء اذا وصلوا الى الدعاء له فى الخطبة ان يهبطوا من المنبر درجة ادبا ليكون اسم الله ورسوله فى مكان اعلى من المكان الذى يذكر فيه السلطان فصنع ذلك واستمر.

وفيها شهاب الدين ابو العباس احمد ابن قاضى المالكية بمكة تقى الدين على بن محمد بن عبد الرحمن السيد الشريف الحسنى الفاسى محتدا المكى مولدا ومنشأ ووفاة المالكى مذهبا والد الحافظ المؤرخ تقى الدين الفاسى قال ولده المذكور فى تاريخه ولد والدى فى الثانى والعشرين من ربيع الاول سنة اربع وخمسين وسبعمائة بمكة وسمع بها على قاضيها شهاب الدين الطبرى تساعيات جده الرضى الطبرى وتفرد بها عنه وعلى الشيخ خليل

المالكى صحيح مسلم خلا المجلد الرابع من تجزئة اربعة وسمعه بكماله على الشيخ عبدالله بن اسعد اليافعى وعلى القاضى عز الدين بن جماعة الاربعين التساعية له ومنسكه الكبير وغير ذلك وعلى القاضى موفق الدين الحنبلى قاضى الحنابلة بمصر وسمع بالقاهرة من قاضيها ابى البقاء السبكى صحيح البخارى ومن غيره وسمع بحلب واجاز له جماعة من اصحاب ابن البخارى وطبقته وغيرهم وحفظ كتبا علمية فى صغره واشتغل فى الفقه والمعانى والبيان والعربية والأدب وغير ذلك وكان ذا فضل ومعرفة تامة بالاحكام والوثائق وله نظم كثير ونثر ويقع له فى ذلك أشياء حسنة الى ان قال وتوفى باثر صلاة الصبح من يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوال بمكة ودفن بالمعلاة .

وفيها شهاب الدين ابو العباس أحمد بن محمد بن نشوان بن محمد بن نشوان ابن محمد بن احمد الحورانى ثم الدمشقى الشافعى ولد سنة سبع وخمسين وسبعمائة وقدم دمشق من بلده وقرأ القرآن ثم أقرأ ولدى الشيخ شهاب الدين الزهرى واشتغل فى العلم معهما وبسببهما على الشيخ شهاب الدين ولازمه كثيرا وحضر عند مشايخ العصر الى ان تنبه وفضل ومهر واشتهر بالفضل وناب فى الحكم بدمشق وافتى ودرس ولازم الجامع للاشغال وانتفع به الطلبة وقصد بالفتاوى وكان يكتب عليها كتابة حسنة ودرس فى آخر عمره بالعذراوية وكان عاقلا ذكيا يتكلم فى العلم بتؤدة وسكون وعنده انصاف وله محاضرة حسنة ونظم رائق منه قوله :

واخجلتى وفضيحتى فى موقف   صعب المسالك والخلائق تعرض
وتوقعى لمهدد لى قائل   أصحيفة سودا وشعرك ابيض

وتوفى فى جمادى الاولى من هذه السنة ووهم من ارخه سنة تسع.

وفيها ظهيرة بن حسين بن على بن احمد بن عطية بن ظهيرة القرشى المخزومى المكى ولد سنة خمس واربعين وسبعمائة وسمع بمكة من العز بن جماعة

حجر اشتغل كثيرا وكان فى أول أمره جامد الذهن ثم اتفق أنه سقط من مكان فانشق رأسه نصفين ثم عولج فالتأم فصار حفظة ومهر فى العلوم العقلية وغيرها وكان يرجع الى دين وينكر المنكر ويوصف بحدة ونقص عقل مات فى صفر انتهى .

وفيها قاضى القضاة نور الدين أبو الثناء محمود بن أحمد بن محمد الهمدانى الفيومي الشافعى المعروف بابن خطيب الدهشة أصله من الفيوم وولد والده بالفيوم وكان يعرف بابن ظهير ثم رحل الى حماة واستوطنها وولى خطابة الدهشة وولد له ابنه هذا في حدود سنة خمسين وسبعمائة وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم وعدة متون وتفقه على جماعات من علماء حماة وغيرهم وبرع فى الفقه والعربية والاصول واللغة وغير ذلك وأفتى ودرس مع الدين المتين والورع والعفة واشتهر ذكره وعظم قدره وانتفع به عامة أهل حماة الى أن نوه بذكره القاضى ناصر الدين بن البارزى كاتب السر بالديار المصرية عند الملك المؤيد شيخ فولاه قضاء حماة وحسنت سيرته وأظهر فى ولايته من التفة والصيانة ماهو مشهور عنه ودام فى الحكم الى أن صرف فى دولة الأشرف برسباى فلزم داره على أجمل طريقة وأخذ فى الاقراء والاشغال ، ومن تصانيفه مختصر القوت للاذرعي في أربع مجلدات سماه لباب القوت وتكملة شرح منهاج النووي في الفقه للسبكى فى ثلاث عشرة مجلدة وكتاب التحفة فى المبهمات وكتاب تحرير الحاشية فى شرح الكافية لابن مالك في النحو ثلاث مجلدات وكتاب تهذيب المطالع فى اللغة الواردة فى الصحيحين والموطأ ست مجلدات واختصره في جزءين وسماه التقريب ومنظومة في صناعة الكتابة نحو تسعين بيتا وشرحها وكتاب اليواقيت المضية فى المواقيت الشرعية وغير ذلك ومن شعره :

غصن النقا لا تحكه فما له فى ذا شبه
فرامه قلت اتئد ما أنت الا حطبه

ومنه : وصل حبيبى خبر لانه قد رفعه
بنصب قلبى غرضا اذ صار مفعولا معه

وتوفى بحماة يوم الخميس سابع شوال قيل لما احتضر تبسم ثم قال لمثل هذا فليعمل العاملون .

﴿ سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ﴾

فيها خرب الشرق من بغداد الى تبريز من فرط الغلاء وعمومه حتى أكلوا الكلاب والميتة .

وفيها أجريت عيون مكة حتى دخلتها وامتلأت بركة باب المعلى ومرت على الصفا وسوق الليل وعم النفع بها .

وفيها كما قال ابن حجر ثارت فتنة عظيمة بين الحنابلة والاشاعرة بدمشق وتعصب الشيخ علاء الدين البخارى نزيل دمشق على الحنابلة وبالغ فى الحط على ابن تيمية وصرح بتكفيره فتعصب جماعة من الدماشقة لابن تيمية وصنف صاحبنا الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين جزءاً فى فضل ابن تيمية وسرد أسماء من أثنى عليه وعظمه من أهل عصره فمن بعدهم على حروف المعجم مبينا لكلامهم وأرسله الى القاهرة فكتب عليه غالب المصريين التصويب وخالفوا علاء الدين البخارى فى اطلاق القول بتكفيره وتكفير من أطلق عليه أنه شيخ الاسلام وخرج مرسوم السلطان الى أن كل أحد لا يعترض على مذهب غيره ومن أظهر شيئاً مجمعاً عليه سمع منه وسكن الامر انتهى .

وفيها توفى الشيخ شهاب الدين أحمد بن اسمعيل الابشيطى(١) قال ابن حجر تفقه قليلا ولزم قريبه الشيخ صدر الدين الابشيطى وأدب جماعة من أولاد الاكابر ولهج بالسيرة النبوية فكتب منها كثيرا الى أن شرع فى جمع

(١) بكسر الهمزة ثم موحدة ساكنة بعدها معجمة ثم تحتانية وطاء مهملة قرية من قرى المحلة من الغربية ، كما فى الضوء .



المغني

تأليف الشيخ الامام العلامة موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المتوفي سنة ٦٣٠هـ
على مختصر الامام أبي القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي المتوفي سنة ٣٣٤هـ

ويليه

الشرح الكبير

على متن المقنع ، تأليف الشيخ الامام شمس الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن احمد ابن قدامه المقدسي المتوفي سنة ٦٨٢ هـ كلاهما على مذهب امام الأئمة (ابي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني) مع بيان خلاف سائر الأئمة وأدلتهم رضي الله عنهم

(تنبيه) وضعنا كتاب المغني في أعلى الصحائف والشرح الكبير في أدناها مفصولا بينهما بخط عرضي

دار الكتاب العربي
للنشر و التوزيع

جارية وله الخيار فيها يومين فانطلق بها فغسلت رأسه أو غمزت رجله أو طحنت له أو خبزت هل يستوجبها بذلك ؟ قال لا حتى يبلغ منها مالا يحل لغيره . قلت فان مشطها أو خضبها أو حفها هل يستوجبها بذلك ؟ قال قد بطل خياره لانه وضع يده عليها وذلك لان الاستخدام لايختص الملك

اختلف الرواية في بيع رباع مكة واجارة دورها فروي أن ذلك غير جائز وهو قول أبي حنيفة ومالك والثوري وأبي عبيد وكرهه اسحاق لما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة « لاتباع رباعها ، ولا تكرى بيوتها » رواه الاثرم ، وعن مجاهد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مكة حرام بيع رباعها حرام اجارتها » رواه سعيد بن منصور في سننه وروي أنها كانت تدعى السوائب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره مسدد في مسنده ولأنها فتحت عنوة ولم تقسم فصارت موقوفة فلم يجز بيعها كسائر الارض التي فتحها المسلمون عنوة ولم يقسموها

ودليل أنها فتحت عنوة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ، وانما حلت لي ساعة من نهار » متفق عليه . وروت أم هانيء أنها قالت أجرت حموين لي فأراد علي قتلهما فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله : إني أجرت حموين لي فزعم ابن أمي علي أنه قاتلهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم « قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت » متفق عليه . وكذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل أربعة فقتل منهم ابن خطل ومقيس بن ضبابة فدل على أنها فتحت عنوة (والرواية الثانية) أنه يجوز ذلك روي ذلك عن طاوس وعمرو بن دينار وهو قول الشافعي وابن المنذر وهو أظهر في الحجة لان النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له أين تنزل غداً ؟ قال « وهل ترك لنا عقيل من رباع ؟ » متفق عليه ، يعني أن عقيلا باع رباع أبي طالب لانه ورثه دون اخوته لكونه كان على دينه دونهما ولو كانت غير مملوكة لما أثر بيع عقيل شيئاً ولان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم دور بمكة كأبي بكر والزبير وحكيم بن حزام وأبي سفيان وسائر أهل مكة فمنهم من باع ومنهم من ترك داره فهي في يد أعقابهم ، وقد باع حكيم بن حزام دار الندوة فقال له ابن الزبير بعت مكرمة قريش فقال يا ابن أخي ذهبت المكارم إلى التقوى أو كما قال ، واشترى معاوية منه دارين ، واشترى عمر رضي الله عنه دار السجن من صفوان بن أمية بأربعة آلاف ولم يزل أهل مكة يتصرفون في دورهم تصرف الملاك بالبيع وغيره ولم ينكره منكر فكان اجماعا ، وقد قرره النبي صلى الله عليه وسلم بنسبة دورهم اليهم فقال « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن » وأقرهم في دورهم ورباعهم ولم ينقل أحداً عن داره ولا وجد منه مايدل على زوال أملاكهم وكذلك من بعده من الخلفاء حتى ان عمر مع شدته في الحق لما احتاج إلى دار للسجن لم يأخذها إلا بالبيع . ولانها أرض حية لم يرد عليها صدقة محرمة فجاز بيعها كسائر الارض وما روي من الاحاديث في خلاف هذا فهو ضعيف . وأما كونها فتحت عنوة فهو صحيح لا يمكن دفعه الا أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر اهلها فيها على أملاكهم ورباعهم فيدل ذلك على أنه تركها لهم كما ترك لهوازن نساءهم وابناءهم (١) وعلى القول الاول من كان ساكن دار أو منزل فهو أحق به يسكنه ويسكنه وليس له بيعه ولا أخذ اجرته . ومن احتاج إلى مسكن فله بذل الاجرة فيه . وان احتاج الى الشراء فله ذلك كما فعل عمر رضي الله عنه . وكان أبو عبدالله اذا سكن أعطاهم أجرتها . فان سكن بأجرة جاز أن لايدفع اليهم الاجرة ان امكنه لانهم لا يستحقونها . وقد روي أن سفيان سكن

(١) كان الاولى أن يقول كما أعتقهم بقوله « أنتم الطلقاء »

ويراد لتجربة المبيع فأشبه ركوب الدابة ليعلم سيرها . ونقل حرب عن أحمد أنه يبطل خياره لانه انتفاع بالمبيع اشبه لمسها لشهوة . ويمكن ان يقال ما قصد به من الاستخدام تجربة المبيع لا يبطل الخيار كركوب الدابة ليعلم سيرها وما لا يقصد به ذلك يبطل الخيار كركوب الدابة لحاجته . وان قبلت الجارية

في بعض رباع مكة وهرب ولم يعطهم اجرة فأدركوه فأخذوها منه ، وذكر لاحمد فعل سفيان فتبسم فظاهر هذا انه اعجبه قال ابن عقيل وهذا الخلاف في غير مواضع المناسك . اما بقاع المناسك كموضع المسعى والرمي فحكمه حكم المساجد بغير خلاف

(فصل) ومن بنى بمكة بآلة مجلوبة من غير ارض مكة جاز بيعها كما يجوز بيع ابنية الوقوف وانقاضها ، وان كانت من تراب الحرم وحجارته انبنى جواز بيعها على الروايتين في بيع رباع مكة لانها تابعة لها وهكذا تراب كل وقف وانقاضه . قال احمد واما البناء بمكة فاني اكرهه قال اسحاق البناء بمكة على وجه الاستخلاص لنفسه لايحل وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له الا نبني لك بمنى بيتا فقال « منى مناخ من سبق » .

(مسألة) (ولايجوز بيع كل ماء عد كمياه العيون ونقع البئر ولا ما في المعادن الجارية من القار والملح والنفط ولا ماينبت في ارضه من الكلأ والشوك ومن اخذ منه شيئاً ملكه)

الانهار النابعة في غير ملك كالانهار الكبار لاتملك بحال ولايجوز بيعها ، ولو دخل الى ارض رجل لم يملكه بذلك كالطير يدخل الى ارضه ولكل احد اخذه وتملكه ، الا ان يحتفر منه ساقية فيكون احق بها من غيره ، واما ماينبع في ملكه كالبئر والعين المستنبطة بنفس النهر وارض العين مملوكة لمالك الارض فالماء الذى فيها غير مملوك في ظاهر المذهب لانه يجري من تحت الارض فأشبه الماء الجاري في النهر الى ملكه وهذا احد الوجهين لاصحاب الشافعي ، والوجه الآخر يملك لانه نماء الملك . وقد روي عن احمد نحو ذلك فانه قيل له في رجل له ارض ولآخر ماء فيشترك صاحب الارض وصاحب الماء في الزرع يكون بينهما ؟ فقال لا بأس اختاره ابو بكر وهذا يدل من قوله على ان الماء مملوك لصاحبه ، وفي معنى الماء المعادن الجارية في الاملاك كالقار والنفط والموميا والملح ، وكذلك الحكم في الكلأ والشوك النابت في ارضه فكذلك كله يخرج على الروايتين في الماء ، والصحيح ان الماء لا يملك وكذلك هذه وجواز بيع ذلك مبني على ملكه قال احمد : لا يعجبني بيع الماء البتة وقال الاثرم : سمعت ابا عبد الله يسئل عن قوم بينهم نهر تشرب منه ارضوهم لهذا يوم ولهذا يومان يتفقون عليه بالحصص فجاء يومي ولا احتاج اليه اكريه بدراهم ؟ قال ما ادري اما النبي صلى الله عليه وسلم فنهى عن بيع الماء قيل له انه ليس يبيعه انما يكريه قال انما احتالوا بهذا ليحسنوه فأي شيء هذا الا البيع ؟ وروى الاثرم باسناده عن جابر واياس بن عبدالله ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يباع الماء وروى ابوعبيد والاثرم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « المسلمون شركاء في ثلاث في النار والكلأ والماء » فان قلنا يملك جاز بيعه وان قلنا لا يملك فصاحب الارض احق به من غيره لكونه في ملكه فان دخل غيره بغير اذنه فأخذه ملكه لانه يباح في الاصل فأشبه مالو عشش في ارضه طائر اودخل اليها صيد او نضبت عن سمك فدخل اليها داخل فأخذه

(مسألة) (الا أنه لايجوز له الدخول الى ملك غيره بغير اذنه) لانه تصرف في ملك الغير بغير

ولو وهب رجل ابنه عبداً فأعتقه نفذ عتقه مع ملك الاب لاسترجاعه ، ولا ينفذ عتق البائع في ظاهر المذهب ، وقال أبو حنيفة والشافعي ومالك ينفذ عتقه لانه ملكه وان كان الملك انتقل فانه يسترجعه بالعتق . ولنا أنه اعتاق من غير مالك فلم ينفذ كعتق الاب عبد ابنه الذي وهبه اياه ، وقد دللنا على أن الملك انتقل الى المشتري ، وان قلنا بالرواية الاخرى وان الملك لم ينتقل الى المشتري نفذ عتق

زيادتها أسقطت تلك الزيادة من القيمة وضمنها بما بقي من القيمة حين التلف ، قال القاضي وهذا ظاهر كلام احمد

(فصل) واذا باع بيعاً فاسداً وتقابضا ثم أتلف البائع الثمن ثم أفلس فله الرجوع في المبيع والمشتري أسوة الغرماء وبهذا قال الشافعي ، وقال أبو حنيفة المشتري أحق بالمبيع من سائر الغرماء لانه في يده فكان أحق به كالمرتهن . ولنا أنه لم يقبضه وثيقة فلم يكن أحق به كما لو كان وديعة عنده بخلاف المرتهن فانه قبضه على أنه وثيقة بحقه

(فصل) واذا قال بع عبدك من فلان بألف على أن علي خمسمائة فباعه بهذا الشرط فالبيع فاسد لان الثمن يجب أن يكون جميعه على المشتري ، فاذا شرط كون بعضه على غيره لم يصح لانه لا يملك المبيع والثمن على غيره ، ولا يشبه هذا مالو قال : أعتق عبدك أو طلق امرأتك وعلي خمسمائة . لكون هذا عوضا في مقابلة فك الزوجة ورقبة العبد ولذلك لم يجز في النكاح . أما في مسألتنا فانه معاوضة في مقابلة نقل الملك فلا يثبت لان العوض على غيره ، وان كان هذا القول على وجه الضمان صح البيع ولزم الضمان

(الثالث أن يشترط شرطا يعلق البيع كقوله بعتك ان جئتني بكذا أو ان رضي فلان) فلا يصح البيع لانه علق البيع على شرط مستقبل فلم يصح كما اذا قال : بعتك اذا جاء رأس الشهر

(مسألة) (وكذلك اذا قال المرتهن ان جئتك بحقك في محله والا فالرهن لك ، فلا يصح البيع ، الا بيع العربون وهو أن يشتري شيئا ويعطي البائع درهما ويقول ان اخذته وإلا فالدرهم لك . فقال احمد يصح لان عمر فعله وعند أبي الخطاب أنه لا يصح)

وممن روي عنه القول بفساد الشرط ابن عمر وشريح والنخعي ومالك والثوري والشافعي وأصحاب الرأي ولا نعلم أحداً خالفهم ، والاصل في ذلك ماروى معاوية بن عبدالله بن جعفر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يغلق الرهن » رواه الاثرم قال الاثرم قلت لاحمد مامعنى قوله لا يغلق الرهن ؟ قال لا يدفع رهن الى رجل ويقول : ان جئتك بالدراهم الى كذا وكذا والا فالرهن لك . قال ابن المنذر هذا معنى قوله لا يغلق الرهن عند مالك والثوري واحمد وانما فسد البيع لانه معلق بشرط مستقبل فلم يصح كالمسألة قبلها ، وكما لو قال ان ولدت ناقتي فصيلا فقد بعتكه بدينار

(فصل) والعربون في البيع هو أن يشتري السلعة ويدفع الى البائع درهما أو اكثر على أنه ان أخذ السلعة احتسب به من الثمن وان لم يأخذها فهو للبائع . يقال عربون وعربون وعربان وأربان . قال أحمد ومحمد بن سيرين لا بأس به وفعله عمر رضي الله عنه ، وعن ابن عمر أنه أجازه وقال ابن المسيب وابن سيرين لا بأس اذا كره السلعة أن يردها ويرد معها شيئا قال احمد هذا في معناه ، وقال أبو الخطاب لا يصح وهو قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي ويروى عن ابن عباس والحسن ولان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع العربون رواه ابن ماجه ولانه شرط للبائع شيئا بغير عوض فلم يصح كما لو شرطه لاجنبي ولانه بمنزلة الخيار المجهول فانه اشترط أن له رد المبيع من غير ذكر مدة فلم يصح كما

البائع دون المشتري ، وان أعتق البائع والمشتري جميعاً فان تقدم عتق المشتري فالحكم على ماذكرنا وان تقدم عتق البائع فينبغي أن لا ينفذ عتق واحد منهما لان البائع لم ينفذ عتقه لكونه أعتق غير مملوكه ولكن حصل باعتاقه فسخ البيع واسترجاع العبد فلم ينفذ عتق المشتري ومتى أعاد البائع الاعتاق مرة ثانية نفذ اعتاقه لانه عاد العبد اليه فأشبه مالو استرجعه بصريح قوله ، ولو اشترى من يعتق عليه

لو قال ولي الخيار متى شئت رددت السلعة ومعها درهم (قال شيخنا) وهذا هو القياس وانما صار احمد فيه الى ماروي عن نافع بن الحارث أنه اشترى لعمر دار السجن من صفوان بن أمية فان رضي عمر والا فله كذا وكذا ، قال الاثرم قلت لأحمد تذهب اليه قال أي شيء أقول هذا عمر رضي الله عنه ؟ وضعف الحديث المروي . روى هذه القصة الاثرم باسناده

(فصل) فاما ان دفع اليه قبل البيع درهما وقال لا تبع هذه السلعة لغيري وان لم اشترها منك فهذا الدرهم لك ثم اشتراها منه بعد ذلك بعقد مبتدإ وحسب الدرهم من الثمن صح لان البيع خلا عن الشرط المفسد ، ويحتمل أن الشراء الذي اشتري لعمر كان على هذا الوجه فيحمل عليه جمعاً بين فعله وبين الخبر وموافقة القياس والأئمة القائلين بفساد بيع العربون . وان لم يشتر السلعة في هذه الصورة لم يستحق البائع الدرهم لانه يأخذه بغير عوض ولصاحبه الرجوع فيه ولا يصح جعله عوضا عن انتظاره وتأخر بيعه من أجله لانه لو كان عوضا عن ذلك لما جاز جعله من الثمن في حال الشراء ولان الانتظار بالبيع لا تجوز المعاوضة عنه ولو جازت لوجب أن يكون معلوم المقدار كما في الاجارة

(مسألة) (وان قال بعتك على ان تنقدني الثمن الى ثلاث أو مدة معلومة والا فلا بيع بيننا فالبيع صحيح نص عليه) وهذا قول أبي حنيفة والثوري وإسحاق ومحمد بن الحسن ، وقال به أبو ثور اذا كان الى ثلاث ، وحكي مثل قوله عن ابن عمر ، وقال مالك يجوز في اليومين والثلاثة ونحوها وان كان عشرين ليلة فسخ البيع ، وقال الشافعي وزفر البيع فاسد لانه علق فسخ البيع على غرر فلم يصح كما لو علقه بقدوم زيد .

ولنا أنه يروى عن عمر ولانه علق رفع العقد بامر يحدث في مدة الخيار فجاز كما لو شرط الخيار ولانه بيع فجاز أن ينفسخ بتأخير القبض كالصرف ولان هذا بمعنى شرط الخيار لانه كما يحتاج الى التروي في المبيع - هل يوافقه أو لا - يحتاج الى التروي في الثمن هل يصير منقوداً أولا فهما شبيهان في المعنى وان تغايرا في الصورة الا أنه في الخيار يحتاج الى الفسخ وهذا ينفسخ إذا لم ينقد في المدة المذكورة لانه جعله كذلك .

(مسألة) (وان باعه وشرط البراءة من كل عيب لم يبرأ وعنه يبرأ الا أن يكون البائع علم العيب فكتمه).

اختلفت الرواية عن أحمد في هذه المسألة فروي عنه أنه لا يبرأ إلا أن يعلم المشتري بالعيب وهو قول الشافعي . وقال ابراهيم والحكم وحماد لا يبرأ إلا مما سمى ، وقال شريح لا يبرأ الا مما أراه أو وضع يده عليه ، وروي عنه أنه يبرأ من كل عيب لم يعلمه ولا يبرأ من عيب علمه يروى ذلك عن عثمان ونحوه عن زيد بن ثابت ، وهو قول مالك وقول الشافعي في الحيوان خاصة لما روي أن عبد الله ابن عمر باع زيد بن ثابت عبداً بشرط البراءة بثمانمائة درهم فأصاب به زيد عيباً فأراد رده على ابن عمر فلم يقبله فترافعا الى عثمان فقال عثمان لابن عمر تحلف انك لم تعلم بهذا العيب ؟ قال لا فرده عليه فباعه ابن عمر بألف درهم رواه الامام أحمد ، وهذه قصة اشتهرت فلم تنكر فكانت اجماعا ويتخرج

(فصل) فان كان المبيع امة فوطئها المشتري فلا حد عليه لاعتقاده انها ملكه ولان في الملك احتلافا وعليه مهر مثلها لان الحد اذا سقط للشبهة وجب المهر ، ولان الوطء في ملك الغير يوجب المهر وعليه أرش البكارة إن كانت بكراً ، فان قيل أليس اذا زوج امرأة تزويجاً فاسداً فوطئها فأزال بكارتها لا يضمن البكارة ؟ قلنا لان النكاح تضمن الاذن في الوطء المذهب للبكارة لانه معقود على الوطء ولا كذلك البيع فانه ليس بمعقود على الوطء بدليل أنه يجوز شراء من لا يحل وطؤها ولا يحل نكاحها، فان قيل فاذا اوجبتم مهر بكر فكيف توجبون ضمان البكارة وقد دخل ضمانها في المهر ؟ واذا أوجبتم ضمان البكارة فكيف توجبون مهر بكر وقد أدى عوض البكارة بضمانه لها فجرى مجرى من أزال بكارتها باصبعه ثم وطئها ؟ قلنا لان مهر البكر ضمان المنفعة وأرش البكارة ضمان جزء فلذلك اجتمعا ، وأما الثاني فانه إذا وطئها بكراً فقد استوفى نفع هذا الجزء فوجبت قيمته بما استوفى من نفعه فاذا أتلفه وجب ضمان عينه ، ولا يجوز ان تضمن العين ويسقط ضمان المنفعة كما لو غصب عينا ذات منفعة فاستوفى منفعتها ثم أتلفها أو غصب ثوبا فلبسه حتى أبلاه وأتلفه فانه يضمن القيمة والمنفعة كذا ههنا

(فصل) وإن ولدت كان ولدها حراً لأنه وطئها بشبهة ويلحق به النسب لذلك ولا ولاء عليه لأنه حر الاصل وعلى الواطيء قيمته يوم وضعه لانه يوم الحيلولة بينه وبين صاحبه فان سقط ميتاً لم يضمن لأنه انما يضمنه حين وضعه ولا قيمة له حينئذ ، فان قيل فلو ضرب بطنها فألقت جنينا ميتاً وجب ضمانه ، قلنا الضارب يجب عليه غرة وههنا يضمنه بقيمته ولا قيمة له ، ولان الجاني أتلفه وقطع نماءه وههنا يضمنه بالحيلولة بينه وبين سيده ، ووقت الحيلولة وقت السقوط وكان ميتاً فلم يجب ضمانه وعليه ضمان نقص الولادة ، وان ضرب بطنها أجنبي فألقت جنيناً ميتاً فعلى الضارب غرة عبد أو أمة للسيد منها أقل الامرين من أرش الجنين أو قيمته يوم سقط لان ضمان الضارب له قام مقام خروجه حياً ولذلك ضمنه البائع. وانما كان للسيد أقل الامرين لان الغرة ان كانت أكثر من القيمة فالباقي منها لورثته لانه حصل بالحرية فلا يستحق السيد منها شيئاً ، وإن كانت أقل لم يكن على الضارب أكثر منها لانه بسبب ذلك ضمن ، وإن ضرب الواطيء بطنها فألقت الجنين ميتاً فعليه الغرة أيضاً ولا يرث منها شيئاً وللسيد أقل الامرين كما ذكرنا وإن سلم الجارية المبيعة الى البائع حاملا فولدت عنده ضمن نقص الولادة وإن تلفت بذلك ضمنها لان تلفها بسبب منه ، وان ملكها الواطيء لم تصر بذلك أم ولد على الصحيح من المذهب لانها علقت منه في غير ملكه فأشبه الزوجة، وهكذا كل موضع حبلت في ملك غيره ولا تصير له أم ولد بهذا

(فصل) اذا باع المشتري المبيع الفاسد لم يصح لانه باع ملك غيره بغير اذنه وعلى المشتري رده على البائع الاول لانه مالك ولبائعه أخذه حيث وجده ويرجع المشتري الثاني بالثمن على الذي باعه ويرجع الاول على بائعه فان تلف في يد الثاني فللبائع مطالبة من شاء منهما لان الاول ضامن والثاني قبضه من يد ضامنه بغير إذن صاحبه فكان ضامناً ، فان كانت قيمته أكثر من ثمنه فضمن الثاني لم يرجع بالفضل على الاول لان التلف في يده فاستقر الضمان عليه ، فان ضمن الاول رجع بالفضل على الثاني

(فصل) وان زاد المبيع في يد المشتري بسمن أو نحوه ثم نقص حتى عاد الى ما كان عليه أو ولدت

أكله متفق عليه ، ونهى أن تباع الثمرة حتى تزهو قيل وما تزهو؟ قال «تحمار أو تصفار» رواه البخاري ونهى عن بيع العنب حتى يسود، رواه الترمذي وابن ماجه والاحاديث في هذا كثيرة كلها تدل

الامة في يد المشتري ثم مات ولدها احتمل أن يضمن تلك الزيادة لانها زيادة في عين مضمونة أشبهت الزيادة في المغصوب، واحتمل أن لا يضمنها لانه دخل على أن لا يكون في مقابلة الزيادة عوض فعلى هذا تكون الزيادة أمانة في يده ، فان تلفت بتفريطه أو عدوانه ضمنها والا فلا ،وان تلفت العين بعد زيادتها أسقط تلك الزيادة من القيمة وضمنها بما بقي من القيمة حين اتلف. قال القاضي: وهذا ظاهر كلام أحمد

(فصل) اذا باع بيعاً فاسداً وتقابضا ثم أتلف البائع الثمن ثم أفلس فله الرجوع في المبيع والمشتري أسوة الغرماء ، وبهذا قال الشافعي وقال أبو حنيفة المشتري أحق بالمبيع من سائر الغرماء لانه في يده فكان أحق به كالمرتهن ولنا أنه لم يقبضه وثيقة فلم يكن أحق به كما لو كان وديعة عنده بخلاف المرتهن فانه قبضه على أنه وثيقة بحقه

(فصل) اذا قال بع عبدك من فلان على أن علي خمسمائة فباعه بهذا الشرط فالبيع فاسد لان الثمن يجب أن يكون جميعه على المشتري ، فاذا شرط كون بعضه على غيره لم يصح لانه لا يملك المنع والثمن على غيره ، ولا يشبه هذا ما لو قال أعتق عبدك أو طلق امرأتك وعلي خمسمائة لكون هذا عوضاً في مقابلة فك الزوجية ورقبة العبد ، ولذلك لم يجز في النكاح ، أما في مسئلتنا فانه معاوضة في مقابلة نقل الملك فلا يثبت لمن العوض على غيره ، وان كان هذا القول على وجه الضمان صح البيع ولزم الضمان

(فصل) والعربون في البيع هو أن يشتري السلعة فيدفع الى البائع درهما أو غيره على انه ان أخذ السلعة احتسب به من الثمن وان لم يأخذها فذلك للبائع ، يقال عربون وأربون وعربان واربان، قال أحمد لا بأس به وفعله عمر رضي الله عنه ، وعن ابن عمر انه أجازه ، وقال ابن سيرين لا بأس به، وقال سعيد بن المسيب وابن سيرين لا بأس اذا كره السلعة أن يردها ويرد معها شيئاً وقال أحمد هذا في معناه واختار أبو الخطاب انه لا يصح وهو قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي ، ويروى ذلك عن ابن عباس والحسن لان النبي ﷺ نهى عن بيع العربون ، رواه ابن ماجه، ولانه شرط للبائع شيئاً بغير عوض فلم يصح كما لو شرطه لأجنبي ولانه بمنزلة الخيار المجهول فانه اشترط ان له رد المبيع من غير ذكر مدة فلم يصح كما لو قال ولي الخيار متى شئت رددت السلعة ومعها درهما ، وهذا هو القياس وانما صار أحمد فيه الى ما روي فيه عن نافع بن عبد الحارث انه اشترى لعمر دار السجن من صفوان بن امية فان رضي عمر والا فله كذا وكذا . قال الاثرم قلت لأحمد تذهب اليه ؟ قال اي شيء أقول ؟ هذا عمر رضي الله عنه وضعف الحديث المروي ، روى هذه القصة الاثرم باسناده ، فأما ان دفع اليه قبل البيع درهما وقال لا تبع هذه السلعة لغيري وان لم أشترها منك فهذا الدرهم لك ثم اشتراها منه بعد ذلك بعقد مبتديء وحسب الدرهم من الثمن صح لان البيع خلا عن الشرط المفسد ، ويحتمل ان الشراء الذي اشتري لعمر كان على هذا الوجه فيحمل عليه جمعاً بين فعله وبين الخبر وموافقة القياس والأئمة القائلين بفساد العربون ، وان لم يشتر السلعة في هذه الصورة لم يستحق البائع الدرهم لانه يأخذه بغير عوض ولصاحبه الرجوع فيه ولا يصح جعله عوضاً عن انتظاره وتأخير بيعه من أجله لانه لو كان عوضا عن ذلك لما جاز جعله من الثمن في حال الشراء ولان الانتظار بالبيع لا تجوز المعاوضة عنه ولو جازت

على هذا المعنى والله أعلم .

﴿مسألة﴾ (ومن باع عبداً وله مال فماله للبائع الا أن يشترطه المبتاع)

منتفع به فجاز بيعه كالثوب وقوله لا ينتفع بعينه يبطل بالبهائم التي لا يحصل منها نفع سوى النتاج ويفارق الحشرات التي لا نفع فيها أصلا ، فان نفع هذه كثير لان الحرير الذي هو أشرف ملابس الدنيا انما يحصل منها

(فصل) ويجوز بيع النحل إذا شاهدها محبوسة بحيث لا يمكنها أن تمتنع ، وقال أبو حنيفة لا يجوز بيعها منفردة لما ذكر في دود القز . ولنا أنه حيوان طاهر يخرج من بطونها شراب فيه منافع للناس فجاز بيعه كبهيمة الانعام واختلف أصحابنا في بيعها في كواراتها فقال القاضي لا يجوز لانه لا يمكن مشاهدة جميعها ولانها لا تخلو من عسل يكون مبيعا معها وهو مجهول ، وقال أبو الخطاب يجوز بيعها في كواراتها ومنفردة عنها فانه يمكن مشاهدتها في كواراتها اذا فتح رأسها ويعرف كثرته من قلته وخفاء بعضه لا يمنع صحة بيعه كالصبرة وكما لو كان في وعاء فان بعضه يكون على بعض فلا يشاهد الا ظاهره والعسل يدخل في البيع تبعاً فلا تضر جهالته كأساسات الحيطان فان لم يمكن مشاهدة النحل لكونه مستوراً بأقراصه ولم يعرف لم يجز بيعه لجهالته

(فصل) ذكر الخرقي أن الترياق لا يؤكل لانه يقع فيه لحوم الحيات فعلى هذا لا يجوز بيعه لان نفعه انما يحصل بالاكل وهو محرم فخلا من نفع مباح فلم يجز بيعه كالميتة ، ولا يجوز التداوي به ولا بسم الافاعي (١) فاما السم من الحشائش والنبات فان كان لا ينتفع به أو كان يقتل قليله لم يجز بيعه لعدم نفعه وان انتفع به وأمكن التداوي بيسيره كالسقمونيا جاز بيعه لانه طاهر منتفع به أشبه بقية المأكولات

(فصل) ولا يجوز بيع جلد الميتة قبل الدبغ قولا واحداً قاله ابن أبي موسى ، وفي بيعه بعد الدبغ عنه خلاف ؛ وقد روى حرب عن أحمد أنه قال إن النبي ﷺ نهى عن ثمن الكلب، وأما غير ذلك نحو ريش الطير التي لها مخلب أو بعض جلود السباع التي لها أنياب فان بيعها أسهل لان النبي ﷺ انما نهى عن أكل لحومها والصحيح عنه أنه لا يجوز وهذا ينبني على الحكم بنجاسة جلود الميتة وانها لا تطهر بالدباغ وقد ذكرنا ذلك في بابه

(فصل) فاما بيع لبن الآدميات فقال أحمد أكرهه . واختلف أصحابنا في جوازه فظاهر كلام الخرقي جوازه لقوله وكل ما فيه المنفعة وهذا قول ابن حامد ومذهب الشافعي ، وذهب جماعة من أصحابنا الى تحريم بيعه وهو مذهب أبي حنيفة ومالك لانه مائع خارج من آدمية فلم يجز بيعه كالعرق ولانه من آدمي فاشبه سائر أجزائه ، والاول اصح لانه لبن طاهر منتفع به فجاز بيعه كلبن الشاة ، ولانه يجوز أخذ العوض عنه في إجارة الظئر فأشبه المنافع ويفارق العرق فانه لا نفع فيه ولذلك لا يباع عرق الشاة ويباع لبنها وسائر أجزاء الآدمي يجوز بيعها فانه يجوز بيع العبد والامة وانما حرم بيع الحر لانه ليس بمملوك وحرم بيع العضو المقطوع لانه لا نفع فيه (٢)

(فصل) واختلفت الرواية في بيع رباع مكة واجارة دورها فروي أن ذلك غير جائز وهو قول أبي حنيفة ومالك والثوري وأبي عبيد وكرهه اسحاق لما روى عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة « لا تباع رباعها ولا تكرى بيوتها » رواه الاثرم باسناده وعن مجاهد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مكة حرام بيع رباعها حرام إجارتها » وهذا نص رواه سعيد بن منصور

المتاد فهو للمشتري)

إذا كان على العبد أو الجارية حلي فهو بمنزلة ماله على ماذكرنا . فاما الثياب فقال أحمد: ما كان يلبسه

(١) اكل الحيات غير محرم اجماعا بل اباحه مالك وغيره فما ثبت عند الاطباء من نفع الترياق أو غيره من الادوية التي يدخل فيها سمها فهو مباح على ان المحرم لذاته يباح للضرورة والمحرم لسد الذريعة يباح للحاجة كما في أعلام الموقعين للمحقق ابن القيم.

(٢) مفهومه انه يجوز بيعه اذا انتفع به وهذا حاصل في عصرنا في الجلد تسلخ قطعة منه ويرقع بها البدن وفي غير ذلك

في سننه وروي أنها كانت تدعى السوائب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره مسدد في مسنده ولانها فتحت عنوة ولم تقسم فكانت موقوفة فلم يجز بيعها كسائر الارض التي فتحها المسلمون عنوة ولم يقسموها والدليل على انها فتحت عنوة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وانها لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار » متفق عليه وروت أم هانىء قالت أجرت حموين لي فأراد علي أخي قتلهما فأتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله اني أجرت حموين لي فزعم ابن أمي علي أنه قاتلهما فقال النبي ﷺ « قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت يا أم هانىء » متفق عليه ولذلك أمر النبي ﷺ بقتل أربعة فقتل منهم ابن خطل ومقيس بن صبابة وهذا يدل على أنها فتحت عنوة (والرواية الثانية) أنه يجوز بيع رباعها واجارة بيوتها ، وروي ذلك عن طاوس وعمرو بن دينار وهذا قول الشافعي وابن المنذر وهو أظهر في الحجة لان النبي ﷺ لما قيل له أين تنزل غداً ؟ قال « وهل ترك لنا عقيل من رباع ؟ » متفق عليه يعني أن عقيلا باع رباع أبي طالب لانه ورثه دون اخوته لكونه كان على دينه دونهما ولو كانت غير مملوكة لما أثر بيع عقيل شيئاً ولان أصحاب النبي ﷺ كانت لهم دور بمكة لأبي بكر والزبير وحكيم بن حزام وأبي سفيان وسائر أهل مكة فمنهم من باع ومنهم من ترك داره فهي في يد أعقابهم وقد باع حكيم بن حزام دار الندوة فقال ابن الزبير بعت مكرمة قريش فقال يا ابن أخي ذهبت المكارم إلا التقوى أو كما قال واشترى معاوية دارين واشترى عمر دار السجن من صفوان بن أمية بأربعة آلاف ولم يزل أهل مكة يتصرفون في دورهم تصرف الملاك بالبيع وغيره ولم ينكره منكر فكان اجماعا ، وقد قرره النبي ﷺ بنسبة دورهم اليهم فقال « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » وأقرهم في دورهم ورباعهم ، ولم ينقل أحداً عن داره ولا وجد منه ما يدل على زوال أملاكهم وكذلك من بعده من الخلفاء حتى إن عمر رضي الله عنه مع شدته في الحق لما احتاج الى دار السجن لم يأخذها إلا بالبيع ، ولانها أرض حية لم يرد عليها صدقة محرمة فجاز بيعها كسائر الارض ، وماروي من الاحاديث في خلاف هذا فهو ضعيف ، وأما كونها فتحت عنوة فهو الصحيح الذي لا يمكن دفعه الا ان النبي ﷺ أقر أهلها فيها على أملاكهم ورباعهم فيدل ذلك على أنه تركها لهم كما ترك لهوازن نساءهم وأبناءهم وعلى القول الاول من كان ساكن دار أو منزل فهو أحق به يسكنه ويسكنه وليس له بيعه ولا أخذ أجرته ، ومن احتاج الى مسكن فله بذل الاجرة فيه ، وإن احتاج الى الشراء فله ذلك كما فعل عمر رضي الله عنه وكان أبو عبدالله إذا سكن أعطاهم أجرتها فان سكن باجرة فامكنه أن لا يدفع اليهم الاجرة جاز له ذلك لانهم لا يستحقونها ، وقد روي أن سفيان سكن في بعض رباع مكة وهرب ولم يعطهم أجرة فأدركوه فأخذوها منه وذكر لاحمد فعل سفيان فتبسم فظاهر هذا أنه أعجبه قال ابن عقيل والخلاف في غير مواضع المناسك أما بقاع المناسك كموضع السعي والرمي فحكمه حكم المساجد بغير خلاف

(فصل) ومن بنى بناء بمكة بآلة مجلوبة من غير أرض مكة جاز بيعها كما يجوز بيع أبنية الوقوف وانقاضها، وان كانت من تراب الحرم وحجارته انبنى جواز بيعها على الروايتين في بيع رباع مكة لانها تابعة لمكة وهكذا تراب كل وقف وانقاضه قال أحمد وأما البناء بمكة فاني اكرهه ، قال اسحاق البناء

عند البائع فهو للمشتري ، وان كانت ثياباً يلبسها فوق ثيابه أو شيء يزينه به فهو للبائع إلا أن يشترطه

المشتري لم يبطل خياره وهذا مذهب الشافعي ، وقال أبو الخطاب يحتمل أن يبطل خياره اذا لم يمنعها لان اقراره لها على ذلك يجري مجرى استمتاعه بها ، وقال أبو حنيفة ان قبلته لشهوة بطل خياره

اذنه اشبه ما لو دخل لغير ذلك (وعنه يجوز بيعه) وهذا مبني على انه يملك وقد ذكرناه

(فصل) والخلاف في بيع ذلك انما هو قبل حيازته . فأما ما يحوزه من الماء في انائه او يأخذه من الكلأ في حبله او يحوزه في رحله او يأخذه من المعادن فانه يملكه بذلك بغير خلاف بين اهل العلم فان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لأن يأخذ أحدكم حبلا فيأخذ حزمة من حطب فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطي أو منع » رواه البخاري ، وقد روى أبو عبيد في الاموال عن المشيخة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الماء الا ما حمل منه. وعلى ذلك مضت العادة في الامصار ببيع الماء في الروايا والحطب والكلأ من غير نكير وليس لأحد أن يشرب منه ولا يتوضأ ولا يأخذ إلا باذن مالكه لانه ملكه . قال أحمد : إنما نهي عن بيع فضل ماء البئر والعيون في قراره ويجوز بيع البئر نفسها والعين ومشتريها أحق بمائها ، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من يشتري بئر رومة يوسع بها على المسلمين وله الجنة ؟ » أو كما قال فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه من يهودي بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وسبلها للمسلمين ، وروي أن عثمان اشترى منه نصفها باثني عشر الفاً ثم قال لليهودي اختر اما أن تأخذها يوماً وآخذها يوماً واما أن تنصب لك عليها دلواً وأنصب عليها دلواً فاختار يوماً ويوماً فكان الناس يستقون منها في يوم عثمان لليومين فقال اليهودي أفسدت علي بئري فاشتر باقيها فاشتراه بثمانية آلاف ، وفي هذا دليل على صحة بيعها وتسبيلها وملك ما يسقيه منها وجواز قسمة مائها بالمهايأة وكون مالكها أحق بمائها وجواز قسمة ما فيه حق وليس بمملوك

(فصل) فاما المصانع المتخذة لمياه الامطار تجتمع فيها ونحوها من البرك وغيرها فالاولى أنه يملك ماؤها ويصح بيعه اذا كان معلوما لأنه مباح حصله بشيء معد له كالصيد يحصل في شبكة والسمك في بركة معدة له ولا يحصل أخذ شيء منه بغير اذن مالكه وكذلك إن جرى من نهر غير مملوك ماء إلى بركة في أرضه يستقر الماء فيها لا يخرج منها فحكمه حكم مياه الأمطار تجتمع في البركة قياساً عليه والله أعلم .

(فصل) إذا اشترى ممن في ماله حلال وحرام كالسلطان الظالم والمرابي فان علم أن المبيع من حلال فهو حلال وان علم أنه من الحرام فهو حرام ولا يقبل قول المشتري عليه في الحكم لأن الظاهر أن ما في يد الانسان ملكه ، فان لم يعلم من أيها هو كره لاحتمال التحريم فيه ولم يبطل البيع لامكان الحلال سواء قل الحرام أو كثر وهذا هو الشبهة ، وبقدر قلة الحرام أو كثرته تكثر الشبهة وتقل قال احمد لا يعجبني أن يأكل منه وذلك لما روى النعمان بن بشير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه الا وان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه » متفق عليه واللفظ لمسلم ولفظ البخاري « فمن ترك ما اشتبه عليه كان لما استبان اترك ، ومن اجترأ على ما يشك فيه من المأثم أوشك أن يواقع ما استبان » وروى الحسن بن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » وهذا مذهب الشافعي

(فصل) والمشكوك فيه على ثلاثة أضرب ما أصله الحظر كالذبيحة في بلدة فيها مجوس وعبدة أوثان

لانه استمتاع يختص الملك فابطل خياره كقبلته لها ، ولنا انها قبلة لأحد المتعاقدين فلم يبطل خياره كما لو قبلت البائع ولان الخيار له لا لها فلو الزمناه بفعلها لالزمناه بغير رضاه ولا دلالة عليه وفارق ما

يذبحون فلا يجوز شراؤها وان جاز أن تكون ذبيحة مسلم لان الاصل التحريم فلا يجوز الا بيقين أو ظاهر وكذلك ان كان فيها اخلاط من المسلمين والمجوس لم يجز شراؤها لذلك والاصل فيه حديث عدي بن حاتم « إذا أرسلت كلبك فخالط أكلبا لم يسم عليها فلا تأكل فانك لا تدري أيها قتله » متفق عليه . فاما ان كان ذلك في بلد الاسلام فالظاهر إباحتها لان المسلمين لا يقرون في بلدهم بيع ما لا يحل بيعه ظاهراً (الثاني) ما أصله الاباحة كالماء يجده متغيراً لا يعلم بنجاسة تغير أو غيرها فهو طاهر في الحكم لان الاصل الطهارة فلا يزول عنها الا بيقين أو ظاهر ولم يوجد واحد منهما، والاصل في ذلك حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال شكي الى النبي صلى الله عليه وسلم الرجل يخيل اليه في الصلاة انه يجد الشيء قال « لا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحاً » متفق عليه (الثالث) ما لا يعرف له أصل كرجل في ماله حلال وحرام فهذا هو الشبهة التي الاولى تركها على ما ذكرناه وعملا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه وجد تمرة ساقطة فقال « لولا اني أخشى انها من الصدقة لأكلتها » وهو من باب الورع

(فصل)وكان أحمد لا يقبل جوائز السلطان وينكر على ولده وعمه قبولها ويشدد في ذلك. وممن كان لا يقبلها سعيد بن المسيب والقاسم وبشر بن سعيد ومحمد بن واسع والثوري وابن المبارك: وكان هذا منهم على سبيل الورع لا على أنها حرام فان احمد قال : جوائز السلطان أحب إلي من الصدقة وقال ليس أحد من المسلمين إلا وله في هذه الدراهم نصيب فكيف أقول إنها سحت وممن كان يقبل جوائزهم ابن عمر وابن عباس وعائشة وغيرهم مثل الحسن والحسين وابن جعفر ورخص فيه الحسن البصري ومكحول والزهري والشافعي . واحتج بعضهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعاما ومات ودرعه مرهونة عنده وأجاب يهوديا دعاه وأكل من طعامه وقد اخبر الله تعالى أنهم أكالون للسحت ، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال لا بأس بجوائز السلطان فان ما يعطيكم من حلال أكثر مما يعطيكم من الحرام وقال لا تسأل السلطان شيئاً وان أعطى فخذ فان ما في بيت المال من الحلال أكثر مما فيه من الحرام

(فصل) قال أحمد رضي الله عنه فيمن معه ثلاثة دراهم فيها درهم حرام يتصدق بالثلاثة وان كان معه مائتا درهم فيها عشرة دراهم حرام تصدق بالعشرة لان هذا كثير وذاك قليل . قيل له قال سفيان ما كان دون العشرة يتصدق به وما كان أكثر يخرج؟ قال نعم لا يجحف به قال القاضي ليس هذا على سبيل التحديد وإنما هو على سبيل الاختيار لأنه كلما كثر الحلال بعد تناول الحرام وشق التورع عن الجميع بخلاف القليل فانه يسهل اخراج الكل والواجب في الموضعين اخراج قدر الحرام والباقي له وهذا لان تحريمه لم يكن لتحريم عينه وانما حرم لتعلق حق غيره به فاذا أخرج عوضه زال التحريم كما لو كان صاحبه حاضراً فرضي بعوضه وسواء كان قليلا أو كثيراً ، والورع إخراج ما يتيقن به إخراج عين الحرام ولا يحصل ذلك إلا باخراج الجميع لكن لما شق ذلك في الكثير ترك لاجل المشقة فيه واقتصر على الواجب. ثم يختلف هذا باختلاف الناس فمنهم من لا يكون له سوى الدراهم اليسيرة فيشق اخراجها لحاجته اليها ومنهم من يكون له كثير فيستغني عنها فيسهل اخراجها والله تعالى أعلم

وأخذ أرش العيب كما في سائر المبيع ،فأما ان كانت الحجارة أو الآجر مودعا فيها للنقل عنها فهي للبائع كالكنز وعليه نقلها وتسوية الارض اذا نقلها واصلاح الحفر لانه ضرر لحق لاستصلاح ملكه فكان عليه إزالته وان كان قلعها يضر بالارض أو تتطاول مدته ولم يكن المشتري عالما فله الخيار كما ذكرنا لانه عيب وان لم يكن في نقلها ضرر ويمكن نقلها في أيام يسيرة كالثلاثة فما دون فلا خيار له وله مطالبة البائع بنقلها في الحال لانه لا عرف في تبقيتها بخلاف الزرع ، وان كان عالما بالحال فلا خيار له ولا أجرة في الزمان الذي نقلت فيه لانه علم بذلك ورضي فأشبه مالو اشترى أرضاً فيها زرع ، وان لم يعلم واختار امساك المبيع فهل له أجرة لزمان النقل على وجهين (احدهما) له ذلك لان المنافع مضمونة على المتلف فكان عليه بدلها كالاجزاء (والثاني) لا يجب لانه لما رضي بامساك المبيع بتلف المنفعة في زمان النقل فان لم يختر الامساك فقال البائع أنا أدع ذلك لك وكان مما لا ضرر في بقائه لم يكن له خيار لان الضرر زال عنه

(فصل) فان كان في الارض معادن جامدة كمعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص ونحوها دخلت في البيع وملكت بملك الارض التي هي فيها لانها من اجزائها فهي كترابها واحجارها ولكن لا يباع معدن الذهب بذهب ولا معدن الفضة بفضة ويجوز بيعها بغير جنسها ،وان ظهر في الارض معدن لم يعلم البائع به فله الخيار لانه زيادة لم يعلم بها فأشبه مالو باعه ثوبا على انه عشرة فبان احد عشر هـذا إذا كان قد ملك الارض باحياء أو اقطاع ، وقد روي أن ولد بلال بن الحارث باعوا عمر بن عبدالعزيز أرضاً فظهر فيها معدن فقالوا إنما بعنا الارض ولم نبع المعدن وأتوا عمر بن عبدالعزيز بالكتاب الذي فيه قطيعة النبي ﷺ لأبيهم فأخذه عمر فقبله ورد عليهم المعدن . وان كان البائع ملك الارض بالبيع احتمل أن لا يكون له خيار لان الحق لغيره وهو المالك الاول ، واحتمل أن يكون له الخيار كما لو اشترى معيباً ثم باعه ولم يعلم عيبه فانه يستحق الرد عليه وان كان قد باعه مثل ما اشتراه ، وقد روى أبو طالب عن أحمد انه إذا ظهر المعدن في ملكه ملكه وظاهر هذا أنه لم يجعله للبائع ولا جعل له خياراً لانه من أجزاء الارض فأشبه مالو ظهر فيها حجارة لها قيمة كبيرة

(فصل) واذا كان في الارض بئر أو عين مستنبطة فنفس البئر وأرض العين مملوكة لمالك الارض والماء الذي فيها غير مملوك لانه يجري من تحت الارض الى ملكه فأشبه الماء الجاري في النهر الى ملكه وهذا أحد الوجهين لأصحاب الشافعي (والوجه الآخر) يدخل في الملك لانه نماء الملك ، وقد روي عن أحمد ما يدل على انه يملك فانه قال في رجل له أرض ولآخر ماء فيشترك صاحب الارض وصاحب الماء في الزرع ويكون بينهما فقال لا بأس ، اختاره أبو بكر وهذا يدل على ان الماء مملوك لصاحبه ،وفي معنى الماء المعادن الجارية في الاملاك كالقار والنفط والمومياء والملح وكذلك الحكم في النابت في أرضه من الكلأ والشوك ففي كل ذلك يخرج على الروايتين في الماء ، والصحيح ان الماء لا يملك فكذلك هذه ، قال أحمد لا يعجبني بيع الماء البتة ، قال الاثرم : سمعت أبا عبدالله يسئل عن قوم بينهم نهر

أحدكم مال أخيه؟» رواه البخاري وهذا مأمون فيما يقطع فصح بيعه كما لو بدا صلاحه

(فصل) وإذا اشترى رجل نصف الثمرة قبل بدو صلاحها أو نصف الزرع قبل اشتداد حبه مشاعاً لم يجز سواء اشتراها من رجل أو من أكثر منه، وسواء شرط القطع أو لم يشترطه لانه لا يمكنه قطعه إلا بقطع مالا يملكه فلم يصح اشتراطه .

تشرب منه أرضوهم لهذا يوم ولهذا يومان يتفقون عليه بالحصص فجاء يومي ولا أحتاج اليه أكريه بدراهم؟ قال ما أدري أما النبي ﷺ فنهى عن بيع الماء قيل انه ليس يبيعه انما يكريه ، قال انما احتالوا بهذا ليحسنوه فأي شيء هذا الا البيع ؟ وروى الاثرم باسناده عن جابر واياس بن عبدالله المزني أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يباع الماء ، وروي أيضاً عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال « المسلمون شركاء في ثلاث : في الماء والنار والكلأ » رواه أبو عبيد في كتاب الاموال ،فاذا قلنا لا يملك فصاحب الارض أحق به من غيره لكونه في ملكه فان دخل غيره بغير اذنه فأخذه ملكه لانه مباح في الاصل فأشبه مالو عشش في أرضه طائر أو دخل فيها ظبي أو نضبت عن سمك فدخل اليه داخل فأخذه، وأما ما يحوزه من الماء في إنائه أو يأخذه من الكلأ في حبله أو يحوزه في رحله أو يأخذه من المعادن فانه يملكه بذلك وله بيعه بلا خلاف بين أهل العلم فان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لأن يأخذ أحدكم حبلا فيأخذ حزمة من حطب فيبيع فيكف الله به وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطي أو منع » رواه البخاري، وروى أبو عبيد في الاموال عن المشيخة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الماء إلا ما حمل منه، وعلى ذلك مضت العادة في الامصار ببيع الماء في الروايا والحطب والكلأ من غير نكير ، وليس لأحد أن يشرب منه ولا يتوضأ ولا يأخذ الا باذن مالكه وكذلك لو وقف على بئره أو بئر مباح فاستقى بدلوه أو بدولاب أو نحوه فما يرقيه من الماء فهو ملكه وله بيعه لانه ملكه بأخذه في إنائه ، قال احمد انما نهي عن بيع فضل ماء البئر والعيون في قراره . ويجوز بيع البئر نفسها والعين ومشربها أحق بمائها ، وقد روي أن النبي ﷺ قال « من يشتري بئر رومة يوسع بها على المسلمين وله الجنة؟ » أو كما قال ، فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه من يهودي بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وسبلها للمسلمين وكان اليهودي يبيع ماءها ، وروي أن عثمان اشترى منه نصفها باثني عشر الفاً ثم قال لليهودي اختر إما أن تأخذها يوما وآخذها أنا يوماً واما أن تنصب لك عليها دلواً وأنصب عليها دلواً فاختار يوماً ويوماً، فكان الناس يستقون منها في يوم عثمان لليومين فقال اليهودي أفسدت علي بئري فاشتر باقيها فاشتراه بثمانية آلاف ، وفي هذا دليل على صحة بيعها وتسبيلها وصحة بيع ما يستقيه منها وجواز قسمة مائها بالمهايأة وكون مالكها أحق بمائها ، وجواز قسمة ما فيه حق وليس بمملوك . فأما المياه الجارية فما كان نابعا في غير ملك كالانهار الكبار وغيرها لم يملك بحال ولو دخل إلى أرض رجل لم يملكه بذلك كالطير يدخل إلى أرضه ولكل أحد أخذه ولا يملكه الا أن يجعل له في أرضه مستقراً كالبركة والقرار أو يحتفر ساقية يأخذ فيها من ماء النهر الكبير فيكون أحق بذلك الماء من غيره كنقع البئر ، وان كان ما يستقر في البركة لا يخرج منها فالأولى أنه يملكه بذلك على ما سنذكره في مياه الامطار. وما كان نابعاً أو مستنبطاً كالقني فهو كنقع البئر وفيه من الخلاف ما فيه ، فأما المصانع المتخذة لمياه الامطار تجمع فيها ونحوها من البرك وغيرها فالاولى أنه يملك ماءها ويصح بيعه إذا كان معلوما لانه مباح حصله بشيء معد له فملكه كالصيد يحصل في شبكته والسمك في بركة معدة له ولا يجوز أخذ شيء منه إلا باذن مالكه .

(مسئلة) (ولا يجوز بيع الرطبة والبقول إلا بشرط جذه ولا القثاء ونحوه إلا لقطة لقطة إلا أن يبيع أصله)

الرطبة وما أشبهها مما تثبت أصوله في الارض ويؤخذ ما ظهر منه بالقطع مرة بعد أخرى كالنعناع والهندبا وشبههما لا يجوز بيعه إلا أن يبيع الظاهر منه بشرط القطع في الحال وبذلك قال الشافعي، وروي

كِتَابُ

اَلْبَدْءِ وَالتَّأْرِيخ

لأبي زيد احمد بن سهل البلخي

قد اعتنى بنشره وترجمته من العربية الى الفرنسوية
الفقير المذنب كلمان هوار قنصل الدولة الفرنسوية
وكاتب السرّ ومترجم الحكومة المشار اليها ومعلّم فى مدرسة
الألسنة الشرقيّة فى باريز

يُباع عند الخواجه أرْنَسْت لَرُو الصحّاف
فى مدينة باريز

١٨٩٩
سنة ميلادية

الى عُبيدٍ من ثقيف وكتب بذلك الى المُدُن والأمصار ووسّع المسجد الحرام ومسجد المدينة وفرّق فى حجّه بمكّة والمدينة ثلاثين ألف ألف درهم سِوَى ما حُمل اليه من مالِ مصر واليمن وحمل اليه محمد بن سليمان الثلج من أرض الموصل ولم يحمله أحدٌ قبله وأمر بنزع المقاصير عن المساجد وتقصير المنابر الى الحدّ الّذى كان عليه منبر رسول اللّه صلعم ووضع دُور المَرْضَى وأجرى على العُميان والمجذمين والضَمْفَى وأغزى الصائفة ابنَه هارون بن المهدىّ فى مأيـة الف من المسترِقّـة[1] سوى المطوّعـة والأتباع وأهل الأسواق والغُزاة فقتلوا من الروم خمسة وأربعين الفًا وأصابوا من المال ما بِيعَ البرذَوْن بـدرهم والـدِرْعُ بـدرهم وعشرون سيفًا وألزموهم الجزية كلّ سنة سبعين ألف دينار وفيه يقول ابن أبى حفصة

[طويل]

أَطَفْتَ بِقُسطنطينَة[2] الرومِ مُسْنَدًا	إليها القَنَا حتّى اكتسى الذُلَّ سُورُها
وما رُمْتَها حتّى تُفِيكَ ملوكُها	بجزيتها والعَرْبُ تَغْلى قُـدورُها

٥

وكثير من الناس يرَوْن ذلك الفتح الفتح الذى وعد اللّه بـه وفى

[1] Corr. marg. : المسترزقة.

[2] Ms. قسطنطينية.

أيّامه خرج رجلٌ يقـال له يوسف البرم[1] واستغوى خلقًا كثيرًا وجمع بَوْشًا وادّعى النبوّة فبعث إليه جيشًا ففضّوا جموعَه فأسروه فأمر به المهدىُّ فصُلب وخرج حكيم المقنّع وقال بتناسخ الأرواح واتبعه ناسٌ كثير وكان حكيم هذا رجلًا قصيرًا أعْوَرَ من قريـة من قرى مرو يقال لها كَارَه وكان لايَسفِرُ عن وجهه لاصحابـه فلذلك [F° 218 r°] قيل له المقنَّع وزعم أنّ روح اللّه التى كانت[2] فى آدم تحوّلت[3] الى شيث ثم الى نوح ثم الى ابرهيم ثم الى موسى ثم الى عيسى ثم الى محمد ثم الى علىّ ثم الى محمّد بن الحنفيّة ثم إليه وكان يُحْسِنُ شَيْـًٔا من الشعبذة والنيرنجات فاستغوى أهل العقول الضعيفة فـاستمالهم فبعث المهدىُّ فى طلبـه فصار الى ما وراء النهر وتحصّن فى قلعة كش[4] وجمع فيها من الطعام والعُلوفة وبثّ الـدُعاة فى الناس وادّعى إحياء الموتَى وعِلْمَ الغيب وألحّ المهدىُّ فى طلبه فحُوصر فلمّا اشتدّ الحصار عليه سقى نساءه وغلمانه كلّهم السمَّ وشرب هو منه فماتوا عن آخرهم وحُمل الى المهدىّ

[1] Ms. البرم; en marge : كذا فى الأصل.

[2] Ms. كان.

[3] Ms. تحزل.

[4] Ms. تكش.

وبُويع عبد الله المأمون سنة اربع ومأيتين وكانوا بايعوه بمروَ عند ما خلعه أخوه فأحسن السيرة وتفقّد أمور الناس وقعد للقضاء وتولّى الصلاة والخطبة وخلع أخاه القاسم وأخذ البيعة لأخيه ابى[1] اسحق المعتصم من بعده وكتب الناس من عبد الله المأمون أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده أبى اسحق المعتصم وأمر بامتحان القُضاة والمحدّثين ونادى مُناديه برئت الذمّة ممّن ذكر معاوية بخير[2] وفضّله على أحدٍ من الصحابة [f° 221 r°] وأحيا العِلم القديم ونقل الى لسان العرب وأظهر عِلم النجوم والفلسفة وكان فاضلًا فى نفسه فطينًا ذكيًا أبيض البشرة تعلوه حُمرة أعينَ طويلَ اللحية دقيقها بخدّه خالٌ أسودُ وأمر ابو اسحق باتّخاذ الأتراك للخدمة وكان يُشترى[3] الواحد منهم بمأية ألف ومأيتى ألف وفى أيّامه تحرّكت الخُرّمية وادّعى بابك أنّ روح جاويذان دخلت فيه فبعث اليه المأمون محمّد بن حميد فقُتل محمّد بن حميد وعامّة أصحابه وأصاب الناسَ مجاعةٌ حتّى بلغ المُدّ عشرين دينارًا ورُؤِىَ

[1] Ms. ابن.
[2] Ms. بحيرا.
[3] Ms. يُسترى.

قَبلَهُ الكوكبُ ذو الذنب ثم وقع بعده موتٌ ذريع أفنى كثيرًا من الناس وظفِر المأمون بابرهيم بن المهدىّ فى زىّ امرأة يمشى بين امرأتين فعفا عنه وآمنه ونادمه فقال ابرهيم [كامل]

إنّ الذى قسم المكارم حازها   من صُلب آدمَ للإمام السابعِ
فعفوتَ[5] عمّن لم يكن عن مثله   عَفْوٌ ولم يشفعْ إليك بشافعِ

وغزا الروم غير مرّة فافتتح منها حصونًا وقلاعًا ومات بها فحُمل الى طرسوس وقال الشاعرُ [خفيف]

خلّفوه بعُرْقُوَة طرسوس   مثل ما خلّفوا أباه بطُوسْ
هل رأيت النجوم أغنَتْ عن المأ   مونِ أو عن وزيره المألوسْ

وتُوفّى سنة ثمان عشرة ومأيتين وكانت خلافته مُنْذُ قُتل محمّد عشرين سنة وعمره ثمانيًا واربعين سنةً وكانت أمّ[4] المأمون باذغيسيّة تُسمّى مراجِل وكان المأمون ضربه أبوه فى شىء فقال الرقاشى[4] يهجوه [رمل]

لم تَلِدْهُ أَمَةٌ تعرِف فى السُوق التجارا
لا ولا حُدٌّ ولا خا   ن ولا فى الحكم جارا

وبُويع عبد الله المأمون سنة اربع ومأيتين وكانوا بايعوه بمروَ عند
ما خلعه أخوه فأحسن السيرة وتفقّد أمور الناس وقعد للقضاء
وتولّى الصلاة والخطبة وخلع أخاه القاسم وأخذ البيعة لأخيه
ابى [1] اسحق المعتصم من بعده وكتب الناس من عبد الله المأمون
أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده أبى اسحق المعتصم وأمر
بامتحان القُضاة والمحدّثين ونادى مُناديه برئت الذمّة ممّن ذكر
معاوية بخير [2] وفضّله على أحدٍ من الصحابة [f° 221 r°] وأحيا العلم
القديم ونقل الى لسان العرب وأظهر عِلم النجوم والفلسفة وكان
فاضلًا فى نفسه فطيناً ذكيّاً أبيض البشرة تعلوه حُمرة أعيَنَ
طويلَ اللحية دقيقها بخدّه خالٌ أسودُ وأمر ابو اسحق باتّخاذ الأتراك
للخدمة وكان يُشترى [3] الواحد منهم بمأية ألف ومأيتى ألف وفى
أيامه تحرّكت الخُرّمية وادّعى بابك أنّ روح جاويذان دخلت فيه
فبعث اليه المأمون محمّد بن حميد فقُتل محمّد بن حميد وعامّة
أصحابه وأصاب الناسَ مجاعةٌ حتّى بلغ المُدّ عشرين ديناراً ورُوِىَ

[1] Ms. ابن.
[2] Ms. بخيرا.
[3] Ms. يُسترى.

قَبْلَهُ الكوكبُ ذو الذنب ثم وقع بعده موتٌ ذريع أفنى كثيرًا
من الناس وظفِر المأمون بابرهيم بن المهدىّ فى زىّ امرأة يمشى بين
امرأتين فعفا عنه وآمنه ونادمه فقال ابرهيم [كامل]

إنّ الذى قسم المكارم حازها   من صُلب آدمَ للإمام السابعِ
عفوتَ عنّى لم يكن عن مثله   عفوٌ ولم يشفعْ إليك بشافعِ

وغزا الروم غير مرّة فافتتح منها حصوناً وقلاعاً ومات بها فحُمل
الى طرسوس وقال الشاعرُ [خفيف]

خلّفوه بعَرْصَتَىْ طرسوس   مثل ما خلّفوا أباه بطوسْ
هل رأيت النجوم أغنتْ عن المأ   مونِ أو عن وزيره المألوسْ

وتُوفّى سنة ثمان عشرة ومأيتين وكانت خلافته مُنذُ قُتل محمّد
عشرين سنة وعمره ثمانياً واربعين سنةً وكانت أمُّ المأمون باذغيسيّة
تُسمّى مراجِل وكان المأمون ضربه أبوه فى شىء فقال الرقاشى
يهجوه [رمل]

لم تَلِدْهُ أَمَةٌ تَعرِفُ فى السُوق التجارا
لا ولا حُدَّ ولا خا   ن ولا فى الحكم جارا

المواعظ والاعتبار
بذكر الخطط والآثار

المعروف بالخطط المقريزية

تأليف

تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة المثنى

بغداد

الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر وقال ابن المأمون وجلس الاجل يعنى الوزير المأمون فى مجلس الوزارة لتنفيذ الامور وعرض المطالعات وحضر الكتاب ومن جملتهم ابن أبى الليث كاتب الدفتر ومعه ما كان امر به من عمل جرائد الكسوة للشتاء بحكم حلوله وأوان تفرقتها فكان ما اشتمل عليه المنفق فيها السنة ست عشرة وخمسمائة من الاصناف أربعة عشر ألفا وثلثمائة وخمس قطع وان اكثر ما اتفق عن مثل ذلك فى الايام الافضلية فى طول مدتها السنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثمانية آلاف وسبعمائة وخمس وسبعون قطعة يكون الزائد عنها بحكم ما رسم به فى منفق سنة ست عشرة خمسة آلاف وستمائة وأربعا وثلاثين قطعة ووصلت الكسوة المختصة بالعيد فى آخر الشهر وقد تضاعفت عما كانت عليه فى الايام الافضلية لهذا الموسم وهى تشتمل على ذهوب وسلف دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلل لان الحلل فيه تعم الجماعة وفى غيره للاعيان خاصة فأحضر الامير افتخار الدولة مقدم خزانة الكسوة الخاص ليتسلم ما يختص بالخليفة وهو برسم الموكب بدلة خاص جليلة مذهبة ثوبها موشح مجاوم مذايل عدتها باللفافتين احدى عشرة قطعة السلف عنها مائة وستة وسبعون دينارا ونصف ومن الذهب العالى المغزول ثلثمائة وسبعة وخمسون مثقالا ونصف كل مثقال اجرة غزله ثمن دينار ومن الذهب العراقى ألفان وتسعمائة وأربع وتسعون قصبة * تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا منديل بعمود ذهب السلف سبعون وألفان ومائتان وخمسون قصبة ذهبا عراقيا فان كان الذهب نظير المصرى كان الذى يرقم فيه ثلثمائة وخمسة وعشرين مثقالا لان كل مثقال نظير تسع قصبات ذهبا عراقيا وسط سرب بطانة للمنديل السلف عشرة دنانير وسبعون قصبة ذهبا عراقيا ثوب موشح مجاوم مطرف السلف خمسون دينارا وثلثمائة وأحد وخمسون مثقالا ونصف ذهبا عاليا اجرة كل مثقال ثمن دينار تكون جملة مبلغه وقيمة ذهبه ثلثمائة وأربعة وتسعين دينارا ونصفا ثوب ديبقى حريرى وسطانى السلف اثنا عشر دينارا غلالة ديبقى حريرى السلف عشرون دينارا منديل كم اول مذهب السلف خمسة دنانير ومائتان وأربع قصبات ذهبا عراقيا منديل كم ثان حريرى السلف خمسة دنانير حجرة السلف أربعة دنانير عرضى مذهب السلف خمسة دنانير وخمسة عشر مثقالا ذهبا عاليا عرضى لفافة للتخت دينار واحد ونصف بدلة ثانية برسم الجلوس على السماط عدتها باللفافتين عشر قطع السلف مائة وأربعة عشر دينارا ومن الذهب العالى خمسة وخمسون مثقالا ومن الذهب العراقى سبعمائة وأربعون قصبة تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا منديل السلف ستون دينارا وستمائة قصبة ذهبا عراقيا شقة وكم السلف ستة عشر دينارا وخمسة وخمسون مثقالا ذهبا عاليا اجرة كل مثقال ثمن دينار شقة ديبقى حريرى وسطانى اثنا عشر دينارا شقة ديبقى غلالة ثمانية دنانير منديل الكم الحريرى خمسة دنانير حجرة أربعة دنانير عرضى خمسة دنانير عرضى برسم التخت دينار واحد ونصف وهذه البدلة لم تكن فيما تقدم فى ايام الافضل لانه لم يكن ثم سماط يجلس عليه الخليفة فانه كان قد نقل ما يعمل فى القصور من الاسمطة والدواوين الى داره فصار يعمل هنالك ما هو برسم الاجل أبى الفضل جعفر أخى الخليفة الآمر بدلة مذهبة مبلغها تسعون دينارا ونصف وخمسة وعشرون مثقالا ذهبا عاليا وأربعمائة وسبعون قصبة ذهبا عراقيا تفصيل ذلك منديل السلف خمسون دينارا وأربعمائة وسبعون قصبة ذهبا عراقيا شقة ديبقى حريرى وسطانى السلف عشرة دنانير شقة غلالة ديبقى السلف ثمانية دنانير حجرة ثلاثة دنانير وثلث عرضى ديبقى ثلاثة دنانير الجهة العالية بالدار الجديدة التى يقوم بخدمتها جوهر حلة مذهبة موشح مجاوم مذايل مطرف عدتها خمس عشرة قطعة سلفها ستة آلاف وثلثمائة وثلاثون قصبة تفصيل ذلك مذهب مكلف موشح مجاوم السلف خمسة عشر دينارا وستمائة وستون قصبة سداسى مذهب السلف ثمانية عشر دينارا ومائتا قصبة معجر أول مذهب موشح مجاوم مطرف السلف خمسون دينارا وألف وتسعمائة قصبة معجر ثان حريرى السلف خمسة وثلاثون دينارا ونصف رداء حريرى اول السلف عشرة دنانير ونصف رداء حريرى ثان السلف تسعة دنانير دراعة موشح مجاوم مذايل مذهبة السلف خمسة وتسعون دينارا ومن الذهب العراقى ألفان وستمائة وخمس وخمسون قصبة شقة ديبقى حريرى وسطانى السلف عشرون دينارا ونصف شقة ديبقى بغير رقم برسم عز التفصيل ثلاثة دنانير ملاءة ديبقى السلف أربعة وعشرون دينارا وستمائة قصبة منديل

قوله بدلة خاص الخ ما ذكره فى هذه البدلة وما بعدها من الكسوات والحلل تفصيلا فى الغالب لم يوافق اجماله على مقتضى ما بيدى من النسخ ولا يخفى ما فى عباراته فى هذا المقام وأمثاله من القلق ومخالفة العربية اه مصححه

كم اول السلف ستة دنانير ومائة وستون قصبة منديل كم ثان السلف خمسة دنانير ومائة وستون قصبة منديل كم ثالث السلف خمسة دنانير حجرة ثلاثة دنانير عرضى ديبقى ثلاثة دنانير جهة مكنون القاضى بمثل ذلك على الشرح والعدة جهة مرشد حلة مذهبة عدتها أربع عشرة قطعة السلف مائة وأحد وأربعون دينارا ومن الذهب العراقى ألف وستمائة وتسع وثمانون قصبة جهة عنبر مثل ذلك السيدة جهة ظل مثل ذلك جهة منجب مثل ذلك الامير ابو القاسم عبد الصمد بدلة مذهبة الامير داود مثله السيدة العمة حلة مذهبة السيدة العابدة العمة مثل ذلك الموالى الجلساء من بنى الاعمام وهم ابو الميمون بن عبد المجيد والامير ابو اليسر ابن الامير محسن والامير أبو على ابن الامير جعفر والامير حيدرة ابن الامير عبد المجيد والامير موسى ابن الامير عبد الله والامير أبو عبد الله ابن الامير داود لكل منهم بدلة مذهبة البنون والبنات من بنى الاعمام غير الجلساء لكل منهم بدلة حريرى ست سيدات لكل منهن حلة حريرى جهة المولى ابى الفضل جعفر التى يقوم بخدمتها ريحان حلة مذهبة جهة المولى عبد الصمد حلة حريرى ما يختص بالدار الجيوشية والمظفرية فعلى ما كان بأسمائهم المستخدمات بخزانة الكسوة الخاص زين الخزان المتقدمة حلة مذهبة ست خزان لكل منهن حلة حريرى عشر وقافات لكل منهن كذلك المملة مقدمة المائدة كذلك رايات مقدمة خزانة الشراب كذلك المستخدمات من أرباب الصنائع من القصوريات وممن انضاف اليهن من الافضليات مائة وسبعون حلة مذهبة وحريرى على التفصيل المتقدم المستخدمات عند الجهات العالية جهة جوهر عشرون حلة مذهبة وحريرى وكذلك المستخدمات عند مكنون الامراء الاستاذون المحنكون الامير الثقة زمام القصور بدلة مذهبة الامير نسيب الدولة مرشد متولى الدفتر كذلك الامير خاصة الدولة ريحان متولى بيت المال كذلك الامير عظيم الدولة وسيفها حامل المظلة كذلك الامير صارم الدولة صاف متولى الستر كذلك وفى الدولة اسعاف متولى المائدة مثله الامير افتخار الدولة جندب بدلة مذهبة نظير البدلة المختصة بالامير الثقة ولكل من غير هؤلاء المذكورين حلة حريرى أربع قطع ولفافة فوطة مختار الدولة ظل بدلة حريرى ستة استاذين فى خزانة الكسوة الخاص عند الامير افتخار الدولة جندب لكل منهم بدلة مذهبة جوهر زمام الدار الجديدة بدلة حريرى تاج الملك امين بيت المال مثله مفلح برسم الخدمة فى المجلس مثله مكنون متولى خدمة الجهة العالية مثله فنون متولى خدمة التربة مثله مرشد الخاصى مثله النواب عن الامير الثقة فى زمام القصور وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى خسروانى لعظمى مقدم خزانة الشراب ورفيقه لكل منهما بدلة كذلك الصقالبة أرباب المذاب وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى وشقة وفوطة نائب الستر مثل ذلك الاستاذون برسم خدمة المظلة وعدتهم خمسة لكل منهم منديل سوسى وشقة دمياطى وشقة اسكندرانى وفوطة الاستاذون الشداذون برسم الدواب وعدتهم ستة كذلك ما حمل برسم السيد الاجل المأمون يعنى الوزير بدلة خاصة مذهبة كبيرة موكبية عدتها احدى عشرة وما هو برسم جهاته وبرسم اولاده الاجل تاج الرياسة وتاج الخلافة وسعد الملك محمود وشرف الخلافة جمال الملك موسى وهو صاحب التاريخ نظير ما كان باسم اولاد الافضل بن امير الجيوش وهم حسن وحسين واحمد الاجل المؤتمن سلطان الملوك يعنى أخا الوزير عن تقدمة العساكر وزم الازمة وبرسم الجهة المختصة به وركن الدولة عز الملوك ابو الفضل جعفر من حل السيف الشريف خارجا عما له من جباية خزانة الكسوات وصناديق النفقات وما يحمل أيضا للخزائن المأمونية مما ينفق منها على من يحسن فى الرأى من الحاشية المأمونية ثلاثون بدلة الشيخ الاجل ابو الحسن بن ابى اسامة كاتب الدست الشريف بدلة مذهبة عدتها خمس قطع وكم وعرضى الامير فخر الخلافة حسام الملك متولى حجبة الباب بدلة مذهبة كذلك القاضى ثقة الملك ابن النائب فى الحكم بدلة مذهبة عدتها أربع قطع وكم وعرضى الشيخ الداعى ولى الدولة بن أبى الحقيق بدلة مذهبة الامير الشريف ابو على احمد بن عقيل نقيب الاشراف بدلة حريرى ثلاث قطع وفوطة الشريف انس الدولة متولى ديوان الانشاء بدلة كذلك ديوان المكاتبات الشيخ ابو الرضى ابن الشيخ الاجل أبى الحسن النائب عن والده فى الديوان المذكور بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم ابو المكارم هبة الله اخوه بدلة مذهبة ثلاث قطع وفوطة ابو محمد حسن أخوهما كذلك أخوهم ابو الفتح بدلة حريرى قطعتان وفوطة الشيخ ابو الفضل يحيى بن سعيد الندى منشئ ما يصدر عن

فى النيل * وهذه البلاد بين افريقية وبرقة ممتدة فى الجنوب الى سمت الغرب الاوسط وهى بلاد قحط وشظف وسوء مزاج واوّل من بث بها الاسلام الهادى العثمانى ادّعى انه من ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه وصارت بعده لليزنيين من بنى سيف بن ذى يزن وهم على مذهب الامام مالك بن أنس رحمه الله والعدل قائم بينهم وهم يابسون فى الدين لا يلينون وبنوا بمدينة مصر مدرسة للمالكية عرفت بمدرسة ابن رشيق فى سنى أربعين وستمائة وصارت وفودهم تنزل بها وسيرد ذكرها فى المدارس ان شاء الله تعالى

(ذكر البجه ويقال انهم من البربر)

اعلم أن أوّل بلد البجه من قرية تعرف بالخربة معدن الزمرّذ فى صحراء قوص وبين هذا الموضع وبين قوص نحو من ثلاث مراحل وذكر الجاحظ انه ليس فى الدنيا معدن للزمرّذ غير هذا الموضع وهو يوجد فى مغاير بعيدة مظلمة يدخل اليها بالمصابيح وبحبال يستدل بها على الرجوع خوف الضلال ويحفر عليه بالمعاول فيوجد فى وسط الحجارة وحوله غشيم دونه فى الصبغ والجوهر وآخر بلاد البجه أوّل بلاد الحبشة وهم فى بطن هذه الجزيرة أعنى جزيرة مصر الى سيف البحر الملح مما يلى جزائر سواكن وباضع ودهلك وهم بادية يتبعون الكلأ حيثما كان الرعى بأخبية من جلود وأنسابهم من جهة النساء ولكل بطن منهم رئيس وليس عليهم متملك ولا لهم دين وهم يورثون ابن البنت وابن الاخت دون ولد الصلب ويقولون ان ولادة ابن الاخت وابن البنت اصح فانه ان كان من زوجها أو من غيره فهو ولدها على كل حال وكان لهم قديما رئيس يرجع جميع رؤسائهم الى حكمه يسكن قرية تعرف بهجر هى أقصى جزيرة البجه ويركبون النجب الصهب وتنتج عندهم وكذلك الجمال العراب كثيرة عندهم أيضا والمواشى من البقر والغنم والضأن غاية فى الكثرة عندهم وبقرهم حسان ملمعة بقرون عظام ومنها جمّ وكباشهم كذلك مثمرة والها ألبان وغذاؤهم اللحم وشرب اللبن وأكلهم للحبّ قليل وفيهم من يأكله وأبدانهم صحاح وبطونهم خماص وألوانهم مشرقة الصفرة ولهم سرعة فى الجرى يباينون بها الناس وكذلك جمالهم شديدة العدو صبورة عليه وعلى العطش يسابقون عليها الخيل ويقاتلون عليها وتدور بهم كما يشتهون ويقطعون عليها من البلاد ما يتفاوت ذكره ويتطاردون عليها فى الحرب فيرمى الواحد منهم الحربة فان وقعت فى الرمية طار اليها الجمل فأخذها صاحبها وان وقعت فى الارض ضرب الجمل بجرانه الارض فأخذها صاحبها ونبغ منهم فى بعض الاوقات رجل يعرف بكلاز شديد مقدام وله جمل ما سمع بمثله فى السرعة وكان أعور وصاحبه كذلك التزم لقومه انه يشرف على مصلى مصر يوم العيد وقد قرب العيد قربا لا يكون للبلوغ اليها فى مثله حقيقة فوفى بذلك وأشرف على المقطم وضربت الخيل خلفه فلم يلحق وهذا هو الذى أوجب أن يكون فى السفح طليعة يوم العيد وكان الطولونية وغيرهم من أمراء مصر يوقفون فى سفح الجبل المقطم مما يلى الموضع المعروف بالحبش جيشا كثيفا مراعيا للناس حتى ينصرفوا من عيدهم فى كل عيد وهم أصحاب ذمّة فاذا غدر أحدهم رفع المغدور به ثوبا على حربة وقال هذا عرش فلان يعنى ابا الغادر فتصير سبّة عليه الى أن يترضاه وهم يبالغون فى الضيافة فاذا طرق أحدهم الضيف ذبح له فاذا تجاوز ثلاثة نفر نحر لهم من أقرب الانعام اليه سواء كانت له أو لغيره وان لم يكن شئ نحر راحلة الضيف وعوّضه ما هو خير منها وسلاحهم الحراب السباعية مقدار طول الحديدة ثلاثة أذرع والعود أربعة أذرع وبذلك سميت سباعية والحديدة فى عرض السيف لا يخرجونها من أيديهم الا فى بعض الاوقات لانّ فى آخر العود شيأ شبيها بالفلكة يمنع خروجها عن أيديهم وصناع هذه الحراب نساء فى موضع لا يختلط بهنّ رجل الا المشترى منهنّ فاذا ولدت احداهنّ من الطارقين لهنّ جارية استحيتها وان ولدت غلاما قتلته ويقلن ان الرجال بلاء وحرب ودرقهم من جلود البقر مشعرة ودرق مقلوبة تعرف بالاكسومة من جلود الجواميس وكذلك الدهلكية ومن دابة فى البحر وقسيهم عربية كبار غلاظ من السدر والشوحط يرمون عليها بنبل مسموم وهذا السم يعمل من عروق شجر الغلف يطبخ على النار حتى يصير مثل الغرا فاذا أرادوا تجربته شرط أحدهم جسده وسيل الدم ثم شممه هذا السم فاذا تراجع الدم علم انه جيد ومسح الدم لئلا يرجع الى جسمه فيقتله فاذا أصاب الانسان قتل لوقته ولو مثل شرطة الحجام وليس له عمل فى غير الجرح والدم وان شرب منه لم يضرّ وبلدانهم كلها معادن وكلما تصاعدت كانت أجود ذهبا وأكثر وفيها معادن الفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغنيطيس والمرقشيتا والجمست والزمرّذ وحجارة شطبا فاذا بلت الشطبة منها بزيت وقدت

مثل الفتيلة وغير ذلك مما شغلهم طلب معادن الذهب عما سواه والبجه لا تتعرض لعمل شئ من هذه المعادن وفى أوديتهم شجر المقل والاهليلج والاذخر والشيح والسنا والحنظل وشجر البان وغير ذلك وبأقصى بلدهم النخل وشجر الكرم والرياحين وغير ذلك مما لم يزرعه أحد وبها سائر الوحش من السباع والفيلة والنمور والفهود والقردة وعناق الارض والزباد ودابة تشبه الغزال حسنة المنظر لها قرنان على لون الذهب قليلة البقاء اذا صيدت ومن الطيور الببغا والنقط والنوبى والقمارى ودجاج الحبش وحمام بازين وغير ذلك وليس منهم رجل الا منزوع البيضة اليمنى وأما النساء فمقطوع أشفار فروجهنّ وانه يلتحم حتى يشق عنه للمتزوج بمقدار ذكر الرجل ثم قيل هذا الفعل عندهم وقيل ان السبب فى ذلك أن ملكا من الملوك حاربهم قديما ثم صالحهم وشرط عليهم قطع ثدى من يولد لهم من النساء وقطع ذكور من يولد من الرجال أراد بذلك قطع النسل منهم فوفوا بالشرط وقلبوا المعنى فى أن جعلوا قطع الثدى للرجال والفروج للنساء وفيهم جنس يقلعون ثناياهم ويقولون لا نتشبه بالحمير وفيهم جنس آخر فى آخر بلاد البجه يقال لهم البازة نساء جميعهم يتسمون باسم واحد وكذلك الرجال فطرقهم فى وقت رجل مسلم له جمال فدعا بعضهم بعضا وقالوا هذا الله قد نزل من السماء وهو جالس تحت الشجرة فجعلوا ينظرون اليه من بعد * وتعظم الحيات ببلدهم وتكثر أصنافها ورئيت حية فى غدير ماء قد أخرجت ذنبها والتفت على امرأة وردت فقتلتها فروئى شعرها قد خرج من دبرها من شدّة الضغطة وبها حية ليس لها رأس وطرفاها سواء منقشة ليست بالكبيرة اذا مشى الانسان على أثرها مات واذا قتلت وأمسك القاتل ما قتلها به من عود أو حربة فى يده ولم يلقه من ساعته مات وقتلت حية منها بخشبة فانشقت الخشبة واذا تأمّل هذه الحية أحد وهى ميتة أو حية أصابه ضررها وفى البجه نفر ونسرع اليه واهم فى الاسلام وقبله اذية على شرق صعيد مصر وخربوا هنالك قرى عديدة وكانت فراعنة مصر تغزوهم وتوادعهم أحيانا لحاجتهم الى المعادن وكذلك الروم لما أن ملكوا مصر ولهم فى المعادن آثار مشهورة وكان أصحابهم بها وقد فتحت مصر * قال عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم وتجمع لعبد الله بن سعد بن أبى سرح فى انصرافه من النوبة على شاطئ النيل البجه فسأل عن شأنهم فأخبر أن ليس لهم ملك يرجعون اليه فهان عليه أمرهم وتركهم فلم يكن لهم عقد ولا صلح وكان أوّل من هادنهم عبيد الله بن الحبحاب السلولى ويذكر أنه وجد فى كتاب ابن الحبحاب لهم ثلثمائة بكر فى كل عام حين ينزلون الريف مجتازين تجارا غير مقيمين على أن لا يقتلوا مسلما ولا ذمّيا فان قتلوه فلا عهد لهم ولا يؤوا عبيد المسلمين وان يردّوا آبقيهم اذا وقعوا اليهم ويقال انهم كانوا يأخذون بهذا وبكل شاة أخذها البجاوى فعليه أربعة دنانير وللبقرة عشرة وكان وكيلهم مقيما بالريف رهينة بيد المسلمين ثم كثر المسلمون فى المعدن فخالطوهم وتزوّجوا فيهم وأسلم كثير من الجنس المعروف بالحداربة اسلاما ضعيفا وهم شوكة القوم ووجوههم وهم مما يلى مصر من اوّل حدّهم الى العلاقى وعيذاب المعبر منه الى جدّة وما وراء ذلك ومنهم جنس آخر يعرفون بالزنافج هم أكثر عددا من الحداربة غير أنهم تبع لهم وخفراؤهم يحموهم ويحبونهم المواشى ولكل رئيس من الحداربة قوم من الزنافج فى حملته فهم كالعبيد يتوارثونهم بعد أن كانت الزنافج قديما أظهر عليهم ثم كثرت اذيتهم على المسلمين وكان ولاة اسوان من العراق فرفع الى أمير المؤمنين المأمون خبرهم فأخرج اليهم عبد الله بن الجهم فكانت له معهم وقائع ثم وادعهم وكتب بينه وبين كنون رئيسهم الكبير الذى يكون بقريتهم هجر المقدّم ذكرها كتابا نسخته هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الامير أبى اسحق بن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله فى شهر ربيع الاوّل سنة ست عشرة ومائتين لكنون بن عبد العزيز عظيم البجه بأسوان انك سألتنى وطلبت الىّ أن أؤمنك وأهل بلدك من البجه وأعقد لك ولهم أمانا علىّ وعلى جميع المسلمين فأجبتك الى أن عقدت لك وعلى جميع المسلمين أمانا ما استقمت واستقاموا على ما أعطيتنى وشرطت لى فى كتابى هذا وذلك أن يكون سهل بلدك وجبلها من منتهى حدّ اسوان من أرض مصر الى حدّ ما بين دهلك وباضع ملكا للمأمون عبد الله بن هرون أمير المؤمنين أعزه الله تعالى وأنت وجميع أهل بلدك عبيد لامير المؤمنين الا انك تكون فى بلدك ملكا على ما أنت عليه فى البجه وعلى أن تؤدّى اليه الخراج فى كل عام على ما كان عليه سلف البجه وذلك مائة من الابل أو ثلثمائة دينار وازنة داخلة فى بيت المال والخيار فى ذلك لامير المؤمنين ولولاته وليس لك أن تخرم شيأ عليك من الخراج وعلى أنّ كل أحد منكم ان ذكر محمدا رسول الله صلى

فلم يستطع أن يخرج بجنازته الى المقبرة لشغب الجند على مروان وجعل مروان صلات مصر وخراجها الى ابنه عبد العزيز وسار وقد أقام بها شهرين لهلال رمضان (عبد العزيز بن مروان) بن الحكم بن ابى العاص ابو الاصبغ ولى من قبل ابيه لهلال رجب سنة خمس وستين على الصلات والخراج ومات ابوه وبويع من بعده عبد الملك بن مروان فأقرّ أخاه عبد العزيز ووقع الطاعون بمصر سنة سبعين فخرج عبد العزيز منها ونزل حلوان فاتخذها دارا وسكنها وجعل بها الاعوان وبنى بها الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة وغرس نخلها وكرمها وعرّف بمصر وهو أول من عرّف بها في سنة احدى وسبعين وجهز البعث فى البحر لقتال ابن الزبير فى سنة اثنتين وسبعين ثم مات لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ست وثمانين فكانت ولايته عشرين سنة وعشرة اشهر وثلاثة عشر يوما فولى (عبد الله بن عبد الملك) بن مروان من قبل ابيه على صلاتها وخراجها فدخل يوم الاثنين لاحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وهو ابن تسع وعشرين سنة وقد تقدم اليه ابوه أن يقتفى آثار عمه عبد العزيز فاستبدل بالعمال وبالاصحاب ومات عبد الملك وبويع ابنه الوليد بن عبد الملك فأقرّ أخاه عبد الله وامر عبد الله فنسخت دواوين مصر بالعربية وكانت بالقبطية وفى ولايته غلت الاسعار فتشاءم الناس به وهى اول شدة رأوها بمصر وكان يرتشى ثم وفد على أخيه فى صفر سنة ثمان وثمانين واستخلف عبد الرحمن بن عمرو بن قحزم الخولانى ورأى اهل مصر فى شدة عظيمة ورفع سقف المسجد الجامع فى سنة تسع وثمانين ثم صرف فكانت ولايته ثلاث سنين وعشرة اشهر * فولى (قرة بن شريك) بن مرثد بن الحرث العبسى للوليد بن عبد الملك على صلات مصر وخراجها فقدمها يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة تسعين وخرج عبد الله بن عبد الملك من مصر بكل ما ملكه فأحيط به فى الاردن وأخذ سائر ما معه وحمل الى أخيه وأمر الوليد بهدم ما بناه عبد العزيز فى المسجد فهدم اول سنة اثنتين وتسعين وبنى واستنبط قرة بن شريك بركة الحبش من الموات وأحياها وغرس فيها القصب فقيل لها اصطبل قرة واصطبل القاش ثم مات وهو وال ليلة الخميس لست بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين واستخلف على الجند والخراج عبد الملك بن رفاعة فكانت ولايته ست سنين واياما * ثم ولى (عبد الملك بن رفاعة) بن خالد بن ثابت الفهمى من قبل الوليد ابن عبد الملك على صلاتها وتوفى الوليد واستخلف سليمان بن عبد الملك فأقرّ ابن رفاعة وتوفى سليمان وبويع عمر بن عبد العزيز فعزل ابن رفاعة فكانت ولايته ثلاث سنين * ثم ولى (ايوب بن شرحبيل) بن اكسوم بن ابرهة ابن الصباح من قبل عمر بن عبد العزيز على صلاتها فى ربيع الاول سنة تسع وتسعين فورد كتاب امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بالزيادة فى اعطيات الناس عامة وبخمر الخمر وكسرت وعطلت حاناتها وقسم للغارمين بخمسة وعشرين ألف دينار ونزعت مواريث القبط عن الكور واستعمل المسلمون عليها ومنع الناس الحمامات وتوفى عمر بن عبد العزيز واستخلف يزيد بن عبد الملك فأقرّ أيوب على الصلات الى أن مات لاحدى عشرة وقيل لسبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفا * فولى (بشر بن صفوان) الكلبى من قبل يزيد بن عبد الملك قدمها لسبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة وفى امرته نزل الروم تنيس ثم ولاه يزيد على افريقية فخرج اليها فى شوال سنة اثنتين ومائة واستخلف اخاه حنظلة * فولى (حنظلة ابن صفوان) باستخلاف أخيه فأقره يزيد بن عبد الملك وخرج الى الاسكندرية فى سنة ثلاث ومائة واستخلف عقبة بن مسلمة التجيبى وكتب يزيد بن عبد الملك فى سنة اربع ومائة بكسر الاصنام والتماثيل فكسرت كلها ومحيت التماثيل ومات يزيد بن عبد الملك وبويع هشام بن عبد الملك فصرف حنظلة فى شوال سنة خمس ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين * وولى (محمد بن عبد الملك بن مروان) بن الحكم من قبل اخيه هشام بن عبد الملك على الصلات فدخل مصر لاحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس ومائة ووقع وباء شديد بمصر فترفع محمد الى الصعيد هاربا من الوباء اياما ثم قدم وخرج عن مصر لم يلها الا نحوا من شهر وانصرف الى الاردن * فولى (الحر بن يوسف) بن يحيى بن الحكم من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها فدخل لثلاث خلون من ذى الحجة سنة خمس ومائة وفى امرته كان اول انتقاض القبط فى سنة سبع ومائة ورابط بدمياط ثلاثة اشهر ثم وفد الى هشام بن عبد الملك فاستخلف حفص بن الوليد وقدم فى ذى القعدة من سنة سبع وانكشف النيل عن الارض فبنى فيها وصرف فى ذى القعدة سنة ثمان ومائة باستعفائه لمغاضبة كانت بينه وبين عبد الله

ابن

ابن الحبحاب متولى خراج مصر فكانت ولايته ثلاث سنين سواء * وولى (حفص بن الوليد) بن سيف بن عبد الله من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد جمعتين يوم الاضحى بشكوى ابن الحبحاب منه وقيل صرف سلخ ثمان ومائة * فولى (عبد الملك بن رفاعة) ثانيا على الصلات فقدم من الشام عليلا لثنتى عشرة بقيت من المحرم سنة تسع ومائة وكان اخوه الوليد يخلفه من اول المحرم وقيل بل ولى اول المحرم ومات للنصف منه وكانت ولايته خمس عشرة ليلة * ثم ولى اخوه (الوليد بن رفاعة) باستخلاف اخيه فأقره هشام بن عبد الملك على الصلات وفى ولايته نقلت قيس الى مصر ولم يكن بها احد منهم وخرج وهيب اليحصبى شاردا فى سنة سبع عشرة ومائة من اجل أن الوليد اذن للنصارى فى ابتناء كنيسة بومنا الحمراء وتوفى وهو وال اول جمادى الآخرة سنة سبع عشرة واستخلف عبد الرحمن بن خالد فكانت امرته تسع سنين وخمسة اشهر * فولى (عبد الرحمن ابن خالد) بن مسافر الفهمى ابو الوليد من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها وفى امرته نزل الروم على تروجة فحاصروها ثم اقتتلوا فأسروا فصرفه هشام فكانت ولايته سبعة اشهر * وولى (حنظلة بن صفوان ثانيا) فقدم لخمس خلون من المحرم سنة تسع ومائة فانتقض القبط وحاربهم فى سنة احدى وعشرين ومائة وقدم رأس زيد بن على الى مصر فى سنة اثنتين وعشرين ومائة ثم ولاه هشام افريقية فاستخلف حفص بن الوليد بامرة هشام وخرج لسبع خلون من ربيع الآخر سنة اربع وعشرين ومائة فكانت ولايته هذه خمس سنين وثلاثة اشهر * وولى (حفص بن الوليد) الحضرمى ثانيا باستخلاف حنظلة له على صلاتها فأقره هشام بن عبد الملك الى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة اربع وعشرين فجمع له الصلات والخراج جميعا واستسقى بالناس وخطب ودعا ثم صلى بهم ومات هشام بن عبد الملك واستخلف من بعده الوليد بن يزيد فأقرّ حفصا على الصلات والخراج ثم صرف عن الخراج بعيسى بن ابى عطاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائة وانفرد بالصلات ووفد على الوليد بن يزيد واستخلف عقبة بن نعيم الرعينى وقتل الوليد بن يزيد وحفص بالشام وبويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأمر حفصا باللحاق بجنده وأمّره على ثلاثين ألفا وفرض الفروض وبعث بيعة اهل مصر الى يزيد بن الوليد ثم توفى يزيد وبويع ابراهيم بن الوليد وخلعه مروان بن محمد الجعدى فكتب حفص يستعفيه من ولاية مصر فأعفاه مروان فكانت ولاية حفص هذه ثلاث سنين الا اشهرا * وولى (حسان بن عتاهية) بن عبد الرحمن التجيبى وهو بالشام فكتب الى خير بن نعيم باستخلافه فسلم حفص الى خير ثم قدم حسان لثنتى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة على الصلات وعيسى بن ابى عطاء على الخراج فأسقط حسان فروض حفص كلها فوثبوا به وقالوا لا نرضى الا بحفص وركبوا الى المسجد ودعوا الى خلع مروان وحصروا حسان فى داره وقالوا له اخرج عنا فانك لا تقيم معنا ببلد وأخرجوا عيسى بن ابى عطاء صاحب الخراج وذلك فى آخر جمادى الآخرة وأقاموا حفصا فكانت ولاية حسان ستة عشر يوما * فولى (حفص بن الوليد) الثالثة كرها اخذه قواد الفروض بذلك فأقام على مصر رجب وشعبان ولحق حسان بمروان وقدم حنظلة بن صفوان من افريقية وقد أخرجه اهلها فنزل الجيزة وكتب مروان بولايته على مصر فامتنع المصريون من ولاية حنظلة وأظهروا الخلع وأخرجوا حنظلة الى الحوف الشرقى ومنعوه من المقام بالفسطاط وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين يريد الفسطاط فحاربوه وهزموه وسكت مروان عن مصر بقية سنة سبع وعشرين ومائة ثم عزل حفصا مستهل سنة ثمان وعشرين * وولى (الحوثرة بن سهيل) بن العجلان الباهلى فسار اليها فى آلاف وقدم أول المحرم وقد اجتمع الجند على منعه فأبى عليهم حفص فخافوا حوثرة وسألوه الامان فأمنهم ونزل ظاهر الفسطاط وقد اطمأنوا اليه فخرج اليه حفص ووجوه الجند فقبض عليهم وقيدهم فانهزم الجند ودخل معه عيسى بن ابى عطاء على الخراج لثنتى عشرة خلت من المحرم وبعث فى طلب رؤساء الفتنة فجمعوا اليه وضرب أعناقهم وقتل حفص بن الوليد ثم صرف فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين ومائة وبعثه مروان الى العراق فقتل واستخلف على مصر حسان بن عتاهية وقيل ابا الجراح بشر بن اوس وخرج لعشر خلون من رجب وكانت ولايته ثلاث سنين وستة اشهر * ثم ولى (المغيرة بن عبيد الله) بن المغيرة الفزارى على الصلات من قبل مروان فقدم لست بقين من رجب سنة احدى وثلاثين وخرج الى الاسكندرية واستخلف ابا الجراح الحرشى وتوفى لثنتى عشرة خلت من جمادى الاولى

ذى الحجة وأقام مونس يدعى ويخاطب بالاستاذ ثم ولى (ذكا الرومى) ابو الحسن الاعور من قبل المقتدر
على الصلات فدخل لثنتى عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلثمائة وخرج مونس بجميع جيوشه لثمان خلون
من ربيع الآخر وخرج ذكا الى الاسكندرية فى المحرم سنة اربع وثلثمائة ثم عاد فى ثامن ربيع الاول وتتبع
كل من يومأ اليه بمكاتبة المهدى صاحب افريقية فسجن منهم وقطع ايدى اناس وارجلهم وجلا اهل لوبية
ومراقية الى الاسكندرية خوفا من صاحب برقة وسير العساكر الى الاسكندرية ثم فسد ما بينه وبين الرعية
بسبب سب الصحابة رضى الله عنهم وسب القرءان وقدمت عساكر المهدى صاحب افريقية الى لوبية
ومراقية عليها ابو القاسم فدخل الاسكندرية ثامن صفر سنة سبع وثلثمائة وفر الناس من مصر الى الشام
فى البر والبحر فهلك اكثرهم وأخرج ذكا الجند المخالفون له فعسكر بالجيزة وقدم ابو الحسن بن احمد المادرانى
واليا على الخراج فوضع العطاء وجد ذكا فى أمر الحرب واحتفر خندقا على عسكره بالجيزة فمرض ومات
لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول بالجيزة فكانت امرته اربع سنين وشهرا فولى (تكين) مرة ثانية
من قبل المقتدر وقدمت جيوش العراق عليها محمود بن حمل وابراهيم بن كيغلغ فى ربيع الاول ودخل تكين
لاحدى عشرة خلت من شعبان فنزل الجيزة وحفر خندقا ثانيا وأقبلت مراكب المغرب فظفر بها فى شوال
وقدم مونس الخادم من بغداد بعساكره لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وثلثمائة فنزل الجيزة وكان فى نحو ثلاثة
آلاف وسير ابن كيغلغ الى الاشمونين فمات بالبهنساء اول ذى القعدة وملك اصحاب المهدى الفيوم وجزيرة
الاشمونين فقدم جنى الخادم من بغداد فى عسكر آخر ذى الحجة فعسكر بالجيزة فكانت حروب مع اصحاب
المهدى بالفيوم والاسكندرية ورجع ابو القاسم بن المهدى الى برقة وصرف تكين لثلاث عشرة خلت من
ربيع الاول سنة تسع وثلثمائة فولى مونس (أبا قابوس محمود بن حمل) فأقام ثلاثة ايام وعزله ورد تكين لخمس
بقين من ربيع الاول ثم صرفه بعد أربعة ايام وأخرجه الى الشام فى أربعة آلاف من اهل الديوان ثم ولى (هلال
ابن بدر) من قبل المقتدر على الصلات فدخل لست خلون من ربيع الآخر وخرج مونس لثمان عشرة خلت
منه ومعه ابن حمل فشغب الجند على هلال وخرجوا الى منية الاصبغ ومعهم محمد بن طاهر صاحب الشرط
فكثر النهب والقتل والفساد بمصر الى أن صرف عنها فى ربيع الآخر سنة احدى عشره وثلثمائة وخرج فى نفر
من اصحابه فولى (احمد بن كيغلغ) من قبل المقتدر على الصلات وقدم ابنه ابو العباس خليفة له اول جمادى
الاولى ثم قدم ومعه محمد بن الحسين بن عبد الوهاب المادرانى على الخراج فى رجب فأحضر الجند ووضع
العطاء وأسقط كثيرا من الرجالة وكان ذلك بمنية الاصبغ فثار الرجالة به ففر الى فاقوس وأدخل المادرانى الى
المدينة لثمان خلون من شوال واقام ابن كيغلغ بفاقوس الى أن صرف بقدوم رسول تكين فى ثالث ذى القعدة
فولى (تكين) المرة الثالثة من قبل المقتدر على الصلات وخلفه ابن منجور الى أن قدم يوم عاشوراء سنة اثنتى
عشرة وثلثمائة فأسقط كثيرا من الرجالة وكانوا اهل الشر والنهب ونادى ببراءة الذمة ممن أقام منهم بالفسطاط
وصلى الجمعة فى دار الامارة بالعسكر وترك حضور الجمعة فى مسجد العسكر والمسجد الجامع العتيق فى سنة
سبع عشرة ولم يصل قبله أحد من الامراء فى دار الامارة الجمعة ثم قتل المقتدر فى شوال سنة عشرين وبويع
ابو منصور القاهر بالله فأقر تكين حتى مات فى سادس عشر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلثمائة فحمل
الى بيت المقدس وكانت امرته هذه تسع سنين وشهرين وخمسة ايام فقام ابنه محمد بن تكين موضعه وقام ابو بكر
محمد بن على المادرانى بأمر البلد كله ونظر فى اعماله فشغب الجند عليه فى طلب أرزاقهم وأحرقوا دوره ودور
أهله فخرج ابن تكين الى منية الاصبغ فبعث اليه المادرانى يأمره بالخروج من أرض مصر وعسكر بباب
المدينة وأقام هنالك بعد ما رحل ابن تكين الى سلخ ربيع الاول فلحق ابن تكين بدمشق ثم أقبل يريد مصر فنعه
المادرانى ثم ولى (محمد بن طفج) بن جف الفرغانى ابو بكر من قبل القاهر بالله على الصلات فورد كتابه
لسبع خلون من رمضان سنة احدى وعشرين ودعى له وهو بدمشق مدة اثنين وثلاثين يوما الى أن قدم رسول
(احمد بن كيغلغ) بولايته الثانية من قبل القاهر بالله لتسع خلون من شوال واستخلف أبا الفتح بن عيسى
النوشرى فشغب الجند فى أرزاقهم على المادرانى صاحب الخراج فاستتر منهم فأحرقوا دوره ودورا هله
وكانت فتن قتل فيها جماعة الى أن أتاهم محمد بن تكين من فلسطين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين

وعشرين

وعشرين فأنكر المادرانى ولايته وتعصب له طائفة ودعى له بالامارة وخرج قوم الى الصعيد فيهم ابن النوشرى
فأقروه عليهم وهم على الدعاء لابن كيغلغ فنزل منية الاصبغ لثلاث خلون من رجب فلحق به كثير من
اصحاب تكين ففر ابن تكين ليلا ودخل ابن كيغلغ المدينة لست خلون منه وكان مقام ابن تكين بالفسطاط مائة
يوم واثنى عشر يوما وخلع القاهر وبويع ابو العباس الراضى بالله فعاد ابن تكين وأظهر أن الراضى ولاه فخرج اليه
العسكر وحاربوه فيما بين بلبيس وفاقوس فانهزم وجىء به الى المدينة فحمل الى الصعيد فورد الخبر بأن محمد بن
طفج سار الى مصر بولاية الراضى له فبعث اليه ابن كيغلغ بجيش ليمنعوه من دخول الفرما فأقبلت مراكب ابن
طفج الى تنيس وسارت مقدمته فى البر وكانت بينهما حروب فى تاسع عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين كانت
لاصحاب ابن طفج وأقبلت مراكبه الى الفسطاط سلخ شعبان واقبل فعسكر ابن كيغلغ للنصف من رمضان
ولاقاه لسبع بقين منه فسلم ابن كيغلغ الى محمد بن طفج من غير قتال وولى (محمد بن طفج) الثانية من قبل
الراضى على الصلات والخراج فدخل لست بقين من رمضان وقدم ابو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن فرات
بالخلع لمحمد بن طفج وكانت حروب مع اصحاب ابن كيغلغ انهزموا منها الى برقة وساروا الى القائم بأمر الله محمد بن
المهدى بالمغرب فحرضوه على أخذ مصر فجهز جيشا سار الى مصر فبعث ابن طفج عسكره الى الاسكندرية
والصعيد ثم ورد الكتاب من بغداد بالزيادة فى اسم الامير محمد بن طفج فلقب الاخشيد ودعى له بذلك على المنبر فى
رمضان سنة سبع وعشرين وسار محمد بن رائق الى الشامات ثم سار فى المحرم سنة ثمان وعشرين واستخلف أخاه
الحسن بن طفج فنزل الفرما وابن رائق بالرملة فسفر بينهما الحسن بن طاهر بن يحيى العلوى فى الصلح حتى تم وعاد
الى الفسطاط مستهل جمادى الاولى ثم أقبل ابن رائق من دمشق فى شعبان فسير اليه الاخشيد الجيوش ثم
خرج لست عشرة خلت من شعبان والتقيا للنصف من رمضان بالعريش فكانت بينهما وقعة عظيمة انكسرت
فيها ميسرة الاخشيد ثم حمل بنفسه فهزم أصحاب ابن رائق وأسر كثيرا منهم وأثخنهم قتلا وأسرا ومضى ابن رائق
فقتل الحسين بن طفج باللجون ودخل الاخشيد الرملة بخمسمائة اسير فتداعى ابن طفج وابن رائق الى الصلح
فمضى ابن رائق الى دمشق على صلح وقدم الاخشيد محمد بن طفج الى مصر لثلاث خلون من المحرم سنة تسع
وعشرين ومات الراضى بالله وبويع المتقى لله ابراهيم فى شعبان فأقر الاخشيد وقتل محمد بن رائق بالموصل قتله بنو
حمدان فى شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة فبعث الاخشيد بجيوشه الى الشام ثم سار لست خلون من شوال واستخلف
أخاه أبا المظفر الحسن بن طفج ودخل دمشق ثم عاد لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين
فنزل البستان الذى يعرف اليوم بالكافورى من القاهرة ثم دخل داره وأخذ البيعة لابنه ابى القاسم اونوجور
على جميع القواد آخر ذى القعدة وسار المتقى لله الى بلاد الشام ومعه بنو حمدان فسار الاخشيد لثمان خلون
من رجب سنة اثنتين وثلاثين واستخلف أخاه الحسن فلقى المتقى ثم رجع فنزل البستان لاربع خلون من جمادى
الاولى سنة ثلاث وثلاثين وخلع المتقى وبويع عبد الله المستكفى لسبع خلون من جمادى الآخرة فأقر الاخشيد
وبعث الاخشيد بجانك وكافور فى الجيوش الى الشام ثم خرج لخمس خلون من شعبان سنة ست وثلاثين
واستخلف اخاه الحسن فلقى على بن عبد الله بن حمدان بأرض قنسرين وحاربه ومضى فأخذ منه حلب وخلع
المستكفى ودعى للمطيع لله الفضل بن جعفر فى شوال سنة اربع وثلاثين فاقر الاخشيد الى أن مات بدمشق
يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجة فولى بعده ابنه (اونوجور) ابو القاسم باستخلافه اياه وقبض على ابى بكر
محمد بن على بن مقاتل فى ثالث المحرم سنة خمس وثلاثين وجعل مكانه على الخراج محمد بن على المادرانى وقدم
العسكر من الشام اول صفر فلم يزل اونوجور واليا الى أن مات لسبع خلون من ذى القعدة سنة سبع واربعين
وثلثمائة وحمل الى القدس فدفن عند أبيه وكان كافور متحكما فى أيامه ويطلق له فى السنة اربعمائة الف دينار فلما
مات قوى كافور وكانت ولايته أربع عشرة سنة وعشرة اشهر فأقام كافور أخاه (على بن الاخشيد)
أبا الحسن لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة فاقره المطيع لله على الحرب والخراج بمصر والشام والحرمين
وصار خليفته على ذلك كافور غلام أبيه وأطلق له ما كان يطلق لاخيه فى كل سنة وفى سنة احدى وخمسين
ترفع السعر واضطربت الاسكندرية والبحيرة بسبب المغاربة الواردين اليها وتزايد الغلاء وعز وجود القمح
وقدم القرمطى الى الشام فى سنة ثلاث وخمسين وقل ماء النيل ونهبت ضياع مصر وتزايد الغلاء وسار

ملك النوبة الى اسوان ووصل الى اخميم فقتل ونهب وأحرق واشتد اضطراب الاعمال وفسد ما بين كافور وبين علىّ بن الاخشيد فمنع كافور من الاجتماع به واعتل علىّ بعد ذلك علة أخيه ومات لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلثمائة فحمل الى القدس وبقيت مصر بغير أمير أياما ولم يدع بها الا للمطيع لله وحده وكافور يدبر أمورها ومعه ابو الفضل جعفر بن الفرات ثم ولى (كافور) الخصى الاسود مولى الاخشيد من قبل المطيع على الحرب والخراج وجميع امور مصر والشام والحرمين فلم يغير لقبه وانما كان يدعى ويخاطب بالاستاذ وأخرج كتاب المطيع بولايته لاربع بقين من المحرم سنة خمس وخمسين فلم يزل الى أن توفى لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة فولى (احمد بن علىّ الاخشيد ابو الفوارس) وسنه احدى عشرة سنة فى يوم وفاة كافور وجعل الحسين بن عبيد الله بن طغج يخلفه وأبو الفضل جعفر بن الفرات يدبر الامور ويمول الاخشيدى العساكر الى أن قدم جوهر القائد من المغرب بجيوش المعز لدين الله فى سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ففر الحسين بن عبيد الله وتسلم جوهر البلاد كما سيأتى ان شاء الله تعالى فكانت مدة الدعاء لبنى العباس بمصر منذ ابتدئت دولتهم الى أن قدم القائد جوهر الى مصر مائتى سنة وخمسا وعشرين سنة ومدة الدولة الاخشيدية بها اربعا وثلاثين سنة وعشرة اشهر وأربعة وعشرين يوما ومنذ افتتحت مصر الى أن انتقل كرسى الامارة منها الى القاهرة ثلثمائة سنة وسبع وثلاثون سنة وأشهر والله تعالى أعلم

(ذكر ما كانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة العمارة)

قال ابن يونس عن الليث بن سعد ان حكيم بن ابى راشد حدثه عن ابى سلمة بن عبد الرحمن أنه وقف على جزار فسأله عن السعر فقال بأربعة أفلس الرطل فقال له ابو سلمة هل لك أن تعطينا بهذا السعر ما بدا لنا و بدا لك قال نعم فأخذ منه ابو سلمة ومرّ فى القصبة حتى اذا أراد أن يوفيه قال بعنى بدينار ثم قال اصرفه فلوسا ثم وفه * وقال الشريف ابو عبد الله محمد بن أسعد الجوانى النسابة فى كتاب النقط على الخطط سمعت الامير تأييد الدولة تميم بن محمد المعروف بالضمضام يقول فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وحدثنى القاضى ابو الحسين علىّ بن الحسين الخلعى عن القاضى أبى عبد الله القضاعى قال كان فى مصر الفسطاط من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد وثمانية آلاف شارع مسلوك وألف ومائة وسبعون حماما وان حمام جنادة فى القرافة ما كان يتوصل اليها الا بعد عناء من الزحام وان قبالتها فى كل يوم جمعة خمسمائة درهم * وقال القاضى ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى فى كتاب الخطط انه طلب لقطر الندى ابنة خمارويه بن احمد بن طولون الف تكة بعشرة آلاف دينار من أثمان كل تكة بعشرة دنانير فوجدت فى السوق فى ايسر وقت وبأهون سعى وذكر عن القاضى ابى عبيد أنه لما صرف عن قضاء مصر كان فى المودع مائة ألف دينار وان فائقا مولى احمد بن طولون اشترى دارا بعشرين ألف دينار وسلم الثمن الى البائعين وأجلهم شهرين فلما انقضى الاجل سمع فائق صياحا عظيما وبكاء فسأل عن ذلك فقيل هم الذين باعوا الدار فدعاهم وسألهم عن ذلك فقالوا انما نبكى على جوارك فأطرق وأمر بالكتب فردت عليهم ووهب لهم الثمن وركب الى احمد بن طولون فأخبره فاستصوب رأيه واستحسن فعله ويقال انه كان لفائق ثلثمائة فرشة كل فرشة لحظية متمنة وان دار الحرم بناها خمارويه لحرمه وكان ابوه اشتراها له فقام عليه الثمن وأجرة الصناع والبناء بسبعمائة الف دينار وان عبد الله بن احمد بن طباطبا الحسينى دخل الجامع فلم يجد مكانا فى الصف الاول فوقف فى الصف الثانى فالتفت ابو حفص بن الجلاب فلما رآه تأخر وتقدم الشريف مكانه فكافأه على ذلك بنعمة حملها اليه ودار ابتاعها له ونقل اهله اليها بعد أن كساهم وحلاهم وذكر غير القضاعى أنه دفع اليه بخمسمائة دينار قال ويقال انه اهدى الى ابى جعفر الطحاوى كتبا قيمتها ألف دينار وان رشيقا الاخشيدى استحجبه ابو بكر محمد بن علىّ المادرانى فلما مضت عليه سنة رفع فيه أنه كسب عشرة آلاف دينار فخاطبه فى ذلك فحلف بالايمان الغلاظ على بطلان ذلك فأقسم ابو بكر المادرانى بمثل ما أقسم به لئن خرجت سنتنا هذه ولم تكسب هذه الجملة لاصحبتنى ولم يزل فى صحبته الى أن صودر ابو بكر فأخذ منه ومن رشيق مال جزيل وذكر أن ابا الحسن بن ابى المهاجر موسى بن اسمعيل بن عبد الحميد بن بحر بن سعد كان

على البريد فى زمن احمد بن طولون وقتله خمارويه وسبب ذلك ما كان فى نفس علىّ بن احمد المادرانى منه فأغرى خمارويه به وقال قد بقى لابن المهاجر مال غير الذى ذكره فى وصيته ولم يقف عليه غير ابن مهاجر فطالبه فلم يزل خمارويه بابن مهاجر الى أن وصف له موضع المال من دار خمارويه فأخرج فكان مبلغه ألف ألف دينار فسلمه الى احمد المادرانى فحمله الى داره وأثبت توقيعات خمارويه ترد اليه بالصلات والنفقات فيخرجها من فضول اموال الضياع والمرافق وحصلت له تلك الاموال ولم يضع يده عليها الى أن قتل وصودر أبو بكر محمد بن علىّ فى ايام الاخشيد وقبضت ضياعه فعاد الى تلك الالف الف دينار مع ماسواها من ذخائره وأعراضه وعقده فما ظنك برجل ذخيرته ألف ألف دينار سوى ماذكر عن ابى بكر محمد بن علىّ المادرانى أنه قال بعث الىّ ابو الجيش خمارويه أن اشترى له اردية وأقنعة للجوارى وعمل دعوة خلا فيها بنفسه وبهم وغدوت متعرّفا لخبره فقيل لى انه طرب لما هو فيه فنثر دنانير على الجوارى والغلمان وتقدّم اليهم أنّ ما سقط من ذلك فى البركة فهو لمحمد بن علىّ كاتبى فلما حضرت وبلغنى ذلك أمرت الغلمان فنزلوا فى البركة فأصعدوا الىّ منها سبعين الف دينار فما ظنك بمال تنثر على اناس فتطاير منه الى بركة ماء هذا المبلغ وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب فى حلى المغرب وفى الفسطاط دار تعرف بعبد العزيز يصب فيها لمن بها فى كل يوم اربعمائة راوية ماء وحسبك من دار واحدة يحتاج اهلها فى كل يوم الى هذا القدر من الماء * وقال ابن المتوج فى كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل عن ساحل مصر ورأيت من نقل عمن رأى الاسطال التى كانت بالطاقات المطلة على النيل وكان عددها ستة عشر ألف سطل مؤبدة بيكر وأطناب بها ترخى وتملأ اخبرنى بذلك من أثق بنقله قال وكان بالفسطاط فى جهته الشرقية حمام من بناء الروم عامرة زمن احمد بن طولون قال الراوى دخلتها فى زمن خمارويه بن احمد بن طولون وطلبت بها صانعا يخدمنى فلم اجد فيها صانعا متفرغا لخدمتى وقيل لى ان كل صانع معه اثنان يخدمهم وثلاثة فسألت كم فيها من صانع فأخبرت أن بها سبعين صانعا قلّ من معه دون ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج قال فخرجت ولم ادخلها لعدم من يخدمنى بها ثم طفت غيرها فلم اقدر على من اجده فارغا الا بعد أربع حمامات وكان الذى خدمنى فيها نائبا فانظر رحمك الله ما اشتمل عليه هذا الخبر مع ما ذكره القضاعى من عدد الحمامات وانها ألف ومائة وسبعون حماما تعرف من ذلك كثرة ما كان بمصر من الناس هذا والسعر راخ والقمح كل خمسة ارادب بدينار وبيعت عشرة ارادب بدينار فى زمن احمد بن طولون قال ابن المتوج خطة مسجد عبد الله ادركت بها آثار دار عظيمة قيل انها كانت دار كافور الاخشيدى ويقال ان هذه الخطة تعرف بسوق العسكر وكان به مسجد الزكاة وقيل انه كان منه قصبة سوق متصلة الى جامع احمد بن طولون وأخبرنى بعض المشايخ العدول عن والده وكان من اكابر الصلحاء انه قال عددت من مسجد عبد الله الى جامع ابن طولون ثلثمائة وتسعين قدر حمص مصلوق بقصبة هذا السوق بالارض سوى المقاعد والحوانيت التى بها الحمص فتأمل اعزك الله ما فى هذا الخبر مما يدل على عظمة مصر فان هذا السوق كان خارج مدينة الفسطاط وموضعه اليوم الفضاء الذى بين كوم الجارح وبين جامع ابن طولون ومن المعروف أن الاسواق التى تكون بداخل المدينة اعظم من الاسواق التى هى خارجها ومع ذلك ففى هذا السوق من صنف واحد من المآكل هذا القدر فكم ترى تكون جملة ما فيه من سائر اصناف المآكل وقد كان اذ ذاك بمصر عشرة اسواق كلها او اكثرها اجل من هذا السوق قال ودرب السفافير بنى فيه زقاق بنى الرصاص كان به جماعة اذا عقد عندهم عقد لا يحتاجون الى غريب وكانوا هم وأولادهم نحوا من اربعين نفسا * وقال ابن زولاق فى كتاب سيرة المادرانيين ولما قدم الاستاذ مونس الخادم من بغداد الى مصر استدعى ابو علىّ الحسين بن احمد المادرانى المعروف بابى زنبور الدقاق وهو الذى نسميه اليوم الطحان وقال ان الاستاذ مونسا قد وافى ولى بمشتول قدر ستين الف اردب قمحا فاذا وافى فقم له بالوظيفة فكان يقوم له بما يحتاج اليه من دقيق حوارى مدة شهر فلما كمل الشهر قال كاتب مونس للدقاق كم لك حتى ندفعه اليك فأعلمه الخبر فقال ما احسب الاستاذ يرضى أن يكون فى ضيافة [illegible] ابى علىّ وأعلم مونسا بذلك فقال انا آكل خبز حسين لا يبرح الرجل حتى يقبض ماله فمضى الدقاق [illegible] م ابا زنبور فقام من فوره الى مونس فأكب على رجليه فاحتشم منه وقال والله لا اجيبك الا هذا الشهر الذى مضى ولا تعاود ثم رجع فقال للدقاق قم له بالوظيفة فى المستقبل واعمل ما يريده قال فجئته وقد فرغ القمح ومعى الحساب وأربعمائة دينار فقال ايش هذا فقلت بقية ذلك القمح

ملك النوبة الى اسوان ووصل الى اخميم فقتل ونهب وأحرق واشتد اضطراب الاعمال وفسد ما بين كافور وبين علي بن الاخشيد فمنع كافور من الاجتماع به واعتل علي بعد ذلك علة أخيه ومات لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلثمائة فحمل الى القدس وبقيت مصر بغير أمير أياما ولم يدع بها الا للمطيع لله وحده وكافور يدبر أمورها ومعه ابو الفضل جعفر بن الفرات ثم ولى (كافور) الخصي الاسود مولى الاخشيد من قبل المطيع على الحرب والخراج وجميع امور مصر والشام والحرمين فلم يغير لقبه وانما كان يدعى ويخاطب بالاستاذ وأخرج كتاب المطيع بولايته لاربع بقين من المحرم سنة خمس وخمسين فلم يزل الى أن توفى لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة فولى (احمد بن علي الاخشيد ابو الفوارس) وسنه احدى عشرة سنة فى يوم وفاة كافور وجعل الحسين بن عبيد الله بن طغج يخلفه وأبو الفضل جعفر بن الفرات يدبر الامور وسمول الاخشيدي العساكر الى أن قدم جوهر القائد من المغرب بجيوش المعز لدين الله فى سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ففر الحسين بن عبيد الله وتسلم جوهر البلاد كما سيأتى ان شاء الله تعالى فكانت مدة الدعاء لبنى العباس بمصر منذ ابتدئت دولتهم الى أن قدم القائد جوهر الى مصر مائتى سنة وخمسا وعشرين سنة ومدة الدولة الاخشيدية بها اربعا وثلاثين سنة وعشرة اشهر وأربعة وعشرين يوما ومنذ افتتحت مصر الى أن انتقل كرسى الامارة منها الى القاهرة ثلثمائة سنة وسبع وثلاثون سنة وأشهر والله تعالى أعلم

(ذكر ما كانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة العمارة)

قال ابن يونس عن الليث بن سعد ان حكيم بن ابى راشد حدثه عن ابى سلمة بن عبد الرحمن أنه وقف على جزار فسأله عن السعر فقال بأربعة أفلس الرطل فقال له ابو سلمة هل لك أن تعطينا بهذا السعر ما بدا لنا ويبدو لك قال نعم فأخذ منه ابو سلمة ومر فى القصبة حتى اذا أراد أن يوفيه قال بعنى بدينار ثم قال اصرفه فلوسا ثم وفه وقال الشريف ابو عبد الله محمد بن أسعد الجوانى النسابة فى كتاب النقط على الخطط سمعت الامير تأييد الدولة تميم بن محمد المعروف بالضمضام يقول فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وحدثنى القاضى ابو الحسين على بن الحسين الخلعى عن القاضى أبى عبد الله القضاعى قال كان فى مصر الفسطاط من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد وثمانية آلاف شارع مسلوك وألف ومائة وسبعون حماما وان حمام جنادة فى القرافة ما كان يتوصل اليها الا بعد عناء من الزحام وان قبالتها فى كل يوم جمعة خمسمائة درهم * وقال القاضى ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى فى كتاب الخطط انه طلب لقطر الندى ابنة خمارويه بن احمد بن طولون ألف تكة بعشرة آلاف دينار من أثمان كل تكة بعشرة دنانير فوجدت فى السوق فى ايسر وقت وبأهون سعى وذكر عن القاضى ابى عبيد أنه لما صرف عن قضاء مصر كان فى المودع مائة ألف دينار وان فائقا مولى احمد بن طولون اشترى دارا بعشرين ألف دينار وسلم الثمن الى البائعين وأجلهم شهرين فلما انقضى الاجل سمع فائق صياحا عظيما وبكاء فسأل عن ذلك فقيل هم الذين باعوا الدار فدعاهم وسألهم عن ذلك فقالوا انما نبكى على جوارك فأطرق وأمر بالكتب فردت عليهم ووهب لهم الثمن وركب الى احمد بن طولون فأخبره فاستصوب رأيه واستحسن فعله ويقال انه كان لفائق ثلثمائة فرشة كل فرشة لحظية متمنة وان دار الحرم بناها خمارويه لحرمه وكان ابوه اشتراها له فقام عليه الثمن وأجرة الصناع والبناء بسبعمائة الف دينار وان عبد الله بن احمد بن طباطبا الحسينى دخل الجامع فلم يجد مكانا فى الصف الاول فوقف فى الصف الثانى فالتفت ابو حفص بن الجلاب فلما رآه تأخر وتقدم الشريف مكانه فكافأه على ذلك بنعمة حملها اليه ودار اشتراها له ونقل اهله اليها بعد أن كساهم وحلاهم وذكر غير القضاعى أنه دفع اليه خمسمائة دينار قال ويقال انه اهدى الى ابى جعفر الطحاوى كتبا قيمتها ألف دينار وان رشيقا الاخشيدى استحجبه ابو بكر محمد بن على المادرانى فلما مضت عليه سنة رفع فيه أنه كسب عشرة آلاف دينار فخاطبه فى ذلك فحلف بالايمان الغلاظ على بطلان ذلك فأقسم ابو بكر المادرانى بمثل ما أقسم به لئن خرجت سنتنا هذه ولم تكسب هذه الجملة لاحجبتنى ولم يزل فى صحبته الى أن صودر ابو بكر فأخذ منه ومن رشيق مال جزيل وذكر أن ابا الحسن بن ابى المهاجر موسى بن اسمعيل بن عبد الحميد بن بحر بن سعد كان

على البريد فى زمن احمد بن طولون وقتله خمارويه وسبب ذلك ما كان فى نفس على بن احمد المادرانى منه فأغرى خمارويه به وقال قد بقى لابيك مال غير الذى ذكره فى وصيته ولم يقف عليه غير ابن مهاجر فطالبه فلم يزل خمارويه بابن مهاجر الى أن وصف له موضع المال من دار خمارويه فأخرج فكان مبلغه ألف ألف دينار فسلمه الى احمد المادرانى فحمله الى داره وأثبت توقيعات خمارويه ترد اليه بالصلات والنفقات فيخرجها من فضول اموال الضياع والمرافق وحصلت له تلك الاموال ولم يضع يده عليها الى أن قتل وصودر أبو بكر محمد بن على فى ايام الاخشيد وقبضت ضياعه فعاد الى تلك الالف الف دينار مع ما سواها من ذخائره وأعراضه وعقده فما ظنك برجل ذخيرته ألف ألف دينار سوى ما ذكر عن ابى بكر محمد بن على المادرانى أنه قال بعث الى ابو الجيش خمارويه أن اشترى له اردية وأقنعة للجوارى وعمل دعوة خلا فيها بنفسه وبهم وغدوت متعرفا لخبره فقيل لى انه طرب لما هو فيه فنثر دنانير على الجوارى والغلمان وتقدم اليهم أن ما سقط من ذلك فى البركة فهو لمحمد بن على كاتبى فلما حضرت وبلغنى ذلك أمرت الغلمان فنزلوا فى البركة فأصعدوا الى منها سبعين الف دينار فما ظنك بمال نثر على اناس فتطاير منه الى بركة ماء هذا المبلغ وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب فى حلى المغرب وفى الفسطاط دار تعرف بعبد العزيز يصب فيها لمن بها فى كل يوم اربعمائة راوية ماء وحسبك من دار واحدة يحتاج اهلها فى كل يوم الى هذا القدر من الماء * وقال ابن المتوج فى كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل عن ساحل مصر ورأيت من نقل عمن رأى الاسطال التى كانت بالطاقات المطلة على النيل وكان عددها ستة عشر ألف سطل مؤبدة ببكر وأطناب بها ترخى وتملأ اخبرنى بذلك من أثق به قال وكان بالفسطاط فى جهته الشرقية حمام من بناء الروم عامرة زمن احمد بن طولون قال الراوى دخلتها فى زمن خمارويه بن احمد بن طولون وطلبت بها صانعا يخدمنى فلم اجد فيها صانعا متفرغا لخدمتى وقيل لى ان كل صانع معه اثنان يخدمهم وثلاثة فسألت كم فيها من صانع فأخبرت أن بها سبعين صانعا قل من معه دون ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج قال فخرجت ولم ادخلها العدم من يخدمنى بها ثم طفت غيرها فلم اقدر على من اجده فارغا الا بعد أربع حمامات وكان الذى خدمنى فيها نائبا فانظر رحمك الله ما اشتمل عليه هذا الخبر مع ما ذكره القضاعى من عدد الحمامات وانها ألف ومائة وسبعون حماما تعرف من ذلك كثرة ما كان بمصر من الناس هذا والسعر راخ والقمح كل خمسة ارادب بدينار وبيعت عشرة ارادب بدينار فى زمن احمد بن طولون قال ابن المتوج خطة مسجد عبد الله ادركت بها آثار دار عظيمة قيل انها كانت دار كافور الاخشيدى ويقال ان هذه الخطة تعرف بسوق العسكر وكان به مسجد الزكاة وقيل انه كان منه قصبة سوق متصلة الى جامع احمد بن طولون وأخبرنى بعض المشايخ العدول عن والده وكان من اكابر الصلحاء انه قال عددت من مسجد عبد الله الى جامع ابن طولون ثلثمائة وتسعين قدر حمص مصلوق بقصبة هذا السوق بالارض سوى المقاعد والحوانيت التى بها الحمص فتأمل اعزك الله ما فى هذا الخبر مما يدل على عظمة مصر فان هذا السوق كان خارج مدينة الفسطاط وموضعه اليوم الفضاء الذى بين كوم الجارح وبين جامع ابن طولون ومن المعروف أن الاسواق التى تكون بداخل المدينة اعظم من الاسواق التى هى خارجها ومع ذلك ففى هذا السوق من صنف واحد من المآكل هذا القدر فكم ترى تكون جملة ما فيه من سائر اصناف المآكل وقد كان اذ ذاك بمصر عشرة اسواق كلها او اكثرها اجل من هذا السوق قال ودرب السفافير بنى فيه زقاق بنى الرصاص كان به جماعة اذا اعقد عندهم عقد لا يحتاجون الى غريب وكانوا هم وأولادهم نحوا من اربعين نفسا * وقال ابن زولاق فى كتاب سيرة المادرانيين ولما قدم الاستاذ مونس الخادم من بغداد الى مصر استدعى ابو على الحسين بن احمد المادرانى المعروف بابى زنبور الدقاق وهو الذى نسميه اليوم الطحان وقال ان الاستاذ مونسا قد وافى ولى بمشتول قدر ستين الف اردب قمحا فاذا وافى فقم له بالوظيفة فكان يقوم له بما يحتاج اليه من دقيق حوارى مدة شهر فلما كمل الشهر قال كاتب مونس للدقاق كم لك حتى ندفعه اليك فأعلمه الخبر فقال ما احسب الاستاذ يرضى أن يكون فى ضيافة ابى على وأعلم مونسا بذلك فقال انا آكل خبز حسين لا يبرح الرجل حتى يقبض ماله فمضى الدقاق الى ابا زنبور فقام من فوره الى مونس فأكب على رجليه فاحتشم منه وقال والله لا اجيبك الا هذا الشهر الذى مضى ولا تعاود ثم رجع فقال للدقاق قم له بالوظيفة فى المستقبل واعمل ما يريده قال فجئته وقد فرغ القمح ومعى الحساب وأربعمائة دينار قال ايش هذا قلت بقية ذلك القمح

ملك النوبة الى اسوان ووصل الى اخميم فقتل ونهب وأحرق واشتد اضطراب الاعمال وفسد ما بين كافور وبين
على بن الاخشيد فمنع كافور من الاجتماع به واعتل على بعد ذلك علة أخيه ومات لاحدى عشرة خلت
من المحرم سنة خمس وخمسين وثلثمائة فحمل الى القدس وبقيت مصر بغير أمير أياما ولم يدع بها الا للمطيع لله
وحده وكافور يدبر أمورها ومعه ابو الفضل جعفر بن الفرات ثم ولى (كافور) الخصى الاسود مولى
الاخشيد من قبل المطيع على الحرب والخراج وجميع امور مصر والشام والحرمين فلم يغير لقبه وانما كان يدعى
ويخاطب بالاستاذ وأخرج كتاب المطيع بولايته لاربع بقين من المحرم سنة خمس وخمسين فلم يزل الى أن
توفى لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة فولى (احمد بن على الاخشيد ابو الفوارس)
وسنه احدى عشرة سنة فى يوم وفاة كافور وجعل الحسين بن عبيد الله بن طغج يخلفه وأبو الفضل جعفر بن
الفرات يدبر الامور وسمول الاخشيدى العساكر الى أن قدم جوهر القائد من المغرب بجيوش المعز
لدين الله فى سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ففر الحسين بن عبيد الله وتسلم جوهر البلاد كما سيأتى
ان شاء الله تعالى فكانت مدة الدعاء لبنى العباس بمصر منذ ابتدئت دولتهم الى أن قدم القائد جوهر الى مصر
مائتى سنة وخمسا وعشرين سنة ومدة الدولة الاخشيدية بها اربعا وثلاثين سنة وعشرة اشهر وأربعة
وعشرين يوما ومنذ افتتحت مصر الى أن انتقل كرسى الامارة منها الى القاهرة ثلثمائة سنة وسبع وثلاثون سنة
وأشهر والله تعالى أعلم

(ذكر ما كانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة العمارة)

قال ابن يونس عن الليث بن سعد ان حكيم بن ابى راشد حدثه عن ابى سلمة بن عبد الرحمن أنه وقف على جزار
فسأله عن السعر فقال بأربعة أفلس الرطل فقال له ابو سلمة هل لك أن تعطينا بهذا السعر ما بدا لنا ويبدو لك قال نعم
فأخذ منه ابو سلمة ومر فى القصبة حتى اذا أراد أن يوفيه قال بعنى بدينار ثم قال اصرفه فلوسا ثم وفه وقال
الشريف ابو عبد الله محمد بن أسعد الجوانى النسابة فى كتاب النقط على الخطط سمعت الامير تأييد الدولة تميم بن
محمد المعروف بالضمصام يقول فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وحدثنى القاضى ابو الحسن على بن الحسين الخلعى
عن القاضى أبى عبد الله القضاعى قال كان فى مصر الفسطاط من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد وثمانية
آلاف شارع مسلوك وألف ومائة وسبعون حماما وان حمام جنادة فى القرافة ما كان يتوصل اليها الا بعد عناء
من الزحام وان قبالتها فى كل يوم جمعة خمسمائة درهم * وقال القاضى ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى
فى كتاب الخطط انه طلب لقطر الندى ابنة خمارويه بن احمد بن طولون ألف تكة بعشرة آلاف دينار من أثمان كل
تكة بعشرة دنانير فوجدت فى السوق فى ايسر وقت وبأهون سعى وذكر عن القاضى ابى عبيد أنه لما صرف
عن قضاء مصر كان فى المودع مائة ألف دينار وان فائقا مولى احمد بن طولون اشترى دارا بعشرين ألف دينار
وسلم الثمن الى البائعين وأجلهم شهرين فلما انقضى الاجل سمع فائق صياحا عظيما وبكاء فسأل عن ذلك فقيل هم
الذين باعوا الدار فدعاهم وسالهم عن ذلك فقالوا انما نبكى على جوارك فأطرق وأمر بالكتب فردت عليهم
ووهب لهم الثمن وركب الى احمد بن طولون فأخبره فاستصوب رأيه واستحسن فعله ويقال انه كان لفائق ثلثمائة
فرشة كل فرشة لحظية مثمنة وان دار الحرم بناها خمارويه لحرمه وكان ابوه اشتراها له فقام عليه الثمن وأجرة
الصناع والبناء بسبعمائة الف دينار وان عبد الله بن احمد بن طباطبا الحسينى دخل الجامع فلم يجد مكانا
فى الصف الاول فوقف فى الصف الثانى فالتفت ابو حفص بن الجلاب فلما رآه تأخر وتقدم الشريف مكانه
فكافأه على ذلك بنعمة حملها اليه ودار اشتراها له ونقل اهله اليها بعد أن كساهم وحلاهم وذكر غير القضاعى
أنه دفع اليه خمسمائة دينار قال ويقال انه اهدى الى ابى جعفر الطحاوى كتبا قيمتها ألف دينار وان
رشيقا الاخشيدى استحجبه ابو بكر محمد بن على المادرانى فلما مضت عليه سنة رفع فيه أنه كسب
عشرة آلاف دينار فخاطبه فى ذلك فحلف بالايمان الغلاظ على بطلان ذلك فأقسم ابو بكر المادرانى بمثل
ما أقسم به لئن خرجت سنتنا هذه ولم تكسب هذه الجملة لاصرفنك ولم يزل فى صحبته الى أن صودر ابو بكر فأخذ
منه ومن رشيق مال جزيل وذكر أن الحسن بن ابى المهاجر موسى بن اسمعيل بن عبد الحميد بن بحر بن سعد كان

على البريد فى زمن احمد بن طولون وقتله خمارويه وسبب ذلك ما كان فى نفس على بن احمد المادرانى منه فأغرى
خمارويه به وقال قد بقى لابيك مال غير الذى ذكره فى وصيته ولم يقف عليه غير ابن مهاجر فطالبه فلم يزل
خمارويه بابن مهاجر الى أن وصف له موضع المال من دار خمارويه فأخرج فكان مبلغه ألف ألف دينار فسلمه
الى احمد المادرانى فحمله الى داره وأقبلت توقيعات خمارويه ترد اليه بالصلات والنفقات فيخرجها من فضول
اموال الضياع والمرافق وحصلت له تلك الاموال ولم يضع يده عليها الى أن قتل وصودر أبو بكر محمد بن على فى ايام
الاخشيد وقبضت ضياعه فعاد الى تلك الالف الف دينار مع ما سواها من ذخائره وأعراضه وعقده فما ظنك
برجل ذخيرته ألف ألف دينار سوى ما ذكر عن ابى بكر محمد بن على المادرانى أنه قال بعث الى ابو الجيش
خمارويه أن اشترى له اردية وأقنعة للجوارى وعمل دعوة خلا فيها بنفسه وبهم وغدوت متعرفا الخبره فقيل لى انه
طرب لما هو فيه فنثر دنانير على الجوارى والغلمان وتقدم اليهم أن ما سقط من ذلك فى البركة فهو لمحمد بن على كاتبى
فلما حضرت وبلغنى ذلك أمرت الغلمان فنزلوا فى البركة فأصعدوا الى منها سبعين الف دينار فما ظنك بمال تنثر
على اناس فتطاير منه الى بركة ماء هذا المبلغ وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب فى حلى المغرب وفى الفسطاط دار
تعرف بعبد العزيز يصب فيها لمن بها فى كل يوم اربعمائة راوية ماء وحسبك من دار واحدة يحتاج اهلها فى كل
يوم الى هذا القدر من الماء * وقال ابن المتوج فى كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل عن ساحل مصر ورأيت
من نقل عمن رأى الاسطال التى كانت بالطاقات المطلة على النيل وكان عددها ستة عشر ألف سطل
مؤبدة ببكر وأطناب بها ترخى وتملأ اخبرنى بذلك من أثق بنقله قال وكان بالفسطاط فى جهته الشرقية حمام من
بناء الروم عامرة زمن احمد بن طولون قال الراوى دخلتها فى زمن خمارويه بن احمد بن طولون وطلبت بها صانعا
يخدمنى فلم اجد فيها صانعا متفرغا لخدمتى وقيل لى ان كل صانع معه اثنان يخدمهم وثلاثة فسالت كم فيها من
صانع فأخبرت أن بها سبعين صانعا قل من معه دون ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج قال فخرجت ولم
ادخلها لعدم من يخدمنى بها ثم طفت غيرها فلم اقدر على من اجده فارغا الا بعد أربع حمامات وكان الذى خدمنى
فيها نائبا فانظر رحمك الله ما اشتمل عليه هذا الخبر مع ما ذكره القضاعى من عدد الحمامات وانها ألف ومائة
وسبعون حماما تعرف من ذلك كثرة ما كان بمصر من الناس هذا والسعر راخ والقمح كل خمسة ارادب بدينار
وبيعت عشرة ارادب بدينار فى زمن احمد بن طولون قال ابن المتوج خطة مسجد عبد الله ادركت بها آثار دار
عظيمة قيل انها كانت دار كافور الاخشيدى ويقال ان هذه الخطة تعرف بسوق العسكر وكان به مسجد الزكاة
وقيل انه كان منه قصبة سوق متصلة الى جامع احمد بن طولون وأخبرنى بعض المشايخ العدول عن والده وكان
من اكابر الصلحاء انه قال عددت من مسجد عبد الله الى جامع ابن طولون ثلثمائة وتسعين قدر حمص مصلوق
بقصبة هذا السوق بالارض سوى المقاعد والحوانيت التى بها الحمص فتأمل اعزك الله ما فى هذا الخبر مما يدل
على عظمة مصر فان هذا السوق كان خارج مدينة الفسطاط وموضعه اليوم الفضاء الذى بين كوم الجارح
وبين جامع ابن طولون ومن المعروف أن الاسواق التى تكون بداخل المدينة اعظم من الاسواق التى هى خارجها
ومع ذلك ففى هذا السوق من صنف واحد من المآكل هذا القدر فكم ترى تكون جملة ما فيه من سائر
اصناف المآكل وقد كان اذ ذاك بمصر عشرة اسواق كلها او اكثرها اجل من هذا السوق قال ودرب السنافير
بنى فيه زقاق بنى الرصاص كان به جماعة اذا عقد عندهم عقد لا يحتاجون الى غريب وكانوا هم وأولادهم نحوا
من اربعين نفسا * وقال ابن زولاق فى كتاب سيرة المادرانيين ولما قدم الاستاذ مونس الخادم من بغداد الى
مصر استدعى ابو على الحسين بن احمد المادرانى المعروف بابى زنبور الدقاق وهو الذى نسميه اليوم الطحان
وقال ان الاستاذ مونسا قد وافى ولى بعسكر قدر ستين الف اردب قمحا فاذا وافى فقم له بالوظيفة فكان يقوم
له بما يحتاج اليه من دقيق حوارى مدة شهر فلما كمل الشهر قال كاتب مونس للدقاق كم لك حتى ندفعه اليك فأعلم
الخبر فقال ما احسب الاستاذ يرضى أن يكون فى ضيافة ابى على وأعلم مونسا بذلك فقال انا آكل خبز حسين
لا يبرح الرجل حتى يقبض ماله فمضى الدقاق ثم ابا زنبور فقام من فوره الى مونس فأكب على رجليه فاحتشم
منه وقال والله لا اجيبك الا هذا الشهر الذى مضى ولا نعاود ثم رجع فقال للدقاق قم له بالوظيفة فى المستقبل
واعمل ما يريده قال فخدمته وقد فرغ القمح ومعى الحساب وأربعمائة دينار قال ايش هذا فقلت بقية ذلك القمح

فقال اعفنى منه وتركه فتأمل ما اشتمل عليه هذا الخبر من سعة حال كاتب من كتاب مصر كيف كان له فى قرية واحدة هذا القدر من صنف الشمع وكيف صار مما يفضل عنه حتى يجعله ضيافة وكيف لم يعبأ باربعمائة دينار حتى وهبها الدقاق قمح وماذاك الا من كثرة المعاش وقس عليه باقى الاحوال وقال عن ابى بكر محمد بن على المادرانى انه حج اثنتين وعشرين حجة متوالية انفق فى كل حجة مائة الف دينار وخمسين الف دينار وانه كان يخرج معه بتسعين ناقة لقبته التى يركبها واربعمائة لجهازه وميرته ومعه المحائل فيها احواض البقل واحواض الرياحين وكلاب الصيد وينفق على الاشراف واولاد الصحابة ولهم عنده ديوان باسمائهم وانه أنفق فى خمس حجات أخر ألفى ألف دينار ومائتى الف دينار وكانت جاريته تواصل معه الحج ومعها لنفسها ثلاثون ناقة لقبتها ومائة وخمسون عريا لجهازها وأحصى ما يعطيه كل شهر لحاشيته وأهل الستر وذوى الاقدار جراية من الدقيق الحوارى فكان بضعا وثمانين ألف رطل وكان سنة القرمطى بمكة فمن جملة ما ذهب له بها ما تاقيص ديبقى ثمن كل ثوب منها خمسون دينارا وقال مرة وهو فى عطلته أخذ منى محمد بن طغج الاخشيد عينا وعرضا يبلغ نيفا وثمانين ويه دنانير فاستعظم من حضر ذلك فقال ابنه الذى أخذ اكثر وانا اوقفه عليه ثم قال لابيه يا مولاى اليس نكبت ثلاث مرات قال بلى قال اليس أخذت ضياعك بالشام قال نعم قال فكم ثمنها قال ألف ألف دينار قال وضياعك بمصر قال قريب منها قال وعرض وعين قال كذلك فأمر بعض الحساب بضبط ذلك فجاء ما ينيف عن ثلاثين اردبا من ذهب فانظر ما تضمنته أخبار المادرانى وقس عليها بقية احوال مصر فما كان سوى كاتب الخراج وهذه امواله كما قد رأيت وقال الشريف الجوانى ان أبا عبد الله محمد بن مفسر قاضى مصر سمع بأن المادرانى عمل فى ايامه الكعك المحشو بالسكر والقرص الصغار المسمى افطن له فأمرهم بعمل الفستق الملبس بالسكر الابيض الفانيد المطيب بالمسك وعمل منه فى اول الحال اشياء عوض لبه لب ذهب فى صحن واحد فقضى عليه جملة وخطف قدامه تخاطفه الحاضرون ولم يعد له بل الفستق الملبس وكان قد سمع فى سيرة المادرانيين انه عمل له هذا الافطن له وفى كل واحدة خمسة دنانير ووقف استاذ على السماط فقال لاحد الجلساء افطن له وكان عمل على السماط عدة صحون من ذلك الجنس لكن ما فيه الدنانير صحن واحد فلما رمز الاستاذ لذلك الرجل بقوله افطن له واشار الى الصحن تناول ذلك الرجل منه فأصاب الذهب واعتمد عليه فحصل له جملة وراء الناس وهو اذا اكل يخرج من فمه ويجمع بيده ويحط فى حجره فتنبهوا له وتزاحموا عليه فقيل لذلك من يومئذ افطن له • وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس فى تاريخ مصر حدثنى بعض اصحابنا بتفسير رؤيا رآها غلام ابن عقيل الخشاب عجيبة فكانت حقا كما فسرت فسألت غلام ابن عقيل عنها فقال لى انا اخبرك كان ابى فى سوق الخشابين فأنفق بضاعته ورث حاله ومات فأسلمتنى امى الى ابن عقيل وكان صديقا لابى فكنت اخدمه وأفتح حانوته واكنسها ثم افرش له ما يجلس عليه فكان يجرى على رزقا اتقوت به فأتى يوما فى الحانوت وقد جلس استاذى ابن عقيل فجاء ابن العسال مع رجل من أهل الريف يطلب عود خشب لطاحونة فاشترى من ابن عقيل عود طاحونة بخمسة دنانير فسمعت قوما من اهل السوق يقولون هذا ابن العسال المفسر للرؤيا عند ابن عقيل فجاء منهم قوم وقصوا عليه منامات رأوها ففسرها لهم فذكرت رؤيا رأيتها فى ليلتى فقلت له انى رأيت البارحة فى نومى كذا وكذا فقصصت عليه الرؤيا فقال لى اى وقت رأيتها من الليل فقلت انتبهت بعد رؤياى فى وقت كذا فقال لى هذه رؤيا لست افسرها الا بدنانير كثيرة فألححت عليه فقال استاذى ابن عقيل فرج عنه هذا غلام صغير فقير لا يملك شيأ فقال لست آخذ الا عشرين دينارا فقال له ابن عقيل ان قربت علينا وزنت انا لك ذلك من عندى فلم يزل به ينزله حتى قال والله لا آخذ أقل من ثمن العود الخشب خمسة دنانير فقال له ابن عقيل ان صحت الرؤيا دفعت اليك العود بلا ثمن فقال له يأخذ مثل هذا اليوم الف دينار قال استاذى فاذا لم يصح هذا فقال يكون العود عندك الى مثل هذا اليوم فان كان لم يصح أخذ ما قلت له فى ذلك اليوم فليس لى عندك شئ ولا افسر رؤيا ابدا فقال له استاذى قد أنصفت ومضت الجمعة فلما كان مثل ذلك اليوم غدوت مثل ما كنت اغدو الى دكان استاذى ففتحتها ورششتها واستلقيت على ظهرى افكر فيما قال لى ومن اين يمكن أن يصير الى ألف دينار فقلت لعل سقف المكان يتفرج فيسقط منه هذا المال وجعلت اجيل فكرى وانى كذلك الى ضحى اذ وقف على جماعة من اعوان الخراج معهم ناس فقالوا هذه دكان ابن عقيل ثم قالوا الى قم فقلت لهم لست

ابن عقيل انا غلامه فقالوا بل انت ابنه وجبذونى فأخرجونى من الدكان فقلت الى اين فقالوا الى ديوان الاستاذ أبى على الحسين بن احمد يعنون ابا زنبور فقلت وما يصنع بى فقالوا اذا جئت سمعت كلامه وما يريده منك وكنت بعقب علة ضعيف البدن فقلت ما اقدر أمشى فقالوا اكتر حمارا تركبه ولم يكن معى ما اكترى به حمارا فنزعت تكة سراويلى من وسطى ودفعتها على درهمين لمن اكرانى الحمار ومضيت معهم فجاؤا بى الى دار أبى زنبور فلما دخلت قال لى انت ابن عقيل فقلت لا يا سيدى أنا غلام فى حانوته قال أفليس تبصر قيمة الخشب قلت بلى قال فاذهب مع هؤلاء فقوم لنا هذا الخشب فانظر بحيث لا يزيد ولا ينقص فمضيت معهم فجاؤا بى الى شط البحر الى خشب كثير من اثل وسنط جاف وغير ذلك مما يصلح لبناء المراكب فقومته تقويم جزع حتى بلغت قيمته ألفى دينار فقالوا لى انظر هذا الموضع الآخر فيه من الخشب ايضا فنظرت فاذا هو اكثر مما قومت بنحو مرتين فأعجلونى ولم اضبط قيمة الخشب فردونى الى ابى زنبور فقال لى قومت الخشب كما أمرتك ففزعت فقلت نعم فقال هات كم قومته فقلت ألفا دينار فقال انظر لا تغلط فقلت هو قيمته عندى فقال لى تأخذه انت بألفى دينار فقلت انا فقير لا املك دينارا واحدا فكيف لى بقيمته قال ألست تحسن تدبيره وتبيعه فقلت بلى قال فدبره وبعه ونحن نصبر عليك بالثمن الى أن تبيع شيأ شيأ وتؤدى ثمنه فقلت أفعل فأمر بكتاب يكتب على فى الديوان بالمال فكتب على ورجعت الى الشط اعرف عدد الخشب وأوصى به الحراس فوافيت جماعة اهل سوقنا وشيوخهم قد أتوا الى موضع الخشب فقالوا لى ايش صنعت قومت الخشب قلت نعم قالوا بكم قومته فقلت بألفى دينار فقالوا لى وأنت تحسن تقوم لا يساوى هذا هذه القيمة فقلت لهم قد كتب على كتاب فى الديوان وهو عندى يساوى أضعاف هذا فقالوا لى اسكت لا يسمعك احد وكانوا قد قوموه قبلى لابى زنبور بألف دينار فقال بعضهم لبعض أعطوا هذا ربحه وتسلموه أنتم فقال قائل أعطوه ربحه خمسمائة دينار فقلت لا والله لا آخذ فقالوا قد رأى رؤيا فزيدوه فقلت لا والله لا آخذ أقل من ألف دينار قالوا فلك ألف دينار فحول اسمك من الديوان نعطك اذا بعنا ألف دينار فقلت لا والله لا افعل حتى آخذ الالف دينار فى وقتى هذا فمضوا الى حوانيتهم والى منازلهم حتى جاؤنى بألف دينار فقلت لا آخذها الا بنقد الصيرفى وميزانه فمضيت معهم الى صيرفى الناحية حتى وزنوا عنده الالف دينار ونقدتها وأخذتها فشددتها فى طرف ردائى ومضيت معهم الى الديوان وحولت اسماءهم مكان اسمى ووفوا حق الديوان من عندهم ورجعت وقت الظهر الى استاذى فقال لى قبضت ألف دينار منهم فقلت نعم ببركتك وتركت الدنانير بين يديه وقلت له يا استاذ خذ ثمن العود الخشب فقال لا والله لا آخذ منك شيأ أنت عندى مقام ابنى وجاء فى الوقت ابن العسال فدفع اليه استاذى العود الخشب فمضى فهذا خبر رؤياى وتفسيرها فتأمل اعزك الله ما يشتمل عليه من عظم ما كانت عليه مصر وسعة حال الديوان وكيف فضل فيه خشب يساوى الافا من الذهب ونحن اليوم فى زمن اذا احتيج فيه الى عمارة شئ من الاماكن السلطانية بخشب او غيره أخذ من الناس اما بغير ثمن او بأخس القيم مع ما يصيب مالكه من الخوف والخسارة للاعوان وكيف لما قوم هذا الخشب لم يكلف المشترى دفع المال فى الحال وفى زمننا اذا طرحت البضاعة السلطانية على الباعة يكلفون حمل ثمنها بالسرعة حتى ان فيهم من يبيعها بأقل من نصف ما اشتراها به ويكمل الثمن اما من ماله أو يقترضه بربح وكيف لما علم اهل السوق أن الخشب يباع بدون القيمة لم يمضوا الى الديوان ويدفعون فيه زيادة اما لقلة شره الناس اذ ذاك وتركهم الاخلاق الرذيلة من الحسد ونحوه او لعلمهم بعدل السلطان وانه لا ينكث ما عقده وفى زمننا لو ادعى عدو على عدوه أن البضاعة التى كان اشتراها من الديوان قيمتها اكثر مما أخذها به لقبل قوله وغرم زيادة على ما ادعاه عدوه من قلة القيمة جملة اخرى لا جرم أنه تظاهر سفهاء الناس بكل رذيلة وذميمة من الاخلاق فان الملك سوق يجبى اليه ما نفق به وكيف لما علم ابن عقيل أن غلامه استفاد على اسمه ألف دينار لم يشره الى أخذها بل دفع عنه خمسة الدنانير وماذاك الا من انتشار الخير فى الناس وكثرة اموالهم وسعة حال كل أحد بحسبه وطيب نفوس الكافة ولعمرى لو سمع فى زمننا أحد من الامراء والوزراء فضلا عن الباعة أن غلاما من غلمانه أخذ على اسمه عشر هذا المبلغ لقامت قيامته وكيف اتسعت احوال الخشابين حتى وزنوا ألف دينار فى ساعة وانه ليعسر اليوم على الخشابين أن يزنوا فى يوم مائة دينار وهذا كله من وفور غنى الناس بمصر وعظم امرهم وكثرة سعاداتهم وكان

الفسطاط نحو ثلث بغداد ومقداره فرسخ على غاية العمارة والخصب والطيبة واللذة وكانت مساكن اهلها خمس طبقات وستا وسبعا وربما سكن فى الدار الواحدة المائتان من الناس وكان فيه دار عبد العزيز بن مروان يصب فيها لمن فيها فى كل يوم أربعمائة راوية ماء وكان فيها خمسة مساجد وحمامان وعدة افران يخبز بها عجين اهلها وقد قال ابو داود فى كتاب السنن شبرت قثاءة بمصر ثلاثة عشر شبرا ورأيت اترجة على بعير قطعتين قطعت وصيرت على مثل عدلين ذكره فى باب صدقة الزرع من كتاب الزكاة قلت وقد ذكر أن هذا كان فى جنان بنى سنان البصرى خارج مدينة الفسطاط وكانت بحيث لم ير أبدع منها فلما قدم امير المؤمنين عبد الله المأمون بن هارون الرشيد مصر سنة سبع عشرة ومائتين رأى جنان بنى سنان هذه فأعجب بها وسأل ابراهيم بن سنان كم عليه من الخراج لجنانه فذكر أنه يحمل الى الديوان فى كل سنة عشرين ألف دينار فقال المأمون وكم ترد عليك هذه الجنان قال لا استطيع حصره الا أن مازاد على مائة الف دينار أتصدق به ولو درهما هذا وله ولد اسمه احمد بن ابراهيم بن سنان يوصف بعلم وزهد والله تعالى اعلم

(ذكر الآثار الواردة فى خراب مصر)

روى قاسم بن اصبغ عن كعب الاحبار قال الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة والكوفة آمنة من الخراب حتى تكون الملحمة ولا يخرج الدجال حتى تفتح القسطنطينية * وعن وهب بن منبه انه قال الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية وأرمينية آمنة من الخراب حتى تخرب مصر ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يدى رجل من بنى هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من قبل الجوع والسيف وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحفرهم حتى لا يستطيعوا أن يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل العراق وخراب الابلة من قبل عدو يحفرهم مرة برا ومرة بحرا وخراب الرى من قبل الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الصين من قبل الهند وخراب اليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من قبل الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وفى رواية وخراب ارمينية من قبل الرجف والصواعق وخراب الاندلس وخراب الجزيرة من سنابك الخيل واختلاف الجيوش * وعن عبد الله بن الصامت قال ان اسرع الارضين خرابا البصرة ومصر فقيل له وما يخربهما وفيهما عيون الرجال والاموال فقال يخربهما القتل الاحمر والجوع الاغبر كأنى بالبصرة كأنها نعامة جاثمة وأما مصر فان نيلها ينضب او قال ييبس فيكون ذلك خرابها وعن الاوزاعى اذا دخل اصحاب الرايات الصفر مصر فليحفر أهل الشام أسرابا تحت الارض * وعن كعب علامة خروج المهدى الوية تقبل من قبل المغرب عليها رجل من كندة اعرج فاذا ظهر أهل المغرب على مصر فبطن الارض يومئذ خير لاهل الشام * وعن سفيان الثورى قال يخرج عنق من البربر فويل لاهل مصر وقال ابن لهيعة عن ابى الاسود عن مولى لشرحبيل بن حسنة او لعمرو بن العاص قال سمعته يوما واستقبلنا فقال ايها لك مصر اذا رميت بالقسى الاربع قوس الاندلس وقوس الحبشة وقوس الترك وقوس الروم * وعن قاسم بن اصبغ حدثنا احمد بن زهير ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة عن الشيبانى قال تهلك مصر غرقا او حرقا * وعن عبد الله بن مغفل أنه قال لابنته اذا بلغك أن الاسكندرية قد فتحت فان كان خمارك بالمغرب فلا تأخذيه حتى تلحقى بالمشرق * وذكر مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس يرفعه قال أنزل الله تعالى من الجنة الى الارض خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل عليه السلام واستودعها الجبال وأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى أصناف معايشهم وذلك قوله عز وجل وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام فرفع من الارض القرآن كله والعلم كله والحجر من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به

لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقدت اهلها خير الدنيا والدين وقال ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الحضرمى عن حيان بن الاعين عن عبد الله بن عمرو قال ان اول مصر خرابا انطابلس وقال الليث بن سعد عن يزيد بن ابى حبيب عن سالم بن أبى سالم عن عبد الله بن عمرو قال انى لاعلم السنة التى تخرجون فيها من مصر قال فقلت له ما يخرجنا منها يا أبا محمد أعدو قال لا ولكن يخرجكم منها نيلكم هذا يغور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه الكثبان من الرمل وتأكل سباع الارض حيتانه

(ذكر خراب الفسطاط)

وكان لخراب مدينة فسطاط مصر سببان أحدهما الشدة العظمى التى كانت فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى والثانى حريق مصر فى وزارة شاور بن مجير السعدى * (فاما الشدة العظمى) * فان سببها أن السعر ارتفع بمصر فى سنة ست وأربعين واربعمائة وتبع الغلاء وباء فبعث الخليفة المستنصر بالله ابو تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله أبى الحسن على الى متملك الروم بقسطنطينية أن يحمل الغلال الى مصر فأطلق اربعمائة الف اردب وعزم على حملها الى مصر فأدركه أجله ومات قبل ذلك فقام فى الملك بعده امرأة وكتبت الى المستنصر تسأله أن يكون عونا لها ويمدها بعساكر مصر اذا ثار عليها أحد فأبى أن يسعفها فى طلبتها فحردت لذلك وعاقت الغلال عن المسير الى مصر فحنق المستنصر وجهز العساكر وعليها مكين الدولة الحسن بن ملهم وسارت الى اللاذقية فحاربتها بسبب نقض الهدنة وامساك الغلال عن الوصول الى مصر وامدها بالعساكر الكثيرة ونودى فى بلاد الشام بالغزو فنزل ابن ملهم قريبا من فامية وضايق اهلها وجال فى أعمال انطاكية فسبى ونهب فأخرج صاحب قسطنطينية ثمانين قطعة فى البحر فحاربها ابن ملهم عدة مرار وكانت عليه واسر هو وجماعة كثيرة فى شهر ربيع الاول منها فبعث المستنصر فى سنة سبع وأربعين ابا عبد الله القضاعى برسالة الى القسطنطينية فوافى اليها رسول طغربل السلجوقى من العراق بكتابة يأمر متملك الروم بأن يمكن الرسول من الصلاة فى جامع القسطنطينية فأذن له فى ذلك فدخل اليه وصلى فيه صلاة الجمعة وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسى فبعث القاضى القضاعى الى المستنصر يخبره بذلك فأرسل الى كنيسة قمامة بيت المقدس وقبض على جميع ما فيها وكان شيأ كثيرا من اموال النصارى ففسد من حينئذ ما بين الروم والمصريين حتى استولوا على بلاد الساحل كلها وحاصروا القاهرة كما يرد فى موضعه ان شاء الله تعالى واشتد فى هذه السنة الغلاء وكثر الوباء بمصر والقاهرة وأعمالها الى سنة اربع وخمسين وأربعمائة فحدث مع ذلك الفتنة العظيمة التى خرب بسببها اقليم مصر كله وذلك أن المستنصر لما خرج على عادته فى كل سنة على النجب مع النساء والحشم الى ارض الجب خارج القاهرة جرد بعض الاتراك سيفا وهو سكران على احد عبيد الشراء فاجتمع عليه كثير من العبيد وقتلوه فحنق لقتله الاتراك وساروا بجميعهم الى المستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان من غير رضى أمير المؤمنين فلا نرضى بذلك فتبرأ المستنصر مما جرى وأنكره فتجمع الاتراك لمحاربة العبيد وكانت بينهما حروب شديدة بناحية كوم شريك قتل فيها عدة من العبيد وانهزم من بقى منهم فشق ذلك على ام المستنصر فانها كانت السبب فى كثرة العبيد السود بمصر وذلك انها كانت جارية سوداء فأحبت الاستكثار من جنسها واشترتهم من كل مكان وعرفت رغبتها فى هذا الجنس فجلبت الناس الى مصر منهم حتى يقال انه صار فى مصر اذ ذاك زيادة على خمسين الف عبد أسود فلما كانت وقعة كوم شريك امدت العبيد بالاموال والسلاح سرا وكانت ام المستنصر قد تحكمت فى الدولة وحقدت على الاتراك وحنت على قتلهم مولاها ابا سعد التسترى فقويت العبيد لذلك حتى صار الواحد منهم يحكم بما يختار فكرهت الاتراك ذلك وكان ما ذكر فظفر بعض الاتراك يوما بشئ من المال والسلاح قد بعثت به ام المستنصر الى العبيد تمدهم به بعد انهزامهم من كوم شريك فاجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر واغلظوا فى القول فحلف انه لم يكن عنده علم بما ذكر وصار الى امه فنكرت ما فعلت وخرج الاتراك فصار السيف قائما ووقعت الفتنة ثانيا فانتدب المستنصر أبا الفرج ابن المغربى ليصلح بين الطائفتين فاصطلحا على غل وخرج العبيد الى شبرا دمنهور فكان هذا اول اختلال احوال اهل مصر ودبت عقارب العداوة بين الفئتين الى سنة تسع وخمسين فقويت شوكة الاتراك وضروا على المستنصر وزاد طمعهم

فيه وطلبوا منه الزيادة فى واجباتهم وضاقت احوال العبيد واشتدت ضرورتهم وكثرت حاجتهم وقلّ مال
السلطان واستضعف جانبه فبعثت أم المستنصر الى قوّاد العبيد تغريهم بالاتراك فاجتمعوا بالجيزة وخرج اليهم
الاتراك ومقدّمهم ناصر الدين حسين بن حمدان فاقتتلا عدّة مرار ظهر فى آخرها الاتراك على العبيد وهزموهم
الى بلاد الصعيد فعاد ابن حمدان الى القاهرة وقد عظم امره وقوى جاشه وكبرت نفسه واستخف بالخليفة فجاءه
الخبر أنه قد تجمع من العبيد ببلاد الصعيد نحو خمسة عشر الف فارس فقلق وبعث يتّهم الاتراك الى المستنصر
فأنكر ما كان من اجتماع العبيد وجنوا فى خطابهم وفارقوه على غير رضى منهم فبعثت أم المستنصر الى من
بحضرتها من العبيد تأمرهم بالايقاع على غفلة بالاتراك فهجموا عليهم وقتلوا منهم عدّة فبادر ابن حمدان الى
الخروج ظاهر القاهرة وتلاحق به الاتراك وبرز اليهم العبيد المقيمون بالقاهرة ومصر وحاربوهم عدّة ايام فحلف
ابن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه حتى ينفصل الامر اماله أو عليه وجدّ كل من الفريقين فى القتال فظهرت
الاتراك على العبيد وأثخنوا فى قتلهم وأسرهم فعادوا الى القاهرة وتتبع ابن حمدان من فى البلد منهم حتى
افنى معظمهم هذا والعبيد ببلاد الصعيد على حالهم وبالاسكندرية أيضا منهم جمع كثير فسار ابن حمدان الى
الاسكندرية وحاصرهم فيها مدّة حتى سألوه الامان فأخرجهم وأقام فيها من يثق به وانقضت هذه السنة كلها فى
قتال العبيد ودخلت سنة ستين وأربعمائة وقد خرق الاتراك ناموس المستنصر واستهانوا به واستخفوا بقدره
وصار مقرّرهم فى كل شهر اربعمائة الف دينار بعد ما كان ثمانية وعشرين ألف دينار ولم يبق فى الخزائن مال
فبعثوا يطالبونه بالمال فاعتذر اليهم بعجزه عما طلبوه فلم يعذروه وقالوا بع ذخائرك فلم يجد بدا من اجابتهم وأخرج
ما كان فى القصر من الذخائر فصاروا يقوّمون ما يخرج اليهم بأخس القيم وأقل الاثمان ويأخذون ذلك فى
واجباتهم وتجهز ابن حمدان وسار الى الصعيد يريد قتال العبيد وكانت شرورهم قد كثرت وضررهم وفسادهم قد
تزايد فلقيهم وواقعهم غير مرّة والاتراك تنكسر منهم وتعود الى محاربتهم الى أن حمل العبيد عليهم حملة انهزموا فيها
الى الجيزة فأخذوا عند ذلك فى أمر المستنصر ونسبوه الى مباطنة العبيد وتقويتهم فأنكر ذلك وحلف عليه
فأخذوا فى اصلاح شأنهم ولمّ شعثهم وساروا لقتال العبيد وما زالوا يلحّون فى قتالهم حتى انكسرت العبيد كسرة
شنيعة وقتل منهم خلق كثير وفرّ من بقى فذهبت شوكتهم وزالت دولتهم ورجع ابن حمدان وقد كشف قناع الحياء
وجهر بالسوء للمستنصر واستبد بسلطنة البلاد ودخلت سنة احدى وستين وابن حمدان مستبدّ بالامر مجاف
للمستنصر فثقل مكانه على الاتراك وتفرّغوا من العبيد والتفتوا اليه وقد استبدّ بالامور دونهم واستأثر
بالاموال عليهم ففسد ما بينهم وبينه وشكوا منه الى الوزير خطير الملك فأغراهم به ولامهم على ما كان من تقويته
وحسن لهم الثورة به فصاروا الى المستنصر ووافقوه على ذلك فبعث الى ابن حمدان يأمره بالخروج عن مصر
ويهدّده ان امتنع فلم يقدر على الامتناع منه لفساد الاتراك عليه وميلهم مع المستنصر فخرج الى الجيزة وانتهب
الناس دوره ودور حواشيه فلما جنّ عليه الليل عاد من الجيزة سرّا الى دار القائد تاج الملوك شادى وترامى عليه
وقبّل رجليه وسأله النصرة على الذكر والوزير الخطير فانهما قاما بهذه الفتنة فأجابه الى ذلك ووعده بقتل
المذكورين وفارقه ابن حمدان فلما كان من الغد ركب شادى فى اصحابه وأخذ يسير بين القصرين بالقاهرة
وأقبل الوزير الخطير فى موكبه فبادره شادى على حين غفلة وقتله ففرّ الذكر الى القصر والتجأ بالمستنصر فلم يكن
بأسرع من قدوم ابن حمدان وقد استعدّ للحرب فيمن معه فركب المستنصر بلامة الحرب واجتمع اليه الاجناد
والعامة وصار فى عدد لا ينحصر وبرزت الفرسان فكانت بين الخليفة وابن حمدان حروب آلت الى هزيمة ابن
حمدان وقتل كثير من اصحابه فمضى فى طائفة الى البحيرة وترامى على بنى سنبس وتزوّج منهم فعظم الامر بالقاهرة
ومصر من شدّة الغلاء وقلة الاقوات لما فسد من الاعمال بكثرة النهب وقطع الطريق حتى أكل الناس الجيف
والميتات ووقف ارباب الفساد فى الطريق فصاروا يقتلون من ظفروا به فى أزقة مصر فهلك من اهل مصر فى هذه
الحروب والفتن ما لا يمكن حصره وامتدّ ذلك الى أن دخلت سنة ثلاث وستين فجهز المستنصر عساكره لقتال ابن
حمدان بالبحيرة فسارت اليه ولم يوفق فى محاربته فكسرها كلها واحتوى على ما كان معها من سلاح وكراع ومال
فتقوّى به وقطع الميرة عن البلد ونهب اكثر الوجه البحرى وقطع منه الخطبة للمستنصر ودعا للخليفة القائم
بأمر الله العباسى بالاسكندرية ودمياط وعامة الوجه البحرى فاشتدّ الجوع وتزايد الموتان بالقاهرة ومصر

حتى انه كان يموت الواحد من اهل البيت فلا يمضى يوم وليلة من موته حتى يموت سائر من فى ذلك البيت ولا يوجد
من يستولى عليه ومدّت الاجناد أيديها الى النهب فخرج الامر عن الحدّ ونجا اهل القوّة بأنفسهم من مصر
وساروا الى الشام والعراق وخرج من خزائن القصر ما يجلّ وصفه وقد ذكر طرف من ذلك فى أخبار القاهرة عند
ذكر خزائن القصر فاضطرّ الاجناد ما هم فيه من شدّة الجوع الى مصالحة ابن حمدان بشرط أن يقيم فى مكانه
ويحمل اليه مال مقرّر وينوب عنه شادى بالقاهرة فرضى بذلك وسير الغلال الى القاهرة ومصر فسكن
ما بالناس من شدّة الجوع قليلا ولم يكن ذلك الا نحو شهر ووقع الاختلاف عليه فقدم من البحيرة الى مصر
وحاصرها وانتهبها وأحرق دورا عديدة بالساحل ورجع الى البحيرة فدخلت سنة اربع وستين والحال على ذلك
وشادى قد استبدّ بأمر الدولة وفسد ما بينه وبين ابن حمدان ومنعه من المال الذى تقرّر له وتمّ به عليه فلم يوصله
الا القليل فخرج من ذلك ابن حمدان وجمع العربان وسار الى الجيزة وخادع شادى حتى صار اليه ليلا فى عدّة من
الاكابر فقبض عليه وعليهم وبعث اصحابه فنهبوا مصر واطلقوا فيها النار فخرج اليهم عسكر المستنصر من القاهرة
وهزموهم فعاد الى البحيرة وبعث رسولا الى الخليفة القائم بأمر الله ببغداد باقامة الخطبة له وسأله الخلع
والتشاريف وانحلّ امر المستنصر وتلاشى ذكره وتناقم الامر فى الشدّة من الغلاء حتى هلكوا فسار ابن حمدان
الى البلد وليس فى أحد قوّة يمنعه بها فملك القاهرة وامتنع المستنصر بالقصر فسيّر اليه رسولا يطلب منه المال
فوجده وقد ذهب سائر ما كان يعهده من ابهة الخلافة حتى جلس على حصير ولم يبق معه سوى ثلاثة من الخدم
فبلغه رسالة ابن حمدان فقال المستنصر للرسول ما يكفى ناصر الدولة أن اجلس فى مثل هذا البيت على هذا
الحال فبكى الرسول رقّة له وعاد الى ابن حمدان فأخبره بما شاهد من اتضاع امر المستنصر وسوء حاله فكفّ عنه
وأطلق له فى كل شهر مائة دينار واستدّت يده وتحكم وبالغ فى اهانة المستنصر مبالغة عظيمة وقبض على امه وعاقبها
اشدّ العقوبة واستصفى اموالها فحاز منها شيأ كثيرا فتفرّق حينئذ عن المستنصر جميع أقاربه واولاده من الجوع
فمنهم من سار الى المغرب ومنهم من سار الى الشام والعراق * قال الشريف محمد بن اسعد الجوانى النسابة فى كتاب
النقط حلّ بمصر غلاء شديد فى خلافة المستنصر بالله فى سنة سبع وخمسين واربعمائة واقام الى سنة اربع وستين
وأربعمائة وعمّ مع الغلاء وباء شديد فأقام ذلك سبع سنين والنيل يمدّ وينزل فلا يجد من يزرع وشمل الخوف
من العسكرية وفساد العبيد فانقطعت الطرقات برّا وبحرا الا بالخفارة الكثيرة مع ركوب الغرر ونزل المارقون
بعضهم على بعض واستولى الجوع لعدم القوت وصار الحال الى أن بيع رغيف من الخبز الذى وزنه رطل بزقاق
القناديل كبيع الطرف فى النداء بأربعة عشر درهما وبيع اردب من القمح بثمانين دينارا ثم عدم ذلك وأكلت
الكلاب والقطاط ثم تزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا وكان بمصر طوائف من اهل الفساد
قد سكنوا بيوتا قصيرة السقوف قريبة ممن يسعى فى الطرقات ويطوف وقد أعدّوا سلبا وخطاطيف فاذا مرّ بهم
أحد شالوه فى أقرب وقت ثم ضربوه بالاخشاب وشرحوا لحمه وأكلوه * قال وحدّثنى بعض نسائنا الصالحات
قالت كانت لنا من الجارات امرأة ترينا أفخاذها وفيها كالحفر فكنا نسألها فتقول انا ممن خطفنى أكلة الناس
فى الشدّة فأخذنى انسان وكنت ذات جسم وسمن فأدخلنى الى بيت فيه سكاكين وآثار الدماء وزفرة القتلى
فأضجعنى على وجهى وربط فى يدىّ ورجلىّ سلبا الى اوتاد حديد عريانة ثم شرّح من أفخاذى شرائح وأنا استغيث
ولا أحد يجيبنى ثم اضرم الفحم وشوى من لحمى وأكل اكلا كثيرا ثم سكر حتى وقع على جنبه لا يعرف اين هو
فأخذت فى الحركة الى أن انحلّ أحد الاوتاد وأعان الله على الخلاص وتخلصت وحللت الرباط وأخذت خرقا
من داره ولففت بها أفخاذى وزحفت الى باب الدار وخرجت ازحف الى أن وقعت الى المأمن وجئت الى بيتى
وعرّفتهم بموضعه فمضوا الى الوالى فكبس عليه وضرب عنقه وأقام الدواء فى أفخاذى سنة الى أن ختم الجرح
وبقى كذا حفرا وبسبب هذا الغلاء خرب الفسطاط وخلا موضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلى القرافة
حيث الكيمان الآن الى بركة الحبش فلما قدم امير الجيوش بدر الجمالى الى مصر وقام بتدبير أمرها نقلت أنقاض
ظاهر مصر مما يلى القاهرة حيث كان العسكر والقطائع وصار فضاء وكيمانا فيما بين مصر والقاهرة وفيما بين مصر
والقرافة وتراجعت أحوال الفسطاط بعد ذلك حتى قارب ما كان عليه قبل الشدّة * (وأما حريق مصر) *
وكان سببه أن الفرنج لما تغلبوا على ممالك الشام واستولوا على السواحل حتى صار بأيديهم ما بين ملطية

* (خط باب القنطرة) هذا الخط كان يعرف قديما بحارة المرتاحية وحارة الفرحية والرماحين وكان ما بين الرماحين الذي يعرف اليوم بباب القوس داخل باب القنطرة وبين الخليج فضاء لا عمارة فيه بطول ما بين باب الرماحين الى باب الخوخة والى باب سعادة والى باب الفرج ولم يكن اذ ذاك على حافة الخليج عمائر البتة وانما العمائر من جانب الكافوري وهي مناظر اللؤلؤة وما جاورها من قبليها الى باب الفرج وتخرج العامة عصريات كل يوم الى شاطئ الخليج الشرقي تحت المناظر للتفرج فان بر الخليج الغربي كان فضاء ما بين بساتين وبرك كما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى * قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وثمانين وخمسمائة في شوال قطع النيل الجسور واقتلع الشجر وغرق النواحي وهدم المساكن وأتلف كثيرا من النساء والاطفال وكثر الرخاء بمصر فالقمح كل مائة أردب بثلاثين دينارا والخبز البايت ستة ارطال بربع درهم والرطب الامهات ستة ارطال بدرهم والموز ستة ارطال بدرهم والرمان الجيد مائة حبة بدرهم والحمل الخيار بدرهمين والتين ثمانية ارطال بدرهم والعنب ستة ارطال بدرهم في شهر بابه بعد انقضاء موسمه المعهود بشهرين والياسمين خمسة ارطال بدرهم وآل أمر اصحاب البساتين الى ان لا يجمعوا الزهر لنقص ثمنه عن اجرة جمعه وثمر الحناء عشرة ارطال بدرهم والبسرة عشرة ارطال بدرهم من جيده والمتوسط خمسة عشر رطلا بدرهم وما في مصر الا متسخط بهذه النعمة قال ولقد كنت في خليج القاهرة من جهة المقس لانقطاع الطرق بالمياه فرأيت الماء مملوءا سمكا والزيادة قد طبقت الدنيا والنخل مملوء تمرا والمكشوف من الارض مملوء ريحانا وبقولا ثم نزلت فوصلت الى المقس فوجدت من القلعة التي بالمقس الى منية السيرج غلالا قد ملأت صبرها الارض فلا يدري الماشي أين يضع رجله متصلا عرض ذلك الى باب القنطرة وعلى الخليج عند باب القنطرة من مراكب الغلة ما قد ستر سواحله وارضه قال ودخلت البلد فرأيت في السوق من الاخباز واللحوم والالبان والفواكه ما قد ملأها وهجمت منه العين على منظر ما رأيت قبله مثله قال وفي البلد من البغي ومن المعاصي ومن الجهر بها ومن الفسق بالزنا واللواط ومن شهادة الزور ومن مظالم الامراء والفقهاء ومن استحلال الفطر في نهار رمضان وشرب الخمر في ليله ممن يقع عليه اسم الاسلام ومن عدم النكير على ذلك جميعه ما لم يسمع ولم يعهد مثله فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وظفر بجماعة مجتمعين في حارة الروم يتغدون في قاعة في نهار رمضان فما كلموا وبقوم مسلمين ونصارى اجتمعوا على شرب خمر في ليل رمضان فما أقيم فيهم حد وخط باب القنطرة فيما بين حارة بهاء الدين وسويقة أمير الجيوش وينتهي من قبليه الى خط بين السورين * (خط بين السورين) هذا الخط من حد باب الكافوري في الغرب الى باب سعادة وبه الآن صفان من الاملاك أحدهما مشرف على الخليج والآخر مشرف على الشارع المسلوك فيه من باب القنطرة الى باب سعادة ويقال لهذا الشارع بين السورين تسميه العامة بها فاشتهر بذلك وكان في القديم بهذا الخط البستان الكافوري يشرف عليه بجده الغربي ثمة مناظر اللؤلؤة وقد بقيت منها عقود مبنية بالآجر يمر السالك في هذا الشارع من تحتها ثم مناظر دار الذهب وموضعها الآن دار تعرف بدار بهادر الاعسر وعلى بابها بئر يستقي منها الماء في حوض يشرب منه الدواب ويجاورها قبو معقود يعرف بقبو الذهب هو من بقية مناظر دار الذهب وبحد دار الذهب منظرة الغزالة وهي بجوار قنطرة الموسكي وقد بني في مكانها ربع يعرف الى اليوم بربع غزالة ودار ابن قرفه وقد صار موضعها جامع ابن المغربي وحمام ابن قرفة وبقي منها البئر التي يستقي منها الى اليوم بحمام السلطان وعدة دور كلها فيما يلي شقة القاهرة من صف باب الخوخة وكان ما بين المناظر والخليج براحا ولم يكن شيء من هذه العمائر التي بحافة الخليج اليوم البتة وكان الحاكم بأمر الله في سنة احدى واربعمائة منع من الركوب في المراكب بالخليج وسد أبواب القاهرة التي تلي الخليج وأبواب الدور التي هنالك والطاقات المطلة عليه على ما حكاه المسبحي * وقال ابن المأمون في حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة ولما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام بها مدة النيل على الحكم الاول يعني قبل أيام أمير الجيوش بدر وابنه الافضل وازالة ما لم تكن العادة جارية عليه من مضايقة اللؤلؤة بالبناء وانها صارت حارات تعرف بالفرحية والسودان وغيرهما أمر حسام الملك متولي بابه باحضار عرفاء الفرحية والانكار عليهم في تجاسرهم على ما استجدوه وأقدموا عليه فاعتذروا بكثرة الرجال وضيق الامكنة عليهم فبنوا لهم ما ايسرة فتقدم يعني أمر الوزير المأمون الى متولي الباب بالانعام عليهم وعلى جميع من بنى في هذه الحارة بثلاثة آلاف درهم وان يقسم بينهم بالسوية ويأمرهم بنقل قشهم وأن يبنوا لهم حارة قبالة بستان الوزير يعني

ابن المغربي خارج الباب الجديد من الشارع خارج باب زويلة قال وتحول الخليفة الى اللؤلؤة بحاشيته واطلقت التوسعة في كل يوم لما يختص الخاص والجهات والاستاذين من جميع الاصناف وانضاف اليها ما يطلق كل ليلة عينا وورقا وأطعمة للبائتين بالنوبة برسم الحرس بالنهار والسهر في طول الليل من باب قنطرة بهادر الى مسجد الليمونة من البرين من صبيان الخاص والركاب والرهجية والسودان والحجاب كل طائفة بنقيبها والعرض من متولي الباب واقع بالعدة في طرفي كل ليلة ولا يمكن بعضهم بعضا من المنام والرهجية تخدم على الدوام * (خط الكافوري) هذا الخط كان بستانا من قبل بناء القاهرة وتملك الدولة الفاطمية لديار مصر أنشأه الامير أبو بكر محمد بن طغج بن جف الملقب بالاخشيد وكان بجانبه ميدان فيه الخيول وله أبواب من حديد فلما قدم جوهر القائد الى مصر جعل هذا البستان من داخل القاهرة وعرف ببستان كافور وقيل له في الدولة الفاطمية البستان الكافوري ثم اختط مساكن بعد ذلك قال ابن زولاق في كتاب سيرة الاخشيد ولست خلون من شوال سنة ثلاثين وثلثمائة سار الاخشيد الى الشام في عساكره واستخلف أخاه أبا المظفر ابن طغج قال وكان يكره سفك الدماء ولقد شرع في الخروج الى الشام في آخر سفراته وسار العسكر وكان نازلا في بستانه في موضع القاهرة اليوم فركب للمسير فساعة خرج من باب البستان اعترضه شيخ يعرف بمسعود الصابوني يتظلم اليه فنظر له فتطير به وقال خذوه ابطحوه فبطح وضرب خمس عشرة مقرعة وهو ساكت فقال الاخشيد هو ذا يتشاطر فقال له كافور قد مات فانزعج واستقال سفرته وعاد لبستانه وأحضر أهل الرجل واستحلهم وأطلق لهم ثلثمائة دينار وحمل الرجل الى منزله ميتا وكانت جنازته عظيمة وسافر الاخشيد فلم يرجع الى مصر ومات بدمشق * وقال في كتاب تتمة كتاب امراء مصر للكندي وكان كافور الاخشيدي أمير مصر يواصل الركوب الى الميدان والى بستانه في يوم الجمعة ويوم الاحد ويوم الثلاثاء قال وفي غد هذا اليوم يعني يوم الثلاثاء مات الاستاذ كافور الاخشيدي لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة ويوم مات الاستاذ كافور الاخشيدي خرج الغلمان والجند الى المنظرة وخربوا بستان كافور ونهبوا دوابه وطلبوا مال البيعة وقال ابن عبد الظاهر البستان الكافوري هو الذي كان بستانا لكافور الاخشيدي وكان كثيرا ما يتنزه به وبنيت القاهرة عنده ولم يزل الى سنة احدى وخمسين وستمائة فاختطت البحرية والعزيزية به اصطبلات وازيلت اشجاره قال ولعمري ان خرابه كان بحق فانه كان عرف بالحشيشة التي يتناولها الفقراء والتي تطلع به يضرب بها المثل في الحسن قال شاعرهم نور الدين ابو الحسن علي بن عبد الله بن علي النيلي لنفسه

رب ليل قطعته ونديمي * شاهدي وهو مسمعي وسميري
مجلسي مسجد وشربي من خضراء تزهو بحسن لون نضير
قال لي صاحبي وقد فاح منها * نشرها مزريا بنشر العبير
امن المسك قلت ليست من المسك ولكنها من الكافوري

وقال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد بن محمد الاسدي الدمشقي المعروف باليغموري انشدني الامام العالم المعروف بمجموع الفضائل زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن عبد القادر الحنفي لنفسه وهو اول من عمل فيها

* وخضراء كافورية بات فعلها * بألبابنا فعل الرحيق المعتق *
* اذا نفحتنا من شذاها بنفحة * تدب لنا في كل عضو ومنطق *
غنيت بها عن شرب خمر معتق * وبالدلق عن لبس الجديد المزوق

وانشدني الحافظ جلال الدين أبو المعز ابن أبي الحسن بن أحمد بن الصائغ المغربي لنفسه

عاطني خضراء كافورية * يكتب الخمر لها من جندها
* اسكرتنا فوق ما اسكرنا * وربحنا أنفسا من حدها *

وانشدني لنفسه

قم عاطني خضراء كافورية * قامت مقام سلافة الصهباء
يغدو الفقير اذا تناول درهما * منها له تيه على الامراء

وأخشابه وبيعت وتلاشى حاله وبنى به وبالميدان اصطبلات ودورات بالخرشتف فسمى بذلك ثم بنى به الادر
والطواحين وغيرها وذلك بعد السبعمائة وأكثر أراضى الميدان حكر للادر القطبية * (خط اصطبل القطبية)
هذا الخط أيضا من جملة أراضى الميدان ولما انتقلت القاعة التى كانت سكن أخت الحاكم بأمر الله بعد زوال
الدولة الفاطمية صارت الى الملك المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل أبى بكر ابن أيوب فاستقر بها هو
وذريته فصار يقال لها الدار القطبية واتخذ هذا المكان اصطبلا لهذه القاعة فعرف باصطبل القطبية ثم لما اخذ
الملك المنصور قلاوون القاعة القطبية من مونسة خاتون المعروفة بدار اقبال ابنة الملك العادل أبى بكر ابن أيوب
أخت المفضل قطب الدين أحمد المعروفة بخاتون القطبية وعملها المارستان المنصورى بنى فى هذا الاصطبل
المساكن وصارت من جملة الخطط المشهورة ويتوصل اليه من وسط سوق الخرشتف ويسلك فيه من آخره الى
المدرسة الناصرية والمدرسة الظاهرية المستجدة وعمل على اوله درب يغلق وهو خط عامر * (خط باب سر المارستان)
هذا الخط يسلك اليه من الخرشتف ويصير السالك فيه الى البندقانيين وبعض هذا الخط وهو جله ومعظمه من
جملة اصطبل الجميزة الذى كان فيه خيول الدولة الفاطمية وقد تقدم ذكره وموضع باب سر المارستان المنصورى
هو باب الساباط فلما زالت الدولة واختط الكافورى والخرشتف واصطبل القطبية صار هذا الخط واقعا بين هذه
الاخطاط ونسب الى باب سر المارستان لانه من هنالك وادركت بعض هذه الخطة وهى خراب ثم انشأ فيه القاضى
جمال الدين محمود القيصرى محتسب القاهرة فى أيام ولايته نظر المارستان فى سنة احدى وثمانين وسبعمائة
الطاحون العظيمة ذات الاحجار والفرن والربع علوه فى المكان الخراب وجعل ذلك جاريا فى جملة أوقاف المارستان
المنصورى * (خط بين القصرين) هذا الخط اعمر أخطاط القاهرة وأنزهها وقد كان فى الدولة الفاطمية فضاء كبيرا
وبراحا واسعا يقف فيه عشرة آلاف من العسكر ما بين فارس وراجل ويكون به طرادهم ووقوفهم للخدمة كما هو
الحال اليوم فى الرميلة تحت قلعة الجبل فلما انقضت أيام الدولة الفاطمية وخلت القصور من أهاليها ونزل بها أمراء
الدولة الايوبية وغيروا معالمها صار هذا الموضع سوقا مبتذلا بعد ما كان ملاذا مبجلا وقعد فيه الباعة باصناف
المأكولات من اللحمان المتنوعة والحلاوات المصنعة والفاكهة وغيرها فصار منتزها تمر فيه اعيان الناس
وأماثلهم فى الليل مشاة لرؤية ما هنالك من السرج والقناديل الخارجة عن الحد فى الكثرة ولرؤية ما تشتهى الانفس
وتلذ الاعين مما فيه لذة للحواس الخمس وكانت تعقد فيه عدة حلق لقراءة السير والاخبار وانشاد الاشعار والتفنن
فى انواع اللعب واللهو فيصير مجمعا لا يقدر قدره ولا يمكن حكاية وصفه وسأتلوا عليك من أنباء ذلك ما لا تجده
مجموعا فى كتاب * قال المسبحى فى حوادث جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة وفيه منع كل أحد ممن يركب
مع المكاريين ان يدخل من باب القاهرة راكبا ولا المكاريين أيضا بحميرهم ولا يجلس أحد على باب الزهومة من
التجار وغيرهم ولا يمشى أحد ملاصق القصر من باب الزهومة الى اقصى باب الزمرذ ثم عفى عن المكاريين بعد ذلك
وكتب لهم امان قرئ * وقال ابن الطوير ويبيت خارج باب القصر كل ليلة خمسون فارسا فاذا اذن بالعشاء
الاخرة داخل القاعة وصلى الامام الراتب بها بالمقيمين فيها من الاستاذين وغيرهم وقف على باب القصر أمير يقال له
سنان الدولة ابن الكركندى فاذا علم بفراغ الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق وتوابعهما من عدة
وافرة بطريق مستحسنة ساعة زمانية ثم يخرج بعد ذلك استاذ برسم هذه الخدمة فيقول أمير المؤمنين يرد على
سنان الدولة السلام فيصقع ويغرس حربة على الباب ثم يرفعها بيده فاذا رفعها اغلق الباب وسار الى حوالى
القصر سبع دورات فاذا انتهى ذلك جعل على الباب البياتين والفراشين المقدم ذكرهم وافضى المؤذنون الى
خزانتهم هنالك ورميت السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين فينقطع المار من ذلك المكان
الى ان تضرب النوبة سحرا قريب الفجر فتنصرف الناس من هنالك بارتفاع السلسلة انتهى * واخبرنى المشيخة
انه ما زال الرسم الى قريب أنه لا يمر بشارع بين القصرين حمل تبن ولا حمل حطب ولا يستطيع أحد أن يسوق
فرسا فيه فان ساق أحد انكر عليه وخرق به * وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب والمكان الذى كان يعرف فى القاهرة
بين القصرين هو من الترتيب السلطانى لان هنالك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت
القاهرة كلها كذلك كانت عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية * وقال ياقوت وبين القصرين كان ببغداد يباب
الطاق يراد به قصر اسماء بنت المنصور وقصر عبد الله بن المهدى وكان يقال لهما أيضا بين القصرين وبين

القصرين بمصر والقاهرة وهما قصران متقابلان بينهما طريق العامة والسوق عمرهما ملوك مصر المغاربة
المتغلبون الذين ادعوا انهم علوية وحدثنى الفاضل الرئيس تقى الدين عبد الوهاب ناظر الخواص الشريفة ابن
الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله ابن أبى شاكر أنه كان يشترى فى كل ليلة من بين القصرين بعد العشاء الآخرة
برسم الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله بن خصيب من الدجاج المطجن والقطا وفراخ الحمام والعصافير المقلاة
بمبلغ مائتى درهم وخمسين درهما فضة يكون عنها يومئذ نحو من اثنى عشر مثقالا من الذهب وأن هذا كان دأبه
فى كل ليلة ولا يكاد مثل هذا مع كثرته لرخاء الاسعار يؤثر نقصه فيما كان هنالك من هذا الصنف لعظم ما كان يوضع
فى بين القصرين من هذا النوع وغيره واقد ادركنا فى كل ليلة من بعد العصر يجلس الباعة بصنف لحمان الطيور
التى تقلى صفا من باب المدرسة الكاملية الى باب المدرسة الناصرية وذلك قبل بناء المدرسة الظاهرية المستجدة
فيباع لحم الدجاج المطجن ولحم الاوز المطجن كل رطل بدرهم وتارة بدرهم وربع وتباع العصافير المقلوة كل
عصفور بفلس حسابا عن كل أربعة وعشرين بدرهم والمشيخة تقول انا حينئذ فى غلاء لكثرة ما نصف من سعة
الارزاق ورخاء الاسعار فى الزمن الذى ادركوه قبل الفناء الكبير ومع ذلك فلقد وقع فى سنة ست وثمانين شئ لا يكاد
يصدقه اليوم من لم يدرك ذلك الزمان وهو أنه كان لنا من جيراننا بحارة برجوان شخص يعانى الجندية
ويركب الخيل فبلغنى عن غلامه انه خرج فى ليلة من ليالى رمضان وكان رمضان اذ ذاك فى فصل الصيف ومعه
رفيق له من غلمان الخيل وأنهما سرقا من شارع بين القصرين وما قرب منه بضعا وعشرين بطيخة خضراء وبضعا
وثلاثين شقفة جبن والشقفة ابدا من نصف رطل الى رطل فما منا الا من تعجب من ذلك وكيف تهيأ للاثنين فعل
هذا وحمل هذا القدر يحتاج الى دابتين الى ان قدر الله تعالى لى بعد ذلك ان اجتمعت بأحد الغلامين المذكورين
وسألته عن ذلك فاعترف لى به قلت صف لى كيف عملتما فذكر أنهما كانا يقفان على حانوت الجبان أو مقعد البطيخ
وكان اذ ذاك يعمل من البطيخ فى بين القصرين مرصات كثيرة جدا فى كل مرص ما شاء الله من البطيخ قال فاذا
وقفنا قلب أحدنا بطيخة وقلب الاخر أخرى فلشدة ازدحام الناس يتناول أحدنا بطيخته بخفة يد وصناعة
ويقوم فلا يفطن به أو يقلب أحدنا ورفيقه قائم من ورائه والبياع مشغول البال لكثرة ما عليه من المشترين
وما فى ذلك الشارع من غزير الناس فيحذفها من تحته وهو جالس القرفصا فاذا أحس بها رفيقه تناولها ومر
وكذلك كان فعلهم مع الجبانين وكانوا كثيرا ما نظرا أعزك الله الى بضاعة يسرق منها مثل هذا القدر ولا يفطن
به من كثرة ما هنالك من البضائع واعظم الخلق * ولقد حدثنى غير واحد ممن قدم مع قاضى القضاة عماد الدين أحمد
الكركى انه لما قدموا من الكرك فى سنة اثنين وتسعين وسبعمائة كادوا يذهلون عند مشاهدة بين القصرين وقال
لى ابنه محب الدين محمد اول ما شاهدت بين القصرين حسبت ان زفة أو جنازة كبيرة تمر من هنالك فلما لم ينقطع
المارة سألت ما بال الناس مجتمعين للمرور من ههنا فقيل لى هذا دأب البلد دائما واقد كنا نسمع أن من الناس من
يقوم خلف الشاب أو المرأة عند التمشى بعد العشاء بين القصرين ويجامع حتى يقضى وطره وهما ماشيان من غير
أن يدركهما أحد لشدة الزحام واشتغال كل أحد بلهوه وما برحت أجد من الازدحام مشقة حتى أفادنى بعض
من ادركت أن من الرأى فى المشى ان يأخذ الانسان فى مشيه نحو شماله فانه لا يجد من المشقة كما يجد غيره من
الزحام فاعتبرت ذلك آلاف مرات فى عدة سنين فما اخطأ معى ولقد كنت اكثر من تأمل المارة بين القصرين
فاذا هم صفان كل صف يمر من صوب شماله كالسيل اذا اندفع وعلل هذا الذى أفادنى ان القلب من يسار
كل أحد والناس تميل الى جهة قلوبهم فلذلك صار مشيهم من صوب شمائلهم وكذا صح لى مع طول الاعتياد
ولما حدثت هذه المحن بعد سنة ست وثمانين وثمانمائة تلاشى أمر بين القصرين وذهب ما هنالك وما اخوفنى
ان يكون أمر القاهرة كما قيل

هذه بلدة قضى الله يا صا ... ح عليها كما ترى بالخراب
فقف العيس وقفة وابك من كا ... ن بها من شيوخها والشباب
واعتبر ان دخلت يوما اليها ... فهى كانت منازل الاحباب

* (خط الخشيبة) هذا الخط يتوصل اليه من وسط سوق باب الزهومة ويسلك فيه الى الحارة العدوية حيث فندق
الرخام برحبة بيبرس والى درب شمس الدولة وقيل له خط الخشيبة من أجل ان الخليفة الظافر لما قتله نصر بن عباس

باب القنطرة * (ميدان الملك العزيز) هذا الميدان كان بجوار الخليج المذكور وكان موضعه بستانا * قال القاضي الفاضل في متجددات ثالث عشري شهر رمضان سنة أربع وتسعين وخمسمائة خرج امر الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بقطع النخل المثمر المستغل تحت اللؤلؤة بالبستان المعروف بالبغدادية وهذا البستان كان من بساتين القاهرة الموصوفة وكان منظره من المناظر المستحسنة وكان له مستغل وكان قد عني الاولون به لمجاورته اللؤلؤة واطلال جميع مناظرها عليه وجعل هذا البستان ميدانا وحرث أرضه وقطع ما فيه من الاصول انتهى ثم حكر الناس أرض هذا البستان وبنوا عليها وهو الآن دائر فيه كيمان واتربة انتهى * (الميدان الصالحي) هذا الميدان كان بأراضي اللوق من بر الخليج الغربي وموضعه الآن من جامع الطباخ بباب اللوق الى قنطرة قدادار التي على الخليج الناصري ومن جملته الطريق المسلوكة الآن من باب اللوق الى القنطرة المذكورة وكان أولا بستانا يعرف ببستان الشريف ابن ثعلب فاشتراه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بثلاثة آلاف دينار مصرية من الامير حصن الدين ثعلب بن الامير فخر الدين اسماعيل بن ثعلب الجعفري في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وستمائة وجعله ميدانا وأنشأ فيه مناظر جليلة تشرف على النيل الاعظم وصار يركب اليه ويلعب فيه بالكرة وكان عمل هذا الميدان سببا لبناء القنطرة التي يقال لها اليوم قنطرة الخرق على الخليج الكبير لجوازه عليها وكان قبل بنائها موضعها موردة سقائي القاهرة وما برح هذا الميدان تلعب فيه الملوك بالكرة من بعد الملك الصالح الى أن انحسر ماء النيل من تجاهه وبعد عنه فأنشأ الملك الظاهر ميدانا على النيل وفي سلطنة الملك المعز عز الدين أيبك التركماني الصالحي النجمي قال له منجمه ان امرأة تكون سببا في قتله فأمر أن تخرب الدور والحوانيت التي من قلعة الجبل بالتبانة الى باب زويلة والى باب الخرق والى باب اللوق الى الميدان الصالحي وأمر أن لا يترك باب مفتوح بالاماكن التي يمر عليها يوم ركوبه الى الميدان ولا تفتح أيضا طاقة وما زال باب هذا الميدان باقيا وعليه طوارق مدهونة الى ما بعد سنة أربعين وسبعمائة فأدخله صلاح الدين بن المغربي في قيسارية الغزل التي أنشأها هنالك ولاجل هذا الباب قيل لذلك الخط باب اللوق ولما خرب هذا الميدان حكر وبني موضعه ما هنالك من المساكن ومن جملته حكر مرادي وهو على يمنة من سلك من جامع الطباخ الى قنطرة قدادار وهو في اوقاف خانقاه قوصون وجامع قوصون بالقرافة وهذا الحكر اليوم قد صار كيمانا بعد كثرة العمارة به * (الميدان الظاهري) هذا الميدان كان بطرف أراضي اللوق يشرف على النيل الاعظم وموضعه الآن تجاه قنطرة قدادار من جهة باب اللوق أنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي لما انحسر ماء النيل وبعد عن ميدان استاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب وما زال يلعب فيه بالكرة هو ومن بعده من ملوك مصر الى أن كانت سنة أربع عشرة وسبعمائة فنزل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون اليه وخرب مناظره وعمله بستانا من اجل بعد البحر عنه وأرسل الى دمشق فحمل اليه منها سائر اصناف الشجر وأحضر معها خولة الشام والمطعمين فغرسوها فيه وطعموها وما زال بستانا عظيما ومنه تعلم الناس بمصر تطعيم الاشجار في بساتين جزيرة الفيل وجعل السلطان فواكه هذا البستان مع فواكه البستان الذي أنشأه بسرياقوس تحمل بأسرها الى الشراب خاناه السلطانية بقلعة الجبل ولا يباع منها شيء البتة وتصرف كلفهما من الاموال الديوانية فجادت فواكه هذين البستانين وكثرت حتى حاكت بحسنها فواكه الشام لشدة العناية والخدمة بهما ثم ان السلطان لما اختص بالامير قوصون أنعم بهذا البستان عليه فعمر تجاهه الزريبة التي عرفت بزريبة قوصون على النيل وبنى الناس الدور الكثيرة هنالك سيما لما حفر الخليج الناصري فان العمارة عظمت فيما بين هذا البستان والبحر وفيما بينه وبين القاهرة ومصر ثم ان هذا البستان خرب لتلاشي أحواله بعد قوصون وحكرت أرضه وبنى الناس فوقها الدور التي على يسرة من صعد القنطرة من جهة باب اللوق يريد الزريبة ثم لما خرب خط الزريبة خرب ما عمر بأرض هذا البستان من الدور منذ سنة ست وثمانمائة والله تعالى اعلم * (ميدان بركة الفيل) هذا الميدان كان مشرفا على بركة الفيل قبالة الكبش وكان أولا اصطبل الجوق برسم خيول المماليك السلطانية الى أن جلس الامير زين الدين كتبغا على تخت الملك وتلقب بالملك العادل بعد خلعه الملك الناصر محمد بن قلاون في المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة فلما دخلت سنة خمس وتسعين كان الناس في أشد ما يكون من غلاء الاسعار

وكثرة الموتان والسلطان خائف على نفسه ومتحرز من وقوع فتنة وهو مع ذلك ينزل من قلعة الجبل الى الميدان الظاهري بطرف اللوق فحسن بخاطره أن يعمل اصطبل الجوق المذكور ميدانا عوضا عن ميدان اللوق وذكر ذلك للامراء فأعجبهم ذلك فأمر باخراج الخيل منه وشرع في عمله ميدانا وبادر الناس من حينئذ الى بناء الدور بجانبه وكان أول من أنشأ هنالك الامير علم الدين سنجر الخازن في الموضع الذي عرف اليوم بحكر الخازن وتلاه الناس في العمارة والامراء وصار السلطان ينزل الى هذا الميدان من القلعة فلا يجد في طريقه أحدا من الناس سوى اصحاب الدكاكين من الباعة لقلة الناس وشغلهم بما هم فيه من الغلاء والوباء ولقد رآه شخص من الناس وقد نزل الى الميدان والطرقات خالية فأنشد ما قيل في الخطيب ابن زهر

قل للغلاء أنت وابن زهر * بلغتما الحد والنهايه
ترفقا بالورى قليلا * في واحد منكما كفايه

وما برح هذا الميدان باقيا الى أن عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون قصر الامير بكتمر الساقي على بركة الفيل فأدخل فيه جميع أرض هذا الميدان وجعله اصطبل قصر الامير بكتمر الساقي في سنة سبع عشرة وسبعمائة وهو باق الى وقتنا هذا * (ميدان المهاري) هذا الميدان بالقرب من قناطر السباع في بر الخليج الغربي كان من جملة جنان الزهري أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة عشرين وسبعمائة ومن وراء هذا الميدان بركة ماء كان موضعها كرم القاضي الفاضل رحمة الله عليه * قال جامع السيرة الناصرية وكان الملك الناصر محمد بن قلاون له شغف عظيم بالخيل فعمل ديوانا يعرف فيه كل فرس بشانه واسم صاحبه وتاريخ الوقت الذي حضر فيه فاذا احملت فرس من خيول السلطان اعلم به وترقب الوقت الذي تلد فيه واستكثر من الخيل حتى احتاج الى مكان برسم نتاجها فركب من قلعة الجبل في سنة عشرين وسبعمائة وعين موضعا يعمله ميدانا برسم المهاري فوقع اختياره على أرض بالقرب من قناطر السباع وما زال واقفا بفرسه حتى حدد الموضع وشرع في نقل الطين البليز اليه وزرعه من النخل وغيره وركب على الآبار التي فيه السواقي فلم يمض سوى ايام حتى ركب اليه ولعب فيه بالكرة مع الخاصكية ورتب فيه عدة حجور للنتاج وأعد لها سواسا وأميراخورية وسائر ما يحتاج اليه وبنى فيه أماكن ولازم الدخول اليه في ممره الى الميدان الذي أنشأه على النيل بموردة الملح فلما كان بعد أيام وأشهر حسن في نفسه أن يبني تجاه هذا الميدان على النيل الاعظم بجوار جامع الطيبرسي زريبة ويبرز بالمناظر التي ينشئها في الميدان الى قرب البحر فنزل بنفسه وتحدث في ذلك فكثر المهندسون المصروف في عينه وصعبوا الامر من جهة قلة الطين هنالك وكان قد أدركه السفر للصعيد فترك ذلك وما برحت الخيول في هذا الميدان الى أن مات الملك الظاهر برقوق في سنة احدى وثمانمائة واستمر بعده في ايام ابنه الملك الناصر فرج الا انه تلاشى امره مما كان قبل ذلك ثم انقطعت منه الخيول وصار براحا خاليا * (ميدان سرياقوس) كان هذا الميدان شرقي ناحية سرياقوس بالقرب من الخانقاه أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وبنى فيه قصورا جليلة وعدة منازل للامراء وغرس فيه بستانا كبيرا نقل اليه من دمشق سائر الاشجار التي تحمل الفواكه وأحضر معها خولة بلاد الشام حتى غرسوها وطعموا الاشجار فأفلح فيه الكرم والسفرجل وسائر الفواكه فلما كمل في سنة خمس وعشرين خرج ومعه الامراء والاعيان ونزل القصور التي هنالك ونزل الامراء والاعيان على منازلهم في الاماكن التي بنيت لهم واستمر يتوجه اليه في كل سنة ويقيم به الايام ويلعب فيه بالكرة الى أن مات فعمل ذلك أولاده الذين ملكوا من بعده فكان السلطان يخرج في كل سنة من قلعة الجبل بعد ما تنقضي ايام الركوب الى الميدان الكبير الناصري على النيل ومعه جميع أهل الدولة من الامراء والكتاب وقاضي العسكر وسائر أرباب الرتب ويسير الى السرحة بناحية سرياقوس وينزل بالقصور ويركب الى الميدان هنالك للعب الكرة ويخلع على الامراء وسائر أهل الدولة ويقيم في هذه السرحة أياما فيمر للناس في اقامتهم بهذه السرحة اوقات لا يمكن وصف ما فيها من المسرات ولا حصر ما ينفق فيها من المآكل والهبات من الاموال ولم يزل هذا الرسم مستمرا الى سنة تسع وتسعين وسبعمائة وهي آخر سرحة سار اليها السلطان بسرياقوس ومن هذه السنة انقطع السلطان الملك الظاهر برقوق عن الحركة لسرياقوس فانه اشتغل في سنة ثمانمائة بتحرك المماليك عليه من وقت قيام الامير على باي الى أن مات وقام من بعده ابنه الملك الناصر فرج فما صفا الوقت

فقاتل البرنس ارياط متملك الكرك قتالا شديدا ثم عاد الى القاهرة ثم سار منها فى شعبان يريد الفرنج وقد نزلوا على حماه حتى قدم دمشق وقد رحلوا عنها فواصل الغارات على بلاد الفرنج وعساكره تغزو بلاد المغرب ثم فتح بيت الاحزان من عمل صفد وأخذه من الفرنج عنوة وسار فى سنة ست وسبعين لحرب فتح الدين قليج ارسلان صاحب قونيه من بلاد الروم وعاد ثم توجه الى بلاد الارمن وعاد فخرب حصن بهنسا ومضى الى القاهرة فقدمها فى ثالث عشر شعبان ثم خرج الى الاسكندرية وسمع بها موطأ الامام مالك على الفقيه أبى طاهر بن عوف وأنشأ بها مارستانا ودارا للمغاربة ومدرسة وجدد حفر الخليج ونقل فوهته ثم مضى الى دمياط وعاد الى القاهرة ثم سار فى خامس المحرم سنة ثمان وسبعين على ايلة فأغار على بلاد الفرنج ومضى الى الكرك فعاثت عساكره ببلاد طبرية وعكا وأخذ الشقيف من الفرنج ونزل السلطان بدمشق وركب الى طبرية فواقع الفرنج وعاد فتوجه الى حلب ونازلها ثم مضى الى البيرة على الفرات وعدى الى الرها فأخذها وملك حران والرقة ونصيبين وحاصر الموصل فلم ينل منها غرضا فنازل سنجار حتى أخذها ثم مضى على حران الى آمد فأخذها وسار على عين تاب الى حلب فملكها فى ثامن عشر صفر سنة تسع وسبعين وعاد الى دمشق وعبر الاردن وحرق بيسان على الفرنج وخرب لهم عدة حصون وعاد الى دمشق ثم سار الى الكرك فلم ينل منها غرضا وعاد ثم خرج فى سنة ثمانين من دمشق فنازل الكرك ثم رحل عنها الى نابلس فحرقها واكثر من الغارات حتى دخل دمشق ثم سار منها الى حماه ومضى حتى بلغ حران ونزل على الموصل وحصرها ثم سار عنها الى خلاط فلم يملكها فمضى حتى أخذ ميافارقين وعاد الى الموصل ثم رحل عنها وقد مرض الى حران فتقرر الصلح مع المواصلة على أن خطبوا له بها وبديار بكر وجميع البلاد الارتقية وضرب السكة فيها باسمه ثم سار الى دمشق فقدمها فى ثانى ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وخرج منها فى أول سنة ثلاث وثمانين ونازل الكرك والشوبك وطبرية فملك طبرية فى ثالث عشرى ربيع الآخر من الفرنج ثم واقعهم على حطين وهم فى خمسين ألفا فهزمهم بعد وقائع عديدة وأسر منهم عدة ملوك ونازل عكا حتى تسلمها فى ثانى جمادى الاولى وأنقذ منها أربعة آلاف أسير مسلم من الاسر وأخذ مجدل يافا وعدة حصون منها الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية والشقيف والنولة والطور وسبسطية ونابلس وتبنين وصرخد وصيدا وبيروت وجبيل وأنقذ من هذه البلاد زيادة على عشرين ألف أسير مسلم كانوا فى أسر الفرنج وأسر من الفرنج مائة ألف انسان ثم ملك منهم الرملة وبلد الخليل عليه السلام وبيت لحم من القدس ومدينة عسقلان ومدينة غزة وبيت جبريل ثم فتح بيت المقدس فى يوم الجمعة سابع عشرى رجب وأخرج منه ستين ألفا من الفرنج بعدما أسر ستة عشر ألفا ما بين ذكر وأنثى وقبض من مال المفاداة ثلثمائة ألف دينار مصرية وأقام الجمعة بالاقصى وبنى بالقدس مدرسة للشافعية وقرر على من يرد كنيسة قمامة من الفرنج قطيعة يؤديها ثم نازل عكا وصور ونازل فى سنة أربع وثمانين حصن كوكب وندب العساكر الى صفد والكرك والشوبك وعاد الى دمشق فدخلها سادس ربيع الاول وقد غاب عنها فى هذه الغزوة أربعة عشر شهرا وخمسة ايام ثم خرج منها بعد خمسة ايام فشن الغارات على الفرنج وأخذ منهم أنطرسوس وخرب سورها وحرقها وأخذ جبلة واللاذقية وصهيون والشغر وبكاس وبقراص ثم عاد الى دمشق آخر شعبان بعدما دخل حلب فملكت عساكره الكرك والشوبك والسلع فى شهر رمضان وخرج بنفسه الى صفد وملكها من الفرنج فى رابع عشر شوال وملك كوكب فى نصف ذى القعدة وسار الى القدس ومضى بعد النحر الى عسقلان ونزل بعكا وعاد الى دمشق أول صفر سنة خمس وثمانين ثم سار منها فى ثالث ربيع الاول ونازل شقيف أرنون وحارب الفرنج حروبا كثيرة ومضى الى عكا وقد نزل الفرنج عليها وحصروا من بها من المسلمين فنزل بمرج عكا وقاتل الفرنج من أول شعبان حتى انقضت السنة وقد خرج الالمان من قسطنطينية فى زيادة على ألف ألف يريد بلاد الاسلام فاشتد الامر ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان بالخروبة على حصار الفرنج والامداد تصل اليه وقدم الالمان طرسوس يريد بيت المقدس فخرب السلطان سور طبرية ويافا وارسوف وقيسارية وصيدا وجبيل وقوى الفرنج بقدوم ابن الالمان اليهم تقوية لهم وقد مات ابوه بطرسوس وملك بعده فقدر الله تعالى موته أيضا على عكا ودخلت سنة سبع وثمانين فملك الفرنج عكا فى سابع عشر جمادى الآخرة وأسروا من بها من المسلمين وحاربوا السلطان وقتلوا جميع من أسروه من المسلمين وساروا الى عسقلان فرحل السلطان فى أثرهم وواقعهم بأرسوف فانهزم

من

من معه وهو ثابت حتى عادوا اليه فقاتل الفرنج وسبقهم الى عسقلان وخربها ثم مضى الى الرملة وخرب حصنها وخرب كنيسة لد ودخل القدس فأقام بها الى عاشر رجب سنة ثمان وثمانين ثم سار الى يافا فأخذها بعد حروب وعاد الى القدس وعقد الهدنة بينه وبين الفرنج مدة ثلاث سنين وثلاثة اشهر أولها حادى عشر شعبان على أن للفرنج من يافا الى عكا الى صور وطرابلس وانطاكية ونودى بذلك فكان يوما مشهودا وعاد السلطان الى دمشق فدخلها خامس عشرى شوال وقد غاب عنها أربع سنين فمات بها فى يوم الاربعاء سابع عشرى صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة عن سبع وخمسين سنة منها مدة ملكه بعد موت العاضد اثنتان وعشرون سنة وستة عشر يوما فقام من بعده بمصر ولده * (السلطان الملك العزيز عماد الدين ابو الفتح عثمان) * وقد كان يومئذ ينوب عنه بمصر وهو مقيم بدار الوزارة من القاهرة وعنده جل عساكر أبيه من الاسدية والصلاحية والاكراد فأتاه ممن كان عند أخيه الملك الافضل على الامير فخر الدين جهاركس والامير فارس الدين ميمون القصرى والامير شمس الدين سنقر الكبير وهم عظماء الدولة فأكرمهم وقدم عليه القاضى الفاضل فبالغ فى كرامته وتنكر ما بينه وبين أخيه الافضل فسار من مصر لمحاربته وحصره بدمشق فدخل بينهما العادل أبو بكر حتى عاد العزيز الى مصر على صلح فيه دخل فلم يتم ذلك وتوحش ما بينهما وخرج العزيز ثانيا الى دمشق فدبر عليه ... العادل حتى كاد أن يزول ملكه وعاد خائفا فسار اليه الافضل والعادل حتى نزلا بلبيس فجرت أمور آلت الى الصلح وأقام العادل مع العزيز بمصر وعاد الافضل الى مملكته بدمشق فقام العادل بتدبير امور الدولة وخرج بالعزيز لمحاربة الافضل فحصراه بدمشق حتى أخذاها منه بعد حروب وبعثاه الى صرخد وعاد العزيز الى مصر وأقام العادل بدمشق حتى مات العزيز فى ليلة العشرين من محرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة عن سبع وعشرين سنة وأشهر منها مدة سلطنته بعد أبيه ست سنين تنقص شهرا واحدا فأقيم بعده ابنه * (السلطان الملك المنصور ناصر الدين محمد) * وعمره تسع سنين وأشهر بعهد من أبيه وقام بامور الدولة بهاء الدين قراقوش الاسدى الاتابك فاختلف عليه أمراء الدولة وكاتبوا الملك الافضل على بن صلاح الدين فقدم من صرخد فى خامس ربيع الاول فاستولى على الامور ولم يبق للمنصور معه سوى الاسم ثم سار به من القاهرة فى ثالث رجب يريد أخذ دمشق من عمه العادل بعد ما قبض على عدة من الامراء وقد توجه العادل الى ماردين فحصر الافضل دمشق وقد بلغ العادل خبره فعاد وسار بريده حتى دخل دمشق فجرت حروب كثيرة آلت الى عود الافضل الى مصر بمكيدة دبرها عليه العادل وخرج العادل فى أثره وواقعه على بلبيس فكسره فى سادس ربيع الآخر سنة ست وتسعين والتجأ الى القاهرة وطلب الصلح فعوضه العادل صرخد ودخل الى القاهرة فى يوم السبت ثامن عشره وأقام بأتابكية المنصور ثم خلعه فى يوم الجمعة حادى عشر شوال وكانت سلطنته سنة وثمانية اشهر وعشرين يوما واستبد بالسلطنة بعده عم أبيه * (السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد ابن أيوب) * فخطب له بديار مصر وبلاد الشام وحران والرها وميافارقين وأخرج المنصور واخوته من القاهرة الى الرها واستناب ابنه الملك الكامل محمدا عنه وعهد اليه بعده بالسلطنة وحلف له الامراء فسكن قلعة الجبل واستمر أبوه فى دار الوزارة وفى ايامه توقفت زيادة النيل ولم يبلغ سوى ثلاثة عشر ذراعا تنقص ثلاثة أصابع وشرقت أراضى مصر الا الاقل وغلت الاسعار وتعذر وجود الاقوات حتى أكلت الجيف وحتى أكل الناس بعضهم بعضا وتبع ذلك فناء كبير وامتد ذلك ثلاث سنين فبلغت عدة من كفنه العادل وحده من الاموات فى مدة يسيرة نحو مائتى ألف وعشرين ألف انسان فكان بلاء شنيعا وعقب ذلك تحرك الفرنج على بلاد المسلمين فى سنة تسع وتسعين فكانت معهم عدة حروب على بلاد الشام آلت الى أن عقد العادل معهم الهدنة فعاودوا الحرب فى سنة ستمائة وعزموا على أخذ القدس وكثر عيثهم وفسادهم وكانت لهم وللمسلمين شؤون آلت الى نزولهم على مدينة دمياط فى رابع ربيع الاول سنة خمس عشرة وستمائة والعادل يومئذ بالشام فخرج الملك الكامل لمحاربتهم فمات العادل بمرج الصفر فى يوم الخميس سابع جمادى الآخرة منها وحمل الى دمشق فكانت مدة سلطنته بديار مصر تسع عشرة سنة وشهرا واحدا وتسعة عشر يوما * وقام من بعده ابنه (السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالى محمد) بعهد أبيه فأقام فى السلطنة عشرين سنة وخمسة وأربعين يوما ومات بدمشق يوم الاربعاء حادى عشرى رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة * واقيم بعده ابنه (السلطان

ومحمد ابن الحنفية ثم فى أبى هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية وانتقلت منه الى على بن عبد الله بن عباس بوصيته اليه ثم الى أبى العباس السفاح ثم الى أبى سلمة صاحب دولة بنى العباس وقام بناحية كش فيما وراء النهر رجل من أهل مرو أعور يقال له هاشم ادعى أن أبا سلمة كان الها انتقل اليه روح الله ثم انتقل اليه بعده فانتشرت دعوته هنالك واحتجب عن اصحابه واتخذ له وجها من ذهب فعرف بالمقنع ثم ان اصحابه طلبوا رؤيته فوعدهم أن يريهم نفسه ان لم يحترقوا وعمل تجاه مرآة مرآة محرقة تعكس شعاع الشمس فلما دخلوا عليه احترق بعضهم ورجع الباقون وقد فتنوا واعتقدوا أنه اله لا تدركه الابصار ونادوا فى حروبهم يا هيثه ● والتاسعة عشر الجعفرية ● والعشرون الصباحية وهم والزيدية أمثل الشيعة فانهم يقولون بامامة أبى بكر وانه لا نص فى امامة على مع انه عندهم أفضل وأبو بكر مفضول ● ومن فرق الروافض الخطابية والشاعية والشريكية يزعمون أن عليا شريك محمد صلى الله عليه وسلم والتناسخية القائلون ان الارواح تتناسخ واللاعنة والمخطئة الذين يزعمون أن جبريل أخطأ والاسحاقية والحلفية الذين يقولون لا تجوز الصلاة خلف غير الامام والرجعية القائلون سيرجع على بن أبى طالب وينتقم من أعدائه والمتربصة الذين يتربصون خروج المهدى والامرية والجبية والخلالية والكريبية أتباع أبى كريب الضرير والحزنية أتباع عبد الله بن عمرو الحزنى

● (الفرقة العاشرة الخوارج) ● ويقال لهم النواصب والحرورية نسبة الى حروراء موضع خرج فيه أولهم على على رضى الله عنه وهم الغلاة فى حب أبى بكر وعمر وبغض على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين ولا أجهل منهم فانهم القاسطون المارقون خرجوا على على رضى الله عنه وانفصلوا عنه بالجملة وتبرؤا منه ومنهم من صحبه ومنهم من كان فى زمنه وهم جماعة قد دون الناس أخبارهم وهم عشرون فرقة ● الاولى يقال لهم الحكمية لانهم خرجوا على على رضى الله عنه فى صفين وقالوا لا حكم الا لله ولا حكم للرجال وانحازوا عنه الى حروراء ثم الى النهروان وسبب ذلك أنهم حملوه على التحاكم الى من حكم بكتاب الله فلما رضى بذلك وكانت قضية الحكمين أبى موسى الاشعرى وهو عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص غضبوا من ذلك ونابذوا عليا وقالوا فى شعارهم لا حكم الا لله ولرسوله وكان امامهم فى التحكيم عبد الله بن الكواء ● والثانية الازارقة أتباع أبى راشد نافع بن الازرق بن قيس بن نهار بن انسان بن أسد بن صبرة بن ذهل بن الدول بن حنيفة الخارج بالبصرة فى أيام عبد الله بن الزبير وهم على التبرى من عثمان وعلى والطعن عليهما وأن دار مخالفيهم دار كفر وأن من أقام بدار الكفر فهو كافر وأن أطفال مخالفيهم فى النار ويحل قتلهم وأنكروا رجم الزانى وقالوا من قذف محصنة حد ومن قذف محصنا لا يحد ويقطع السارق فى القليل والكثير ● والثالثة النجدات ولم يقل فيهم النجدية ليفرق بينهم وبين من انتسب الى بلاد نجد فانهم أتباع نجد بن عويمر وهو عامر الحنفى الخارج باليمامة وكان رأسا ذا مقالة مفردة وتسمى بأمير المؤمنين وبعث عطية بن الاسود الى سجستان فأظهر مذهبه بها فعرفت أتباعه بالعطوية ومذهبهم أن الدين أمران أحدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله وتحريم دماء المسلمين وأموالهم والثانى الاقرار بما جاء من عند الله تعالى جملة وما سوى ذلك من التحريم والتحليل وسائر الشرائع فان الناس يعذرون بجهلها وانه لا يأثم المجتهد اذا أخطأ وان من خالف أن يعذب المجتهد فقد كفر واستحلوا دماء أهل الذمة فى دار التقية وقالوا من نظر نظرة محرمة أو كذب كذبة أو أصر على صغيرة ولم يتب منها فهو كافر ومن زنى او سرق أو شرب خمرا من غير أن يصر على ذلك فهو مؤمن غير كافر ● والرابعة الصفرية أتباع زياد بن الاصفر ويقال أتباع النعمان بن صفر وقيل بل نسبوا الى عبد الله بن صفار وهو أحد بنى مقاعس وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ابن نزار وقيل عبد الله بن الصفار من بنى صريم بن مقاعس وقيل سموا بذلك لصفرة علتهم وزعم بعضهم أن الصفرية بكسر الصاد وقد وافق الصفرية الازارقة فى جميع بدعهم الا فى قتل الاطفال ويقال للصفرية أيضا الزيادية ويقال لهم أيضا النكار من اجل أنهم ينقصون نصف على وثلث عثمان وسدس عائشة رضى الله عنهم ● والخامسة العجاردة أتباع عبد الكريم بن عجرد ● والسادسة الميمونية أتباع ميمون بن عمران وهم طائفة من العجاردة وافقوا الازارقة الا فى شيئين أحدهما قولهم تجب البراءة من الاطفال حتى يبلغوا ويصفوا الاسلام والثانى استحلال أموال المخالفين لهم فلم تستحل الميمونية مال أحد خالفهم ما لم يقتل المالك فاذا قتل صار ماله فيئا الا انهم

ازدادوا كفرا على كفرهم وأجازوا انكاح بنات البنات وبنات البنين وبنات أولاد الاخوة وبنات أولاد الاخوات فقط ● والسابعة الشعيبية وهم طائفة من العجاردة وافقوا الميمونية فى جميع بدعهم الا فى الاستطاعة والمشيئة فان الميمونية مالت الى القدرية ● والثامنة الحمزية أتباع حمزة بن أدرك الشامى الخارج بخراسان فى خلافة هارون بن محمد الرشيد وكثر عيثه وفساده ثم فض جموع عيسى بن على عامل خراسان وقتل منهم خلقا كثيرا فانهزم منه عيسى الى كابل وآل أمر حمزة الى أن غرق فى كرمان بواد هنالك فعرفت أصحابه بالحمزية وكان يقول بالقدر فكفرته الازارقة بذلك وقال أطفال المشركين فى النار فكفرته القدرية بذلك وكان لا يستحل غنائم أعدائه بل يأمر باحراق جميع ما يغنمه منهم ● والتاسعة الخازمية وهم فرقة من العجاردة قالوا فى القدر والمشيئة كقول أهل السنة وخالفوا الخوارج فى الولاية والعداوة فقالوا لم يزل الله تعالى محبا لاوليائه ومبغضا لاعدائه ● والعاشرة المعلومية مع المجهولية تباينا فى مسألتين احداهما قالت المعلومية من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه فهو كافر وقالت المجهولية لا يكون كافرا والثانية وافقت المعلومية أهل السنة فى مسألة القدر والمشيئة والمجهولية وافقت القدرية فى ذلك ● والحادية عشر الصلتية أتباع عثمان بن أبى الصلت وهم طائفة من العجاردة انفردوا بقولهم من أسلم توليناه لكن تبرأ من اطفاله لانه ليس للاطفال اسلام حتى يبلغوا ● والثانية عشر والثالثة عشر الاخنسية والمعبدية وهما فرقتان من الثعالبة أتباع ثعلبة بن عامر وكان ثعلبة هذا مع عبد الكريم بن عجرد ثم اختلفا فى الاطفال فقال عبد الكريم تبرأ منهم قبل البلوغ وقال ثعلبة لا نتبرأ منهم بل نقول نتولى الصغار فلم تزل الثعالبة على هذا الى أن خرج رجل عرف بالاخنس فقال نتوقف عن جميع من فى دار التقية الا من عرفنا منه ايمانا فانا نتولاه ومن عرفنا منه كفرا تبرأنا منه ولا يجوز أن نبدأ أحدا بقتال فتبرأت منه الثعالبة وسموه بالاخنس لانه خنس منهم أى رجع عنهم ثم خرجت فرقة من الثعالبة قيل انها المعبدية أتباع معبد فخالفت الثعالبة فى أخذ الزكاة من العبيد والبهائم وكفرت كل فرقة منهما الاخرى ● والرابعة عشر الشيبانية أتباع شيبان بن سلمة الخارج فى أيام أبى مسلم الخراسانى القائم بدعوة الخلفاء العباسيين وكان معه فتبرأت منه الثعالبة لمعاونته لابى مسلم وهو أول من اظهر القول بالتشبيه تعالى الله عن ذلك ● والخامسة عشر الشبيبية أتباع شبيب بن يزيد بن أبى نعيم الخارج فى خلافة عبد الملك بن مروان وصاحب الحروب العظيمة مع الحجاج بن يوسف الثقفى وهم على ما كانت عليه الحكمية الاولى الا انهم انفردوا عن الخوارج بجواز امامة المرأة وخلافتها واستخلف شبيب هذا أمه غزالة فدخلت الكوفة وقامت خطيبة وصلت الصبح بالمسجد الجامع فقرأت فى الركعة الاولى بالبقرة وفى الثانية بآل عمران وأخبار شبيب طويلة ● والسادسة عشر الرشيدية أتباع رشيد ويقال لهم أيضا العشرية من أجل انهم كانوا يأخذون نصف العشر بما سقت الانهار فقال لهم زياد بن عبد الرحمن يجب فيه العشر فتبرأت كل فرقة من الاخرى وكفرتها بذلك ● والسابعة عشر المكرمية ● أتباع أبى المكرم ومن قوله تارك الصلاة كافر وليس كفره لترك الصلاة لكن لجهله بالله وكذا قوله فى سائر الكبائر ● والثامنة عشر الحفصية أتباع حفص بن المقدام أحد اصحاب عبد الله بن أباض تفرد بقوله من عرف الله تعالى وكفر بما سواه من رسول وغيره فهو كافر وليس بمشرك فانكر ذلك الاباضية وقالوا بل هو مشرك ● والتاسعة عشر الاباضية أتباع عبد الله بن أباض من بنى مقاعس واسمه الحرث بن عمرو ويقال بل ينسبون الى أباض بضم الهمزة وهى قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجدة بن عامر وخرج عبد الله بن اباض فى أيام مروان وكان من غلاة الحكمة ● والفرقة العشرون اليزيدية أتباع يزيد بن أبى انيسة وكان اباضيا فانفرد ببدعة قبيحة وهى أن الله تعالى سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا جملة واحدة ينسخ به شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ● ومن فرق الخوارج أيضا الحارثية والاصومية أتباع يحيى بن أصوم والبيهسية أتباع أبى البيهس الهيصم بن خالد من بنى سعد بن ضبيعة كان فى زمن الحجاج وقتل بالمدينة وصلب والعقوبية أتباع يعقوب بن على الكوفى ومن فرقهم الفضلية أتباع فضل بن عبد الله والشمراخية أتباع عبد الله بن شمراخ والضحاكية أتباع الضحاك والخوارج يقال لهم الشراة واحدهم شارى مشتق من شرى الرجل اذا ألح أو معناه يشترى

وأربعون أميرا ومماليكهم ثمانية آلاف فارس * كشاف وولاة بالاقاليم خمسمائة وأربعة وسبعون تفصيل ذلك ثغر الاسكندرية واحد والبحيرة واحد والغربية واحد والشرقية واحد والمنوفية واحد وقطيا واحد وكاشف الجيزة واحد والفيوم واحد والبهنسا واحد والاشمونين واحد وقوص واحد واسوان واحد وكاشف الوجه البحري واحد وكاشف الوجه القبلي واحد * ومماليكهم خمسمائة وستون * أمراء العشراوات ومماليكهم ألفان ومائتا فارس تفصيل ذلك خاصكية ثلاثون وخرجية مائة وسبعون اميرا ومماليكهم ألفان * ولاة الاقاليم سبعة وسبعون اميرا تفصيلهم اشمون الرمان واحد وقليوب واحد والجيزة واحد وزوجا واحد وحاجب الاسكندرية واحد واطفيح واحد ومنفلوط واحد ومماليكهم سبعون فارسا * مقدمو الحلقة والاجناد أحد عشر ألفا ومائة وستة وسبعون فارسا تفصيل ذلك مقدموا المماليك السلطانية أربعون مقدموا الحلقة مائة وثمانون نقباء الالوف أربعة وعشرون نقباء مماليك السلطان وأجناد الحلقة عشرة آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا تفصيل ذلك مماليك السلطان ألفا مملوك أجناد الحلقة ثمانية آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا * عبرة ذلك الخاصكية الالوف والنائب والوزير كل منهم مائة ألف دينار وكل دينار عشرة دراهم الارتفاع ألف ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال كل اردب واحد من القمح بعشرين درهما والحبوب كل اردب منها بعشرة دراهم من ذلك الكلف مائة ألف درهم والخالص تسعمائة ألف درهم * الالوف الخرجية كل منهم خمسة وثمانون ألف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع ثمانمائة ألف وخمسون ألفا بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح فيه من ذلك الكلف سبعون ألف درهم والخالص لكل منهم سبعمائة وثمانون ألف درهم * الطبلخاناه الخاصكية كل منهم أربعون ألف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع أربعمائة ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح فيه من ذلك الكلف خمسة وثلاثون ألف درهم والخالص لكل منهم ثلثمائة وخمسة وستون ألف درهم * الطبلخاناه الخرجية ثلاثون ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم الارتفاع مائتا ألف وأربعون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف أربعة وعشرون ألف درهم والخالص مائتا ألف وستة عشر ألف درهم * العشراوات الخاصكية كل منهم عشرة آلاف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع مائة ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف سبعة آلاف درهم والخالص لكل منهم ثلاثة وتسعون ألف درهم * العشراوات الخرجية كل منهم سبعة آلاف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع سبعون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف خمسة آلاف درهم والخالص لكل منهم خمسة وستون ألف درهم * الكشاف لكل منهم عشرون ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم الارتفاع مائة ألف وستون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلفة خمسة عشر ألف درهم والخالص مائة ألف وخمسة وأربعون ألف درهم * الولاة الاصطبلخاناه كل منهم خمسة عشر ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم الارتفاع مائة وعشرون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف عشرة آلاف درهم والخالص لكل منهم مائة ألف وعشرة آلاف درهم * الولاة العشراوات لكل منهم خمسة آلاف دينار كل دينار سبعة دراهم الارتفاع خمسة وثلاثون ألف درهم بما فيه من ثمن المغل على ما شرح من ذلك الكلف ثلاثة آلاف درهم والخالص لكل منهم اثنان وثلاثون ألف درهم * مقدمو مماليك السلطان كل منهم ألف ومائتا دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع اثنا عشر ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف ألف درهم والخالص لكل منهم أحد عشر ألف درهم * مقدمو الحلقة كل منهم ألف دينار كل دينار تسعة دراهم الارتفاع تسعة آلاف درهم بما فيه من ثمن الغلال من ذلك الكلف تسعمائة درهم والخالص لكل منهم ثمانية آلاف درهم ومائة درهم * نقباء الالوف لكل منهم اربعمائة دينار كل دينار تسعة دراهم الارتفاع ثلاثة آلاف وستمائة درهم بما فيه من ثمن الغلال من ذلك الكلف أربعمائة درهم والخالص لكل منهم ثلاثة آلاف ومائتا درهم * مماليك السلطان ألفان * بابة أربعمائة مملوك لكل منهم ألف وخمسمائة دينار كل دينار عشرة دراهم عنها خمسة عشر ألف درهم * بابة خمسمائة مملوك كل واحد ألف وثلثمائة دينار سعره عشرة دراهم عنها ثلاثة عشر ألف درهم * بابة خمسمائة مملوك لكل منهم ألف دينار ومائتا دينار عنها اثنا عشر ألف درهم * بابة ستمائة مملوك لكل واحد

ألف دينار عنها عشرة آلاف درهم * اجناد الحلقة ثمانية آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا * بابة ألف وخمسمائة فارس لكل منهم تسعمائة دينار بتسعة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة وخمسين جنديا لكل منهم ثمانمائة دينار بثمانية آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة وخمسين جنديا كل منهم سبعمائة دينار عنها سبعة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة جندي لكل منهم ستمائة دينار بستة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة كل منهم بخمسمائة دينار بخمسة آلاف درهم * بابة ألف ومائة جندي لكل منهم أربعمائة دينار بأربعة آلاف درهم * بابة ألف واثنين وثلاثين جنديا لكل منهم ثلثمائة دينار سعر عشرة دراهم عنها ثلاثة آلاف درهم * وأرباب الوظائف من الامراء بعد النيابة والوزارة أمير سلاح والدوادار والحجبة وأمير جاندار والاستادار والمهمندار ونقيب الجيوش والولاة * فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاوون حدث بين اجناد الحلقة نزول الواحد منهم عن اقطاعه لآخر بمال أو مقايضة الاقطاعات بغيرها فكثر الدخيل في الاجناد بذلك واشترت السوقة والاراذل الاقطاعات حتى صار في زمننا اجناد الحلقة اكثرهم اصحاب حرف وصناعات وخربت منهم أراضي اقطاعاتهم * وأول ما حدث ذلك أن السلطان الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون لما سلطن في شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة تمكن منه الامير شجاع الدين اغرلو شاد الدواوين واستجد أشياء منها المقايضة بالاقطاعات في الحلقة والنزول عنها فكان من أراد مقايضة أحد باقطاعه حمل كل منهما مالا لبيت المال يقرر عليهما ومن اختار خبزا بالحلقة وزن على قدر عبرته في السنة دنانير يحملها لبيت المال فان كانت عبرة الخبز الذي يريده خمسمائة دينار في السنة حمل خمسمائة دينار ومن أراد النزول عن اقطاعه حمل مالا لبيت المال بحسب ما يقرر عليه اغرلو وأفرد لذلك ولما يؤخذ من طالبي الوظائف والولايات ديوانا سماه ديوان البدل وكان يعين في المنشور الذي يخرج بالمقايضة المبلغ الذي يقوم به كل من الجنديين وكان ابتداء هذا في جمادى الاولى من السنة المذكورة وقام الامراء في ذلك مع السلطان حتى رسم بابطاله فلما ولي الامير منجك اليوسفي الوزارة وسعد في المال فتح في سنة تسع وأربعين باب النزول والمقايضات فكان الجندي يبيع اقطاعه لكل من بذل له فيه مالا فأخذ كثير من العامة الاقطاعات فكان يبذل في الاقطاع مبلغ عشرين ألف درهم واقل منه على قدر متحصله وللوزير رسم معلوم ثم منع من ذلك فلما كانت نيابة الامير سيف الدين قبلاي في سنة ثلاث وخمسين مشى أحوال الاجناد في المقايضات والنزولات فاشترى الاقطاعات الباعة وأصحاب الصنائع وبعث نقادم الحلقة وانتدب لذلك جماعة عرفت بالمهيسين بلغت عدتهم نحو الثلثمائة مهيس وصاروا يطوفون على الاجناد ويرغبونهم في النزول عن اقطاعاتهم او المقايضة بها وجعلوا لهم على كل ألف درهم مائة درهم فلما فحش الامر أبطل الامير شيخون العمري النزولات والمقايضات عندما استقر رأس نوبة واستقل بتدبير امور الدولة وتقدم لمباشري ديوان الجيش أن لا يأخذوا رسم المنشور والمحاسبة سوى ثلاثة دراهم بعد ما كانوا يأخذون عشرين درهما

(ذكر الحجبة)

وكانت رتبة الحجبة في الدولة التركية جليلة وكانت تلي رتبة نيابة السلطنة ويقال لاكبر الحجبة حاجب الحجاب وموضوع الحجبة أن متوليها ينصف من الامراء والجند تارة بنفسه وتارة بمشاورة السلطان وتارة بمشاورة النائب وكان اليه تقديم من يعرض ومن يرد وعرض الجند فان لم يكن نائب السلطنة فانه هو المشار اليه في الباب والقائم مقام النواب في كثير من الامور وكان حكم الحاجب لا يتعدى النظر في مخاصمات الاجناد واختلافهم في امور الاقطاعات ونحو ذلك ولم يكن أحد من الحجاب فيما سلف يتعرض للحكم في شيء من الامور الشرعية كتداعي الزوجين وأرباب الديون وانما يرجع ذلك الى قضاة الشرع ولقد عهدنا اذا اتفق أن الواحد من الكتاب أو الضمان ونحوهم يفر من باب الحاجب ويصير الى باب أحد القضاة ويستجير بحكم الشرع فلا يطمع أحد بعد ذلك في أخذه من باب القاضي وكان فيهم من يقيم الاشهر والاعوام في ترسيم القاضي حمية له من ايدي الحجاب ثم تغير ما هنالك وصار الحاجب اليوم اسما لعدة جماعة من الامراء ينتصبون للحكم بين الناس لا لغرض الا لتضمين أبوابهم بمال مقرر في كل يوم على رأس نوبة النقباء وفيهم غير واحد ليس لهم على الامرة اقطاع وانما يرتزقون من مظالم العباد وصار الحاجب اليوم يحكم في كل جليل وحقير من الناس سواء كان

وأربعون أميرا ومماليكهم ثمانية آلاف فارس * كشاف وولاة بالاقاليم خمسمائة وأربعة وسبعون تفصيل ذلك ثغر الاسكندرية واحد والبحيرة واحد والغربية واحد والشرقية واحد والمنوفية واحد وقطيا واحد وكاشف الجيزة واحد والفيوم واحد والبهنسا واحد والاشمونين واحد وقوص واحد واسوان واحد وكاشف الوجه البحرى واحد وكاشف الوجه القبلى واحد * ومماليكهم خمسمائة وستون * أمراء العشراوات ومماليكهم ألفان ومائتا فارس تفصيل ذلك خاصكية ثلاثون وخرجية مائة وسبعون اميرا ومماليكهم ألفان * ولاة الاقاليم سبعة وسبعون اميرا تفصيلهم اشمون الرمان واحد وقليوب واحد والجيزة واحد وتروجا واحد وحاجب الاسكندرية واحد واطفيح واحد ومنفلوط واحد ومماليكهم سبعون فارسا * مقدموا الحلقة والاجناد أحد عشر ألفا ومائة وستة وسبعون فارسا تفصيل ذلك مقدموا المماليك السلطانية أربعون مقدموا الحلقة مائة وثمانون نقباء الالوف أربعة وعشرون نقيبا مماليك السلطان وأجناد الحلقة عشرة آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا تفصيل ذلك مماليك السلطان ألفا مملوك أجناد الحلقة ثمانية آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا * عبرة ذلك الخاصكية الالوف والنائب والوزير كل منهم مائة ألف دينار وكل دينار عشرة دراهم الارتفاع ألف ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال كل اردب واحد من القمح بعشرين درهما والحبوب كل اردب منها بعشرة دراهم من ذلك الكلف مائة ألف درهم والخالص تسعمائة ألف درهم * الالوف الخرجية كل منهم خمسة وثمانون ألف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع ثمانمائة ألف وخمسون ألفا بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح فيه من ذلك الكلف سبعون ألف درهم والخالص لكل منهم سبعمائة وثمانون ألف درهم * الطبلخاناه الخاصكية كل منهم أربعون ألف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع أربعمائة ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح فيه من ذلك الكلف خمسة وثلاثون ألف درهم والخالص لكل منهم ثلثمائة وخمسة وستون ألف درهم * الطبلخاناه الخرجية ثلاثون ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم الارتفاع مائتا ألف وأربعون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف أربعة وعشرون ألف درهم والخالص مائتا ألف وستة عشر ألف درهم * العشراوات الخاصكية كل منهم عشرة آلاف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع مائة ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف سبعة آلاف درهم والخالص لكل منهم ثلاثة وتسعون ألف درهم * العشراوات الخرجية كل منهم سبعة آلاف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع سبعون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف خمسة آلاف درهم والخالص لكل منهم خمسة وستون ألف درهم * الكشاف لكل منهم عشرون ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم الارتفاع مائة ألف وستون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلفة خمسة عشر ألف درهم والخالص مائة ألف وخمسة واربعون ألف درهم * الولاة الاصطبلخاناه كل منهم خمسة عشر ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم الارتفاع مائة وعشرون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف عشرة آلاف درهم والخالص لكل منهم مائة ألف وعشرة آلاف درهم * الولاة العشراوات لكل منهم خمسة آلاف دينار كل دينار سبعة دراهم الارتفاع خمسة وثلاثون ألف درهم بما فيه من ثمن المغل على ما شرح من ذلك الكلف ثلاثة آلاف درهم والخالص لكل منهم اثنان وثلاثون ألف درهم * مقدمو مماليك السلطان كل منهم ألف ومائتا دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع اثنا عشر ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف ألف درهم والخالص لكل منهم أحد عشر ألف درهم * مقدمو الحلقة كل منهم ألف دينار كل دينار تسعة دراهم الارتفاع تسعة آلاف درهم بما فيه من ثمن الغلال من ذلك الكلف تسعمائة درهم والخالص لكل منهم ثمانية آلاف درهم ومائة درهم * نقباء الالوف لكل منهم اربعمائة دينار كل دينار تسعة دراهم الارتفاع ثلاثة آلاف وستمائة درهم بما فيه من ثمن الغلال من ذلك الكلف أربعمائة درهم والخالص لكل منهم ثلاثة آلاف ومائتا درهم * مماليك السلطان ألفان * بابة أربعمائة مملوك لكل منهم ألف وخمسمائة دينار كل دينار عشرة دراهم عنها خمسة عشر ألف درهم * بابة خمسمائة مملوك كل واحد ألف وثلثمائة دينار كل دينار عشرة دراهم عنها ثلاثة عشر ألف درهم * بابة خمسمائة مملوك لكل منهم ألف دينار ومائتا دينار عنها اثنا عشر ألف درهم * بابة ستمائة مملوك لكل واحد

ألف دينار عنها عشرة آلاف درهم * اجناد الحلقة ثمانية آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا * بابة ألف وخمسمائة فارس لكل منهم تسعمائة دينار بتسعة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة وخمسين جنديا لكل منهم ثمانمائة دينار بثمانية آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة وخمسين جنديا كل منهم سبعمائة دينار عنها سبعة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة جندى لكل منهم ستمائة دينار بستة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة لكل منهم بخمسمائة دينار بخمسة آلاف درهم * بابة ألف ومائة جندى لكل منهم أربعمائة دينار بأربعة آلاف درهم * بابة ألف واثنين وثلاثين جنديا لكل منهم ثلثمائة دينار سعر عشرة دراهم عنها ثلاثة آلاف درهم * وأرباب الوظائف من الامراء بعد النيابة والوزارة أمير سلاح والدوادار وأمير جاندار والاستادار وإنهم مقدمون ونقيب الجيوش والولاة * فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاون حدث بين اجناد الحلقة نزول الواحد منهم عن اقطاعه لآخر بمال أو مقايضة الاقطاعات بغيرها فكثر الدخيل فى الاجناد بذلك واشترت السوقة والاراذل الاقطاعات حتى صار فى زمننا اجناد الحلقة أكثرهم اصحاب حرف وصناعات وخربت منهم أراضى اقطاعاتهم * وأول ما حدث ذلك أن السلطان الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاون لما تسلطن فى شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة تمكن منه الامير شجاع الدين اغرلو شاد الدواوين واستجد أشياء منها المقايضة بالاقطاعات فى الحلقة والنزول عنها فكان من أراد مقايضة أحد باقطاعه حمل كل منهما مالا لبيت المال يقرر عليهما ومن اختار حيزا بالحلقة يزن على قدر عبرته فى السنة دنانير يحملها لبيت المال فان كانت عبرة الحيز الذى يريده خمسمائة دينار فى السنة حمل خمسمائة دينار ومن أراد النزول عن اقطاعه حمل مالا لبيت المال بحسب ما يقرر عليه اغرلو وأفرد لذلك ولما يؤخذ من طالبى الوظائف والولايات ديوانا سماه ديوان البدل وكان يعين فى المنشور الذى يخرج بالمقايضة المبلغ الذى يقوم به كل من الجنديين وكان ابتداء هذا فى جمادى الاولى من السنة المذكورة فتسام الامراء فى ذلك مع السلطان حتى رسم بابطاله فلما ولى الامير منجك اليوسفى الوزارة وسعى فى المال فتح فى سنة تسع وأربعين باب النزول والمقايضات فكان الجندى يبيع اقطاعه لكل من بذل له فيه مالا فأخذ كثير من العامة الاقطاعات فكان يبذل فى الاقطاع مبلغ عشرين ألف درهم واقل منه على قدر متحصله وللوزير رسم معلوم ثم منع من ذلك فلما كانت نيابة الامير سيف الدين قبلاى فى سنة ثلاث وخمسين مشى أحوال الاجناد فى المقايضات والنزولات فاشترى الاقطاعات الباعة وأصحاب الصنائع وبيعت تقادم الحلقة وانتدب لذلك جماعة عرفت بالمهيسين بلغت عدتهم نحو الثلثمائة مهيس وصاروا يطوفون على الاجناد ويرغبونهم فى النزول عن اقطاعاتهم او المقايضة بها وجعلوا لهم على كل ألف درهم مائة درهم فلما فحش الامر أبطل الامير شيخون العمرى النزولات والمقايضات عندما استقر رأس نوبة واستقل بتدبير امور الدولة وتقدم لمباشرى ديوان الجيش أن لا يأخذوا رسم المنشور والمحاسبة سوى ثلاثة دراهم بعد ما كانوا يأخذون عشرين درهما

(ذكر الحجبة)

وكانت رتبة الحجبة فى الدولة التركية جليلة وكانت تلى رتبة نيابة السلطنة ويقال لأكبر الحجبة حاجب الحجاب وموضوع الحجبة أن متوليها ينصف من الامراء والجند تارة بنفسه وتارة بمشاورة السلطان وتارة بمشاورة النائب وكان اليه تقديم من يعرض ومن يرد وعرض الجند فان لم يكن نائب السلطنة فانه هو المشار اليه فى الباب والقائم مقام النواب فى كثير من الامور وكان حكم الحاجب لا يتعدى النظر فى مخاصمات الاجناد واختلافهم فى امور الاقطاعات ونحو ذلك ولم يكن أحد من الحجاب فيما سلف يتعرض للحكم فى شئ من الامور الشرعية كتداعى الزوجين وأرباب الديون وانما يرجع ذلك الى قضاة الشرع وقد عهدنا اذا تم أن الواحد من الكتاب أو الضمان ونحوهم يفر من باب الحاجب ويصير الى باب أحد القضاة ويستجير بحكم الشرع فلا يطمع أحد بعد ذلك فى أخذه من باب القاضى وكان فيهم من يقيم الاشهر والاعوام فى ترسيم القاضى حماية له من ايدى الحجاب ثم تغير ما هنالك وصار الحاجب اليوم اسما لعدة جماعة من الامراء ينتصبون للحكم بين الناس لا لغرض الا لتضمين أبوابهم بمال مقرر فى كل يوم على رأس نوبة النقباء وفيهم غير واحد ليس لهم على الامرة اقطاع وانما يرتزقون من مظالم العباد وصار الحاجب اليوم يحكم فى كل جليل وحقير من الناس سواء كان

من لسان العرب للامام العلامة
أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف
بابن منظور الافريقى المصرى
الانصارى الخزرجى تغمده
الله برحمته وأسكنه
فسيح جنته
آمين

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الميرية ببولاق مصر المعزية
سنة ١٣٠٠ هجرية

غيرهم من قومهم وقال اللحياني تقال هذه الاحرف في ابن المعة وابن الخالة وابن الخال وتقوقر الرجل دخل بعضه في بعض والقوصرة والقوصرة تخفف وتثقل وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري قال وينسب الى علي كرم الله وجهه

أفلح من كانت له قوصره • يأكل منها كل يوم مره

قال ابن دريد لا أحسبه عربيا ابن الاعرابي العرب تكني عن المرأة بالقارورة والقوصرة قال ابن بري وهذا الرجز ينسب الى علي عليه السلام وقالوا أراد بالقوصرة المرأة وبالاكل النكاح قال ابن بري وذكر الجوهري أن القوصرة قد تخفف راؤها ولم يذكر عليه شاهدا قال وذكر بعضهم أن شاهده قول أبي يعلى المهلبي

وسائل الأعلم بن قوصرة • متى رأى بي عن العلا قصرا

قال وقالوا ابن قوصرة هنا المنبوذ قال وقال ابن حمزة أهل البصرة يسمون المنبوذ ابن قوصرة وجد في قوصرة أو في غيرها قال وهذا البيت شاهد عليه وقيصر اسم ملك بلي الروم وقيل قيصر ملك الروم والأقيصر صنم كان يعبد في الجاهلية أنشد ابن الاعرابي

وأنصاب الأقيصر حين أضحت • تسيل على مناكبها الدماء

وابن أقيصر رجل بصير بالخيل وقاصرون وقاصرين موضع وفي النصب والخفض قاصرين

(قطر) قطر الماء والدمع وغيرهما من السيال يقطر قطرا وقطورا وقطرانا وأقطر الاخيرة عن أبي حنيفة وتقاطر أنشد ابن جني

كأنه تهتان يوم ماطر • من الربيع دائم التقاطر

وأنشده دائب بالباء وهو في معنى دائم وأراد من أيام الربيع وقطره الله وأقطره وقطره وقد قطر الماء وقطرته أنا يتعدى ولا يتعدى وقطران الماء بالتحريك وتقطير الشيء اسالته قطرة قطرة والقطر المطر والقطار جمع قطر وهو المطر والقطر ما قطر من الماء وغيره واحدته قطرة والجمع قطار وسحاب قطور ومقطار كثير القطر حكاهما الفارسي عن ثعلب وأرض مقطورة أصابها القطر واستقطر الشيء رام قطرانه وأقطر الشيء حان أن يقطر وغيث قطار عظيم القطر وقطر الصمغ من الشجرة يقطر قطرا خرج وقطارة الشيء ما قطر منه وخص اللحياني به قطارة الحب قال القطارة بالضم ما قطر من الحب ونحوه وقطرت استه مصلت وفي الاناء قطارة من ماء أي قليل عن اللحياني والقطران والقطران عصارة الأبهل والأرز ونحوهما يطبخ فيتحلب منه ثم تهنأ به الابل قال أبو حنيفة زعم

بعض

بعض من ينظر في كلام العرب أن القطران هو عصير ثمر الصنوبر وأن الصنوبر انما هو اسم لثمرة ذلك وأن شجرته به سميت صنوبرا وسمع قول الشماخ في وصف ناقته وقد رشحت ذفراها فشبه ذفراها المارشحت فاسودت بمناديل عصارة الصنوبر فقال

كأن بذفراها مناديل فارقت • أكف رجال يعصرون الصنوبرا

فظن أن ثمره يعصر وفي التنزيل العزيز سرابيلهم من قطران قيل والله أعلم انها جعلت من القطران لانه يبالغ في اشتعال النار في الجلود وقرأها ابن عباس من قطر آن والقطر النحاس والآني الذي قد انتهى حره والقطران اسم رجل سمي به لقوله

أنا القطران والشعراء جربى • وفي القطران للجربى هناء

وبعير مقطور ومقطرن بالنون كأنه ردوه الى أصله مطلي بالقطران قال لبيد

بكرت به جرشية مقطورة • تروي المحاجر بازل علكوم

وقطرت البعير طليته بالقطران قال امرؤ القيس

أتقتلني وقد شغفت فؤادها • كما قطر المهنوءة الرجل الطالي

قوله شغفت فؤادها أي بلغ حبي منها شغاف قلبها كما بلغ القطران شغاف الناقة المهنوءة يقول كيف تقتلني وقد بلغ من حبها الى ما ذكرته اذ لو أقدم على قتله لفسد ما بينه وبينها وكان ذلك داعيا الى الفرقة والقطيعة منها والقطر بالكسر النحاس الذائب وقيل ضرب منه ومنه قوله تعالى من قطر آن والقطر بالكسر والقطرية ضرب من البرود وفي الحديث أنه عليه السلام كان متوشحا بثوب قطري وفي حديث عائشة قال أيمن دخلت على عائشة وعليها درع قطري ثمن خمسة دراهم أبو عمرو والقطر نوع من البرود وأنشد

كساك الحنظلي كساء صوف • وقطريا فأنت به تفيد

شمر عن البكراوي قال البرود القطرية حمر لها أعلام فيها بعض الخشونة وقال خالد بن جنبة هي حلل تعمل بمكان لا أدري أين هو قال وهي جياد وقد رأيتها وهي حمر تأتي من قبل البحرين قال أبو منصور وبالبحرين على سيف وعمان مدينة يقال لها قطر قال وأحسبهم نسبوا هذه الثياب اليها فخففوا وكسروا القاف للنسبة وقالوا قطري والاصل قطري كما قالوا فخذ للفخذ قال جرير

لدى قطريات اذا ما تغولت • بها البيد غاولن الحزوم القيافيا

أراد بالقطريات نجائب نسبها الى قطر وما والاها من البر قال الراعي وجعل النعام قطرية

قوله على سيف وعمان كذا بالاصل وعبارة ياقوت قال أبو منصور في أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير قرية يقال لها قطر الخ اه كتبه مصححه

(روش) ثعلب عن ابن الاعرابى الرَّوْشُ الاكلُ الكثير والرَّوْشُ الاكلُ القليل (ريش) الرِّيشُ كسوةُ الطائر والجمع أرياش ورياش قال أبو كبير الهذلى

فاذا السَّل تحَشْحَشَتْ أرياشُها * خَشْفَ الجَنُوب بيابسٍ من اسْحِل

وقرئ ورياشًا ولباسُ التقوى وسمى أبو ذؤيب كسوةَ النحل ريشًا فقال

تظلُّ على الثمراء منها جوارسٌ * مراضيعُ صُهْبُ الريشِ زُغْبٌ رقابُها

واحدته ريشة وطائر راشٌ نبتَ ريشُه وراشَ السهمَ رَيْشًا وارتاشه ركّب عليه الريش قال لبيد يصف السهم

ولئن كبِرْتُ لقد عُمِرْتُ كأنني * غُصْنٌ تُفَيِّئُه الرياحُ رَطيبُ
وكذاك حقًّا من يُعَمَّرْ يُبْلِه * كرُّ الزمان عليه والتقليبُ
حتى يَعُودَ من البلاء كأنه * فى الكفّ أفْوَقُ ناصلٌ معصوبُ
مُرُطُ القِذاذِ فليس فيه مَصْنَعٌ * لا الريشُ يَنْفعه ولا التعقيبُ

وقال ابن برى البيت لنافع بن لقيط الاسدى يصف الهرَمَ والشَّيْبَ قال ويقال سهم مُرُطٌ اذا لم يكن عليه قُذَذٌ والقِذاذُ ريشُ السهم الواحدة قُذَّة والتعقيبُ أن يُشدَّ عليه العَقَبُ وهى الأوتار والأفْوَقُ السهم المكسور الفُوق والفُوق موضع الوَتَر من السهم والناصلُ الذى لا نَصْل فيه والمعصوب الذى عُصِبَ بعصابة بعد انكساره وأنشد سيبويه لابن ميّادة

وارْتَشْنَ حين أَرَدْنَ أن يَرْمِينَنا * نَبْلًا بلا ريشٍ ولا بِقِداح

وفى حديث عمر قال لجرير بن عبد الله وقد جاء من الكوفة أخْبِرْنى عن الناس فقال هم كسهام الجَعْبة منها القائم الرائشُ أى ذو الريش اشارة الى كماله واستقامته وفى حديث أبى جُحَيفة أَبْرِى النَّبْلَ وأَرِيشُها أى أعمَلُ لها ريشًا يقال منه رِشْتُ السهمَ أَرِيشُه وفلان لا يَرِيشُ ولا يَبْرِى أى لا يضرّ ولا ينفع أبو زيد يقال لا تَرِشْ علىّ يا فلانُ أى لا تعترض لى فى كلامى فتقطعه علىّ والرَّيْشُ بالفتح مصدر راشَ سهمَه يَرِيشُه رَيْشًا اذا ركّب عليه الريش ورِشْتُ السهمَ ألزقْتُ عليه الريشَ فهو مَرِيشٌ ومنه قولهم ماله أقذُّ ولا مَرِيشٌ أى ليس له شئ والرائشُ الذى يَسْعَى بين الراشى والمُرْتَشِى والراشى الذى يتردد بينهما فى المصانعة فيَرِيش المُرْتَشِى من مال الراشى وفى الحديث لَعَنَ الله الراشىَ والمُرْتَشِىَ والرائشَ الرائشُ الذى يسعى بين الراشى والمُرْتَشِى ليقضى أمرهما بُرْدٌ مُرَيَّشٌ عن اللحيانى خطوطٌ وَشْيه على أشكال الريش نصيرٌ الرِّيَشُ الزَّبَبُ وناقة رَيَّاشٌ والزَّبَب

قوله والراشى الذى يتردد بينهما هكذا فى الاصل وحرر اه مصححه

كثرةُ الشعر فى الأذنين ويعترى الأزَبَّ النفارُ وأنشد

أَنْشُدُ من خَوّارةٍ رَيَّاش * أخطأها فى الرُّعْيَةِ الغَواشى * ذو ثُدْيَةٍ تَغْفِرُ بالانفاش

والريشُ شعرُ الأذن خاصة ورجل أَرْيَشُ وراشٌ كثير شعر الاذن وراشَه الله يَرِيشُه رَيْشًا نعَشَه وتَرَيَّشَ الرجلُ وارتاشَ أصابَ خيرًا فرُئى عليه أثرُ ذلك وارتاشَ فلانٌ اذا حَسُنَتْ حالُه ورِشْتُ فلانًا اذا قوّيتَه وأعنتَه على معاشه وأصلحتَ حاله قال الشاعر عمير بن حبّاب

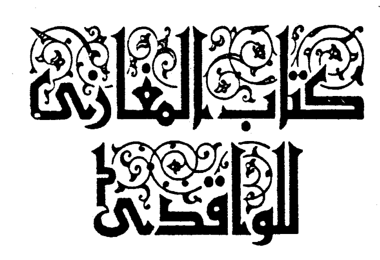
فرِشْنى بخيرٍ طالما قد بَرَيْتَنى * وخيرُ الموالى مَن يَرِيشُ ولا يَبْرى

والريشُ والرِّياشُ الخِصْبُ والمعاشُ والمالُ والأثاثُ واللباسُ الحَسَنُ الفاخرُ وفى التنزيل العزيز وريشًا ولباسُ التقوى وقد قرئ رياشًا على أن ابن جنى قال رياشٌ قد يكون جمع ريش كلِهْبٍ ولِهابٍ وقال محمد بن سلّام سمعت سلامًا أبا المنذر القارئ يقول الريشُ الزينةُ والرياشُ كلُّ اللباس قال فسألت يونس فقال لم يقل شيأ هما سواءٌ وسأل جماعةً من الاعراب فقالوا كما قال قال أبو الفضل أراه يعنى كما قال أبو المنذر قال وقال الحَرّانى سمعت ابن السكيت قال الريشُ جمعُ ريشة وفى حديث علىّ أنه اشترى قميصًا بثلاثة دراهم وقال الحمدُ لله الذى هذا من رياشه الريشُ والرياشُ ما ظهر من اللباس وفى حديثه الآخر أنه كان يتفضّلُ على امرأةٍ مؤمنةٍ من رياشه أى مما يستفيده وهذا من الرياش الخِصْبِ والمعاش والمال المستفاد وفى حديث عائشة تصف أباها رضى الله عنهما يَفُكُّ عانيَها ويَرِيشُ مُمْلِقَها أى يكسوه ويُعِينُه وأصله من الريش كأنّ الفقيرَ المُمْلِقَ لا نُهوضَ به كالمقصوص من الجَناح يقال راشَه يَرِيشُه اذا أحسن اليه وكلُّ من أَوْلَيْتَه خيرًا فقد رِشْتَه ومنه الحديث ان رجلًا راشَه الله مالًا أى أعطاه ومنه حديث أبى بكر والنسّابة

الرائشون وليس يُعرف رائشٌ * والقائلون هَلُمَّ للأضياف

ورجل أَرْيَشُ وراشٌ ذو مال وكسوة والرياشُ القِشْرُ وكلُّ ذلك من الريش ابن الاعرابى راشَ صديقَه يَرِيشُه رَيْشًا اذا أطعمه وسقاه وكساه وراشَ يَرِيشُ رَيْشًا اذا جمع الريشَ وهو المالُ والأثاث القتيبى الريشُ والرياشُ واحدٌ وهما ما ظهر من اللباس وريشُ الطائر ما ستره الله به وقال ابن السكيت قالت بنو كلاب الرياشُ هو الأثاث من المتاع ما كان من لباسٍ أو حَشْوٍ من فراش أو دِثار والريشُ المتاعُ والاموالُ وقد يكون فى النبات دون المال وانه لحَسَنُ الريشِ أى الثياب ويقال فلان رَيِّشٌ ورَيْشٌ وله ريشٌ وذلك اذا كَبِرَ ورَقَّ وكذلك راشَ الطائرُ اذا كان عليه زَغَبَة من زِفٍّ وتلك الزَّغَبة يقال لها النُّسال الفراء شارَ الرجلُ اذا حَسُنَ وَجْهُه وراشَ اذا استغنى ورمح

قوله قال الشاعر عمير الخ هكذا فى الاصل وعبارة شرح القاموس قال سويد الانصارى وأنشد هذا البيت فحرر اه مصححه



محمد بن عمر بن واقد المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

تحقيق

الدكتور مارسدن جونس

انتشارات اسماعيليان
تهران - ناصرخسرو - پاساژ مجيدى
تلفن ٢٣٣١٠

ولم يصل إلينا من أخبار النبي عن وهب بن منبه إلا القليل ، وقد عثر على قطعة صغيرة كتبت على البردى فى مجموعة سكوت رينهارت (Papyri Schott-Reinhardt 8.) ذكر فيها بيعة العقبة[1] .

وقد روى ابن إسحاق عن وهب فى القسم الأول من السيرة[2] ، على حين أن الواقدى لم يذكره ولم يشر إليه ألبتة .

* * *

ثم تلا ذلك مرحلة أخرى فى تطور السيرة على يدى عاصم بن عمر بن قتادة المتوفى سنة ١٢٠ هـ ، ومحمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ هـ .

عاصم بن عمر بن قتادة :

فأما عاصم بن عمر بن قتادة فكان أنصارياً من قبيلة بنى ظفر ، وكان كالزهرى مشمولا برعاية بنى أمية . قال ابن قتيبة : إنه صاحب السير والمغازى[3] . ولكن لم ينسب إليه كتاباً خاصاً فى هذا الموضوع ، وقد أخذ عنه ابن إسحاق مباشرة ، وروى الواقدى عنه بطريق محمد بن صالح ، ويونس بن محمد الظفرى ، ومعاذ بن محمد الأنصارى ، ويعقوب بن محمد ، وموسى بن محمد ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز .

الزهرى :

وأما محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى فهو يختلف عن أكثر أصحاب السيرة فى القرنين الأول والثانى لأنه ولد بمكة وليس فى المدينة .

وجدير بالذكر أن المرحلة المتقدمة فى علم السيرة كان مركزها فى المدينة المنورة خاصة . ولا ينفى هذا الاعتبار مولد ابن شهاب فى مكة لأنه عاش فى المدينة ودرس فيها حتى غادرها إلى دمشق فى سنة ٨١ أو ٨٢ للهجرة[4] .

وفى رأى ابن حجر أن الزهرى كان أحد الأئمة الأعلام ، وعالم الحجاز والشام فى

(١) J. Horovitz, *Islamic Culture*, 1927, 558.
(٢) السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٣٢ .
(٣) المعارف ، ص ٤٦٦ .
(٤) J. Horovitz, *Islamic Culture*, 1928, 37.

الحديث[1] . وواضح من كثرة الأخبار التى رويت عنه فى ابن إسحاق والواقدى أنه من أجل علماء السيرة ، ويبدو أنه أول من جمع ما رواه التابعون من السيرة وأضاف إليها ما رواه هو أيضاً ، وبعد ذلك رتب هذه الأخبار على شكل السيرة النبوية المعروف عند ابن إسحاق ، وموسى بن عقبة ، والواقدى .

وقال حاجى خليفة عند الكلام على المغازى : ومنها مغازى محمد بن مسلم الزهرى[2] . ومع الأسف لم يصل إلينا هذا الكتاب ، وهو من الأهمية بمكان أهمية الزهرى فى تطور السيرة ، بحيث لا يحتاج الأمر منا إلى المبالغة فى تقدير أهميته ، بل إن كثرة الاعتماد عليه فى كتب ابن إسحاق والواقدى لدليل واضح على بيان قدر الكتاب . أضف إلى ذلك أن كلا من ابن إسحاق ، وموسى بن عقبة ، ومالك بن أنس ، وأبى معشر ، ومعمر بن راشد ، ومحمد بن عبد الله بن أبى سبرة من تلامذته الذين أخذوا عنه ، وكان هؤلاء الثلاثة المتأخرون من مصادر الواقدى .

وفى أغلب الأحيان نرى الواقدى ينقل عن الزهرى بطريق معمر بن راشد . وهذا يمثل الوضع الذى كانت عليه السيرة فى طورها المتقدم ، أى أن حلقة درس أصحاب السيرة فى المدينة كانت ضئيلة ، وعنها نقلت السيرة جيلا بعد جيل من شخص إلى شخص ، على شكل محاضرات تملى عادة .

عبد الله بن أبى بكر :

ومن طبقة الزهرى ، عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن حزم الأنصارى ، الذى لم ينسب إليه أنه ألف كتاباً فى السيرة ولكن ابن إسحاق والواقدى يذكرانه بكثرة .

فقد روى عنه ابن إسحاق مباشرة ، والواقدى بطريق عبد الرحمن بن عبد العزيز ، ويحيى بن عبد الله بن أبى قتادة ، وابن أبى سبرة . قال ابن حجر : توفى سنة ١٣٥ هـ ويقال سنة ١٣٠ هـ[3] .

• • •

(١) تهذيب التهذيب ، ج ٩ ، ص ٤٤٥ .
(٢) كشف الظنون ، ج ٢ ، ص ١٧٤٧ .
(٣) تهذيب التهذيب ، ج ٥ ، ص ١٦٤ – ١٦٥ .

يا أبا عبد الله ، أتزوّجت ؟ قلت : نعم . قال : بِكرًا أم ثَيّباً ؟ فقلت : ثيّباً . فقال : ألا جارية تُلاعبها وتُلاعبك ! فقلت : يا رسول الله ، بأبى وأمّى إنّ أبى أُصيب يوم أُحُد وترك تسع بنات ، وتزوّجتُ امرأةً جامعةً تلمّ شَعَثهنّ وتقوم عليهنّ . قال : أصبتَ . ثم قال : إنا لو قدمنا صِرارًا أمرنا بجَزور فنُحرت ، وأقمنا عليها يومنا ذلك ، وسمعت بنا فنَفَضتْ نَمارِقَها . قال ، قلت : والله يا رسول الله ، ما لنا[1] نمارق . قال : أما إنها ستكون ، فإذا قدمت فاعمل عملاً كَيِّساً . قال ، قلت : أفعل ما استطعتُ . قال : ثم قال : بِعنى جملك هذا يا جابر . قلت : بل هو لك يا رسول الله . قال : لا ، بل بعنيه . قال : قلت نعم ، سُمْنى به . قال : فإنى آخذه بدرهم . قال قلت : تَغْبِننى يا رسول الله ، قال : لا ، لَعَمرى ! قال جابر : فما زال يَزيدنى درهماً درهماً حتى بلغ به أربعين درهماً ــ أُوقيّة ــ فقال : أما رضيتَ ؟ فقلت : هو لك . فقال : فظهره لك حتى تقدَم المدينة . قال : ويقال إنه قال « آخذه منك بأُوقيّةٍ وظهره لك » فباعه على ذلك . قال : فلمّا قدمنا صِرارًا أمر بجَزور فنُحِرت ، فأقام به يومه ثم دخلنا المدينة .

قال جابر : فقلت للمرأة : قد أمرنى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن أعمل عملاً كَيِّساً . قالت : سمعاً وطاعةً لأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فدونك فافعل . قال : ثم أصبحتُ فأخذت برأس الجمل فانطلقت حتى أنختُه عند حجرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وجلست حتى خرج ، فلمّا خرج قال : أهذا الجمل ؟ قلت : نعم يا رسول الله الذى اشتريتَ . فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بِلالاً فقال : اذهب فأعطه أُوقيّة ، وخذ برأس جملك يا ابن أخى فهو لك . فانطلقت مع بِلالٍ فقال بِلال : أنت ابن

(١) فى ب : « وما لها » .

صاحب الشِّعْب ؟ فقلت : نعم . فقال : واللهِ لأُعطينّك ولأزيدنّك . فزادنى قيراطاً أو قيراطَيْن . قال : فما زال ذلك[1] يُثمر ويَزيدنا الله به ، ونعرف موضعه حتى أُصيب ها هنا قريباً عندكم ــ يعنى الجمل .

قال الواقدىّ : وحدّثنى إسماعيل بن عَطيّة بن عبد الله بن أُنَيس ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لمّا انصرفنا راجعين ، فكنا بالشُّقْرَة ، قال لى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يا جابر ، ما فعل دَين أبيك ؟ فقلت : عليه انتظرتُ يا رسول الله أن يُجَذّ نَخْلُه . قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إذا جذذتَ فأحضرنى . قال ، قلت : نعم . ثم قال : مَن صاحب دَين أبيك ؟ فقلت : أبو الشَّحْم اليهودىّ ، له على أبى سِقَةٌ[2] تمر . فقال لى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : فمتى تجذّها ؟ قلت : غدًا . قال : يا جابر ، فإذا جذذتها فاعزل العَجْوَة على حِدتها ، وألوان التمر على حِدتها . قال : ففعلتُ ، فجعلت الصَّيْحانىّ على حِدة ، وأمّهات الجَرَاذين على حِدة ، والعَجْوَة على حِدة ، ثم عمدت إلى جُمّاع من التمر مثل نُخْبَة[3] وقَرْن وشُقْحَة وغيرها من الأنواع ، وهو أقلّ التمر ، فجعلته حَبْلاً[4] واحدًا ، ثم جئت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فخبّرته ، فانطلق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه عِلْيَة أصحابه ، فدخلوا الحائط. وحضر أبو الشَّحْم . قال :

(١) فى ب : « فما زال يثمر ذلك » .
(٢) فى ب : « سقة من تمر » . قال ابن الأثير : السقة جمع وسق وهو الحمل وقدره الشرع بستين صاعا . . . وقد صحفه بعضهم بالشين المعجمة وليس بشىء ، والذى ذكره أبو موسى فى غريبه بالشين المعجمة وفسره بالقطعة من التمر . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٦٩) .
(٣) فى ب : « نحفة » .
(٤) هكذا فى النسخ . والحبل : قطعة من الرمل ضخمة ممتدة . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٩٧) . وكأنه يريد به أن التمر كحبل الرمل .

قالوا : قدم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينةَ مِن الحُدَيبية فى ذى الحجّة تمامَ سنة ستّ [١] ، فأقام بالمدينة بقيّة ذى الحجّة والمحرم ، وخرج فى صفر سنةَ سبْعٍ — ويقال خرج لهلال ربيع الأوّل — إلى خَيْبَر. وأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أصحابَه بالتهيّؤ للغزو فهم مُجدّون ، وتجلّب مَن حولَه يغزون معه ، وجاءه المُخلّفون يُريدون أن يخرجوا معه رجاءَ الغنيمة ، فقالوا : نخرج معك ! وقد كانوا تَخلّفوا عنه فى غزوة الحُدَيبية ، وأرجفوا بالنبىّ صلّى الله عليه وسلّم وبالمسلمين ، فقالوا : نخرج معك إلى خَيْبر ، إنها ريف الحجاز طعامًا وَوَدَكًا [٢] وأموالًا . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تخرجوا معى إلّا راغبين فى الجهاد ، فأمّا الغنيمة فلا . وبعث مُناديًا فنادى : لا يخرجنّ معنا إلّا راغبٌ فى الجهاد ، فأمّا الغنيمة فلا ! فلمّا تجهّز الناس إلى خَيْبَرَ شقّ ذلك على يهود المدينة الذين هم مُوادعون لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وعرفوا أنهم إذا دخلوا خَيْبَر أهلك الله خَيْبَر كما أهلك بنى قَيْنُقاع والنَّضِير وقُرَيْظَة . قال : فلما تجهّزنا لم يبقَ أحدٌ من يهود المدينة له على أحد من المسلمين حَقّ إلّا لَزِمَه ، وكان لأبى الشَّحْم اليهودىّ عند عبد الله بن أبى حدْرَد الأسلمىّ خمسةُ دراهم فى شعيرٍ أخذه لأهله ، فلزمه ، فقال : أَجِلْنى فإنى أرجو أن أقدَم عليك فأقضيَك حقّك إن شاء الله ، إنّ الله عزّ وجلّ قد وعد نبيّه خَيْبَر أن يُغنِمه إيّاها . وكان عبد الله بن أبى حَدْرد ممّن شَهِدَ الحُدَيبية ، فقال : يا أبا الشَّحْم ، إنا نَخرُج إلى ريف الحجاز فى الطعام والأموال . فقال أبو الشَّحْم حسدًا وبغيًا : تَحسِبُ أنّ قِتال خَيْبَرَ مثل ما تلقَونه من الأعراب؟ فيها والتوراةِ عشرةُ آلافِ مُقاتل !

(١) فى الأصل : « تمام سنة ست سنين » .

(٢) الودك : هو دسم اللحم ودهنه الذى يستخرج منه . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٠٢) .

قال ابن أبى حدْرَد : أى عدوّ الله ! تُخوِّفنا بعدوّنا وأنت فى ذِمّتنا وجوارنا ؟ واللهِ لأرفعنّك إلى رسول الله ! فقلتُ : يا رسول الله ألا تسمع إلى ما يقول هذا اليهودى ؟ وأخبرتُه بما قال أبو الشَّحْم . فأسكت رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ولم يَرجع إليه شيئًا ، إلّا أنى رأيتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حرّك شفتَيْه بشىء لم أسمعه . فقال اليهودىّ : يا أبا القاسم ، هذا قد ظلمنى وحبسنى بحقّى وأخذ طعامى ! قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أعطِه حقّه . قال عبدُ الله : فخرجتُ فبعت أحدَ ثَوْبَىّ بثلاثة دراهم ، وطلبتُ بقيّةَ حقّه فقضيته ، ولبستُ ثوبى الآخر ، وكانت علىّ عمامةٌ فاستدفأْت [١] بها . وأعطانى سَلَمَة بن أسلم ثوبًا آخر ، فخرجتُ فى ثوبين مع المسلمين ، ونَفّلنى اللهُ خيرًا ، وغنمتُ امرأةً بينها وبين أبى الشَّحْم قرابةٌ فبعتُها منه بمال .

وجاء أبو عَبس بن جبْر فقال : يا رسول الله ، ما عندنا نفقة ولا زاد ولا ثوب أخرجُ فيه ، فأعطاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شُقَيقَةً سُنْبُلانيّةً [٢] ، فباعها بثمانية دراهم ، فابتاع تمرًا بدرهمين لِزاده وترك لأهلِه نفقةً درهمين ، وابتاع بُرْدَةً بأربعةِ دراهم . فبينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى طريق خَيْبَر فى ليلةٍ مُقمرةٍ إذْ أبصر برجل يسير أمامَه ، عليه شىءٌ يبرق فى القمر كأنه فى الشمس وعليه بَيْضة ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : مَن هذا ؟ فقيل : أبو عَبس بن جَبْر . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

(١) فى الأصل : « استدمرت » .

(٢) فى الأصل : « شقيقة سيلانية » ، والشقيقة : تصغير شقة وهى جنس من الثياب . وسنبلانية : أى سابغة الطول ، سنبل ثوبه إذا أسبله وجره من خلفه أو أمامه ، والنون زائدة ، ويحتمل أن يكون منسوبا إلى موضع . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٨٤ ، ٢٣١) .

أدرِكُوه ! [قال] : فأدركونى فحبسونى ، وأخذنى ما تقدم وما تأخّر ، وظننتُ أنه قد نزل فى أمرٌ من السماء ، فجعلت أتذكّر ما فعلتُ حتى لحقنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : مالك تَقَدّم الناسَ لا تسيرُ معهم ؟ قلتُ : يا رسول الله ، إنّ ناقتى نَجيبة . قال : فأين الشُّقَيْقَة التى كسوتُك ؟ فقلت : بعتُها بثمانية دراهم ، فتزوّدت بدرهمين تمرًا ، وتركتُ لأهلى نفقةً درهمين ، واشتريتُ بردةً بأربعة دراهم . فضَحك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ثم قال : أنت واللهِ يا أبا عَبس وأصحابك من الفقراء ! والذى نفسى بيده لئن سلمتم وعشتم قليلًا ليكثرنّ زادُكم ، وليكثرنّ ما تتركون لأهليكم ، ولتكثرنّ دراهمُكم وعبيدُكم ، وما ذاك بخير لكم ! قال أبو عبس : فكان واللهِ ما قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم .

واستخلف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على المدينة سِباع بن عُرْفُطَة الغِفارىّ . قال أبو هُرَيرة رضى الله عنه : قدمنا المدينةَ ونحن ثمانون بيتًا من دَوْس ، فقال قائل : رسول الله بخَيْبَر وهو قادمٌ عليكم . فقلتُ : لا أسمعُ به ينزل مكانًا أبدًا إلاّ جئتُه . فتحمّلنا حتى جئناه بخَيْبَر فنجده قد فتح النَّطاة وهو مُحاصِرٌ أهل الكَتيبة ، فأقمنا حتى فتح اللهُ علينا . وكنّا قدمنا المدينة فصلّينا الصبح خلف سِباع بن عُرْفُطَة بالمدينة ، فقرأ فى الركعة الأولى سورةَ مَرْيَم وفى الآخرة : ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[١] ، فلمّا قرأ ﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[٢] قلت : تركتُ عَمّى بالسرَاة له مِكْيالان ، مكيال

(١) سورة ٨٣ المطففين ١

(٢) سورة ٨٣ المطففين ٢

يُطفّف به ومكيال يَتَبخَّس به[١] . ويقال : استخلف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أبا ذرّ ، والثبت عندنا سِباع بن عُرْفُطَة .

وكانت يهود خَيْبَر لا يظنّون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يغزوهم لِمَنَعَتهم وحُصونهم وسلاحهم وعَدَدِهم ؛ كانوا يخرجون كلّ يوم عشرةَ آلاف مقاتل صفوفًا ثم يقولون : محمّد يغزونا ؟ هَيْهاتَ ! هَيْهات ! وكان مَن كان بالمدينة من اليهود يقولون حين تَجهّز النبىّ صلّى الله عليه وسلّم إلى خَيْبَر : ما أمنعَ واللهِ خيبر منكم ! لو رأيتم خَيْبَر وحصونها ورجالَها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم ؛ حصون شامخات فى ذُرَى الجبال ، والماءُ فيها واتن[٢] ، إنّ بخَيْبَر لألْفَ دارع ، ما كانت أسدٌ وغَطَفان يمتنعون من العرب قاطبةً إلاّ بهم ، فأنتم تُطيقون خَيْبَر ؟ فجعلوا يُوحون بذلك إلى أصحاب النبى صلّى الله عليه وسلّم ، فيقول أصحابُ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : قد وعدها اللهُ نبيَّه أن يُغنّمه إيّاها. فخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم ، فعَمَّى اللهُ عليهم مخرجَه إلاّ بالظن حتى نزل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بساحاتهم ليلًا . وكانوا قد اختلفوا فيما بينهم حيث أحسّوا بمسير رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأشار عليهم الحارث أبو زَينب اليهودىّ بأن يُعسكروا خارجًا من حصونهم ويبرزوا له ، فإنى قد رأيتُ مَن سار إليه من الحصون ، لم يكن لهم بقاء بعد أن حاصرهم حتى نزلوا على حُكْمِه ، ومنهم مَن سُبِى ومنهم مَن قُتِلَ صَبْرًا . فقالت اليهود : إنّ حصوننا هذه ليست مثل تلك ؛ هذه حصون مَنيعة فى

(١) تبخس : أى نقص . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٩٩) .

(٢) فى الأصل : «وانق» ؛ والتصحيح هو ما يقتضيه السياق . وتن الماء وغيره : أى دام ولم ينقطع (الصحاح ، ص ٢٢١٢) .

قالوا : قدم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينةَ مِن الحُدَيبية فى ذى الحجّة تمامَ سنة ستّ [1] ، فأقام بالمدينة بقيّة ذى الحجّة والمحرم ، وخرج فى صفر سنةَ سبْعٍ – ويقال خرج لهلال ربيع الأوّل – إلى خَيْبَر. وأمر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أصحابَه بالتهيّؤ للغزو فهم مُجدّون ، وتجلّب مَن حولَه يغزون معه ، وجاءه المُخلَّفون يُريدون أن يخرجوا معه رجاءَ الغنيمة ، فقالوا : نخرج معك ! وقد كانوا تَخلّفوا عنه فى غزوة الحُدَيبية ، وأرجفوا بالنبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم وبالمسلمين ، فقالوا : نخرج معك إلى خَيْبر ، إنها ريف الحجاز طعامًا وَوَدَكًا [2] وأموالًا . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لا تخرجوا معى إلّا راغبين فى الجِهاد ، فأما الغنيمة فلا . وبعث مُنادِيًا فنادى : لا يخرجنّ معنا إلّا راغبٌ فى الجهاد ، فأمّا الغنيمة فلا ! فلمّا تجهّز الناس إلى خَيْبَر شقّ ذلك على يهود المدينة الذين هم مُوادعون لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وعرفوا أنهم إذا دخلوا خَيْبَرَ أهلك الله خَيْبَر كما أهلك بنى قَيْنُقاع والنَّضِير وقُرَيْظَة. قال : فلما تجهّزنا لم يبقَ أحدٌ من يهود المدينة له على أحدٍ من المسلمين حَقّ إلّا لَزِمَه ، وكان لأبى الشَّحْم اليهودىّ عند عبد الله بن أبى حدْرَد الأسلمىّ خمسةُ دراهم فى شعيرٍ أخذه لأهله ، فلزمه ، فقال : أجِّلْنى فإنى أرجو أن أقدَم عليك فأقضيَك حقّك إن شاء الله ، إنّ الله عزّ وجلّ قد وعد نبيّه خَيْبَر أن يُغنّمه إيّاها . وكان عبد الله بن أبى حَدْرد ممّن شَهِدَ الحُدَيبية ، فقال : يا أبا الشَّحْم ، إنا نخرُج إلى ريف الحجاز فى الطعام والأموال . فقال أبو الشَّحْم حسدًا وبغيًا : تَحسِبُ أنّ قِتال خَيْبَر مثل ما تلقَونه من الأعراب؟ فيها والتوراةِ عشرةُ آلافِ مُقاتل !

(١) فى الأصل : « تمام سنة ست سنين » .

(٢) الودك : هو دسم اللحم ودهنه الذى يستخرج منه . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٠٢) .

قال ابن أبى حدْرَد : أى عدوّ الله ! تُخوِّفنا بعدوّنا وأنت فى ذِمّتنا وجوارنا ؟ والله لأرفعنّك إلى رسول الله ! فقلتُ : يا رسول الله ألا تسمع إلى ما يقول هذا اليهودى ؟ وأخبرتُه بما قال أبو الشَّحْم . فأسكت رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ولم يَرجع إليه شيئًا ، إلّا أنى رأيتُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حرّك شفتَيْه بشىءٍ لم أسمعه ، فقال اليهودىّ : يا أبا القاسم ، هذا قد ظلمنى وحبسنى بحقّى وأخذ طعامى ! قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أعطِه حقّه . قال عبدُ الله : فخرجتُ فبعت أحدَ ثَوْبَىّ بثلاثة دراهم ، وطلبتُ بقيّةَ حقّه فقضيته ، ولبستُ ثوبى الآخر ، وكانت علىّ عمامةٌ فاستدفأتُ [1] بها . وأعطانى سَلَمَة بن أسلم ثوبًا آخر ، فخرجتُ فى ثوبين مع المسلمين ، ونَفّلنى اللهُ خيرًا ، وغنمتُ امرأةً بينها وبين أبى الشَّحْم قرابةٌ فبعتُها منه بمال .

وجاء أبو عَبس بن جبْر فقال : يا رسول الله ، ما عندنا نفقة ولا زاد ولا ثوب أخرجُ فيه ، فأعطاه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم شُقَيقَةً سُنْبُلانيّةً [2] ، فباعها بثمانية دراهم ، فابتاع تمرًا بدرهمين لِزاده وترك لأهلِه نفقةً درهمين ، وابتاع بُرْدَةً بأربعةِ دراهم . فبينا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى طريق خَيْبَر فى ليلةٍ مُقمِرةٍ إذْ أبصر برجل يسير أمامَه ، عليه شىءٌ يبرق فى القمر كأنّه فى الشمس وعليه بَيْضة ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : مَن هذا ؟ فقيل : أبو عَبس بن جَبْر . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم :

(١) فى الأصل : « استدمرت » .

(٢) فى الأصل : « شقيقة سيلانية » ، والشقيقة : تصغير شقة وهى جنس من الثياب . وسنبلانية : أى سابغة الطول ، سنبل ثوبه إذا أسبله وجره من خلفه أو أمامه ، والنون زائدة ، ويحتمل أن يكون منسوبا إلى موضع . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٨٤ ، ٢٣) .

أدرِكُوه ! [قال] : فأدركونى فحبسونى ، وأخذنى ما تقدم وما تأخَّر ، وظننتُ أنه قد نزل فى أمرٌ من السماء ، فجعلت أتذكَّر ما فعلتُ حتى لحقنى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : مالك تَقدُم الناسَ لا تسيرُ معهم ؟ قلتُ : يا رسول الله ، إنَّ ناقتى نَجيبة . قال : فأين الشُّقَيْقَة التى كسوتُك ؟ فقلت : بعتُها بثمانية دراهم ، فتزوّدت بدرهمين تمرًا ، وتركتُ لأهلى نفقةً درهمين ، واشتريتُ بردةً بأربعة دراهم . فضحك رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ثم قال : أنت واللهِ يا أبا عَبس وأصحابك من الفقراء ! والذى نفسى بيده لئن سلمتم وعشتم قليلًا ليكثرنَّ زادُكم ، وليكثرنَّ ما تتركون لأهليكم ، ولتكثرنَّ دراهمُكم وعبيدُكم ، وما ذاك بخيرٍ لكم ! قال أبو عبس : فكان واللهِ ما قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

واستخلف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على المدينة سِباع بن عُرْفُطَة الغِفاريّ . قال أبو هُرَيرة رضى الله عنه : قدمنا المدينةَ ونحن ثمانون بيتًا مِن دَوْس ، فقال قائل : رسول الله بخَيْبَر وهو قادمٌ عليكم . فقلتُ : لا أسمعُ به ينزل مكانًا أبدًا إلاّ جئتُه . فتحمّلنا حتى جئناه بخَيْبَر فنجده قد فتح النَّطاة وهو مُحاصِرٌ أهلَ الكَتيبة ، فأقمنا حتى فتح اللهُ علينا . وكنّا قدمنا المدينة فصلّينا الصبح خلف سِباع بن عُرْفُطَة بالمدينة ، فقرأ فى الركعة الأولى سورةَ مَرْيَم وفى الآخرة : ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾(١) ، فلمّا قرأ ﴿إذا اكتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾(٢) قلت : تركتُ عَمِّى بالسراة له مِكْيالان ، مكيال

(١) سورة ٨٣ المطففين ١
(٢) سورة ٨٣ المطففين ٢

يُطفّف به ومكيال يَتَبخَّس به(١) . ويقال : استخلف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أبا ذرّ . والثبت عندنا سِباع بن عُرْفُطَة .

وكانت يهود خَيْبَر لا يظنّون أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يغزوهم لِمَنَعَتهم وحُصونهم وسلاحهم وعَدَدِهم ؛ كانوا يخرجون كلَّ يوم عشرةَ آلاف مقاتل صفوفًا ثم يقولون : محمّد يغزونا ؟ هَيْهاتَ ! هَيْهاتَ ! وكان مَن كان بالمدينة من اليهود يقولون حين تَجهّز النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى خَيْبَر : ما أمنعَ واللهِ خيبر منكم ! لو رأيتم خَيْبَر وحصونها ورجالَها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم ؛ حصون شامخات فى ذُرَى الجبال ، والماءُ فيها واتِن(٢) ، إنَّ بخَيْبَر لألْفَ دارع ، ما كانت أسدٌ وغَطَفان يمتنعون من العرب قاطبةً إلاّ بهم ، فأنتم تُطيقون خَيْبَر ؟ فجعلوا يُوحون بذلك إلى أصحاب النبى صلَّى الله عليه وسلَّم ، فيقول أصحابُ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم : قد وعدها اللهُ نبيَّه أن يُغنّمه إيّاها. فخرج رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إليهم ، فعَمَّى اللهُ عليهم مخرجَه إلاَّ بالظن حتى نزل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بساحاتهم ليلًا . وكانوا قد اختلفوا فيما بينهم حيث أحسّوا بمسير رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأشار عليهم الحارث أبو زَينب اليهوديّ بأن يُعسكروا خارجًا من حصونهم ويبرزوا له . فإنى قد رأيتُ مَن سار إليه من الحصون ، لم يكن لهم بقاء بعد أن حاصرهم حتى نزلوا على حُكْمِه ، ومنهم مَن سُبِى ومنهم مَن قُتِل صَبْرًا . فقالت اليهود : إنَّ حصوننا هذه ليست مثل تلك ؛ هذه حصون مَنِيعة فى

(١) تبخس : أى نقص . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٩٩) .
(٢) فى الأصل : « وانق » ؛ والتصحيح هو ما يقتضيه السياق . ووتن الماء وغيره : أى دام ولم ينقطع (الصحاح ، ص ٢٢١٢) .

التُّراب . فقلت فى نفسى : أَبعدك الله ! ما تركتَ نفسك ، وما أنت بمُطيع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

حدّثنى سُلَيمان بن بِلال ، عن يحيى بن سَعيد ، عن عَمْرَة ، عن عائشة ، قالت : أنا أَطّلع من صِير[1] الباب فأَسمعُ هذا .

حدّثنى عبد الله بن محمّد ، عن ابن عَقيل ، عن جابر بن عبد الله ، قال : أُصيب بها ناسٌ من المسلمين ، وغَنِم المسلمون بعضَ أَمتِعَة المشركين ، فكان مما غنموا خاتمًا جاء به رجلٌ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : قتلتُ صاحبه يومئذٍ ! فنفّله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إيّاه .

وقال عَوف بن مالك الأَشْجعىّ : لقيناهم فى جماعة من قُضاعة وغيرهم من نَصارى العرب ، فصافّونا فجعل رجلٌ من الروم يسلّ على المسلمين ويُغرى بهم على فَرَس أشقر ، عليه سِلاحٌ مُذهَبٌ ولجامٌ مُذهَبٌ ، فجعلتُ أقول فى نفسى : مَن هذا ؟ وقد رافقنى رجلٌ من أمداد[2] حِمْيَر ، فكان معنا فى مسيرنا ذلك ليس معه سيفٌ ، إذ نحر رجلٌ من القوم جزورًا فسأله المددىّ طائفةً من جلده ، وهبه له فبسطه فى الشمس وأوتد على أطرافه أوتادًا ، فلمّا جفّ اتّخذ منه مِقبضًا وجعله دَرَقَةً . فلمّا رأى ذلك المددىّ ما يفعل ذلك الرومىّ بالمسلمين كَمَن له خلف صخرة ، فلمّا مرّ به خرج عليه فعرقب فَرَسه ، فقعد الفرَسُ على رجليه وخرّ عنه العِلْج[3] ، وشدّ عليه فعلاه بسيفه فقتله .

(١) فى الأصل : «صر الباب» . والصير : شق الباب . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٨) .
(٢) الأمداد : جمع مدد ، وهم الأعوان والأنصار الذين كانوا يمدون المسلمين فى الجهاد . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٨٤) .
(٣) العلج : الرجل من كفار العجم . (الصحاح ، ص ٣٣٠) .

حدّثنى بُكَير بن مِسمار ، عن عُمارة بن غَزيّة[1] ، عن أبيه ، قال : حضرتُ مُؤْتَة . فبارزتُ رجلًا يومئذٍ فأَصبتُه ، وعليه يومئذٍ بيضةٌ له فيها ياقوتةٌ ؛ فلم يكن همّى إلّا الياقوتة فأَخذتُها ؛ فلمّا انكشفنا وانهزمنا رجعتُ بها المدينة ، فأَتيت بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فنفّلنيها فبعتها زمن عمر ابن الخطّاب رضى الله عنه بمائة دينارٍ ، فاشتريت بها حديقة نخلٍ ببنى خَطْمَة .

ذكر من استُشهد بمُؤْتَة من بنى هاشم وغيرهم

استُشهد من بنى هاشم : جَعفر بن أبى طالب ، وزيد بن حارثة . ومن بنى عَدىّ بن كعب : مَسعود بن الأَسود بن حارثة بن نَضْلَة . ومن بنى عامر ابن لُؤَىّ ، ثم من بنى مالك بن حُسَيل : وَهب بن سعد بن أبى سرْح . وقُتل من الأَنصار ، ثم من بنى النَّجّار من بنى مازن : سُراقة بن عمرو بن عطيّة بن خَنساء . ومن بنى النَّجّار : الحارث بن النُّعمان بن يساف بن نَضْلَة بن عمرو بن عَوف بن غَنْم بن مالك . ومن بنى الحارث بن الخزرج : عبدالله بن رَواحة ، وعُبادة بن قيس . ثم رجعوا إلى المدينة .

غزوة ذات السَّلاسِل[2]

حدّثنى رَبيعة بن عُثمان ، عن ابن رُومان ؛ وحدّثنى أَفْلَح بن سعد ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن رُقَيش ، عن أَبى بكر بن حزم ؛ وحدّثنى

(١) فى الأصل : «عمارة بن خزيمة» . وقد صححناه فى أماكن أخرى من هذا الكتاب .
(٢) ذات السلاسل : وراء وادى القرى ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٩٤) .

فقالوا : يا رسول الله ، نسينا ! هذا الخَرَز عندنا ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : كلُّكم يحلف بالله أنه نسيه ؟ قالوا : نعم . فحلفوا بالله جميعًا أنهم نسوه ، فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بسرير الموتى فسُجن عليهم بالرِّباط ، ثم صلّى عليهم صلاة الموتى . وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يجد الغُلول فى رَحل الرجل فلا يعاقبه ، ولم يُسمَعْ أنه أحرق رَحل أحدٍ وُجِد فى رَحله ، ولكنه يُعنِّف ويونِّب ويُؤْذِى ويُعرِّف الناس به .

قالوا : واشترى يوم خَيْبَر تِبْرًا[1] بذهبٍ جُزافًا ، فنَهى عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وكان فَضالة بن عُبَيد يحدّث يقول : أصبتُ يومئذٍ قلادةً فبعتُها بثمانية دنانير ، فذكرت ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : بِعِ الذهب وزنًا بوزنٍ . وكان فى القلادة ذهبٌ وغيره فرجعتُ فيها . واشترى السَّعدان تِبرًا بذهب أحدهما أكثر وزنًا ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أربيتما فرُدّا ! ووجد رجلٌ يومئذٍ فى خَرِبَةٍ مائتى درهم ، فأخذ منها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الخُمُس ودفعها إليه .

وسُمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذٍ يقول : مَن كان يُؤْمن بالله واليوم الآخر فلا يسقِ[2] ماءه زَرْعَ غيره ، ولا يبعْ[3] شيئًا من المَغْنَم حتى يُعلَم ، ولا يركبْ دابّةً من المغنم حتى إذا بَرَاها[4] ردّها ، ولا يلبس ثوبًا من المَغْنَم حتى إذا أخلقه ردّه ، ولا يأتِ من السَّبى حتى تستبرئ وتَحيض حَيْضَة ، وإن كانت حُبلى حتى تضع حملَها . ومرّ رسول الله صلّى الله عليه

(١) التبر : الذهب والفضة أو فتاتهما قبل أن يصاغا ، فإذا صيغا فهما ذهب وفضة . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٧٩) .

(٢) فى الأصل : « فلا يسق » .

(٣) فى الأصل : « ولا يبيع » .

(٤) فى الأصل : « إذ يراها » . وبراها : عزلها (القاموس المحيط ، ح ٤ ، ص ٣٠٢) .

وسلّم يومئذٍ على امرأةٍ مُجِحٍّ[1] فقال : لمن هذه؟ فقيل : لفلان . قال : فلعلّه يطَوُها ؟ قالوا : نعم . قال : كيف بولدها يَرِثه وليس بابنه ، أو يسترقّه وهو يعدو فى سمعه وبصره ؟ لقد هممتُ أن ألعنه لعنةً تتبعه فى قبره .

قالوا : وقدم أهل السفينتين[2] من عند النَّجاشىّ بعد أن فُتحت خَيْبَر ، فلمّا نظر النبىّ صلّى الله عليه وسلّم إلى جعفر قال : ما أدرى بأيّهما أنا أُسَرّ ، بقدوم جَعفر أو فتح خَيْبَر ! ثم ضمّه رسول الله وقبّل بين عينيه .

وقدم الدَّوسيُّون فيهم أبو هُرَيرة والطُّفيل بن عمرو وأصحابهم ونفرٌ من الأَشْجَعيِّين ، فكلّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أصحابه فيهم أن يشركوهم فى الغنيمة . قالوا : نعم يا رسول الله . ونظر أبان بن سعيد[3] بن العاص إلى أبى هُرَيرة فقال : أمّا أنتَ فلا . فقال أبو هُرَيرة : يا رسول الله ، هذا قاتل ابن قَوْقَل . قال أبان بن سعيد : يا عَجَباه لِوَبْرٍ[4] تَدلّى علينا مِن قَدُوم ضأنٍ[5] ! ينعَى علىّ قَتْلَ امرىءٍ مُسلم أكرمه اللهُ على يدِى ولم يُهِنّى على يده .

قالوا : وكان الخُمُس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من كلّ مَغْنَم غنمه المسلمون ، شهده رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو غاب عنه . وكان لا يقسم لغائبٍ فى مَغْنَمٍ لم يشهده ، إلّا أنه فى بدرٍ ضرب لثمانية لم يشهدوا ، كلّهم

(١) المجح : الحامل المقرب التى دنا ولادها . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٤٤) .

(٢) فى الأصل : « السقيفتين » ؛ والتصحيح عن ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٣) .

(٣) فى الأصل : « أبان بن سعد » ، والتصحيح عن ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ٦٢) .

(٤) الوبر : دويبة على قدر السنور ، غبراء أو بيضاء حسنة العينين شديدة الحياء حجازية ، وإنما شبهه بالوبر تحقيراً له . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٠) .

(٥) فى الأصل : « من قدم صاد » . والتصويب عن ابن الأثير حيث قال : هى ثنية أوجبل السراة من أرض دوس . وقيل : القدوم ما تقدم فى الشاة وهو رأسها ، وإنما أراد احتقاره وصغر قدره . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٢٣٥) .

جُنُبٌ ومعه ماءٌ لم يزد على أن غسل فرجه بماءٍ وتيمّم . فسكت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فلمّا قدم عمرو على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم سأله عن صلاته فأخبره فقال : والذى بعثك بالحقّ لو اغتسلتُ لمُتُّ . لم أجد قطُّ برداً مثله ، وقد قال الله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ .[١] فضحك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولم يبلغنا أنه قال شيئًا

سريّة الخَبَط[٢] أميرها أبو عُبَيدة

قال الواقديّ : حدّثنى داود بن قيس ، ومالك بن أَنَس ، وإبراهيم بن محمّد الأنصاريّ من ولد ثابت بن قيس بن شَمّاس ، وخارجة بن الحارث ؛ وبعضهم قد زاد فى الحديث ، قالوا : بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبا عُبَيدة بن الجرّاح فى سريّة فيها المهاجرون والأنصار ، وهم ثلثمائة رجل ، إلى ساحل البحر إلى حيٍّ من جُهَينة ؛ فأصابهم جوعٌ شديدٌ ، فأمر أبو عُبَيدة بالزاد فجُمع حتى إذا كانوا ليَقتسمون التَّمْرَة ، فقيل لجابر : فما يُغنى ثُلُث تمرة ؟ قال : لقد وجدوا فَقْدَها . قال : ولم تكن معهم حَمولة[٣] ، إنما كانوا على أقدامهم ، وأباعر يحملون عليها زادهم . فأكلوا الخَبَط ، وهو يومئذٍ ذو مَشْرَة[٤] ، حتى إنّ شِدْق أحدِهم بمنزلة مِشفر البعير العَضِة ، فمكثنا على ذلك حتى قال

(١) سورة ٤ النساء ٢٩

(٢) الخبط : ورق ينفض بالمخابط ويجفف ويطحن ويخلط بدقيق أو غيره ويوخف بالماء . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٥٦) .

(٣) الحمولة : ما يحتمل عليه الناس من الدواب . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٦١) .

(٤) المشرة : شبه خوصة تخرج فى العضاه وفى كثير من الشجر ، أو الأغصان الخضر الرطبة قبل أن تتلون بلون . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٢٣) .

قائلهم : لو لقينا عدوًّا ما كان بنا حَرَكةٌ إليه . لِما بالناس من الجهد . فقال قيس بن سعد : مَن يشترى منى تمرًا بجُزُر ، يُوفينى الجُزُر ها هنا وأُوفيه التمر بالمدينة ؟ فجعل عمر يقول : واعَجَبَاه لهذا الغلام ، لا مال له يَدّانُ فى مال غيره ! فوجد رجلًا من جُهَينة . فقال قيس بن سعد : بعنى جُزرًا وأُوفيك سِقَةً[١] من تمر بالمدينة . قال الجُهَنىّ : واللهِ ما أعرفُك ، ومن أنت ؟ قال : أنا قيس بن سعد بن عُبادة بن دُلَيم[٢] . قال الجُهَنىّ : ما أعرفَنى بنسبك ! أما إنّ بينى وبين سعد خُلّة ، سيّد أهل يثْرِب . فابتاع منهم خمس جُزُر كلّ جزور بوَسْقَين من تمر . يَشْرُط عليه البدوىّ ، تمر ذَخيرةٍ مُصلَّبةٍ[٣] من تمر آل دُلَيم . قال : يقول قيس : نعم . فقال الجُهَنىّ : فَأَشْهِدْ لى . فأَشْهدَ له نَفَرًا من الأنصار ومعهم نَفَرٌ من المهاجرين . قال قيس : أَشهِدْ من تُحبّ . فكان فيمن أشهد عمر بن الخطّاب رضى الله عنه . فقال عمر : لا أشهد ! هذا يَدّانُ ولا مال له ، إنما المال لأبيه . قال الجُهَنىّ : واللهِ ، ما كان سعدٌ لَيُخْنِى[٤] بابنه فى سِقَةٍ من تمر ! وأرى وجهًا حسنًا وفعالًا شريفًا . فكان بين عمر وبين قيس كلام حتى أغلظ له قيس الكلامَ ؛ وأخذ قيس الجُزُر فنحرها لهم فى مواطن ثلاثة . كل يوم جَزورًا ؛ فلمّا كان اليوم الرابع نهاه أميره وقال : تُريد أن تُخفر[٥] ذمّتك ولا مال لك ؟

حدّثنى محمّد بن يحيى بن سهل ، عن أبيه ، عن رافع بن خَديج ، قال : أقبل أبو عُبَيدة بن الجرّاح ومعه عمر بن الخطّاب رضى الله عنهم فقال :

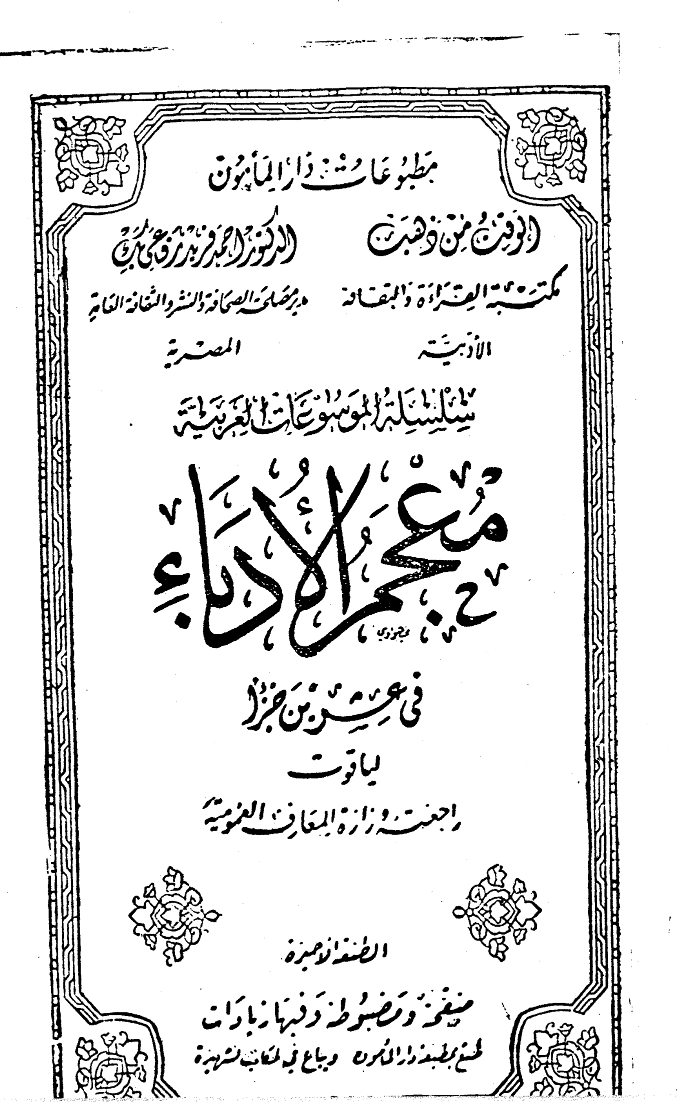
(١) السقة : جمع وسق وهو الحمل ، وقدره الشرع بستين صاعاً . ويروى أيضاً بالشين المعجمة . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٦٩) .

(٢) فى الأصل : « دوليم » ؛ وما أثبتناه عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٨ ، ص ٣٣٠) .

(٣) صلب : أى يبس . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٩٣) .

(٤) أى يسلمه ويخفر ذمته ، هو من أخنى عليه . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٤) .

(٥) فى الأصل : « أن تخرب » ؛ وما أثبتناه عن السيرة الحلبية . (ج ٢ ، ص ٣١٥) .



مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الدكتور أحمد فريد رفاعي بك

مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

طبع بمطبعة دار المأمون ويباع بجميع المكاتب الشهيرة

فَأَضَرَّتْ بِالزُّرُوعِ وَالْأَثْمَارِ ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ ، وَأَثَّرَ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ . فَحَضَرْنَا مَجْلِسَ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ ، وَكُلٌّ مِنَّا شَكَا حَالَهُ ، وَذَكَرَ خَلَّتَهُ (١) ، وَكَانَ فِينَا رَجُلٌ مُزَارِعٌ ، ذَكَرَ أَنَّهُ زَرَعَ بِنَوَاحِي النَّهْرَوَانِ أَرْبَعَةَ آلَافِ جَرِيبٍ (٢) مِلْكاً وَضَمَاناً وَإِجَارَةً رَجَاءَ الْفَائِدَةِ ، وَقَدْ أَتَى عَلَيْهَا الْجَرَادُ ، وَهَلَكَ ذَلِكَ الرَّجُلُ لِأَجْلِهِ .

ثُمَّ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : لَا يَهُولَنَّكَ أَمْرُهَا ، فَإِنَّهَا جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ اللهِ مَأْمُورٌ . بَلَغَنَا أَنَّ جَرَادَةً سَقَطَتْ بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، فَأَخَذَهَا وَنَشَرَ (٣) جَنَاحَهَا وَقَالَ : أَتَعْلَمُونَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا ؟ قَالُوا لَا ، قَالَ : مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا : أَنَا مُغْلِي الْأَسْعَارِ ، مَعَ تَدَفُّقِ الْأَنْهَارِ . وَأَوْرَدَ فِي ذِكْرِ الْجَرَادِ مَا حَيَّرَ النَّاظِرِينَ ، ثُمَّ قَالَ : وَمِنْ أَحْسَنِ مَا وُصِفَ بِهِ الْجَرَادُ ، قَوْلُ بَعْضِ الْخُطَبَاءِ حَيْثُ يَقُولُ :

(١) الخلة بالفتح : الحاجة والفقر والخصاصة (٢) الجريب: مقدار معلوم من الأرض ، وهو مختلف من ضرب ستين في مثلها ، أى في ستين أيضا . ولا أصل فيه [illegible] .
(٣) نشر الجناح : أظهره ، وكان مطويا وهذا المكتوب الذى رواه إنما هو كتابة ولسان حال .

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ خَلْقاً وَسَمَّاهَا جَرَاداً ، وَأَلْبَسَهَا أَجْلَاداً ، وَجَنَّدَهَا أَجْنَاداً ، وَأَدْمَجَهَا (١) إِدْمَاجاً ، وَكَسَاهَا مِنَ الْوَشْيِ دِيبَاجاً ، وَجَعَلَ لَهَا ذُرِّيَّةً وَأَزْوَاجاً . إِذَا أَقْبَلَتْ خِلْتَهَا سَحَاباً أَوْ عَجَاجاً ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ حَسِبْتَهَا قَوَافِلَ وَحُجَّاجاً ، مُزَخْرَفَةَ الْمَقَادِيمِ ، مُزَبْرَجَةَ (٢) الْمَآخِيرِ ، مُزَوَّقَةَ الْأَطْرَافِ ، مُنْقَطِعَةَ الْأَخْفَافِ ، مُنَمْنَمَةَ (٣) الْحَوَاشِي ، مُنَمَّقَةَ الْغَوَاشِي (٤) ، ذَاتَ أَرْدِيَةٍ مُزَعْفَرَةٍ ، وَأَكْسِيَةٍ مُعَصْفَرَةٍ ، وَأَخْفِيَةٍ مُخَطَّطَةٍ . مُعْتَدِلَةٌ قَامَتُهَا ، مُؤْتَلِفَةٌ خِلْقَتُهَا ، مُخْتَلِفَةٌ حِلْيَتُهَا ، مَوْصُولَةُ الْمَفَاصِلِ ، مُدْمَجَةُ الْحَوَاصِلِ ، تَسْعَى وَتَخْتَالُ ، وَتَمِيسُ وَتَخْتَالُ ، وَتَطُوفُ وَتَجْتَالُ . فَتَبَارَكَ خَالِقُهَا ، وَتَعَالَى رَازِقُهَا ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، رَحْمَةً مِنْهُ عَلَيْهَا ، أَوْسَعَهَا رِزْقاً ، وَأَتْقَنَهَا

(١) أدمجها : أى طواها وأدخلها بعضها فى بعض ، من قولهم : أدمج الشيء فى الثوب : أى لفه فيه . (٢) مزبرجة : أى مزينة ، والزبرج : الزينة ، من وشى أو جوهر أو نحو ذلك . (٣) منمنمة : مزخرفة ومنقوشة ومزينة (٤) الغواشى : جمع غاشٍ وغاشية ، بمعنى الغطاء .

المختصر في أخبار البشر

تأليف

عماد الدين إسماعيل أبي الفداء

المتوفى سنة ٧٣٢ هجرية

عمر وقال اقـد نفسك والا أمرته أن يلطمك. فقال جبلة كيف ذلك وأنا ملك وهو سوقة فقال عمران الاسلام حكما وسوى بين الملك والسوقة في الحد فقال جبلة كنت أظن انى بالاسلام أعز منى في الجاهلية فقال عمر دع عنك هذا فقال جبلة أتنصر فقال عمران تنصرت ضربت عنقك فقال انظرنى ليلتى هذه فانظره فلما جاء الليل سار جبلة بخيله ورجله الى الشام ثم صار الى القسطنطينية وتبعه خمسمائة رجل من قومه فتنصروا عن آخرهم وفرح هرقل بهم وأكرمه ثم ندم جبلة على فعله ذلك وقال

تنصرت الاشراف من عار لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى فيها لجاج ونخوة * وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى * رجعت الى القول الذى قاله عمر

وكان قد مضى رسول عمر الى هرقل وشاهد ماهو فيه جبلة من النعمة فأرسل جبلة خمسمائة دينار لحسان بن ثابت وأوصلها عمر اليه ومدحه حسان بن ثابت بأبيات منها

ان ابن جفنة من بقية معشر * لم يغرهم آباؤهم باللوم
لم ينسنى بالشام اذ هو ربها * كلا ولا متنصرا بالروم
يعطى الجزيل ولا يراه عنده * الا كبعض عطية المذموم

(ثم دخلت سنة سبع عشرة) فيها اختطت الكوفة وتحول سعد اليها (وفي هذه السنة) اعتمر عمر وأقام بمكة عشرين ليلة ووسع في المسجد الحرام وهدم منازل قوم أبوا ان يبيعوها وجعل أثمانها في بيت المال وتزوج أم كلثوم بنت على بن أبى طالب وأمها فاطمة رضى الله عنهما (وفي هذه السنة) كانت واقعة المغيرة بن شعبة وهى ان المغيرة كان عمر قد ولاه البصرة وكان في قبالة العلية التى فيها المغيرة بن شعبة علية فيها أربعة وهم أبو بكرة مولى النبى صلى الله عليه وسلم وأخوه لامه زياد بن أبيه ونافع بن كلدة وشبل بن معبد فرفعت الريح الكوة عن العلية فنظروا الى المغيرة وهو على أم جميل بنت الارقم من عامر بن صعصعة وكانت تغشى المغيرة فكتبوا الى عمر بذلك فعزل المغيرة واستقدمه مع الشهود وولى البصرة أبا موسى الاشعرى فلما قدم الى عمر شهد أبو بكرة ونافع وشبل على المغيرة بالزنا * وأما زياد بن أبيه فلم يفصح شهادة الزنا وكان عمر قد قال قبل أن يشهد أرى رجلا أرجو ان لايفضح الله به رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زياد رأيته جالساً بين رجلى امرأة ورأيت رجلين مرفوعتين كاذنى حمار ونفسا يعلو وأستا تنبو عن ذكر ولا أعرف ماوراء ذلك فقال عمر هل رأيت الميل في المكحلة قال لا فقال هل تعرف المرأة قال لا ولكن أشبهها فامر عمر بالثلاثة الذين شهدوا بالزنا أن يحدوا حد القذف فجلدوا وكان زياد أخا أبى بكرة لامه

فلم يكلمه أبو بكرة بعدها ﴿ وفيها ﴾ فتح المسلمون الاهواز وكان قد استولى عليها الهرمزان وكان من عظماء الفرس ثم فتحوا رام هرمز وتستر وتحصن الهرمزان في القلعة وحاصروه فطلب الصلح على حكم عمر فانزل على ذلك وأرسلوا به الى عمر ومعه وفد منهم أنس بن مالك والاحنف بن قيس فلما وصلوا به الى المدينة ألبسوه كسوته من الديباج المذهب ووضعوا على رأسه تاجه وهو مكلل بالياقوت ليراه عمر والمسلمون فطلبوا عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل جالس في المسجد فأتوه وهو نائم فجلسوا دونه فقال الهرمزان أين هو عمر قالوا هوذا قال فاين حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب واستيقظ عمر لجلبة الناس فنظر الى الهرمزان وقال الحمد لله الذى أذل بالاسلام هذا وأشباهه وأمر بنزع ماعليه فنزعوه وألبسوه ثوباً صفيقاً فقال له عمر كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله فقال الهرمزان نحن واياكم في الجاهلية لما خلى الله بيننا وبينكم غلبنا كم ولما كان الله الآن معكم غلبتمونا ودار بينهما الكلام وطلب الهرمزان ماء فأتى به فقال أخاف أن تقتلنى وأنا أشرب فقال عمر لابأس عليك حتى تشرب فرمى بالاناء فانكسر فقصد عمر قتله فقالت الصحابة انك أمنته بقولك لابأس عليك الى ان تشرب ولم يشرب ذلك الماء وآخر الامر ان الهرمزان أسلم وفرض له عمر ألفين (ثم دخلت سنة ثمانى عشرة) فيها حصل فى المدينة والحجاز قحط عظيم فكتب عمر الى سائر الامصار يستعينهم فكان ممن قدم عليه أبو عبيدة من الشام بأربعة آلاف راحلة من الزاد وقسم عمر ذلك على المسلمين حتى رخص الطعام بالمدينة * ولما اشتد القحط خرج عمر ومعه العباس وجمع الناس واستسقى متشفعا بالعباس فما رجع الناس حتى تداركت السحب وأمطروا وأقبل الناس يتمسحون باذيال العباس رضى الله عنه (وفي هذه السنه) أعنى سنة ثمان عشرة كان طاعون عمواس بالشام مات به أبو عبيدة بن الجراح واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح الفهرى أحد العشرة المشهود لهم بالجنة واستخلف أبو عبيدة على الناس (معاذ) بن جبل الانصارى فمات أيضا بالطاعون واستخلف (عمرو) بن العاص ومات من الناس في هذا الطاعون خمسة وعشرون الف نفس فطال مكثه شهرا وطمع العدو في المسلمين وأصاب بالبصرة مثله (وفي هذه السنة) سار عمر الى الشام فقسم مواريث الذين ماتوا ثم رجع الى المدينة في ذى القعدة (ثم دخلت سنة تسع عشرة وسنة عشرين) فيها فتحت مصر والاسكندرية على يد عمرو بن العاص والزبير بن العوام فنازلا عين شمس وهو بقرب المطرية وكان بها جمعهم ففتحاها وبعث عمرو بن العاص ابرهة بن الصباح الى الفرماء وضرب عمرو فسطاطه موضع جامع عمرو بمصر الآن واختطت مصر وبنى موضع الفسطاط الجامع المعروف

لخمس بقين من ذى الحجة من سنة خمس وثلاثين (ثم) فارقه طلحة والزبير ولحقا بمكة واتفقا مع عائشة رضى الله عنهم وكانت قد مضت الى الحج وعثمان محصور وكانت عائشة تنكر على عثمان مع من ينكر عليه وكانت تخرج قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعره وتقول هذا قميصه وشعره لم يبل وقد بلى دينه لكنها لم تظن ان الامر ينتهى الى ماانتهى اليه (وكان) ابن عباس بمكة لما قتل عثمان ثم قدم المدينة بعد البيعة لعلى فوجد عليا مستخليا بالمغيرة بن شعبة قال فسألته عما قال له فقال على اشار على باقرار معاوية وغيره من عمال عثمان الى أن يبايعوا ويستقر الامر فابيت ثم اتانى الآن وقال الرأى مارأيته فقال ابن عباس نصحك في المرة الاولى وغشك في الثانية وانى أخشى أن ينتقض عليك الشام مع انى لا آمن طلحة والزبير أن يخرجا عليك وأنا أشير عليك ان تقر معاوية فان بايع لك فعلىّ ان أقلعه لك من منزله متى شئت فقال على والله لا أعطيه الا السيف ثم تمثل

وما ميتة ان متها غير عاجز بعار اذا ماغالت النفس غولها

فقلت يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع ولست صاحب رأى فقال على اذا عصيتك فأطعنى فقال ابن عباس أفعل ان أيسر مالك عندى الطاعة وخرج المغيرة ولحق بمكة (ثم دخلت سنة ست وثلاثين) فيها أرسل على الى البلاد عماله فبعث الى الكوفة عمارة بن شهاب وكان من المهاجرين (وولى) عثمان بن حنيف الانصارى البصرة (وعبيد الله) بن عباس اليمن وكان من المشهورين بالجود (وولي) قيس بن سعد بن عبادة الانصارى مصر (وسهل) ابن حنيف الانصارى الشام فلما وصل تبوك لقيته خيل فقالوا من أنت قال أمير على الشام فقالوا ان كان بعثك غير عثمان فارجع قال أوماسمعتم بالذى كان قالوا بلى فرجع الى على ومضى قيس بن سعد الى مصر فوليها واعتزلت عنه فرقة كانوا عثمانية وأبوا أن يدخلوا في طاعة على الا ان يقتل قاتل عثمان ومضى عثمان بن حنيف الى البصرة فدخلها واتبعته فرقة وخالفته فرقة ومضى عمارة الى الكوفة فلقيه طلحة بن خويلد الاسدى الذى كان ادعى النبوة في خلافة أبى بكر فقال له ان أهل الكوفة لا يستبدلون بأميرهم فرجع الى على وكان على الكوفة من قبل عثمان أبو موسى الاشعرى ومضى عبد الله الى اليمن وكان العامل بها من جهة عثمان يعلى بن منيه فوليها عبدالله وخرج يعلى وأخذ ما كان حاصلا من المال ولحق بمكة وصار مع عائشة وطلحة والزبير وسلم اليهم المال

(ذكر مسير عائشة وطلحة والزبير الى البصرة)

ولما بلغ عائشة قتل عثمان أعظمت ذلك ودعت الى الطلب بدمه وساعدها على ذلك طلحة والزبير وعبدالله بن عامر وجماعة من بنى أمية وجمعوا جمعاً عظيما واتفق رأيها على المضى الى البصرة للاستيلاء عليها وقالوا معاوية بالشام قد كفانا أمرها وكان عبد

الله

الله بن عمر قد قدم من المدينة فدعوه الى المسير معهم فامتنع وساروا وأعطى يعلى بن منيه عائشة الجمل المسمى بعسكر اشتراه بمائة دينار وقيل بثمانين دينارا فركبته وضربوا في طريقهم مكانا يقال له الحوأب فنبحتهم كلابه فقالت عائشة أى ماء هو هذا فقيل هذا ماء الحوأب فصرخت عائشة بأعلى صوتها وقالت انا لله وانا اليه راجعون سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه ليت شعرى ايتكن ينبحها كلاب الحوأب ثم ضربت عضد بعيرها فاناخته وقالت ردونى أنا والله صاحبة ماء الحوأب فاناخوا يوما وليلة وقال لها عبد الله ابن الزبير انه كذب يعنى ليس هذا ماء الحوأب ولم يزل بها وهى تمتنع فقال لها النجاء النجاء فقد أدرككم على بن أبى طالب فارتحلوا نحو البصرة فاستولوا عليها بعد قتال مع عثمان بن حنيف فقتل من أصحاب عثمان بن حنيف أربعون رجلا وأمسك عثمان بن حنيف فنتفت لحيته وحواجبه وسجن ثم أطلقته

﴿ذكر مسير على الى البصرة﴾

ولما بلغ عليا مسير عائشة وطلحة والزبير الى البصرة سار نحوهم في أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم أربعمائة ممن بايع تحت الشجرة وثمانمائة من الانصار ورايته مع ابنه محمد ابن الحنفية وعلى ميمنته الحسن وعلى ميسرته الحسين وعلى الخيل عمار بن ياسر وعلى الرجالة محمد بن أبى بكر الصديق وعلى مقدمته عبد الله بن العباس وكان مسيره في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ولما وصل على الى ذى قار أتاه عثمان بن حنيف وقال له يا أمير المؤمنين بعثتنى ذا لحية وجئتك أمرد فقال أصبت أجرا وخيرا وقال على ان الناس وليهم قبلى رجلان فعملا بالكتاب والسنة ثم وليهم ثالث فقالوا في حقه وفعلوا ثم بايعونى وبايعنى طلحة والزبير ثم نكثا ومن العجب انقيادهما لابى بكر وعمر وعثمان وخلافهما علىّ والله انهما يعلمان أنى لست بدون رجل ممن تقدم

(ذكر وقعة الجمل)

واجتمع الى على من أهل الكوفه جمع واجتمع الى عائشة وطلحة والزبير جمع وسار بعضهم الى بعض فالتقوا بمكان يقال له الخريبة في النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة ودعا على الزبير الى الاجتماع به فاجتمع به فذكره على وقال اتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنى غنم فنظر الى فضحكت وضحك الى فقلت لايدع ابن أبى طالب زهوه فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس بمزه ولتقاتلنه وأنت ظالم له فقال الزبير اللهم نعم ولو ذكرته ماسرت مسيرى هذا فقيل انه اعتزل القتال وقيل بل عيره ولده عبد الله وقال خفت من رايات ابن أبى طالب فقال الزبير انى حلفت ان لا أقاتله فقال له

بضرب الدبادب لئلا تظهر أصواتهن وانحدر توزون بالمتقى الى بغداد وهو أعمى وكانت خلافة المتقى لله وهو ابراهيم بن جعفر المقتدر بن المعتضد ثلاث سنين وخمسة أشهر وعشرين يوما وأمه أم ولد اسمها خلوب

ذكر خلافة المستكفى بالله

وهو ثانى عشرينهم ولما قبض توزون على المتقى بايع المستكفى بالله أبا القاسم عبد الله بن المكتفى بالله على ابن المعتضد أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد هرون وأحضره الى السندية وبايعه عامة الناس وكانت بيعة المستكفى بالله يوم خلع المتقى في صفر من هذه السنة

ذكر خروج أبي يزيد الخارجي

بالقيروان وفي هذه السنة اشتدت شوكة أبي يزيد الخارجى وهزم الجيوش وهو رجل من زناتة واسم والده كنداد من مدينة توزر من بلاد قسطيلية فولد له أبو يزيد بتوزر من جارية سوداء وانتشأ أبو يزيد في توزر وتعلم القرآن وسار الى تاهرت وصار على مذهب النكارية وهو تكفير أهل الملة واستباحة أموالهم ودمائهم ودعا أهل تلك البلاد فأطاعوه وكثر جمعه فحصر قسطيلية في هذه السنة وكان أبو يزيد قصيرا قبيح الصورة يلبس جبة صوف ثم فتح تبسة ثم سبيبة وصلب عاملها ثم فتح الاريس فاخرج القائم جيوشا لحفظ رقادة والقيروان فهزمهم أبو يزيد واستولى على تونس ثم على القيروان ورقادة ثم سار أبو يزيد الى القائم فجهز اليه القائم جيشاً فجرى بينهم قتال كثير وآخره أن جيوش القائم انهزمت وسار أبو يزيد وحصر القائم بالمهدية في جمادى الاولى من هذه السنة وضايقها وغلابها السعر وعدم القوت ودام محاصرها حتى خرجت هذه السنة ثم رحل عن المهدية في صفر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وسار الى القيروان وتوفي القائم وملك ابنه اسمعيل المنصور على ما نذكره فجهز المنصور العساكر وسار بنفسه الى القيروان واستعادها من أبي يزيد وذلك في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ودام حالهم على القتال الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة فهزم المنصور عساكر أبي يزيد وسار المنصور في أثره في ربيع الاول سنة خمس وثلاثين فادرك أبا يزيد على مدينة كاغلية فهرب أبو يزيد من موضع الى آخر حتى وصل طبنة ثم هرب حتى وصل الى جبل للبربر واسم ذلك الجبل برزال والمنصور في أثره واشتد على عسكر المنصور الحال حتى بلغت عليقة الشعير دينارا ونصفا وبلغت قربة الماء دينارا فرجع المنصور الى بلاد صنهاجة وبلغ الى موضع يسمى قرية عمره واتصل هناك بالمنصور العلوى الامير زيرى الصنهاجي وهو جد ملوك بني باديس على ما سيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى فاكرمه المنصور غاية الاكرام ومرض المنصور هناك مرضاً

شديدا ثم تعافي ورحل الى المسيلة ثانى رجب سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وكان قد اجتمع الى أبى يزيد جمع من البربر وسبق المنصور الى مسيلة فلما قدم المنصور الى مسيلة هرب عنها أبو يزيد الى جهة بلاد السودان ثم صعد أبو يزيد الى جبال كتامة ورجع عن قصد بلاد السودان فسار المنصور عاشر شعبان اليه واقتتلوا في شعبان فقتل غالب جماعة أبى يزيد وانهزم فسار المنصور في أثره أول شهر رمضان واقتتلوا أيضاً وانهزم أبو يزيد وأخذت أثقاله والتجأ أبو يزيد الى قلعة كتامة وهى منيعة فحاصرها المنصور ودام الزحف عليها ثم ملكها المنصور عنوة وهرب أبو يزيد من القلعة من مكان وعر فسقط منه فأخذ أبو يزيد وحمل الى المنصور فسجد المنصور شكرا لله تعالى وكثر تكبير الناس وتهليلهم وبقى أبو يزيد في الاسر مجروحا فمات وذلك في سلخ المحرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فسلخ جلد أبى يزيد وحشى تبناً وكتب المنصور الى سائر البلاد بالفتح وبقتل أبى يزيد لعنه الله وعاد المنصور الى المهدية فدخلها في شهر رمضان من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة

ذكر غير ذلك من الحوادث

في هذه السنة أعنى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة نقل المستكفى القاهر من دار الخلافة الى دار أبى طاهر وكان قد بلغ بالقاهر الضر والفقر الى أن كان ملتفا بجبة قطن وفي رجله قبقاب خشب

ذكر ملك سيف الدولة مدينة حلب وحمص

وفي هذه السنة لما سار المتقى عن الرقة الى بغداد وسار عنها الاخشيد الى مصر كما ذكرنا سار سيف الدولة أبو الحسن على بن أبى الهيجا عبد الله بن حمدان الى حلب وبها يانس المونسى فاخذها منه سيف الدولة واستولى عليها ثم سار من حلب الى حمص فاستولى عليها ثم سار الى دمشق فحصرها ثم رحل عنها وكان الاخشيد قد خرج من مصر الى الشام بسبب قصد سيف الدولة دمشق وسار اليه فالتقيا بقنسرين ولم يظفر أحد العسكرين بالآخر ورجع سيف الدولة الى الجزيرة فلما رجع الاخشيد الى دمشق عاد سيف الدولة الى حلب فملكها فلما ملكها سارت الروم حتى قاربت حلب فخرج اليهم سيف الدولة وهزمهم وظفر بهم (ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة)

ذكر موت توزون

في هذه السنة في المحرم مات توزون ببغداد وكانت امارته سنتين وأربعة أشهر وتسعة عشر يوما ولما مات عقد الاجناد لابن شيرزاد الامرة عليهم وكان بهيت فحضر الى بغداد مستهل صفر وأرسل الى المستكفى فاستحلفه فحلف له بحضرة القضاة وولاة الامرة الامراء

ذكر غير ذلك من الحوادث

(فيها) اشتد الغلاء وعدم القوت ببغداد حتى وجد مع انسان صبي قد شواه ليأكله وكثر في الناس الموت (وفيها) توفي على بن عيسى بن الجراح الوزير وله تسعون سنة (وفيها) توفي عمر بن الحسين الخرقي الحنبلي وأبو بكر الشبلي الصوفي وكان أبو الشبلي حاجبا للموفق أخي المعتمد وحجب الشبلي أيضاً للموفق ثم تاب وصحب الفقراء حتى صار واحد زمانه في الدين والورع وكان الشبلي المذكور مالكي المذهب حفظ الموطا وقرأ كتب الحديث وقال الجنيد عنه لكل قوم تاج وتاج القوم الشبلي (وفيها) توفي محمد بن عيسى ويعرف بابي موسى الفقيه الحنفي (ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة) فيها توفي أبو بكر الصولي وكان عالما بفنون الادب والاخبار روى عن أبي العباس ثعلب وغيره وروى عنه الدار قطني وغيره وللصولي التصانيف المشهوره (ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلاثمائة) فيها عقد المنصور العلوي ولاية جزيرة صقلية للحسن بن على بن أبي الحسين الكلبي من تاريخ جزيرة صلقية تأليف صاحب تاريخ القيروان واستمر الحسن بن على يغزو ويفتح في جزيرة صقلية حتى مات المنصور وتولى المعز فاستخلف الحسن على صقلية ولده أبا الحسين أحمد بن الحسن فكانت ولاية الحسن بن على على صقلية خمس سنين ونحو شهرين وسار الحسن عن صقلية الى أفريقية في سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ولما وصل الحسن الى أفريقية كتب المعز بولاية ابنه أحمد بن الحسن على صقلية فاستقر أحمد واليا عليها وفي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة قدم أحمد بن الحسن من صقلية ومعه ثلاثون رجلا من وجوه الجزيرة على المعز بافريقية فبايع المعز وخلع عليهم المعز ثم أعاده الى مقره بصقلية وفي سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ورد كتاب المعز على الامير أحمد بصقلية يأمره فيه باحصاء اطفال الجزيرة وان يختنهم ويكسوهم في اليوم الذي يطهر فيه المعز ولده فكتب الامير أحمد خمسة عشر ألف طفلا وابتدأ أحمد فختن ولده واخوته في مستهل ربيع الاول من هذه السنة ثم ختن الخاص والعام وخلع عليهم ووصل من المعز مائة ألف درهم وخمسون حملا من الصلات ففرقت في المختونين وفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة أرسل الامير أحمد بسبي طبرمين بعد فتحها الى المعز وجملته ألف وسبعمائة ونيف وسبعون رأسا وفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة جهز المعز أسطولا عظيما وقدم عليهم الحسن بن على بن الحسين والد الامير أحمد فوصل الى صقلية واجتمعت الروم بها وجرى بينهم قتال شديد نصر الله فيه المسلمين وقتل من الكفار فوق عشرة آلاف نفس وغنم المسلمون اموالهم وسلاحهم فكان في جملة ذلك سيف عليه منقوش هذا سيف هندى وزنه مائة وسبعون مثقالا طال ما ضرب به بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث به الحسن بن على

الى المعز وكذلك بعدة من الاسرى والسلاح وسار الحسن بعد هذا النصر وأقام بقصره بصقلية ولحقه المرض حتى توفي في ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وكان عمره ثلاث وخمسين سنة وفي أواخر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة استقدم المعز الامير أحمد من صقلية وسار منها باهله وماله وولده فكانت امارته بها ست عشرة سنة وتسعة أشهر ولما سار أحمد عنها استخلف على الجزيرة (يعيش) مولى أبيه الحسن بن على فلما وصل أحمد الى أفريقية أرسل المعز أبا القاسم على بن الحسن بن على أخا الامير أحمد المذكور وولاه الجزيرة نيابة عن أخيه أحمد فوصل أبو القاسم الى صقلية في منتصف شعبان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة قدم المعز الامير احمد على الاسطول وأرسله الى مصر فلما وصل الى طرابلس اعتل أحمد بن الحسن المذكور ومات بها وفي سنة ستين وثلاثمائة أرسل المعز الى أبى القاسم سجلا باستقلاله بولاية صقلية وتعزيته في أخيه احمد وفي سنة ست وستين وثلاثمائة غزا الامير أبو القاسم على وعدى الى الارض الكبيرة ونزل بموضع يعرف بالابرجة فرأى عسكره قد أكثروا من جمع البقر والغنم فانكر ذلك وقال لقد أثقلتم وهذا يعيقنا عن الغزو فامر بذبحها وتفريقها فسميت تلك المرحلة مناخ البقر الى الآن وشنت غاراته في الارض الكبيرة وأخرب فيها مدنا ثم عاد الى صقلية مؤيدا منصورا واستمر أبو القاسم يغزو الى سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة فجرى بينه وبين الفرنج قتال استشهد فيه أبو القاسم ولذلك يعرف بالشهيد وكان مقتله في المحرم من السنة المذكورة ومدة ولايته على صقلية اثنتى عشرة سنة وخمسة أشهر وأياما ولما استشهد أبو القاسم تولى الامر بعده ابنه جابر بن أبي القاسم بغير ولاية من الخليفة وكان جابر المذكور سيء التدبير وفي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وصل الى صقلية جعفر بن محمد بن الحسن بن على بن أبي الحسين أميرا عليها من قبل العزيز خليفة مصر فاغتم جابر لذلك غما عظيما وكان جعفر المذكور مواظبا للعزيز خليفة مصر وقريبا اليه جدا وكان للعزيز وزير يقال له ابن كلس فغار من جعفر فلما استشهد أبو القاسم أشار ابن كلس بتولية جعفر فارسله العزيز اليها فسار جعفر الى صقلية وهو كاره لذلك وبقى جعفر واليا على صقلية حتى مات في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة فولى أخوه عبد الله بن محمد بن الحسن بن على بن أبي الحسين وبقى عبد الله حتى توفي في سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وتولى بعده ولده أبو الفتوح يوسف بن عبد الله وأحسن يوسف المذكور السيرة وبقى على ولايته ومات العزيز خليفة مصر وتولى الحاكم واستوزر ابن عم يوسف المذكور وهو حسن بن عمار بن على بن أبي الحسين وبقى حسن وزيرا بمصر وابن عمه يوسف أميرا بصقلية وفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة أصاب أبا الفتوح

ابن على النيسابورى وأبو محمد عبد الله الفارسى النحوى أخذ النحو عن المبرد (ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثلثمائه) فيها توفي أبو بكر بن سليمان الفقيه الحنبلي المعروف بالنجاد وعمره خمس وتسعون سنة وجعفر بن محمد الخلدى الصوفي وهو من أصحاب الجنيد ﴿وفيها﴾ انقطعت الامطار وغلت الاسعار في كثير من البلاد ﴿ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلثمائة﴾ فيها وقع الخلف بين أولاد المرزبان فاضطروا الى مساعدة عمهم وهشوذان فكاتبوه وصالحوه وقدموا عليه فغدر بهم وأمسك حسان وناصرا ابنى أخيه وأمهما وقتلهم ﴿وفي هذه السنة﴾ غزا سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم في جمع كثير ففتح واحرق وقتل وغنم وبلغ الى خرشنه وفي عوده أخذت الروم عليه المضايق واستردوا ماأخذه وأخذوا أثقاله واكثروا القتل في أصحابه وتخلص سيف الدولة في ثلثمائة نفس وكان قد أشار عليه أرباب المعرفة بان لا يعود على الطريق فلم يقبل وكان سيف الدولة معجباً بنفسه يحب أن يستبد ولا يشاور أحدا لئلا يقال انه أصاب برأى غيره (وفي هذه السنة) أسلم من الاتراك نحو مائتى ألف خركاة (وفيها) انصرف حجاج مصر من الحج فنزلوا واديا وباتوا فيه فأتاهم السيل ليلا وأخذهم جميعهم مع اثقالهم وجمالهم فألقاهم في البحر (وفي هذه السنة) أو قريب من هذه السنة توفي أبو الحسن التيناتى نسبة الى التينات وكان عمره مائة وعشرين سنة وله كرامات مشهورة (وفيها) مات انوجور بن الاخشيد صاحب مصر وأقيم أخوه على بن الاخشيد مكانه (ثم دخلت سنة خمسين وثلثمائة)

(ذكر موت صاحب خراسان)

﴿في هذه السنة﴾ يوم الخميس حادى عشر شوال تقنطر بالأمير عبد الملك بن نوح السامانى فرسه فوقع عبد الملك الى الارض فمات من ذلك فثارت الفتنة بخراسان بعده وولى مكانه أخوه منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن اسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان

﴿ذكر وفاة صاحب الاندلس)

﴿وفي هذه السنة﴾ توفي عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل في رمضان وكانت مدة امارته خمسين سنة ونصفا وعمره ثلاث وسبعين سنة وكان أبيض أشهل حسن الوجه وهو أول من تلقب من الامويين أصحاب الاندلس بالقاب الخلفاء وتسمى بأمير المؤمنين وكان من قبله يخاطبون ويخطب لهم بالامير وابناء الخلائف وبقى عبد الرحمن كذلك الى ان مضى من امارته سبع وعشرون سنة فلما بلغه ضعف الخلفاء بالعراق وظهور الخلفاء العلويين بأفريقية ومخاطبتهم بأمير المؤمنين أمر حينئذ أن يلقب بالناصر لدين الله ويخطب له بأمير المؤمنين وأمه أم ولد اسمها مدنة ولما مات ولى الامر بعده ابنه الحكم بن عبد الرحمن وتلقب بالمستنصر

وخلف عبد الرحمن احد عشر ولدا ذكرا ﴿وفي هذه السنة﴾ تولى قضاء القضاة ببغداد أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب والتزم كل سنة أن يؤدى مائتى ألف درهم وهو أول من ضمن القضاء وكان ذلك في أيام معز الدولة بن بوية ولم يسمع بذلك قبلها ثم ضمنت بعده الحسبة والشرطة ببغداد ﴿وفيها﴾ توفي أبو شجاع فاتك وكان روميا وأخذه الاخشيد صاحب مصر من سيده بالرملة وارتفعت مكانته عنده وكان رفيق كافور فلما مات الاخشيد وصار كافور أتابك ولده انف فاتك من ذلك وكانت الفيوم اقطاعه فانتقل وقام بها وكثرت امراضه لوخم الفيوم فعاد الى مصر كرها من المرض وكان كافور يخافه ويخدمه وكان المتنبي اذ ذاك بمصر عند كافور فاستأذنه ومدح فاتك المذكور بقصيدته التى أولها

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... فليسعد النطق ان لم يسعد الحال
كفاتك ودخول الكاف منقصة ... كالشمس قلت وما للشمس أمثال

ولما توفي فاتك رثاه المتنبي بقصيدته التى أولها

الحزن يقلق والتجمل يردع ... والدمع بينهما عصى طيع

ومنها

انى لاجبن من فراق أحبتى ... وتحس نفسى بالحمام فاشجع
تصفو الحياة لجاهل أو غافل ... عما مضى منها وما يتوقع
ومن يغالط في الحقيقة نفسه ... ويسومها طلب المحال فتطمع
أين الذى الهرمان من بنيانه ... ماقومه مايومه ماالمصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها ... حينا ويدركها الفناء فتتبع

(ثم دخلت سنة احدى وخمسين وثلثمائة) وفي هذه السنة سارت الروم مع الدمستق وملكوا عين زربة بالامان فقتلوا بعض أهلها واطلقوا أكثرهم

(ذكر استيلاء الروم على حلب وعودهم عنها بغير سبب)

(وفي هذه السنة) استولت الروم على مدينة حلب دون قلعتها وكان قد سار اليها الدمستق ولم يعلم به سيف الدولة الا عند وصوله فلم يلحق سيف الدولة أن يجمع وخرج فيمن معه وقاتل الدمستق فقتل غالب أصحابه وانهزم سيف الدولة في نفر قليل وظفر الدمستق بداره وكانت خارج مدينة حلب تسمى الدارين فوجد الدمستق فيها ثلثمائة بدرة من الدراهم وأخذ لسيف الدولة ألف وأربعمائة بغل ومن السلاح مالا يحصى وملكت الروم الحواضر وحصروا المدينة وثلموا السور وقاتلهم أهل حلب أشد قتال فتأخر الروم الى جبل جوشن ثم وقع بين أهل حلب ورجالة الشرطة فتنة بسبب نهب كان وقع بالبلد فاجتمع بسبب ذلك الناس ولم يبق على الاسوار أحد فوجد الروم السور خاليا فهجموا البلد وفتحوا أبوابه واطلقوا السيف في أهل حلب وسبوا بضعة عشر ألف صبى

ونون (ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثلثمائة)

(ذكر خروج الروم الى بلاد الاسلام)

(في هذه السنة) خرجت الروم ووصلوا الى آمدوحصروها ثم انصرفوا عنها الى قرب نصيبين وغنموا وهرب أهل نصيبين ثم ساروا من الجزيرة الى الشام ونازلوا انطاكية وأقاموا عليها مدة طويلة ثم رحلوا عنها الى طرسوس (وفي هذه السنة) استفك سيف الدولة بن حمدان ابن عمه أبافراس بن حمدان من الاسر وكان بينه وبين الروم الفداء فخلص عدة من المسلمين من الأسر (ثم دخلت سنة ست وخمسين وثلثمائة)

(ذكر موت معز الدولة وولاية ابنه بختيار)

(في هذه السنة) سار معز الدولة الى واسط وجهز الجيوش لمحاربة عمران بن شاهين صاحب البطيحة وحصل له اسهال فلما قوى به عاد الى بغداد وترك العسكر في قتال عمران ابن شاهين ثم تزايد به المرض بعد وصوله الى بغداد فلما أحس بالموت عهد الى ابنه بختيار ولقبه عز الدولة واظهر معز الدولة التوبة وتصدق بأكثر ماله واعتق مماليكه وتوفي ببغداد في ثالث عشر ربيع الآخر من هذه السنة بعلة الذرب ودفن بباب التبن في مقابر قريش وكانت امارته احدى وعشرين سنة واحد عشر شهرا ولما مات معز الدولة استقر ابنه عز الدولة بختيار في الامارة وكتب بختيار الى العسكر بمصالحة عمران بن شاهين وعودهم الى بغداد ففعلوا ذلك وكان معز الدولة مقطوع اليد قيل انها قطعت بكرمان في بعض حروبه ومعز الدولة هو الذى أنشأ السعاة ببغداد لأعلام أخيه ركن الدولة بالاحوال سريعاً فنشأ في أيامه فضل ومرعوش وفاقا جميع السعاة وكان كل واحد منهما يسير في اليوم نيفا وأربعين فرسخا وتعصبت لهما الناس وكان أحدهما ساعى السنية والآخر ساعى الشيعة ولما تولى بختيار أساء السيرة واشتغل باللعب واللهو وعشرة النساء والمغنين وبغى كبائر الديلم شرها الى اقطاعاتهم

(ذكر القبض على ناصر الدولة بن حمدان)

(وفي هذه السنة) قبض ابن ناصر الدولة أبو تغلب على أبيه ناصر الدولة وحبسه وكان سبب قبضه ان ناصر الدولة كان قد كبر وساءت أخلاقه وضيق على أولاده وأصحابه وخالفهم في أغراضهم فضجروا منه حتى وثب عليه ابنه أبو تغلب فقبضه في هذه السنة في أواخر جمادى الاولى ووكل به من يخدمه ولما فعل أبو تغلب ذلك خالفه بعض اخوته فاحتاج أبو تغلب الى مداراة بختيار ليعضده فضمن أبو تغلب البلاد لبختيار بألف ألف ومائتى ألف درهم

﴿ذكر وفاة وشمكير﴾

(في هذه السنة) مات وشمكير بن زيار أخو مرداويج بان حمل عليه وهو في الصيد خنزير مجروح فقامت به فرسه فسقط الى الارض فمات فقام بالأمر بعده ابنه بيستون بن وشمكير ابن زيار وقيل ان موته كان سنة سبع وخمسين في المحرم

﴿ذكر وفاة كافور﴾

وفيها مات كافور الاخشيدى وكان خصيا اسود من موالى محمد بن طغج الاخشيدى صاحب مصر واستولى كافور على ملك مصر والشام بعد موت أولاد الاخشيد فانه ملك بعد الاخشيد ابنه انوجور والامر جميعه الى كافور ثم مات أنوجور سنة تسع وأربعين وثلثمائة فاقام كافور أخاه عليا بن الاخشيد فتوفي على بن الاخشيد المذكور وهو صغير في سنة خمس وخمسين وثلثمائة فاستقل كافور بالمملكة من هذا التاريخ وكان كافور شديد السواد واشتراه الاخشيد بثمانية عشر دينارا وقصده المتنبي ومدحه وحكى المتنبى قال كنت اذا دخلت على كافور أنشده يضحك لى ويبش في وجهى الى ان أنشدته

ولما صار ود الناس خبأ جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلمى انه بعض الانام

قال فما ضحك بعدها في وجهى الى ان تفرقنا فعجبت من فطنته وذكائه ولم يزل كافور مستقلا بالامر حتى توفي في هذه السنة يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الاولى بمصر وقيل كانت وفاته سنة سبع وخمسين ودفن بالقرافة الصغرى وكان يدعى له على المنابر بمكة والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام وكان تقدير عمره خمسا وستين سنة ووقع الخلف فيمن ينصب بعده واتفقوا على أبى الفوارس أحمد بن على بن الاخشيد وخطب له في جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة

ذكر وفاة سيف الدولة

وفيها مات سيف الدولة أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي الربعى وكان موته بحلب في صفر وحمل تابوته الى ميافارقين فدفن بها وكان مولده في ذى الحجة سنة ثلاث وثلثمائة وكان مرضه عسر البول وهو أول من ملك حلب من بنى حمدان أخذها من أحمد بن سعيد الكلابى نائب الاخشيد وقيل ان أول من ولى حلب من بنى حمدان الحسين بن سعيد وهو أخو أبى فراس حمدان وكان سيف الدولة شجاعا كريماً وله شعر فمنه ماقاله في أخيه ناصر الدولة

وهبت لك العليا وقد كنت أهلها وقلت لهم بيني وبين أخى فرق

صاحب التصانيف المشهورة (ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة) فيها أرسل السلطان طغرلبك أخاه ابراهيم اينال بن ميكائيل فاستولى على همذان وأخذها من كرشاسف بن علاء الدولة بن كاكوية واستولى على الدينور وأخذها من أبى الشوك ثم استولى على الصيمرة (وفي هذه السنة) توفي أبو الشوك واسمه فارس بن محمد بن عنان بقلعة السيروان ولما توفي غدر الاكراد بابنه سعدى وصاروا مع مهلهل بن محمد أخى أبى الشوك (وفيها) قتل عيسى بن موسى الهمذانى صاحب أربل قتله ابنا أخ له وملكا قلعة أربل وكان لعيسى أخ آخر اسمه سلار بن موسى قد نزل على قرواش صاحب الموصل لوحشة كانت بين سلار وأخيه عيسى فلما بلغه قتل أخيه سار قرواش الى أربل ومعه سلار فملكها وتسلمها سلار وعاد قرواش الى الموصل (وفيها) وقع الوبا في الخيل وعم البلاد (وفيها) توفي أحمد بن يوسف المنازى وزر لابى نصر أحمد بن مروان الكردى صاحب ديار بكر وترسل الى القسطنطينية وكان من أعيان الفضلاء والشعراء وجمع المنازى المذكور كتبا كثيرة وأوقفها على جامع ميافارقين وجامع آمد وهى الى قريب كانت موجودة بخزائن الجامعين وكان قد اجتاز في بعض أسفاره بوادى بزاعا فاعجبه حسنه فقال فيه

وقانا لفحة الرمضاء واد ... وقاه مضاعف النبت العميم

نزلنا دوحه فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم

وارشفنا على ظمأ زلالا ... ألذ من المدامة للنديم

تروع حصاه حالية العذارى ... فيلمس جانب العقد النظيم

والمنازى منسوب الي مناز جهر مدينة عند خرتبرت وهى غير مناز كرد التى من عمال خلاط (ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة) فيها ملك مهلهل بن محمد بن عنان أخو أبى الشوك قرميسين والدينور بعد ما كان قد استولى عليهما أخو طغرلبك على ماتقدم ذكره (وفي هذه السنة) توفي عبدالله بن يوسف الجوينى والد امام الحرمين وكان الجوينى اماما في الشافعية تفقه على أبى الطيب سهل بن محمد الصعلوكى وهو صاحب وجه في المذهب وكان عالما أيضاً بالادب وغيره من العلوم وهو من بنى سنبس بطن من طى (ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة) في هذه السنة استولى عسكر الملك أبى كاليجار على البطيحة وأخذوها من صاحبها أبى نصر بن الهيثم وهرب ابن الهيثم الى زبرب (وفيها) كان بالعراق غلاء عظيم حتى أكل الناس الميتة وببغداد حتى خلت الاسواق (وفيها) توفي عبدالواحد بن محمد المعروف بالمطرز الشاعر وأبو الخطاب الشبلى الشاعر (وفيها) مات بغراخان محمد بن قدرخان يوسف وقبض على أخيه عمر بن قدرخان يوسف وماتا جميعا مسمومين في هذه السنة وكان قد ملك عمر المذكور في سنة ثلاث

وعشرين وأربعمائة حسبما تقدم فسار شمس الملك طفقاج خان أبو اسحق ابراهيم بن نصر ايلك خان من سمرقند وملك بلادهما وتوفي طفقاج سنة اثنتين وستين وأربعمائة (ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة)

(ذكر موت أبى كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم)

﴿في هذه السنة﴾ توفي الملك أبو كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بوية في رابع جمادى الاولى بمدينة جناب من كرمان وكان قد سار الى بلاد كرمان لخروج عامله بهرام الديلمى عن طاعته أرض من قصر مجاشع وتم سائرا وقويت به الحمى وضعف عن الركوب فركب في محفة فتوفي في جناب وكان عمره أربعين سنة وشهورا وكان ملكه العراق أربع سنين وشهرين ولما توفي نهبت الاتراك الخزائن والسلاح والدواب من العسكر وكان معه ولده أبو منصور فلاستون بن أبى كاليجار فعاد الى شيراز وملكها ولما وصل خبر وفاة أبى كاليجار الى بغداد وبها ولده الملك الرحيم أبو نصر خسره فيروز بن أبى كاليجار جمع الجند واستحلفهم واستولى على بغداد ثم أرسل الملك الرحيم عسكرا الى شيراز فقبضوا على أخيه أبى منصور فلاستون وعلى والدته في شوال هذه السنة وخطب للملك الرحيم بشيراز ثم سار الملك الرحيم من بغداد الى خوزستان فلقيه من بها من الجند وأطاعوه ومن جملتهم كرشاسف بن علاء الدولة صاحب همذان فانه كان قد قدم الى الملك أبى كاليجار لما أخذ منه ابراهيم ينال أخو طغرلبك همذان

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) توفي محمد بن محمد بن غيلان البزار وهو راوى الاحاديث المعروفة بالغيلانيات التى أخرجها الدارقطنى وهى من أعلى الحديث وأحسنه (ثم دخلت سنة احدى وأربعين وأربعمائة) فيها جمع فلاستون ابن أبى كاليجار جمعا بعد ان خلص من الاعتقال واستولى على بلاد فارس ﴿وفيها﴾ جرى بين طغرلبك وأخيه ابراهيم ينال وحشة أدت الي قتال بينهما فانهزم ابراهيم ينال وعصى بقلعة سرماح فحصره بها طغرلبك واستنزله قهرا وفيها أرسل ملك الروم الى السلطان طغرلبك هدية عظيمة وطلب منه المعاهدة فأجابه اليها وعمر مسجد القسطنطينية وأقام فيه الصلاة والخطبة لطغرلبك ودانت الناس له وتمكن ملكه وثبت وفيها أفرج السلطان طغرلبك عن أخيه ينال وتركه معه

(ذكر وفاة مودود)

في هذه السنة في رجب توفي أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب

ياافتك الناس الحاظا وأطيبهم ريقاً متى كان فيك الصاب والعسل
في صحن خدك وهو الشمس طالعة ورد يزيدك فيه الراح والخجل
ايه ان حبك في قلبي مجدده من خدك الكتب او من لحظك الرسل
ان كنت تجهل اني عبد مملكة مرني بما شئت آتيه وأمتثل
لو اطلعت على قلبي وجدت به من فعل عينيك جرحا ليس يندمل

(ثم دخلت سنة احدى وأربعين وخمسمائة)

ذكر ملك الفرنج طرابلس الغرب

وسبب ملكها انهم نزلوا عليها وحصروها فلما كان اليوم الثالث من نزولهم سمع الفرنج في المدينة ضجة عظيمة وخلت الاسوار من المقاتلة وكان سببه ان أهل طرابلس اختلفوا فاراد طائفة منهم تقديم رجل من الملثمين ليكون أميرهم وأرادت طائفة أخرى تقديم بني مطروح فوقعت الحرب بين الطائفتين وخلت الاسوار فانتهز الفرنج الفرصة وصعدوا بالسلالم وملكوها بالسيف في المحرم من هذه السنة وسفكوا دماء أهلها وبعد ان استقر الفرنج في ملك طرابلس بذلوا الامان لمن بقي من أهل طرابلس وتراجعت اليها الناس وحسن حالها

ذكر حصار عماد الدين زنكي حصني جعبر وفنك ومقتله

(في هذه السنة) سار زنكي ونزل على قلعة جعبر وحصرها وصاحبها علي بن مالك بن سالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلي وأرسل عسكرا الى قلعة فنك وهي تجاور جزيرة ابن عمر فحصرها أيضاً وصاحبها حسام الدولة الكردي البشنوي * ولما طال على زنكي منازلة قلعة جعبر أرسل مع حسان البعلبكي الذي كان صاحب منبج يقول لصاحب قلعة جعبر قل لي من يخلصك مني فقال صاحب قلعة جعبر لحسان يخلصني منك الذي خلصك من بلك بن بهرام بن ارتق وكان بلك محاصرا المنبج فجاءه سهم قتله فرجع حسان الى زنكي ولم يخبره بذلك فاستمر زنكي منازلا قلعة جعبر فوثب عليه جماعة من مماليكه وقتلوه في خامس ربيع الآخر من هذه السنة بالليل وهربوا الى قلعة جعبر فصاح من بها على العسكر وأعلموهم بقتل زنكي فدخل أصحابه اليه وبه رمق وكان عماد الدين زنكي حسن الصورة أسمر اللون مليح العينين قد وخطه الشيب وكان قد زاد عمره على ستين سنة ودفن بالرقة وكان شديد الهيبة على عسكره عظيمها وكان له الموصل وما معها من البلاد وملك الشام خلا دمشق وكان شجاعاً وكانت الاعداء محيطة بمملكته من كل جهة وهو ينتصف منهم ويستولي على بلادهم * ولما قتل زنكي كان ولده نور الدين محمود حاضرا عنده فأخذ خاتم والده وهو ميت من أصبعه وسار الى حلب فملكها وكان صحبة زنكي أيضا الملك

الب

الب ارسلان بن محمود ابن السلطان محمد السلجوقي فركب في يوم قتل زنكي واجتمعت عليه العساكر فحسن له بعض أصحاب زنكي الاكل والشرب وسماع المغاني فسار الب ارسلان الى الرقة وأقام بها منعكفا على ذلك وأرسل كبراء دولة زنكي الى ولده سيف الدين غازي بن زنكي يعلمونه بالحال وهو بشهرزور فسار الى الموصل واستقر في ملكها وأما الب ارسلان فتفرقت عنه العساكر وسار الى الموصل يريد ملكها فلما وصلها قبض عليه غازي بن زنكي وحبسه في قلعة الموصل واستقر ملك سيف الدين غازي للموصل وغيرها

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) أرسل عبد المؤمن بن علي جيشاً الى جزيرة الاندلس فملكوا ما فيها من بلاد الاسلام واستولوا عليها (وفيها) بعد قتل عماد الدين زنكي قصد صاحب دمشق مجير الدين ابق حصن بعلبك وحصره وكان به نجم الدين أيوب بن شاذي مستحفظاً فخاف ان أولاد زنكي لايمكنهم انجاده بالعاجل فصالحه وسلم القلعة اليه وأخذ منه اقطاعاً ومالا وملكه عدة قرى من بلاد دمشق وانتقل أيوب الى دمشق وسكنها وأقام بها

(ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة) في هذه السنة دخل نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بلاد الفرنج ففتح منها مدينة ارتاح بالسيف وحصر مأمولة وبصرفوت وكفرلاثا (ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة)

ذكر ملك الفرنج المهدية بافريقية وحال مملكة بني باديس

كان قد حصل بافريقية غلاء شديد حتى أكل الناس بعضهم بعضا ودام من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة الى هذه السنة ففارق الناس القرى ودخل أكثرهم الى جزيرة صقلية فاغتنم رجار الفرنجي صاحب صقلية هذه الفرصة وجهز اسطولا نحو مائتين وخمسين شينيا مملوءة رجالا وسلاحا واسم مقدمهم جرج وساروا من صقلية الى جزيرة قوصرة وهي ما بين المهدية وصقلية وساروا منها وأشرفوا على المهدية ثاني صفر من هذه السنة وكان في المهدية الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي صاحب افريقية فجمع كبراء البلد واستشارهم فرأوا ضعف حالهم وقلة المؤنة عندهم فاتفق رأي الامير حسن بن علي على اخلاء المهدية فخرج منها وأخذ معه ماخف حمله وخرج أهل المهدية على وجوههم بأهليهم وأولادهم وبقي الاسطول في البحر تمنعه الريح من الوصول الى المهدية ثم دخلوا المهدية بعد مضي ثلثي النهار المذكور بغير ممانع ولا مدافع ولم يكن قد بقي من المسلمين بالمهدية من عزم على الخروج أحد ودخل جرج مقدم الفرنج الى قصر الامير حسن بن علي فوجده على حاله لم يعدم منه الا ماخف حمله ووجد فيه جماعة من حظايا الحسن بن علي ووجد الخزائن مملوءة من الذخائر النفيسة من كل شيء

وقصدوا كبسه وقتله فعلم كيختو وهرب فتبعوه ولحقوه بسلاسلار من أعمال موغان وقتلوه بها في الشهر المذكور * ولما قتل كيختو ملك بعده ابن عمه بيدو بن طرغية ابن هولاكو المذكور وجلس على سرير الملك في جمادى الاولى من هذه السنة وكان قازان بخراسان * فلما بلغه ملك بيدو جمع من أطاعه من المغل وأهل تلك البلاد وسار الى قتال بيدو ولما بلغ بيدو مسير قازان اليه جمع وسار الى جهة قازان وكان مع قازان اتابكه نيروز وهو الذى جمع الناس على طاعة قازان فلما تقارب الجمعان علم قازان انه لاطاقة له ببيدو فراسله واصطلحا وعاد قازان الى خراسان وأمر بيدوان يقيم نيروز عنده خوفا من أن يجمع العسكر على قازان مرة ثانية فرجع قازان الى خراسان وأقام نيروز عند بيدو وأخذ نيروز في استمالة المغل الى قازان وافسادهم على بيدو في الباطن

ذكر مقتل بيدو وتملك قازان

ولما استوثق نيروز من المغل في الباطن كتب الى قازان بخراسان وأمره بالحركة فتحرك قازان وبلغ بيدو ذلك فتحدث مع نيروز في ذلك فقال نيروز لبيدو ارسلنى الى قازان لافرق جمعه وأرسله اليك مربوطا فاستحلف بيدو نيروز على ذلك وأرسله فسار نيروز الى قازان وأعلمه بمن معه من المغل وعمد نيروز الى قدر فوضعها في جوالق وربطه وأرسل بذلك الى بيدو وقال وفيت بيمينى حيث ربطت قازان وبعثته اليك وقازان اسم القدر بالتترى فلما بلغ بيدو ذلك جمع عساكره وسار الى جهة قازان والتقى الجمعان بنواحى همذان فخامر أصحاب بيدو عليه وصاروا مع قازان فولى بيدو هاربا وتبعه عسكر قازان فأدركوه عن قريب بنواحى همذان وقتلوه في ذى الحجة من هذه السنة فكانت مدة مملكة بيدو نحو ثمانية أشهر * ولما قتل استقر قازان ابن أرغون ابن ابغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان في المملكة في ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة أربع وتسعين وستمائة بعد مقتل بيدو ولما استقر قازان في المملكة جعل نيروز نائب مملكة ورتب أخاه خربندا بن أرغون بخراسان

ذكر أخبار ملوك اليمن ووفاة صاحبها

(وفي هذه السنة) توفي صاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف ابن الملك المنصور عمر بن على بن رسول بقلعة تعز * وقد تقدم ذكر ملكه اليمن بعد قتل أبيه في سنة ثمان وأربعين وستمائة فكانت مدة ملكه نحو سبع وأربعين سنة وخلف عدة من الاولاد المذكور فملك بعده ولده الاكبر الملك الاشرف عمر بن يوسف وكان أخو عمر المذكور الملك المؤيد داود بالشحر عند موت والده لان أباه كان قد أعطى داود المذكور الشحر وأبعده اليها فلما مات والده وملك أخوه الملك الاشرف تحرك

الملك

الملك المؤيد داود المذكور وسار الى عدن واستولى عليها فأرسل أخوه الملك الاشرف عسكرا واقتتلوا مع الملك المؤيد داود المذكور فانتصروا عليه وأخذوه أسيرا وأحضروه الى الملك الاشرف فقيده واعتقله وكان عمر الملك الاشرف لما تملك نحو سبعين سنة وأقام في الملك عشرين شهرا وتوفي والملك المؤيد داود في الاعتقال مقيدا فاتفق كبراء الدولة في ذلك الوقت وأخرجوه من الحبس وملكوا الملك المؤيد داود بن يوسف المذكور واستمر مالكا لليمن الى يومنا هذا وهو سنة ثمان عشرة وسبعمائة

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) أرسل الملك العادل زين الدين كتبغا وقبض على خشداشه عز الدين أيبك الخزندار وعزله عن الحصون والسواحل بالشام ثم أفرج عنه واستناب موضعه عز الدين أيبك الموصلى (وفيها) قصر النيل تقصيرا عظيما وتبعه غلاء وأعقبه وباء وفناء عظيم (وفيها) في أوائل هذه السنة لما جلس في السلطنة زين الدين كتبغا أفرج عن مهنا بن عيسى واخوته وأعادهم الى منازلهم (ثم دخلت سنة خمس وتسعين وستمائة) في هذه السنة قدم من التتر نحو عشرة آلاف انسان وافدين الى الاسلام خوفا من قازان وكان مقدمهم يقال له طرغية من أكبر أمراء المغل كان مزوجا ببنت منكوتمر بن هولاكو الذى انكسر جيشه على حمص ويقال لهذه الطائفة الوافدين العويراتية وكان سبب قدومهم ان مقدمهم طرغية هو الذى اتفق مع بيدو على قتل كيختو بن ابغا فلما ملك قازان قصد الامساك على طرغية وقتله أخذا بثار عمه كيختو فهرب طرغية وجماعته المذكورون بسبب ذلك ولما قدموا الى الاسلام أرسل الملك العادل كتبغا أمير اللقائهم وأكرمهم وأنزلهم بالساحل قريب قاقون وادر عليهم الارزاق وأحضر كبرائهم عنده الى الديار المصرية وأعطاهم الاقطاعات الجليلة وواصلهم بالخلع وقدمهم على غيرهم (وفيها) في شوال خرج الملك العادل كتبغا من الديار المصرية وسار الى الشام ووصل الى دمشق وحضر اليه بدمشق الملك المظفر محمود صاحب حماة ثم سار الملك العادل من دمشق الى جهة حمص وسار على البرية متصيدا ووصل الى حمص وقدم الى جوسيه وهي قرية على درب بعلبك من حمص وكانت خرابا فاشتراها وعمرها فوصل اليها ورآها ثم عاد الى دمشق وأعطى صاحب حماة الدستور فعاد الى بلده ولما استقر العادل بدمشق عزل عز الدين أيبك الحموى عن نيابة السلطنة بالشام وولى موضعه سيف الدين غرلو مملوك الملك العادل كتبغا المذكور وخرجت هذه السنة والملك العادل بدمشق (ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة)

ذكر السنة الحمرا

فيها جدبت الارض بالشام من دمشق الى حلب وانحبس القطر ولم ينبت شئ من
الزراعات الا القليل النادر واستسقى الناس في هذه البلاد فلم يسقوا وأما السواحل التى
من طرابلس الى اللاذقية وجبل المكام فان الامطار مازالت تقع في هذه النواحى
فاستوت زراعاتهم (وفيها) مات قاضى القضاة الشافعى بدمشق المعروف بابن صقرى
وهو نجم الدين أحمد وولى مكانه جمال الدين المعروف بالزرعى (وفيها) عزل السلطان
كريم الدين بن عبد الكريم عن منصبه واستعاد منه ما كان عنده من الاموال وأرسله
الى الشوبك فاقام بها وولى مكانه أمين الملك عبد الله (وفيها) رسم السلطان لمؤلف
الاصل أن يرسل قوده نظرا في حاله بسبب محل البلاد فارسلت عدة يسيرة من الخيل
التى كنت حصلتها فتصدق على بتشريف كامل على عادتى وستين قطعة اسكندرى
وخمسين ألف درهم وألف مكوك حنطة (وفيها) حضرت رسل أبى سعيد ملك التتر
ورسل نائبه جوبان وتوجهوا الى الابواب الشريفة بالقاهرة ثم عادوا الى بلادهم (وفيها)
وصلت الملكة بنت ابغا واسمها قطلو وفي خدمتها عدة كثيرة من التتر وتوجهت الى
الحج ورسم السلطان ورتب لها في الطرقات الاقامات الوافرة (ثم دخلت سنة أربع
وعشرين وسبعمائة) فيها تقدم السلطان بابطال المكوس والضرائب عن سائر أصناف
الغلة بجميع الشام فابطل وكان ذلك جملة تخرج عن الاحصاء

ذكر المتجددات فى بلاد الروم

كان ببلاد الروم تمرتاش بن جوبان فاستولى عليها واستكثر من المماليك وقطع ماكان
يحمل منها الى الاردو والخواتين وصار كلما جاءه رسول لطلب المال يهينه ويعيده
بغير زبدة فلما كثر ذلك منه سار اليه أبوه جوبان فعزم تمرتاش على قتال أبيه وأنفق
في عسكره ومماليكه فلما قرب جوبان منه فارقه عسكره وصاروا مع جوبان * فلما
رأى تمرتاش ذلك حضر مستسلما الى أبيه جوبان فتقدم جوبان بامساكه وأخذه معه
معتقلا الى الاردو وذلك بعد ان أقام ببلاد الروم شخصاً من التتر موضع تمرتاش

ذكر المتجددات باليمن

(في هذه السنة) لم يبق في يد الملك المجاهد على بن داود غير حصن تعز وخرج
باقى ملك اليمن عنه وسار بيد ابن عمه صاحب الدملوه وتلقب بالملك الظاهر (وفيها)
نزل الامير مهنا بن عيسى بظاهر سلمية من بلاد حمص عند تل اعدا وكان له مايزيد
عن عشر سنين لم ينزل باهله هناك وكان الامر والنهى اليه في العرب وخبز الامرة لاخيه

فضل

فضل بن عيسى (وفيها) ورد مرسوم السلطان الى صاحب حماة بالمسير الى خدمته
فسار وأخذ معه ولده محمدا وأهله قال وحضرت بين يدى السلطان بقلعة الجبل مستهل
الحجة فبالغ في أنواع الصدقات على وعلى من كان معى وعلى والدى ووصل وأنا هناك
رسل أبى سعيد ملك التتر ويقال لكبيرهم طوغان وهو من جهة أبى سعيد والذى من
بعده حمزة وهو من جهة جوبان وصحبتهما الطواشى ريحان خزندار أبى سعيد وكان
مسلما ما كان صحبتهم من الهدايا وحضر المذكورون بين يدى السلطان بقلعة الجبل
وكان يوما مشهودا لبس فيه جميع الامراء والمقدمون والمماليك السلطانية وغيرهم
الكلوتات المزركشات والطرز الذهب ولم يبق من لم يلبس ذلك غير الملك الناصر وأحضر
المذكورون التقدمة وأنا حاضر وهى ثلاثة أكاديش بثلاثة سروج ذهب مصرى
مرصعة بأنواع الجواهر وثلاث حوايص ذهب مجوهرة وسيف غلافه ملبس ذهباً
مرصع جوهرا وعدة أقبية من نسيج وغيره مسنجبة وجميعها بطرز زركش ذهب
وشاشا فيه قبضات عدة زركش ذهب واحدى عشر بختيا مزينة أحمالها صناديق ملؤها
قماش من معمول تلك البلاد وعدتها سبعمائة شقة قد نقش عليها القاب السلطان
فقبل ذلك منهم وغمر الرسل بأنواع التشاريف والانعام وكان عيد الاضحى بعد
ذلك بيومين واحتفل السلطان للعيد احتفالا عظيما يطول شرحه وأقام رسل التتر
ينظرون الى ذلك ثم أحضرهم وخلع عليهم ثانيا وأوصلهم مناطق من الذهب ومبالغا
تزيد على مائة ألف درهم وأمرهم بالعود الى بلادهم ثم بعد ذلك عبر السلطان النيل
ونزل بالجيزة ثالث عشر الحجة وكان قد طلع النيل وزاد على ثمانية عشر ذراعا ووصل
الى قريب الذراع التاسع عشر وطال مكثه على البلاد فاقام بالجيزة حتى جفت البلاد لاجل
الصيد ثم رحل وسار الى الصيد وأنا بين يديه الشريفتين (وفيها) مات على شاه وزير
ملك التتر وكان المذكور قد بلغ منزلا عظيما من أبى سعيد وغيره وانشأ بتبريز الجامع
الذى لم يعهد مثله ومات قبل اتمامه وهو الذى نسج المودة بين الاسلام والتتر رحمه الله
تعالى (ثم دخلت سنة خمس وعشرين وسبعمائة) فيها عاد الملك الناصر الى القاهرة
وأعطى لصاحب حماة الدستور بعد ماغمره بالصدقات ورسم له بألفى مثقال ذهب
وثلاثين ألف درهم ومائة شقة من أفخر القماش الاسكندرى ووصل الى حماة شاكرا ناشرا

ذكر عمارة القصور بقرية سرياقوس والخانقاه

﴿ في هذه السنة ﴾ تكملت القصور والبساتين بسرياقوس وهى قرية في جهة الشمال
عن القاهرة على مرحلة خفيفه وعمر السلطان على طريق الجادة الآخذة الى الشام
بالقرب من العش خانقاه وأنزل جماعة من الصوفية بها ورتب لهم الرواتب الجليلة

شديد برد وسخ موحش　　قليـل ماء فاقد النور

فغيرهما بعض الناس فجعل البيت الاول كذا

حمامكم في كل أوصافه　　يشبه وجه الحاكم الغورى

وتممه بالبيت الثانى على حاله (وفيها) في ذى الحجة سافر السلطان الناصر أحمد الى الكرك وأخذ من ذخائر بيت المال بمصر مالا يحصى وصحب طشتمر والفخرى مقيدين فقتلهما بالكرك قتلة شنيعة ويطول الشرح في وصف جراءة الفخرى واقدامه على الفواحش حتى في رمضان ومصادرته للناس حتى انه جهز من صادر أهـل حلب فأراح الله العالم منه وحصن الناصر الكرك واتخذها مقاماً له (ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة) فيها في المحرم انقلب عسكر الشأم على الملك الناصر أحمد وهو بالكرك وكاتبوا الى مصر (فخلع الناصر وأجلس أخوه السلطان الملك الصالح اسماعيل) على الكرسى بقلعة الجبل واستناب آل ملك (وفيها) في ربيع الآخر حوصر السلطان أحمـد بالكرك واحتج عليه أخوه الصالح بما أخذه من أموال بيت المـال وحصـل بنواحى الكرك غلاء لذلك (وفيها) في جمادى الآخرة توفي نائب دمشق ايدغمش ودفن بالقبيبات ويقال ان دمشق لم يمت بها من قديم الزمان الى الآن نائب سواه وتولاها مكانه طقزتمر نائب حلب (وفيها) في رجب وصل الامير علاء الدين الطنبغا المـاردانى نائبا الى حلب (وفيها) في شهر رمضان توفي الشيخ تاج الدين عبد الباقى اليمـانى الاديب وقد أناف على الستين وتقدم ذكر وفوده الى حلب رحمه الله تعالى وزر باليمن وتنقلت به الاحوال وله نظم ونثر كثير وتصانيف (وفيها) في شوال خرج الامير ركن الدين بيبرس الاحمدى من مصر بعسكر لحصار الكرك وكذلك من دمشـق فحاصروا الناصر بها بالنفط والمجانيق وبلغ الخبز أوقية بدرهم وغلت دمشـق لذلك حتى أكلوا خبز الشعير (وفيها) وصـل علاء الدين القرع الى حلب قاضيا للشافعية وأول درس ألقاه بالمدرسة قال فيـه كتاب الطهارة باب الميات فأبدل الهـاء بالتاء فقلت أنا للحاضرين لو كان باب الميات لمـا وصل القرع اليه ولكنه باب الالوف ثم قال قال الله تعالى وجعلها كلمة باقية في عنقه مكان في عقبه فقلت أنا لاوالله ولكنها في عنق الذى ولاه فاشتهرت عنى هاتان التنديدتان في الآفاق (وفيها) في ربيع الآخر عزل الامير سليمان بن مهنا بن عيسى عن امارة العرب ووليها مكانه الامير عيسى بن فضل بن عيسى وذلك بعـد القبض على فياض بن مهنا بمصر وكان سليمان قد ظلم وصادر أهل سرمين وربط بعض النساء في الزناجيـر وهجم عبيده على المخـدرات فاغاثهم الله في وسط الشدة ثم أعيد بعـد مدة قريبة الى

الامارة (وفيها) توفي بحلب الامـير الطاعن في السن سـيف الدين بلبصطى التركمانى الاصل رأس الميمنة بها وكان قليـل الاذى مجموع الخاطر (وفيها) توفي بحلب طنبغا جحي كان جهزه الفخرى اليها نائبا عنه في أيام خروجه بدمشق وهو الذى جبى أموالا من أهل حلب وحملها الى الفخرى وأخـذ لنفسه بعضها وباء باثم ذلك (وفيها) توفي بحلب الشيخ كمال الدين المهمازى كان له قبول عند الملك الناصر محمد ووقف عليه حمام السلطان بحلب وسلم اليه تربة ابن قرا سنقر بها وكان عنده تصون ومروءة (قلت)

لوفاة الكمال في العجم وهن　　فلقد أكثروا عليه التعازى

قل لهم لو يكون فيكم جواد　　كان في غنية عن المهمازى

(وفيها) في رجب اعتقل القرع بقلعة حلب معزولا ثم فك عنه الترسـيم وسافر الى جهـة مصر (وفيها) في رجب توفي بطرابلس نائبها ملكتمر الحجازى ووليها مكانه طرغاى وفيه تولى نيابة حماة يلبغا التجباوى (وفيها) في شعبان وصل القاضى بدر الدين ابراهيم بن الخشاب على قضاء الشافعية بحلب فاحسن السـيرة * وفيها توفي بحلب الحاج على بن معتوق الدبيسرى وهو الذى عمر الجامع بطرف بانقوسا ودفن بتربتـه بجانب الجامع * وفيها توفي بهادر التمرتاشى بالقاهرة وكان بعد وفاة الملك الناصر من الامراء الغالبين على الامر (ثم دخلت سنة أربع وأربعين وسـبعمائة) فيها أغارت التركمان مرات على بلاد سيس فقتلوا ونهبوا وأسروا وشفوا الغليل بمـا فتكت الارمن ببلاد قرمان (وفيها) في صفر توفي الامير علاء الدين الطنبغا المـاردانى نائب حلب ودفن خارج باب المقام وله بمصر جامع عظيم وكان شابا حسنا عاقلا ذا سكينة (وفيها) مزقنا كتاب فصوص الحكم بالمدرسة العصرونية بحلب عقيب الدرس وغسلناه وهو من تصانيف ابن عربى تنبيها على تحريم قنيته ومطالعته وقلت فيه

هذى فصوص لم تكن　　بنفيسـة في نفسـها

انا قد قرأت نقوشـها　　فصوابها في عكسـها

(وفيها) توفي بحلب الامير سيف الدين بهادر المعروف بحلاوة أحـد الامراء بها وله أثر عظيم في القبض على تنكز وكان عنده ظلم وتوعد أهل حلب بشر كبير فاراحهم الله منه (قلت)

حلاوة مر فمـا　　أملحه أن يدفنا

الى البلا مسـيرا　　وفي الثرى مكفنا

(وفيها) في صفر بلغنا انه توفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن المرحل النحوى الحرانى الاصل المصرى الدار والوفاة كان متضلعاً من العربية وعنده تواضع وديانة نقلت له مرة

الرأس في أحد الوضوآت فتوضأ خمس وضوآت وصلى الخمس ثم تيقن أيضا انه ترك مسح الرأس في أحد الوضوآت * الجواب يتوضأ ويصلى العشاء فيخرج عن العهدة بيقين لان الصلاة المتروكة المسح أولا ان كانت العشاء فقد صحت الصلوات الاربع قبلها وهذه العشاء المأمور بفعلها خاتمة الخمس وان كانت غير العشاء فالعشاء الاولى والصلوات الخمس المعادة والعشاء الثالثة صحيحة وغايته ترك مسح في تجديدوضوء ولهذا يجب أن يشترط عدم الحدث الى أن يصلى الخمس ثانيا (قلت) التحقيق ان الوضوء ثانيا كان يغنيه عنه مسح الرأس وغسل الرجلين لان الشرط انه لم يحدث الى ان يصلى الخمس ثانيا وكذلك كان ينبغى للمجيب أن يقول له ان كنت لم تحدث الى الآن فامسح رأسك واغسل رجليك وصل العشاء اذ الجديد عدم وجوب التتابع وان كنت محدثا الآن فلا بد من الوضوء كما قال ﴿ وفيها ﴾ استرجع السلطان الملك الصالح ماباعه الملك المؤيد وابنه الافضل بحماه والمعرة وبلادهما من أملاك بيت المال وهو بأموال عظيمة وكان غالب الملك قد طرح على الناس غصبا وقد اشتريت به تقادم الى الملك الناصر فقال بعض المعريين في ذلك

* طرحوا علينا الملك طرح مصادر ... ثم استردوه بلا أثمان
واذا يد السلطان طالت واعتدت ... ويد الاله على يد السلطان

وكأنما كاشف هذا القائل فان مدة السلطان لم تطل بعد ذلك ﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعين وسبعمائة ﴾ والتتار مختلفون مقتتلون من حين مات القان أبو سعيد وبلاد الشرق والعجم في غلاء ونهب وجور بسبب الخلف من حين وفاته الى هذه السنة (وفيها) في ربيع الآخر (توفي السلطان) الملك الصالح اسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون بوجع المفاصل والقولنج وكان فيه ديانة ويقرأ القرآن وفي آخر يوم موته جلس مكانه أخوه السلطان الملك الكامل شعبان وأخرج آل ملك نائب أخيه الى نيابة صفد وقمارى الى نيابة طرابلس (وفيها) في ربيع الآخر نقل يلبغا الناصرى من نيابة حلب الى نيابة دمشق مكان طقزتمر وسافر طقزتمر الى مصر بعد المبالغة في امتناعه من النقلة من دمشق فما أجيب الى ذلك وتوفي طقزتمر بمصر بعد مدة يسيرة وكان عنده ديانة (وفيه) وصل الامير سيف الدين ارقطاى الى حلب نائبا وأبطل الخمور والفجور بعد اشتهارها ورفع عن القرى الطرح وكثيرا من المظالم ورخص السعر وسررنا به (وفيها) عزل سيف بن فضل بن عيسى عن امارة العرب ووليها أحمد بن مهنا وأعيد اقطاع فياض بن مهنا اليه ورضى عنه واستعيد من ايدى العرب من الاقطاعات والملك شئ كثير وجعل خاصاً لبيت المال ﴿ وفيها ﴾ في جمادى الاولى

صلى بحلب صلاة الغائب على القاضى عز الدين بن المنجا الحنبلى قاضى دمشق وهو معرى الاصل ﴿ وفيها ﴾ في شهر رمضان وصل القاضى بهاء الدين حسن بن حسام الدين سليمان بن ريان الى حلب ناظرا على الجيش على عادته عوضا عن القاضى بدر الدين محمد بن الشهاب محمود الحلبي ثم مامضى شهر حتى أعيد بدر الدين عوضاً عن بهاء الدين وهكذا صارت المناصب كلها بحلب قصيرة المدة كثيرة الكلفة (قلت)

ساكنى مصر أين ذاك التأنى ... والتأبى وما لكم عنه عذر
يخسر الشخص ماله ويقاسى ... تعب الدهر والولاية شهر

﴿ وفيها ﴾ كتب على باب قلعة حلب وغيرها من القلاع نقرا في الحجر مامضمونه مسامحة الجند بما كان يؤخذ منهم لبيت المال بعد وفاة الجندى والامير وذلك أحد عشر يوما وبعض يوم في كل سنة وهذا القدر هو التفاوت بين السنة الشمسية والقمرية وهذه مسامحة بمال عظيم ﴿ وفيها ﴾ قتلت الارمن ملكهم كندا صطبل الفرنجى كان علجا لايدارى المسلمين فخربت بلادهم وملكوا مكانه ﴿ وفيها ﴾ في أواخرها ملكت التركمان قلعة كابان وربضها بالحيلة وهى من أمنع قلاع سيس مما يلى الروم وقتلوا رجالها وسبوا النساء والاطفال فبادر صاحب سيس الجديد لاستنقاذها فصادفه ابن دلغادر فأوقع بالارمن وقتل منهم خلقا وانهزم الباقون (قلت)

صاحب سيس الجديد نادى ... كابان عندى عديل روحى
* قلنا تأهب لغير هذا ... فهذا فتوح على الفتوح

وبعد فتحها قصد النائب بحلب أن يستنيب فيها من جهة السلطان فعتى ابن دلغادر عن ذلك فجهزوا عسكرا لهدمها ثم أخذتها الارمن منه بشؤم مخالفته لولى الامر وذلك في رجب سنة سبع وأربعين وسبعمائة ﴿ وفيها ﴾ في ذى الحجة قبض على قمارى الناصرى نائب طرابلس وعلى آل ملك نائب صفد وولى طرابلس بيدمر البدرى وصفد ارغون الناصرى ﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وسبعمائة ﴾ والتتار مختلفون كما كانوا (وفيها) في المحرم طلب الحاج ارقطاى نائب حلب الى مصر وتمكن في مصر وارتفع شأنه وصار رأس مشورة مكان حسنكلى بن البابا فانه توفي قبل ذلك بأيام وفيه أقبل على حلب وبلادها من جهة الشرق جراد عظيم فكان أذاه قليلا بحمد الله (قلت)

رجل جراد صدها ... عن الفساد الصمد
فكم وكم لطفه ... في هذه الرجل يد

(وفيها) في ربيع الاول وصل الي حلب الامير سيف الدين طقتمر الاحمدى نائبا نقل اليها من حماه وولى بحماه مكانه اسندمر العمرى (وفيها) في جمادى الاولى سافر

صاحبنا الشيخ جمال الدين بن نباتة المصرى أحد الموقعين الآن بدمشق أوله الحمد لله الذى أرهف لعزائم الموحدين غربا وأطلعهم بهممهم حتى في مطالع الغرب شهبا وعرف بين قلوب المؤمنين حتى كان البعد قربا وكان القلبان قلبا وأيد بولاء هذا البيت الناصرى ملوك الارض وعبيد الحق سلما وحربا وعضد ببقائه كل ملك اذا نزل البر أنبته يوم الكفاح أسلا ويوم السماح عشبا واذا ركب البحر لهب الاعداء كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا واذا بعث هداياه المتنوعة كانت عرابا تصحب عربا ورياضا تسحب سحبا واذا وقف أوقاف البر سمعت الآفاق من خط يده قرآنا عجبا واهتزت بذكراه عجبا (ومنها) وذو الولاء قريب وان نأت داره ودان بالمحبة وان شط شط بحره ومزاره وهو باخباره النيرة محبوب كالجنة قبل أن ترى موصوف كوصف المشاهد وان حالت عن الاكتحال بطلعته أميال السرى ولما كان السلطان أبو الحسن سر الله ببقائه الاسلام والمسلمين وسره بما كتب من اسمه في أصحاب اليمين وما أدراك ما أصحاب اليمين هو الذى مد اليمين بالسيف والقلم فكتب في أصحابها وسطر الختمات الشريفة فنصر الله حزبه بما سطر من أحزابها ومد الرماح أرشية فاستقت من قلوب الاعداء قليبا والاقلام أروية فشفت ضعف البصائر وحسبك بالذكر الحكيم طبيبا (ومنها) ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدى وخط سطورها بالعربى وطالما خط في صفوف الاعداء بالهندى ﴿ومنها﴾ وأمر بترتيب خزنة وقراء على مطالع أفقها ووقف أوقافها تجرى أقلام الحسنات في اطلاقها وطلقها وحبس أملاكا شامية تحدث بنعم الاملاك التى سرت من مغرب الشمس الى مشرقها ورغب في المسامحة على تلك الاملاك من أحكار ومؤونات وأوضاع ديوانية وضع بها خط المسامحة في دواوين الحسنات المسطرات فأجيب على البعد داعيه وقوبل بالاسعاف والاسعاد وقفه ومساعيه وختمها بقوله والله تعالى يمتع من وقف هذه الجهات بما سطر له في أكرم الصحائف وينفع الجالس من ولاة الامور في تقريرها ويتقبل من الواقف ﴿وفيه﴾ صلى بحلب صلاة الغائب على الشيخ شمس الدين بن محمد بن أحمد ابن عثمان بن قايماز الذهبى الدمشقى منقطع القرين في معرفة أسماء الرجال محدث كبير مؤرخ من مصنفاته كتاب تاريخ الاسلام وكتاب الموت وما بعده وغير ذلك وكف بصره في آخر عمره ومولده سنة ثلاث وسبعين وستمائة واستعجل قبل موته فترجم في تواريخه الاحياء المشهورين بدمشق وغيرها واعتمد في ذكر سير الناس على احداث يجتمعون به وكان في أنفسهم من الناس فآذى بهذا السبب في مصنفاته اعراض خلق من المشهورين ﴿وفيها كان الغلاء﴾ بمصر ودمشق وحلب وبلادهن والامر بدمشق أشد حتى انكشفت فيه أحوال خلق وجلا كثيرون منها الى حلب وغيرها وأخبرنى بعض

بنى تيمية ان الغرارة وصلت بدمشق الى ثلثمائة وبيع البيض كل خمس بيضات بدرهم واللحم رطل بخمسة وأكثر والزيت رطل بستة أو سبعة (وفيها) في ذى الحجة قيد الامير شهاب الدين أحمد بن الحاج مغلطاى القره سنقرى وحمل الى دمشق وسجن بالقلعة وكان مشد الوقف بحلب وحاجبا وكان قبل هذه الحادثة قد سعى في بعض القضاة وقصد له اهانة بدار العدل فسلم الله القاضى وأصيب الساعى المذكور وربما كان طلبه من مصر يوم سعيه في القاضى ثم خلص بعد ذلك وأعيد الى حلب وصلح حاله ﴿وفيها﴾ توفي بدمشق ابن علوى أوصى بثلاثين ألف درهم تفرق صدقة وبمائتى ألف وخمسين ألفا تشترى بها أملاك وتوقف على البر فاجتمع خلق من الحرافيش والضعفاء لتفريق الثلاثين ألفا ونهبوا خبزا من قدام الخبازين فقطع ارغون شاه نائب دمشق منهم ايدى خلق وسمر خلقا بسبب ذلك فخرج منهم خلق من دمشق وتفرقوا ببلاد الشمال (وفيها) في ذى الحجة ضرب نيروز بالنون نائب قلعة المسلمين قاضيها برهان الدين ابراهيم بن محمد بن ممدود واعتقله ظلما وتجبرا فبعد أيام قليلة طلب النائب الى مصر معزولا ويغاب على ظنى انه طلب يوم تعرضه للقاضى فسبحان رب الارض والسماء الذى لايمهل من استطال على العلماء (قلت)

قل لاهل الجاه مهما   رمتم عزا وطاعه
لاتهينوا أهل علم   فاذا هم سم ساعه

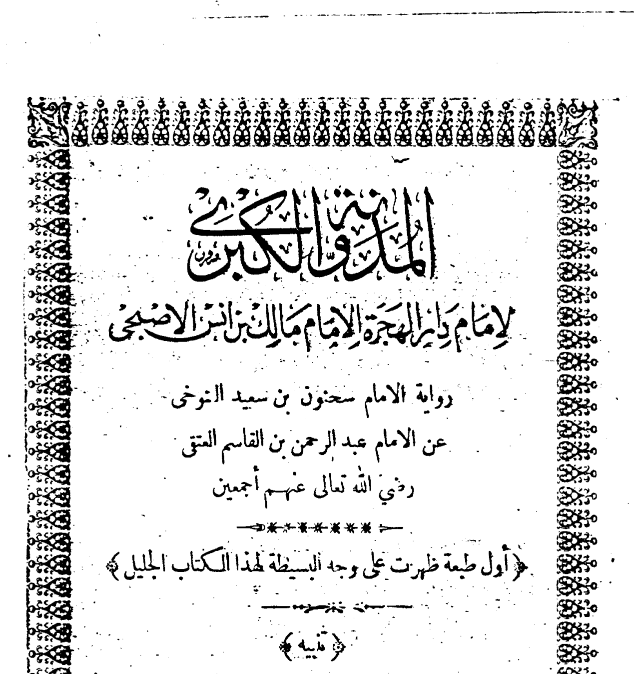
(وفيه) في العشر الاوسط من آذار وقع بحلب وبلادها ثلج عظيم وتكرر اغاث الله به البلاد * واطمأنت به قلوب العباد * وجاء عقيب غلاء أسعار * وقلة امطار (قلت)

ثلج بآذار أم الكافور في   مزاجه ولونه والمطعم
لولاه سالت بالغلا دماؤنا   من عادة الكافور امساك الدم

(وفيها) جاءت ريح عظيمة قلعت أشجارا كثيرة وكانت مراكب للفرنج قد لججت للوثوب على سواحل المسلمين ففرقت بهذه الريح وكفى الله المؤمنين القتال قلت

قل للفرنج تأدبوا وتجنبوا   فالريح جند نبينا اجماعاً
ان قلعت في البر أشجارا فكم   في البحر يوما شجرت اقلاعا

﴿وفيها﴾ توفي الحاج اسماعيل بن عبد الرحمن العزازى بعزاز كان له منزلة عند الطنبغا الحاجب نائب حلب وبنى بعزاز مدرسة حسنة وساق اليها القناة الحلوة وانتفع الجامع وكثير من المساجد بهذه القناة وله آثار حسنة غير ذلك رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسبعمائة) وقراجا ابن دلغادر التركمانى وجماعته قد شغبوا واستطالوا ونهبوا وتسمى بالملك القاهر وأبان عن فجور وحمق ظاهر ودلاه بغروره



المدونة الكبرى

لإمام دار الهجرة الإمام مالك بن انس الاصبحي

رواية الامام سحنون بن سعيد التنوخي

عن الامام عبد الرحمن بن القاسم العتقي

رضي الله تعالى عنهم أجمعين

﴿أول طبعة ظهرت على وجه البسيطة لهذا الكتاب الجليل﴾

﴿تنبيه﴾

لايجوز لاحد أن يطبع المدونة الكبرى أو بعضها تكملة لما حصل عليه منها على نسخة من النسخ التى طبعت على نفقتنا وكل من تعدى على ذلك يكون مسؤلا أمام القضاء حيث اننا لم نحصل على أصول هذه النسخة الا بعد تحمل المشقات الزائدة وتكبد المصاريف الباهظة واضاعة الاوقات النفيسة وقد سجلناها رسمياً بالمحاكم المختلطة فكل من يتجارى على الطبع من هذه النسخه يدع عن الاصول التى طبع منها ويكلف بابرازها فى محل الاقتضاء والله المستعان

محمد سامى المغربي التونسى

طبعت بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر سنة ١٣٢٣ هجريه

﴿ قال ابن ... سم ﴾ والمجانين عندي بمنزلة الصبيان ﴿ أشهب ﴾ عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اضربوا بأموال اليتامى واتجروا بأموال اليتامى لا تأكلها الزكاة ﴿ أشهب ﴾ وقال مالك بلغني ان عمر بن الخطاب قال مثل ذلك سواء ﴿ ابن وهب ﴾ عن ابن لهيعة عن عقيل عن ابن شهاب أن عمر بن الخطاب قاله ﴿ أشهب ﴾ عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة أن عبد الرحمن بن القاسم حدثهما عن أبيه أنه قال كانت عائشة تليني أنا وأخا لي يتيمين في حجرها فكانت تخرج من أموالنا الزكاة ﴿ ابن وهب ﴾ عن سليمان بن بلال أن عبد الرحمن بن الحارث حدثه أنه سمع القاسم بن محمد يقول كنا يتامى في حجر عائشة وكانت لنا عندها أموال فكانت تقارض أموالنا فتخرج من الربح قدر الزكاة ﴿ ابن وهب ﴾ عن الليث أن نافعاً حدثه أن ابن عمر كان يكون عنده اليتامى فيخرج صدقة أموالهم من أموالهم ﴿ قال أشهب ﴾ قال أبو الزناد وحدثني الثقة أن ابن عمر أُتيَ بمال يتيم اخواله من بني جمح وهو موسى بن عمر بن قدامة فأبى أن يقبله الا أن يؤدى زكاة ماله كل عام فأبوا فأبى ﴿ وقال ابن وهب ﴾ عن يزيد بن عياض عن عمرو بن شعيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اضربوا للتيامي في أموالهم ولا تضعوها فتذهب بها الزكاة ﴿ قال ابن وهب ﴾ وأخبرني رجال من أهل العلم أن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وربيعة ابن أبي عبد الرحمن وعطاء كانوا يقولون تخرج من مال اليتيم الزكاة ﴿ أشهب ﴾ عن ابن لهيعة أن سليمان بن يسار وابن شهاب قالا في مال المجنون الزكاة ﴿ ابن مهدى ﴾ عن سفيان الثورى عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن لابي رافع قال باع لنا علي بن أبي طالب أرضنا بثمانين ألفا فأعطاناها فاذا هي تنقص فقال اني كنت أزكيها ﴿ ابن مهدي ﴾ عن شعبة بن الحجاج عن الحكم قال وليَ عليٌ مال بني أبي رافع فكان يزكيه ﴿ ابن مهدى ﴾ عن أبي عوانة عن الحكم بن عيينة أن عمر وعليا وعائشة كانوا يزكون أموال اليتامى ﴿ ابن مهدي ﴾ عن إسرائيل بن يونس عن عبد العزيز

رفيع عن مجاهد قال قال عمر بن الخطاب اتجروا بأموال اليتامى وأعطوا صدقتها

﴿ في زكاة السلع ﴾

﴿ قال ﴾ وقال مالك اذا كان الرجل انما يشتري النوع الواحد من التجارة أو الانواع وليس ممن يدير ماله في التجارات فاشترى سلعة أو سلعا كثيرة يريد بيعها فبارت عليه ومضى الحول فلا زكاة عليه فيها وان مضى لذلك أحوال حتى يبيع فاذا باع زكى زكاة واحدة وانما مثل هذا مثل الرجل يشتري الحنطة في زمان الحصاد فيريد البيع في غير زمان الحصاد ليربح فتبور عليه فيحبسها فلا زكاة عليه فيها ﴿ قال علي بن زياد ﴾ قال مالك الامر عندنا في الرجل يكون له من الدين ما تجب فيه الزكاة فيغيب عنه سنين ثم يقبضه انه ليس عليه فيه الا زكاة واحدة اذا قبضه قال والدليل على أنه ليس على الرجل في الدين يغيب عنه سنين ثم يقبضه الا زكاة واحدة وفي العروض يبتاعها للتجارة فيمسكها سنين ثم يبيعها أنه ليس عليه الا زكاة واحدة أنه لو وجب على رب الدين أن يخرج زكاته قبل أن يقبضه لم يجب عليه أن يخرج في صدقة الدين الا دينا يقطع به لمن يلي ذلك على الغرماء يتبعهم به ان قبض كان له وان تلف كان منه من أجل أن السنة أن تخرج صدقة كل مال منه (قال سحنون) وانما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة في الحرث والعين والماشية فليس في العروض شيء حتى تصير عينا ﴿ قلت ﴾ أرأيت لو أن رجلا كانت عنده دابة للتجارة استهلكها رجل فضمن قيمتها فأخذ منه رب الدابة سلعة بقيمتها التي وجبت له أيكون عليه في قيمة هذه السلعة التي للتجارة زكاة (فقال) ان كان نوى بالسلعة التي أخذ التجارة زكى ثمنها ساعة يبيعها اذا كان الحول قد حال على أصل هذا المال من يوم زكي أصل هذا المال وهو ثمن الدابة المستهلكة وان كان حين أخذ السلعة بقيمة الدابة المستهلكة لم ينو بها التجارة ونوى بها القنية فلا شيء عليه فيها وان باعها حتى يحول الحول على ثمنها من يوم باعها وان كان أخذ في قيمة الدابة المستهلكة دنانير أو دراهم وقد حال الحول على الاصل زكى الدنانير والدراهم ساعة يقبضها وان لم يكن حال الحول ثم اشترى بتلك

أو لم يعجز (قال مالك) وانما الموز عندى بمنزلة البقل ﴿ قلت ﴾ أرأيت الموز اذا حل بيعه أيجوز لى أن أشتريه وأستثنى بطونا في المستقبل خمسا أو عشرا (قال) ذلك جائز ﴿ قلت ﴾ فان اشتريته حين حل بيعه فقلت له لى ما يطعم هذه السنة (قال) هذا جائز أيضاً لان ما يطعم سنة هو معروف ﴿ قلت ﴾ وهذا قول مالك (قال) نعم ﴿ قال ﴾ وقال مالك لا بأس بأن يشترى الموز السنة والسنة ونصفا اذا حل بيعه ﴿ قلت ﴾ أرأيت القضب أهو بهذه المنزلة في قول مالك (قال) نعم وأصل قولهم في المساقاة أن كل شئ يجز ثم يخلف ثم يجز ثم يخلف أن المساقاة لا تجوز فيه (قال) وكل شئ قائم انما تجنى ثمرته والاصل ثابت أو غير ثابت اذا كان انما تجنى ثمرته اذا كانت ثمرته نباتاً منها فالمساقاة فيه جائزة ﴿ قلت ﴾ فالقصب والموز اذا عجز عنهما صاحبهما أتجوز فيهما المساقاة (قال) لا أرى أن تجوز المساقاة فيهما وان عجز عنهما صاحبهما ﴿ قلت ﴾ ولم كره مالك المساقاة فيهما وهما من الاصول (قال) ليس هما بمنزلة الاصول انما هما بمنزلة البقول انما تطعم البقول بطنا بعد بطن ﴿ قلت ﴾ والبقول أتجوز فيها المساقاة فى قول مالك اذا عجز عن سقيها صاحبها (قال) لا تجوز فيها المساقاة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تم كتاب المساقاة بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ الاميّ وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

﴿ ويليه كتاب الجوائح ﴾



﴿ الحمد لله وحده ﴾

﴿ وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ الاميّ وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

كتاب الجوائح

ما جاء فى الجوائح

﴿ قلت ﴾ لابن القاسم أرأيت المقثى هل فيها جائحة فى قول مالك (قال) نعم اذا أصابت الثلث فصاعداً وضع عن المشترى ما أصابت الجائحة ﴿ قلت ﴾ أرأيت ان اشتراها وفيها بطيخ وقثاء فأصابت الجائحة جميع ما فى المقثأة من ثمرتها وهى تطعم فى المستقبل كيف يعرف ما أصابت الجائحة منها (قال ابن القاسم) تفسير ذلك أنه يكون مثل كراء الارضين والدور أنه ينظر الى المقثأة كم كان نباتها من أول ما اشترى الى آخر ما تنقطع ثمرتها فينظر كم قطف منها وكم أصابت الجائحة منها فاذا كان ما أصابت الجائحة منها ثلث الثمرة نظر الى قيمة ما قطف منها فان كان قيمته النصف أو أقل من الثلث لم يكن له الا قدر ذلك لان حمالها فى الاشهر ونفاقها مختلف فتقوم ويقوم ما بقي من النبات مما لم يأت بعد فى كثرة نباته ونفاقه فى الاسواق مما يعرف من ناحية نباته فينظر الى الذي جده فيقوم على حدته ثم يقوم الذى أصابته الجائحة على حدته فينظر ما مبلغ ذلك من جميع الثمرة فان كانت الثمرة التى أكلها المشترى هو نصف القيمة أو أقل من ذلك أو أكثر فربما كان اطعام المقثأة في أوله هو أقله وأغلاه ثمنا تكون البطيخة أو الفقوسة أو القثاة بعشرة أفلس أو بنصف درهم أو بدرهم والبطيخة مثل ذلك وفى آخر الزمان تكون بالفلس والفلسين والثلاثة فيكون القليل الذى كان

في البطن الاول أكثر المقثأة ثمنا لنفاقه في السوق وعلى هذا يقع شراء الناس انما يحمل أوله آخره وآخره أوله ولو كان انما وقع الشراء على كل بطن على حدته لكان لكل بطن جزء من الثمن مسمى وانما تحسب بطون المقثأة التي تطعم فيها بقدر اطعامها من قدره فيها في الاسواق من كل بطن ثم يقوم ما أطعمت في كل زمان على قدر نفاقه في الاسواق في كل بطن ثم يقسم الثمن على جميع ذلك فان كان البطن الاول هو النصف أو الثلثين رد بقدر ذلك وان كان البطن الآخر الذى انقطع فيه هو النصف أو الثلثين رد بقدر ذلك ولا يلتفت الى نباتها في اطعامها فيقسم على قدر كثرته وعدده من غير أن ينظر الى أسواقه ولكن ينظر الى كثرته ونفاقه في الاسواق ﴿قال ابن القاسم﴾ وكذلك الورد والياسمين وكل ما يجنى بطنا بعد بطن فهو على ما فسرت لك في المقثأة وما كان يطيب بعضه بعد بعض فعلى هذا يحسب أيضاً مما يابت جميعا مثل التفاح والخوخ والتين والرمان وما أشبهه من الفاكهة وذلك أن الرمان والخوخ والتفاح وما أشبهه من الفاكهة ومما لا يخرص انما يشترى اذا بدا أوله لانه يعجل بيعه فيكون له في أول الزمان ثمن لا يكون لآخره في نفاقه عند الناس وأسواقه وكثرته في اجتماعه في آخر الزمان فانما يشترى المشترى على ذلك ويعطى ذهبه لأن يكون له آخره مع أوله ولو أفرد ما يطيب كل يوم أو كل جمعة حتى يباع على حدته لاختلفت أثمانها وانما يشتريها المشترى على أن يحمل الغالى على رخيصه والرخيص على غاليه فاذا أصابت الجائحة منه ما يبلغ الثلث فصاعداً نظر الى ما قبض ثم نظر الى الذى أصابته الجائحة فان كان الذى أصابته الجائحة ثلث الثمرة التى اشترى وضع عنه ما يصيبها من الثمن كان ذلك في أول الثمرة أو في وسطها أو في آخرها وان كانت ثلث هذه الثمرة التى أصابتها الجائحة يكون حظها من القيمة تسعة أعشار القيمة وضع عن المشترى تسعة أعشار الثمن وان لم يكن حظ ثلث الثمرة من الثمن الا عشر الثمن الذى اشترى به جميع الثمرة وضع عن المشترى عشر الثمن وانما ينظر في هذا الى الجائحة اذا أصابت فان أصابت ثلث الثمرة نظر ما كان يصيب هذا الثلث من

الثمن على حال ما وصفت لك من غلائه ورخصه فيوضع عنه ما يصيب ذلك الثلث من الثمن كان أقل من ثلث الثمن أو أكثر فان أصابت الجائحة أقل من ثلث الثمرة وكان حظ ما أصابت الجائحة من الثمر يبلغ تسعة أعشار الثمن لم يوضع عن المشترى قليل ولا كثير ولا يوضع عن المشتري فيما فسرت لك حتى تبلغ الجائحة ثلث الثمرة فاذا بلغت ثلث الثمرة وضع عن المشترى حظها من الثمن كان أقل من ثلث الثمن أو أكثر وهذا تفسير ما وصفت لك ﴿قال سحنون﴾ وقد قال غيره انما ينظر في البطون الى ما أذهبت الجائحة فان كان يكون قيمة ما يصير له ثلث الثمن وضع وان كان من الثمرة عشرها وان كانت قيمة ما أتلفت الجائحة لا يصير له من الثمن ثلثه وانما يصير له من الثمن أقل لم يوضع عن المشترى شئ وان كان من الثمرة تسعة أعشارها وانما تكون مصيبته اذا ذهب مثل ثلث الثمن وليس يلتفت الى ثلث الثمرة لانه ربما كان ثلث الثمرة انما غلته عشر الثمن ولا يكون مصيبة وربما كان عشر الثمرة ويكون لها من الثمن نصف الثمن فيكون مصيبة فلذلك توضع الجوائح اذا وقعت المصائب ﴿سحنون﴾ وأما البطن الواحد وهو صنف واحد فان ثلث الثمرة بثلث الثمن اذا كان صنفا واحداً من الثمرة فاجتمعت المصيبة من الوجهين جميعاً فلذلك وضع ﴿قال ابن القاسم﴾ وما كان مما يخرص مثل الاعناب والنخل وما أشبههما مما لا يخرص مما ييبس ويدخر فانما ينظر الى ثلث الثمرة فيوضع من الثمن ثلثه ولا ينظر فيه الى اختلاف الاسواق لان هذه أشياء يشتريها المشترى فمنهم من يحبسها حتى يجدها يابسة فيدخرها ومنهم من يتعجل أكلها ومنهم من يدخر بعضها ويبيع بعضها فالبائع حين يبيع انما يبيع على أن المشترى ان شاء حبس وان شاء جد فانما في ثلث الثمرة اذا أصابتها الجائحة ثلث الثمن ﴿سحنون﴾ وكذلك إذا كان الثمر صنفاً واحداً فان كان الثمر أصنافا مختلفة مثل البرني والعجوة والشقم وعرق ابن زيد فأصابت الجائحة من الثمرة الثلث فان كان الذي أصابت من البرني والعجوة نظر الى قيمته وقيمة غيره فيقسم الثمن على القيم لاختلاف الثمرة في القيم فيصير حكمه حكم

البطون في اختلاف أثمانها وان الرمان والخوخ والتفاح والاترج والموز والمقاثى وما أشبهها انما يشترى على طيب بعضه بعد بعض ولو ترك من يشتريه أوله لآخره حتى يطيب كله لكان فساداً لأوله ﴿قال﴾ وقال لى مالك وانما جعل الله عز وجل طيب بعضه بعد بعض رحمة ولو جعل طيبه واحداً لكان فساداً فالمشترى حين يشترى مايطيب بعضه بعد بعض فالبائع يعرف والمشترى أنه انما يستجنيه كل ماطاب بمنزلة المقاثى وغيرها وان الذى يخرص ليس كغيره من الثمار ولاما يقدر على تركه حتى يجد جميعه معا فهذا مثل الذى يخرص سواء فمحملهما فى الجائحة سواء ﴿قال سحنون﴾ وكل مايقدر على ترك أوله على آخره ولايكون فساداً حتى ييبس فهو بمنزلة النخل والعنب وكل مالايستطاع ترك أوله على آخره حتى ييبس فى شجره فسنته سنة المقاثي ﴿قال سحنون﴾ فهذا أصل قوله وكل مافى هذا الكتاب فالى هذا يرجع

ماجاء فى جائحة القصيل

﴿قال﴾ وكذلك القصيل اذا اشترى جزة واحدة فان أصابت الجائحة منه الثلث وضع عنه ولم ينظر الى غلاء أوله ولا آخره أو رخصه لان قصله قصلة واحدة ان أراد أن يقصله وقد أدرك جميعه حين اشتراه والفاكهة لم يدرك جميعها ولاالمقاثى ولا الياسمين الا أن يشترى القصيل وخلفته التى بعده فيصاب الاول وينبت الآخر أو يصاب الآخر ويسلم الاول فيحسب كما وصفت لك ينظر كم كان نبات الاول من الآخر في رخص آخره أوغلائه أوفي رخص أوله أوغلائه وحال رغبة الناس فيه وغلائه عندهم فى أوله وفى آخره اذا كان الذى أذهبت الجائحة منه ثلثه فان كان الاول هو ثلثي الثمن وهو فى النبات الثلث رد ثلثي الثمن فبقدر ذلك يرد وان كان الآخر نصف الثمن أو ثلاثة أرباعه فى نفاقه عند الناس وقيمته ردّ من الثمن بقدر ذلك وكذلك قال مالك فى الارضين تكارى ثلاث سنين أو أربع سنين ليزرع فيها فيزرعها الرجل السنة أو السنتين فيعطش أولها أو آخرها أو وسطها وقد تكاراها أربع سنين كل سنة بمائة

دينار نفقة واحدة فيعطش سنة منها (قال مالك) فتقوّم كل سنة بما كانت تساوى من نفاقها عند الناس وتشاح الناس فيها ثم يحمل بعض ذلك على بعض فيقسم الكراء على قدر ذلك ويرد من الكراء بقدر ذلك ويوضع عنه بقدر ذلك ولا ينظر الى قدر السنين فيقسم الكراء عليها ان كانت أربع سنين لم يقسم الثمن عليها أرباعا ولكن على قدر الغلاء والرخص

فى الرجل يكترى الدار سنة فتنهدم قبل مضى السنة

﴿قال﴾ قال لى مالك وكذلك الدار تكارى فى السنة بعشرة دنانير فيكون فيها أشهر كراؤها غال وأشهر كراؤها رخيص مثل كراء مكة فى ابان الحج وغير ابان الحج والفنادق تكارى سنة ولها ابان نفاقها فيه ليس كغير ذلك الابان فيسكنها الاشهر ثم تنهدم أو تحترق فانما يرد من الكراء بقدر ذلك من الاشهر حتى أن الشهر ليعدل الاربعة أشهر والخمسة وجميع السنة ولاينظر فى ذلك الى السنة فيقسم الثمن على اثنى عشر شهراً ولكن على ما وصفت لك (قال) وكل ما فسرت لك من هذه الجوائح هو تفسير ما سمعت من مالك ﴿قلت﴾ والذى شبهه مالك من الفاكهة فى جائحته بالنخل ممايخرص أهو مما ييبس ويدخر مثل الجوز واللوز والفستق والجلوز[1] وما أشبه هذه الاشياء (قال) نعم ﴿قلت﴾ والتين أيضاً هو مما ييبس أيضاً ويدخر وهو مما يطعم بعضه بعد بعض وهو مما ييبس فكيف يعرف شأنه (قال) يسئل عنه أهل المعرفة به ﴿قلت﴾ أرأيت ان اشتريت مقثأة فيها بطيخ وقثاء فأصابت الجائحة جميع ما فى المقثأة من الثمرة وهي تطعم فى المستقبل (قال ابن القاسم) ينظر الى هذا البطن الاول الذي أصابته الجائحة فيعرف كم نبات ثمره ويقوّم أيضاً فيعرف قيمته على غلائه ورخصه وفيما يأتى بعد فيعرف نباته وقيمته فى كثرة حمله وينظر الى قيمته أيضاً هكذا يقوم بطنا بعد بطن ويضم بعضه الى بعض ويعرف النبات فان كان البطن الذى أصابته الجائحة هو الثلث ثلث الثمرة التى اشترى نظر الى ما كانت قيمة هذا البطن

(١) (والجلوز) هو كسنور البندق اه قاموس

الذي أصابته الجائحة فيطرح عن المشترى قدرها من الثمن وتفسير ذلك أنه لما
أصابت الجائحة البطن الاول فعرف قدر نبات ثمرته وعرف قدر قيمته في غلائه ورخصه
ثم نظر الى ما يأتى من نباتها في المستقبل فيعرف قدر كل بطن وقيمته على غلائه
ورخصه فضمت القيمة قيمة كل بطن بعضها الى بعض ثم نظر الى البطن الذى أصابته
الجائحة ما هو من جميع نبات ثمرة هذه المقثأة فان كان ذلك الثلث ثلث الثمرة وضع
عن المشترى من الثمن بقدر قيمته من ذلك البطن الذى أصابته الجائحة فان كان
من ذلك نصف جميع نبات ثمرة المقثأة أو ثلثيه أو ثلاثة أرباعه أو أقل أو أكثر طرح
من الثمن بقدر ذلك وسواء ان كان الذى أصابت الجائحة منه في أول أو في آخر أو في
وسط انما ينظر فان كان الذى أصابت الجائحة في وسط نظر الى الذي كان أكل
المشتري فعرف قدر نباته وقيمته في غلائه ورخصه وينظر الى الذي أصابت الجائحة
فعرف قدر نباته وقيمته وينظر الى الذى يأتى بعد حتى تنقطع المقثأة فان كان الذى
أصابت الجائحة هو ثلث نبات الثمرة قيل كم قيمة الذى أصابته الجائحة من جميع
القيمة فان كان ذلك نصف القيمة أو ثلثيها وضع عن المشترى من الثمن نصفه أو ثلثاه
لانك قد عرفت ما أكل المشتري وما أصابت الجائحة وما جاء بعد ذلك فلما كان
ذلك ثلث الثمرة وقد كنت أقمت ذلك البطن الذى أصابته الجائحة والذي أكل
المشتري والذى جاء بعد ذلك فعرفت قيمة ذلك في قدر غلاء أوله وآخره ورخصه
ورغبة الناس فيه فوضعت عن المشترى من الثمن بقدر قيمة الجائحة وتفسير ذلك
لو أن رجلا اشترى مقثأة بمائة دينار وخمسين ديناراً فأصابت الجائحة منها البطن
الاول أو الأوسط أو الآخر انها ان كان أول البطن الذي أصابت الجائحة عرف قدر
نباته أقيم فان كانت قيمته مائة دينار وعرف ناحية نباته نظر الى الذي يأتى بعد فيقام
بطنا بعد بطن على ما فسرت لك من رغبة الناس فيه ورخصه وغلائه فان كانت قيمة
هذا البطن الثانى ستين ديناراً وقد عرف ناحية نباته أيضا ثم نظر الى البطن الثالث
فأقيم أيضا فان كانت قيمته أربعين ديناراً وانقطعت الثمرة فلم يكن فيها الا ثلاثة بطون

وقد عرفت ناحية البطن الآخر قيل انظروا كم ثمرة كل بطن بعضه من بعض فان
قالوا النبات فى كل بطن في الثمرة سواء فالذي أصابت الجائحة هو الثلث من الثمرة
وقيمته مائة دينار وقيمة البطن الثانى ستون ديناراً والآخر أربعون ديناراً فذلك مائتا
دينار وقد كان الشراء بخمسين ومائة دينار قلنا انظروا الى مبلغ البطن الذي أصابته
الجائحة وهو ثلث الثمرة فاذا هو مائة دينار قلنا فأى شئ مائة دينار من جميع قيمة
المقثأة قيل النصف لان البطن الاول الذي كانت فيه الجائحة قيمته مائة دينار والثانى
ستون ديناراً والآخر أربعون ديناراً فذلك مائتا دينار فقد صارت قيمة الذي
أصابته الجائحة من جميع قيمة المقثأة النصف قلنا فارجع على البائع بنصف الثمن ان كنت
نقدته الثمن وان كنت لم تنقده الثمن فعلى هذا فقس جميع ما يرد عليك من هذا

﴿ فى الجائحة فى التين[٣] والخوخ والرمان وجميع الفاكهة ﴾

(قال) وكذلك الفاكهة التين والخوخ والرمان والتفاح وكل ما يكون بطنا بعد بطن
انما ينظر الى أوله وآخره فيقوم فيعرف قيمته وقدر ثمرته ثم ينظر الى الذى أصابته الجائحة
فان كان ذلك ثلث الثمرة وكانت قيمة البطن الذى أصابته الجائحة هو نصف جميع
الثمن أو ثلثيه طرح عن المشتري من الثمن نصفه أو ثلثاه فعلى هذا يكون هذا ﴿ قال
ابن وهب ﴾ وأخبرنى يزيد بن عياض عن رجل حدثه عن عبد الله بن عبد الرحمن
ابن معمر الأنصارى أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا ابتاع المرء
الثمرة فأصابتها جائحة فذهبت بثلث الثمرة فقد وجب على صاحب المال الوضيعة
﴿ قال ابن وهب ﴾ وأخبرنى يزيد بن عياض عن عبد الرحمن بن القاسم وربيعة بن أبي
عبد الرحمن وأبى الزناد عن القاسم بن محمد قال اذا أصيب المبتاع بثلث الثمرة فقد
وجبت على البائع الوضيعة ﴿ قال سحنون ﴾ وأخبرنى أنس بن عياض أن أبا
اسحاق مقدم مولى أم الحكم بنت عبد الملك حدثه أن عمر بن عبد العزيز قضى فى

(٣) (قوله فى الجائحة فى التين الخ) هذه الترجمة ساقطة من احدى النسختين اللتين بأيدينا

ثمر حائط باعته مولاته فأصاب الثمرة كلهاجائحة الا سبعة أوسق وكانت قد استثنت سبعة أوسق فقال لى عمر وخاصمت اليه في ذلك اقرأ على مولاتك السلام وقل لهاقد أغناك الله فى الحسب والمال عن أن تأكلى ما لايحل لك لا تجوز الجائحة بين المسلمين وقضى باليمين على المبتاع أن لا يكتم شيئاً وعليه ما أكل عماله قال مقدم فما صار لنا الا سبعة أوسق وهي التى بقيت ﴿ ابن وهب ﴾ وأخبرنى عبد الجبار ابن عمر عن ربيعة وأبى الزناد أنهما قالا لا وضيعة فى الجائحة فيمادون الثلث اذا أصيب ﴿ وأخبرنى ﴾ عثمان بن الحكم عن يحيي بن سعيد أنه قال لا جائحة فيما أصيب دون ثلث رأس المال قال يحيي وذلك في سنة المسلمين ﴿ قال ﴾ وأخبرنى عثمان بن الحكم عن ابن جريج عن عطاء أنه قال الجوائح كل ظاهر مفسد من مطر أو برد أو جراد أو ريح أو حريق ﴿ سحنون ﴾ عن أنس بن عياض عن حسن بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده أن على بن أبي طالب كان يقول الجائحة اذا بلغت الثلث ﴿ قال سحنون ﴾ وحدثنى أنس بن عياض عن ابن جريج المكي عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو بعت من أخيك تمراً ثم أصابته جائحة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئاً ثم تأخذ مال أخيك بغير حق

﴿ فى جائحة البقول ﴾

﴿ قلت ﴾ أرأيت البقول والكراث والسلق وما أشبه هذا والجزر والبصل والفجل اذا اشترى الرجل هذه الاشياء التى ذكرت لك وما أشبهها فأصابتها جائحة أقل من الثلث هل يوضع عن المشترى شئ أم لا (قال) قال مالك أرى أن يوضع عن المشترى كل شئ أصابت الجائحة منها قل ذلك أو كثر ولا ينظر فيه الى الثلث. وقد ذكر على بن زياد عن مالك أن البقل اذا بلغت جائحته الثلث وضع عن المشتري وان لم تبلغ الثلث لم يوضع منه شئ ﴿ سحنون ﴾ وقد ذكره ابن أشرس عن مالك

﴿ فى جائحة الخضر ﴾

﴿ قلت ﴾ أرأيت ان اشترى الفول الاخضر وما أشبهه من القطنية التى تؤكل خضراء واشترط أن يقطعها خضراء (قال) قال مالك الشراء جائز ﴿ قلت ﴾ فان أصابته جائحة (قال) أرى ان أصابت الجائحة الثلث وضع عنه ثلث الثمن لان هذا ثمرة ﴿ قلت ﴾ فان اشترى الفول والقطنية التى تؤكل خضراء بعد ما طابت للاكل قبل أن تيبس فاشترط أن يترك ذلك حتى ييبس (قال) لا يصلح ذلك عند مالك وهومكروه

﴿ جائحة الزيتون ﴾

﴿ قلت ﴾ أرأيت الزيتون عند مالك أهو مما يخرص على أهله (قال) ليس يخرص الزيتون عند مالك على أهله ولكن ما أصابت الجائحة منه يحمل محمل ما يخرص لأن مشتريه يقدر على أن يؤخره حتى يجنيه جميعاً

﴿ فى جائحة القصب الحلو ﴾

﴿ قلت ﴾ أرأيت القصب الحلو أليس هو مما يدخر وييبس اذا أصابته الجائحة (قال) لا يوضع منه في الجائحة قليل ولا كثير وذلك أن بيعه انما هو بعد أن يمكن قطعه وليس هو مما يأتى بطنا بعد بطن فهو عندى بمنزلة الزرع اذا يبس لا يجوز بيعه حتى يطيب ويؤكل ولقد سألت مالكا عن مساقاته فقال هو عندي مثل الزرع تجوز مساقاته اذا عجز عنه صاحبه. وقد قال ابن القاسم توضع فيه الجوائح وهو أحسن

﴿ فى جائحة الثمار التى قد يبست ﴾

﴿ قال ﴾ وقال مالك كل ما اشترى من النخل والعنب بعد ما ييبس ويصير زبيبا أو تمراً أو يستجد ويمكن قطافه فليس فيه جائحة وما بيع من الحب من القمح والشعير والفول والعدس والقطنية كلها والسمسم وحب الفجل للزيت وما أشبهه فليس فيه جائحة لانه انما يباع بعد ما ييبس فهو بمنزلة ما لو باعه فى الأنادر فلا جائحة فيه وهو

قول مالك ﴿ قلت ﴾ ومايبع من النخل والعنب أخضر بعد ماطاب فيبس ثم أصابته جائحة بعد ذلك فلا جائحة فيه وهو بمنزلة مااشترى وهو يابس (قال) نعم ﴿ قلت ﴾ أرأيت ان اشتريت ثمرة نخل قد حل بيعها فتركته حتى طاب للجداد وأمكن ثم أصابته جائحة تبلغ الثلث فصاعداً (قال) لايوضع عنه قليل ولا كثير عند مالك لان الجداد قد أمكنه ﴿ قلت ﴾ ويصير هذا بمنزلة رجل اشترى مافى رؤس النخل وقد أمكنت للجداد (قال) نعم كذلك قال مالك يصير بمنزلة الذى اشترى ثمرة قد أمكنت للجداد تيبس فلا جائحة فى ذلك

في الرجل يشترى أصول النخل وفيها ثمر فتصيبها جائحة

﴿ قال ﴾ وقال مالك مااشتري من الاصول وفيها ثمرة قد طابت مثل النخل والعنب وغير ذلك فاشترى بأصله فأصابته جائحة فلا جائحة فى ثمره وانما الجوائح اذا اشتريت الثمار وحدها بغير أصولها ﴿ قلت ﴾ وكذلك لوأنى اشتريت رقاب النخل وفيها ثمر لم يطب ولم يحل بيعه ولم يؤبر أوقد أبرت فاشترط المبتاع ثمرة ماقد أبر فأصابت هذه الثمرة جائحة أيوضع عنه فى قول مالك لما أصابت الجائحة من الثمرة شئ أم لا (قال) قال مالك لا يوضع عنه شئ ﴿ قلت ﴾ فهذا قول مالك فى الذى يشترى رقاب النخل وفيها ثمرة لم تؤبر فبلغت فأصابتها جائحة أنه لايوضع عن المشترى شئ هذا قد علمناه أنه لايوضع عنه شئ لان الثمرة تبع للنخل لانها للمشترى وان لم يشترطها أرأيت كل ثمرة كانت تكون للبائع اذا اشتراها المشترى الا أن يشترطها المشترى لم لايكون لها حصة من الثمن ويلغى عنه ما أصابت الجائحة من الثمن اذا بلغ ما أصابت الجائحة ثلث الثمرة (قال) لان مالكا جعل كل ثمرة اشتريت مع الرقاب تبعا للرقاب فلا جائحة فيها (قال) وكذلك الرجل يكترى الدار ويشترط ثمرة نخلات فيها وفى النخل ثمرة لم تطب أو طلع فالكراء جائز وما أصابت الجائحة من ذلك الثمر وان أصابته كله لم يوضع عن المتكاري قليل ولا كثير لان الثمرة تبع للكراء ولا يقع على الثمرة حصة من الكراء ومما يبين ذلك أن الرجل

يشتري العبد وله مال فيستثني ماله معه ولو لم يستثنه كان للبائع فيشتريه ويشترط ماله فيصاب مال العبد ثم يجد به عيباً أويستحق فيرجع المشتري بالثمن كله فيأخذه ولا يوضع عن البائع شئ لمال هذا العبد الذى تلف وهو مما لو لم يستثنه كان للبائع وفيه زيادة فى الثمن فلا يوضع عنه شئ فالثمرة بمنزلة مال العبد وكذلك سمعت مالكا يقول فى الثمرة وفى مال العبد

الرجل يشتري الزرع على أن يحصده ثم يشترى الارض بعد ذلك

﴿ قلت ﴾ أرأيت لو أني اشتريت زرعا لم يبد صلاحه على أن أحصده ثم اشتريت الارض أيجوز لى أن أدع الزرع حتى يبلغ (قال) ذلك جائز عندى ولم أسمعه من مالك ولكن مالكا قال فى الرجل يشتري النخل وفيه نخل قد أبر ولم يشترطه ثم اشتراه بعد ذلك فى صفقة أخرى على حدة قبل أن يزهى ويحل بيعه ان اشتراءه جائز فهذا يدلك على مسئلتك أنه جائزله أن يترك الزرع لان مالكا قال في الثمرة كل شئ كان يجوز لك أن تشتريه معه فلم تشتره في الصفقة معه ثم اشتريته بعد ذلك فى صفقة على حدة فذلك جائز كما يجوز لك أولا أن تستثنيه ﴿ قلت ﴾ فان أصابت هذه الثمرة جائحة أيقضى فيها بشئ أم لا (قال) لا يقضى فيها بشئ لان مالكا قال من اشترى النخل والثمرة فى صفقة واحدة فأصابت الثمرة جائحة فلا شئ على البائع ﴿ قلت ﴾ وان كانت بلحا أو بسراً أو رطبا أو تمراً يوم اشتراها مع النخل (قال) نعم لا جائحة فيها عند مالك لانه اشترى الاصل معها فكانت تبعا للاصل فكذلك الذي اشترى الاصل ثم اشترى الثمرة فلا جائحة فيها ﴿ قال سحنون ﴾ الجواب صحيح الا أن الحجة فيها أن البائع اذا باع الثمرة وقد بدا صلاحها في رؤس النخل ان عليه سقى النخل واذا باع النخل بأصولها وباع منه بعد ذلك ثمرتها انه لاسقى على البائع

﴿ في الذي يشتري ثمرة نخلة واحدة فتصيبها جائحة ﴾

﴿ قلت ﴾ أرأيت ان اشتريت ثمرة نخلة واحدة فأصابت الجائحة ثلث ما في هذه النخلة أيوضع عني شيء أم لا (قال) أرى أن يوضع عنك ان أصابت الجائحة ثلث ما في رأس النخلة من الثمرة

﴿ في الذي يعري حائطه كله ثم يأخذه بخرصه فتصيبه جائحة ﴾

﴿ قلت ﴾ أرأيت رجلا أعرى حائطا له رجلا فأخذ ذلك منه بخرصه فأصابته جائحة أيوضع عنه شيء أم لا (قال) قال مالك يوضع عنه مثل ما يوضع عنه في الشراء سواء

﴿ في السلف في حائط بعينه فتصيبه جائحة ﴾

﴿ قلت ﴾ أرأيت ان أسلمت في ثمرة حائط بعينه في ابان ثمرة ذلك الحائط فأصابت الحائط جائحة أتت على ثلث الحائط أيلزم المشتري شيء أم لا في قول مالك (قال) لا يلزم المشتري شيء ويكون حقه فيما بقي من الحائط ﴿ قلت ﴾ ولا ينتقض من السلم ثلثه لان ثمرة الحائط قد ذهبت الجائحة بثلثه (قال) نعم لا ينتقض من السلم شيء وسلمه فيما بقي من الحائط ﴿ قلت ﴾ وهذا قول مالك (قال) نعم هو قوله ﴿ قلت ﴾ ولو كنت اشتريت ثمرة هذا الحائط فأصابت الجائحة ثلثه أيوضع عني الثلث في قول مالك (قال) نعم ﴿ قلت ﴾ واذا أسلمت في ثمرة هذا الحائط أهو مخالف لشرائي ثمرة هذا الحائط في الجائحة (قال) نعم ﴿ قال سحنون ﴾ لان سلمك في الحائط انما هو اشتراء مكيلة منه معلومة بمنزلة مالو اشتريت أقساطا من خابية رجل

﴿ في الذي اشترى ثمرة نخل قبل أن يبدو صلاحها ثم تصيبها جائحة ﴾

﴿ قلت ﴾ أرأيت ان اشتريت ثمرة نخل قبل أن يبدو صلاحها على الترك فأصابتها جائحة كلها أو أقل من ثلثها بعد ما بدا صلاحها أيكون على المشتري شيء أم لا (قال) لا شيء على المشتري وهو من البائع وهذا قول مالك لانه لم يقبضه لموهي في رؤس النخل والبيع فاسد فهي من البائع ما لم يقبضها المتباع

﴿ في الرجل يشتري ثمر نخل قبل أن يبدو صلاحها
على أن يجدها من يومه فتصيبها الجائحة ﴾

﴿ قلت ﴾ أرأيت ان اشتريت ثمرة نخل قبل أن يبدو صلاحها على أن أجدها من يومي أو من الغد فأصابتها الجائحة قبل أن أجدها أيوضع عني للجائحة شيء أم لا وهل تكون هذه بمنزلة البقول أو الفاكهة الخضراء في قول مالك (قال) لم أسمع من مالك فيه شيئاً ولكني أرى أن يوضع عنه ان أصابت الجائحة الثلث فصاعداً ﴿ قلت ﴾ ولا تراه بمنزلة البقول (قال) لا أراه بمنزلة البقول ولكني أراه بمنزلة الثمار ﴿ قلت ﴾ وكذلك ان اشترى بلح الثمار كلها التين والاوز والجوز والجلوز والفستق على أن يجده قبل أن يطيب فأصابته الجائحة أيوضع عنه ان أصابت الجائحة الثلث فصاعداً وان لم تصب الثلث لم يوضع عنه شيء (قال) نعم

﴿ في جائحة الجراد والريح والجيش والنار وغير ذلك ﴾

﴿ قلت ﴾ أرأيت الجراد أهو جائحة في قول مالك أم لا (قال) الجراد جائحة عند مالك ﴿ قلت ﴾ وكذلك النار في قول مالك (قال) نعم ﴿ قلت ﴾ وكذلك البرد والمطر والطير الغالب تأتي فتأكل الثمرة والدود وعفن الثمار في رؤس الشجر والسموم تصيب الثمرة والعطش يصيب الثمرة من انقطاع مائها أو السماء احتبست عن الثمرة حتى ماتت أترى هذا من الجوائح (قال) قال مالك في الماء اذا انقطع عن الثمرة ماء العيون وضع عن المشتري ماذهب من الثمرة من قبل الماء قليلا كان أو كثيراً وما بقي فهو للمشتري مما يصيبه من الثمن لان البائع حين باع الثمرة انما باعها على الماء فكل ما أصيب من قبل الماء فانما سببه من قبل البائع ولا يشبه الماء سواه من الجوائح ﴿ قلت ﴾ وماء السماء اذا انقطع عن الثمرة أهو عند مالك بمنزلة ماء العيون (قال) لم أسمع من مالك في ماء المطر شيئاً الا أنه قال ما كان من فساد الثمرة من قبل العطش من الماء وضع عن المشتري قليلا كان أو كثيراً فأرى ماء السماء وماء العيون سواء اذا

كان اذا حباها سقيها (قال) وأما ما سألت عنه من عفن الثمرة والندر والبرد والغرق وما سألت عنه كله فان ذلك جائحة من الجوائح توضع عن المشترى ان أصاب الثلث فصاعداً (قال) وهو رأيي في جميع ما سألت عنه ﴿قال﴾ وقال مالك في الجيش يمرون بالنخل فيأخذون ثمرته (قال) هو جائحة من الجوائح ﴿قال ابن القاسم﴾ ولو أن سارقا سرقها كانت جائحة أيضاً في رأيي (قال ابن نافع) ليس السارق بجائحة

﴿في جائحة الحائط المساقى﴾

﴿قلت﴾ أرأيت ان دفعت نخلا الى رجل مساقاة فلما عمل أصابت الثمرة جائحة برد أو جراد أو ريح فأسقطته ما تقول في ذلك وهل سمعت من مالك فيه شيئاً (قال) سألت مالكا عن ذلك فقال أراه جائحة توضع عنه (وذكر) سعد بن عبد الله عن مالك قال اذا كان الذي أصابه أقل من الثلث لم يوضع عنه سقي شئ من الحائط ولزمه عمل الحائط كله واذا أصاب الثلث فصاعداً كان بالخيار ان شاء ساقى الحائط كله وان شاء وضع عنه سقي الحائط كله ولقد تكلم به مالك وأنا عنده قاعد فلم أحفظ تفسيره وكان سعد أقرب اليه مني فأخبرني به سعد

﴿الرجل يكترى الارض وفيها النخل فتصيبها جائحة﴾

﴿قلت﴾ أرأيت اذا اكتريت أرضاً بيضاء وفيها سواد فاشترطت السواد أيكون ذلك جائزاً (قال) قال مالك نعم اذا كان السواد الثلث فأدنى فاكترى الارض واشترط السواد فأثمر السواد فأصابته جائحة أتت على جميع الثمرة أيوضع للمتكارى شئ أم لا في قول مالك (قال) قال مالك لا يوضع عنه شئ للجائحة لأن السواد انما كان ملغى وكان تبعا للارض ﴿قلت﴾ وكذلك الدار أيضاً يكتريها الرجل وفيها نخلات يسيرة فاشترطها المتكاري فأصابت الثمرة جائحة انه لا يوضع للمتكاري شئ من الكراء للذي أصابته الجائحة من الثمرة (قال) نعم كذلك قال مالك ﴿قلت﴾ أرأيت ما سألتك عنه من الرجل الذي اكترى الدار فاستثنى النخل وذلك جائز لأن النخل

أقل من الثلث فأثمرت النخل فأصابت الثمرة جائحة أيوضع عنه لذلك شئ من الكراء في قول مالك (قال) نعم لا يوضع عنه للجائحة من الكراء قليل ولا كثير ﴿قلت﴾ وهذا قول مالك (قال) نعم كذلك قال مالك ﴿قلت﴾ ولم لا توضع عنه الجائحة وقد وقع الكراء على ثمرة النخل وعلى كراء الدار (قال) لان ثمرة النخل لم يقع عليها من الكراء شئ وان اشترطت وانما هي تبع للدار وهي تشترط وليس فيها ثمر فيجوز فهذا يدلك على انها لغو ﴿قلت﴾ أرأيت ان اكتريت داراً وفيها نخل كثيرة وليس النخل تبعا للدار فاكتريت الدار واشترطت ما في رؤس النخل من الثمر (قال) ان كان ما في رؤس النخل من الثمر قد طاب للبيع فذلك جائز وان كان ما في رؤس النخل لم يحل بيعه فلا يجوز ذلك والكراء باطل ﴿قلت﴾ فان كان ما في رؤس النخل قد حل بيعه فاكتريت الدار واشترطت ما في رؤس النخل (قال) ذلك جائز ﴿قلت﴾ فان أصابت الثمرة التي في رؤس النخل جائحة وأصابت الجائحة ثلث ثمرة النخل فصاعداً (قال) يوضع ذلك عن المتكاري الذي اشترط ثمرة النخل ﴿قلت﴾ وكيف يوضع ذلك عن المتكاري (قال) ينظر الى قيمة ثمرة النخل يوم اكتري الدار والى مثل كراء الدار ثم يقسم الثمن على ذلك فما أصاب الثمرة من ذلك فهو ثمن للثمرة فان أصابت الجائحة ثلث الثمرة وضع عنه ثلث الثمن من حصة ما أصاب الثمرة من جميع ما نقد المتكارى وان أصابت الجائحة أقل من الثلث لم يوضع عنه من ذلك قليل ولا كثير

﴿تم كتاب الجوائح والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي﴾
﴿الأمي وعلى آله وصحبه وسلم﴾

﴿ويليه كتاب الشركة﴾

نفح الطيب

من

غصن الأندلس الرطيب

تأليف

الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني

حققه

الدكتور احسان عباس

دار صادر

بيروت

مبرج يعرف بوادى عذراء ، وهو محدق بالأزهار والأشجار ، وتسمى برجة بهجة لبهجة منظرها ، وفيها يقول أبو الفضل بن شرف القيروانى رحمه الله تعالى :

رياضٌ تعشّقَها سندس ... توشّتْ معاطفُها بالزَّهَرْ
مدامِعُها فوق خدّىْ رُبًا ... لها نَظْرَة فتَنَتْ مَنْ نَظَرْ
وكُلُّ مكان بها جَنّة ... وكُلُّ طريق إليها سَقَرْ

وفيها أيضاً قوله :

حُطَّ الرحالَ ببرجَهْ ... وارْتَدْ لنفسك بَهْجَهْ
فى قَلْعَة كسلاحٍ ... ودَوْحَة مثل لُجَّهْ
فَحِصْنُهَا لك أمْنٌ ... ورَوْضُهَا لك فُرْجَهْ
كل البلاد سواها ... كعُمْرَة وهى حَجَّهْ

وبمالقة التينُ الذي يضرب المثل بحسنه ، ويجلب حتى للهند والصين ، وقيل : إنه ليس فى الدنيا مثله ، وفيه يقول أبو الحجاج يوسف ابن الشيخ البلَوى المالقى حسبما أنشده غير واحد منهم ابن سعيد :

مالقة حُيِّيتِ يا تينَهَا ... الفُلْكُ من أجلك يأتينها
نَهَى طبيبى عنه فى عِلَّتى ... ما لِطبيبى عن حَيَاتى نَهَى

وذيل عليه الإمام الخطيبُ أبو محمد عبد الوهاب المنشى بقوله :

وحِمْصُ لا تَنْسَ لها تينَهَا ... واذكر مع التين زَيَاتِينَهَا

وفى بعض النسخ :

لا تنسَ لإشبيليَّةٍ تينَهَا ... واذكر مع التين زَيَاتينها

وهو نحو الأول ، لأن حمص هى إشبيلية ، لنزول أهل حمص من المشرق بها ، حسبما سنذكره .

ونسب ابن جُزَى فى ترتيبه لرحلة ابن بَطُّوطة البيتين الأولين للخطيب أبى محمد عبدالوهاب المالقى ، والتذييل لقاضى الجماعة أبى عبدالله بن عبدالملك ، فالله أعلم .

مدينة مالقة ووصفها

وقال ابن بطوطة : وبمالقة يصنع الفخّار المذهب العجيب ، ويُجلب منها إلى أقصى البلاد ، ومسجدها كبير الساحة ، كثير البركة ، شهيرها ، وصحنه لا نظير له فى الحسن ، وفيه أشجار النارنج البديعة ، انتهى .

وقال قبله : إن مالقة[1] إحدى قواعد الأندلس ، وبلادها الحسان ، جامعة بين مرافق البر والبحر ، كثيرة الخيرات والفواكه ، رأيت العنب يباع فى أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير ، ورمّانها المرسى الياقوتى لا نظير له فى الدنيا ، وأما التين واللوز فيجلبان منها ومن أحوازها إلى بلاد المشرق والمغرب ، انتهى .

وبكورة أشبونة المتصلة بشَنْتَرين معدن التبر ، وفيها عسل يجعل فى كيس كتان فلا يكون له رطوبة كأنه سكر ، ويوجد فى ريفها العنبر الذى لا يشبهه إلا الشِّحْرى .

مدينة قرطبة ووصفها ومشاهدها

ومن أشهر مدن الأندلس مدينة قرطبة[2] ـ أعادها الله تعالى للإسلام ! ـ وبها الجامع المشهور ، والقنطرة المعروفة بالجسر .

وقد ذكر ابن حيان أنه بنى على أمر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ،

(١) مالقة ـ بفتح اللام والقاف ـ مدينة عامرة من مدن الأندلس ، سورها على شاطىء البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية ، وقال الحميدى : هى على ساحل بحر المجاز المعروف بالزقاق ، والقولان متقاربان ، وأصل وضعها قديم ، ثم عمرت بعد ، وكثر قصد المراكب والتجار إليها فتضاعفت عمارتها حتى صارت أرشذونة وغيرها من بلدان هذه الكورة كالبادية لها .

(٢) قرطبة ـ بضم القاف وسكون الراء وضم الطاء وفتح الباء مخففة ـ مدينة عظيمة وسط بلاد الأندلس ، وكانت سريرا لملكها وقصبتها ، وبها كانت ملوك بنى أمية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقع ، وبينها وبين البحر خمسة أيام ، وهى حصينة بسور من حجارة ، ولها بابان مشروعان فى نفس السور إلى طريق الوادى من الرصافة ، والرصافة مساكن أعالى البلد متصلة بأسافله من ربضها وأبنيتها مشتبكة محيطه من شرقيها وغربيها وشمالها وجنوبها .

ذكر بعض حاصلات الأندلس ومعادنها

بشذونة ، درهم منها يعْدِل دراهم من المجلوبة ، وأطيب القرمز قرمز الأندلس ، وأكثر ما يكون بنواحي إشبيلية ولَبْلة وشذونة وبَلَنْسية ، ومن الأندلس يحمل إلى الآفاق ، وبناحيـة لورَقَة من عمـل تُدْمير يكون حجر اللازَوَرْد الجيد ، وقد يوجد في غيرها ، وعلى مقربة من حضرة لُورَقَة من عمل قُرْطُبة معدن البلور، وقد يوجد بجبل شحيران وهو شرقي بيرة ، وحجر البجادي يوجد بناحية مدينة الأشبونة في جبل هنالك يتلألأ فيه ليلا كالسراج ، والياقوت الأحمر يوجد بناحية حصن منت ميور من كورة مالَقَة إلا أنه دقيق جدا لا يصلح للاستعمال لصغره ، ويوجد حجر يشبه الياقوت الأحمر بناحيـة بَجّانة في خندق يعرف بقرية ناشرة أشكالا مختلفة كأنه مصبوغ ، حَسَن اللون ، صَبُور على النار ، وحجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد في كورة تُدْمير ، وحجر الشادنة بجبال قرطبـة كثير ، ويستعمل ذلك في التذاهيب ، وحجر اليهودي في ناحيـة حصن البونت ، وهو أنفع شيء للحَصَاة ، وحجر المرقشيتا الذهبية في جبال أُبَّدَة لا نظير لها في الدنيا ، ومن الأندلس تحمل إلى جميع الآفاق لفضلها ، والمغنيسيا بالأندلس كثير . وكذلك حجر الطَّلْق ، ويوجد حجر اللؤلؤ بمدينة بَرْشَلُونَة إلا أنه جامد اللون ، ويوجد المرجان بساحل بَيْرة من عمل المَرِيّة ، ما لقط منه في أقل من شهر نحو ثمانين ربعا ، ومعدن الذهب بنهر لاردة يُجمع منـه كثير ، ويجمع أيضا في ساحل الأشبونة ، ومعادن الفضة في الأندلس كثيرة في كورة تُدْمير وجبال بَجّة ببَجّانة ، وبإقليم كرتش من عمل قرطبة معدن فضة جليل ، وبأشكونية معدن القصدير الذي لا مثيل له يشبه الفضة ، وله معادن بناحية إفرنجة وليون ، ومعدن الزئبق في جبل البرانس ، ومن هنالك يتجهز به إلى الآفاق ، ومعادن الكبريت الأحمر والأصفر بالأندلس كثيرة ، ومعدن التوتيا الطيبة بساحل البيرة بقرية تسمى بَطَرْنَة ، وهي أزكى توتيا وأقواها في صبغ النحاس ، وبجبال قرطبـة توتيا ، وليست كالبطرنية ، ومعدن الكحل المشبه بالأصفهاني بناحية مدينة طُرْطُوشة يحمل منها إلى جميع البلاد ، ومعادن الشبوب

والحديد والنحاس بالأندلس أكثر من أن تحصى ، وما ذكرت هنا وإن تكرر بعضه مع ما سبق أو يأتي فيه لجمع النظائر . وما لم نذكره أكثر . والله تعالى أعلم .

من خواص طليطلة

ومن خواص طليطلة : أن حنطتها لا تتغير ولا تسوس على طول السنين ، يتوارثها الخلف عن السلف ، وزعفران طليطلة هو الذي يعم البـلاد ويتجهز به الرفاق إلى الآفاق ، وكذلك الصبغ السماوي ، انتهى .

المسعودي يذكر بعض حاصلات الأندلس ومعادنها .

وقال المسعودي في « مروج الذهب » بعد كلام ما نصه : والعنبر كثير ببحر الأندلس ، يجهز إلى مصر وغيرها ، ويحمل إلى قرطبة من ساحل لها يقال له شنترين وشذونة ، تبلغ الأوقية منه بالأندلس ثلاثة مثاقيل ذهبا ، والأوقية بالبغدادي وتباع بمصر أوقيته بعشرين دينارا ، وهو عنبر جيد ، ويمكن أن يكون هذا العنبر الواقع إلى بحر الروم ضربته الأمواج من بحر الأندلس إلى هـذا البحر لاتصال الماء ، وبالأندلس معدن عظيم للفضة ، ومعدن للزئبق ليس بالجيد يجهز إلى سائر بلاد الإسلام والكفر ، وكذلك يحمل من بلاد الأندلس الزعفران وعروق الزنجبيل ، وأصول الطيب خمسة أصناف : المسك ، والكافور ، والعود ، والعنبر، والزعفران، وكلها تحمل من أرض الهند وما اتصل بها إلا الزعفران والعنبر . انتهى ، وهو وإن تكرر مع ما ذكرته عن غيره فلا يخلو من فائدة . والله تعالى أعلم .

وذكر البعض أن في بلاد الأندلس جميع المعادن الكائنات عن النيرات السبعة وهي : الرصاص من زحل ، والقصدير الأبيض من المشترى ، والحديد من قسم المريخ ، والذهب من قسم الشمس ، والنحاس من الزهرة ، والزئبق من عُطَارِد ، والفضة من القمر .

وصف أهل الأندلس

وذكر الكاتب إبراهيم بن القاسم القَرَوي المعروف بالرقيق بَلَدَ الأندلس ، فقال : أهله أصحاب جهاد متصل يحاربون من أهل الشرك المحيطين بهم أمة يدعون الجلالقة يُتَاخمون حَوْزهم ما بين غرب إلى شرق ، قوم لهم شدة ولهم جمال وحسن وجوه ، فأكثر رقيقهم الموصوفين بالجمال والفراهة منهم ليس بينهم وبينهم

عندهم كالمتوارَثَة فى البيوت المعلومة لذلك ، إلى أن كانت ملوكُ الطوائف ، فكان الملكُ منهم ـ لعظم اسم الحاجب فى الدولة المَرْوانية ، وأنه كان نائبا عن خليفتهم ـ يسمى بالحاجب ، ويرى أن هذه السمة[1] أعظم ما تنوفس فيه وظفر به ، وهى موجودة فى أمداح شعرائهم وتواريخهم ، وصار اسم الوزارة عاما لكل من يُجَالس الملوكَ ويختص بهم ، وصار الوزير الذى ينوب عن الملك يعرف بذى الوزارتين ، وأكثر ما يكون فاضلا فى علم الأدب ، وقد لا يكون كذلك ، بل عالما بأمور الملك خاصة .

قاعدة الكتابة بالأندلس

وأما الكتابة فهى على ضربين: أعلاهما : كاتب الرسائل ، وله حظ فى القلوب والعيون عند أهل الأندلس ، وأشرف أسمائه الكاتب ، وبهذه السِّمة[1] يخصه من يعظمه فى رسالة ، وأهلُ الأندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السِّمة[1] ، لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة ، فإن كان ناقصاً عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن فى المحافل والطَّعْن عليه وعلى صاحبه . والكاتبُ الآخر كاتب الزمام، هكذا يعرفون كاتب الجهبذة[2] ، ولا يكون بالأندلس وبرّ العدوة لا نصرانياً ولا يهوديا البتة ، إذ هذا الشغل نبيه[3] يحتاج إلى صاحبه عظماء الناس ووجوههم

صاحب الخراج بالأندلس

وصاحبُ الأشغال الخراجية فى الأندلس أعظمُ من الوزير ، وأكثر أتباعا وأصحاباً وأجْدَى منفعةً ، فإليه تميلُ الأعناق ، ونحوه تمد الأكف ، والأعمال مضبوطة بالشهود والنظار ، ومع هذا إن تأثَّلَتْ حالته واغتر بكثرة البناء والاكتساب

---

(١) السمة ـ بكسر السين ـ العلامة والصفة ، والفعل وسم يسم مثل وصف يصف ، وسما وسمة كوصف وصفة

(٢) الجهبذ ـ بزنة جعفر أو زبرج ـ الناقد العارف بتمييز الجيد من الردى ، وجمعه جهابذة ، وهو معرب عن الفارسية ، وفارسيته كهبذ ، ويجمع الجهبذ على جهابذة ، والجهبذة : مصدر ذلك (٣) نبيه : رفيع القدر عالى الشأن

نُكِب وصُودر ، وهذا راجع إلى تقلب الأحوال وكيفية السلطان .

خطة القضاء بالأندلس

وأما خُطَّة القضاء بالأندلس فهى أعظم الخطط عند الخاصة والعامة ، لتعلقها بأمور الدين ، وكون السلطان لو توجَّه عليه حكم حَضَر بين يدى القاضى ، هذا وصفُها فى زمان بنى أمية ، ومن سلك مسالكهم ، ولا سبيل أن يَتَّسم بهذه السِّمة إلا مَنْ هو والٍ للحكم الشرعى فى مدينة جليلة ، وإن كانت صغيرة فلا يُطْلَق على حاكمها إلا مسدّد، خاصة ، وقاضى القضاة يقال له : قاضى القضاة ، وقاضى الجماعة .

خطة الشرطة بالأندلس

وأما خطة الشُّرْطة بالأندلس فإنها مضبوطة إلى الآن ، معروفة بهذه السِّمة ، ويعرف صاحبها فى ألسن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل ، وإذا كان عظيم القدر عند السلطان كان له القتل لمن وجب عليه دون استئذان السلطان ، وذلك قليل ، ولا يكون إلا فى حضرة السلطان الأعظم ، وهو الذى يحدّ على الزنا وشرب الخمر ، وكثير من الأمور الشرعية راجع إليه ، قد صارت تلك عادة تقرر عليها رضا القاضى ، وكانت خطة القاضى أوقر وأتقى عندهم من ذلك .

خطة الحسبة بالأندلس

وأما خطة الاحتساب فإنها عندهم موضوعة فى أهل العلم والفِطَن ، وكأن صاحبها قاض ، والعادة فيه أن يمشى بنفسه راكباً على الأسواق ، وأعوانُه معه ، وميزانُه الذى يزن به الخبز فى يد أحد الأعوان ، لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم ، وكذلك اللحم ، وفى ذلك من المصلحة أن يرسل المبتاع الصبيّ الصغير أو الجارية الرعْنَاء فيستويان فيما يأتيانه به من السوق مع الحاذق فى معرفة الأوزان ، وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره ، ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حَدَّ له المحتسب فى الورقة ، ولا يكاد تخفى خيانته ، فإن المحتسب يدسّ عليه صبياً أو جارية يبتاع أحدهما منه ، ثم يختبر الوزنَ المحتسبُ ، فإن وجد نقصاً قاس على ذلك حالَه مع الناس ، فلا تسأل عما يلقى ، وإن كثر

وضاقت عن أخباره المهارق، وجنت الفائدة، وظهر على الذخيرة التي منها المائدة[١].
ثم استرسل المُهَبّ، ونصر الرب، ويكثر الطير حين ينتثر الحب[٢] وصرفت أشراف
الشام أعِنّتها إلى التماس خيره، وطارت بأجنحة العزائم تيمناً بطَيْره، وقصدته
الطلائع صحبة بلج بن بشر وغيره، ففتحت الأقفال، ونفلت الأنفال، ونجح
الفأل، ووُسمت الأغفال، وافتتحت البلاد الشهيرة، وانتقيت العذارى الخيِّرة،
واقتنيت الذخيرة، وتجاوز الإسلام الدروب وتخطّى، وخضد الأرطى، وأركب
وأمطى، واستوثق واستوطا، وتثاءب وتمطّى، حتى تعدّدت مراحل البريد،
وسَخِنت عين الشيطان المَريد، واستوسق للإسلام ملكٌ ضَخْمُ السُّرادق، مرهوب
البوارق، رفيع العَمَد، بعيد الأمَد، تشهد بذلك الآثار والأخبار، والوقائع الكبار،
والأوداق والأمطار، وهل يخفى النهار؟ ولكل هُبوب رُكود، والدهر حَسود
لمن يَسُود، فراجعت الفرنج كرّتها، واستدركت مَعَرَّتها، فدوّمت جوارحها
وحَلَّقَتْ، وأومضت بوارقها وتألقت، وتشبثت وتعلقت، وأرسلت الأعِنّة وأطلقت،
وراجعت العقائلَ التي طَلَّقَتْ، حتى لم يبق من الكتاب إلا الحاشية، ولا من
الليل إلا الناشِيَة، وسقطت الغاشية، وأخارت الفئة المتلاشية، وتقلّصت الظلال
الماشية، إلا أن الله تدارك بقوم رُجّح من سَلَفنا أثبتوا في مستنقع الحرب أقدامهم،
وأخلصوا لله بأسهم وإقدامهم، ووَصَلوا سيوفهم البارقة بخُطَاهم[٣]، وأعطاهم منشور
العز من أعطاهم، حين تعين الدين وتحيز، واشتد بالمدافعة وتميز، وعادت الحروب
سِجَالا، وعلم الروم أن لله رجالا، وقد أوفد جدّنا ـ رضي الله عنه ـ على أبواب
سلفكم من وقائعه في العدو كل مُبَشِّرة، ووجوه به مُستَبْشِرة، ضحكت لها ثغور
الثغور، وسَرَتْ بها في الأعطاف حُمَيّا السرور، وكانت المراجعة عنها شفاء

(١) أراد مائدة سليمان التي غنمها المسلمون حين الفتح وقد تقدم ذكرها مرارا
(٢) أخذ هذا من قول شيخ المحدثين بشار بن برد :
يسقط الطير حيث ينتثر الحـ ... ب وتغشى منازل الكرماء
(٣) أخذ هذا من قول الأنصاري :
نصل السيوف إذا قصرن بخطونا ... قدما، ونلحقها إذا لم تلحق

للصدور، وتمائم[١] في دُرَرِ النحور، وخَفَرًا في وجوه البدور[٢]، فإن ذمام الإسلام
موصول[٣]، وفروعه تجمعها في الله أصول، وما أقرب الحَزْن ممن داره صُول[٤]، والملّة
ـ والمنّة لله ـ واحدة، والنفوس لا منكرة للحق ولا جاحِدَة، والأقدار معروفة، والآمال
إلى ما يوصّل إلى الله مصروفة، فإذا لم يكن الاستدعاء، أمكن الدعاء، والخواطر
فعّالة، والكل على الله عَالَة، والدين غريب والغريب يحن إلى أهله، والمرء
كثير بأخيه على بعد محله[٥]

انتهى المقصود من المخاطبة مما يتعلق بهذا الباب، والله الموفق للصواب.

(١) التمائم : جمع تميمة، وهي في الأصل خرزة تنظم في خيط ثم تعلق في العنق، وأراد بها كل عوذة يقصد بها دفع العين، والنحور : الأعناق، واحدها نحر.
(٢) الخفر ــ بفتح الخاء والفاء جميعاً ــ الحياء، أو أشده، ومن أخذه الحياء احمر وجهه، فهذا هو ما أراده من وجود الخفر في الوجوه.
(٣) الذمام ــ بكسر الذال، بزنة الكتاب ــ العهد والحرمة.
(٤) أخذ هذا من قول حندج بن حندج المري، وهو أحد شعراء الحماسة :
ما أقدر الله أن يدني على شحط ... من داره الحزن ممن داره صول
(٥) أخذ هذا من قولهم «المرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه»

زِحَامٌ وضيق وكَرْبٌ وما   تثير بها أرْجُلٌ سائره

وعند ما يُقْبِل المسافر عليها يرى سوراً أسود كدراً ، وجوّا مغبراً ، فتنقبض نفسه، ويفر أنسه ، وأحسن موضع فى ظواهرها للفرجة أرض الطبالة ، لاسيما أرض القرط والكتان ، وقلت :

سقى الله أرضاً كلما زُرْتُ رَوْضَها   كَساَها وحَلاّها بِزِينَتِهِ القرط[2]

تَجَلَّتْ عَرُوساً والمياه عُقُودُهَا   وفى كل قطر من جوانبها قرط

وفيها خليج لايزال يضعف بين حضرتها حتى يصير كما قال الرصافى :

ما زالت الأمْحَالُ تأخذه   حتى غدَا كَذُؤابة النَّجْمِ

وقلت فى نوّار الكتان[2] على جانبى الخليج :

أُنظر إلى النهر والكتان يَرْمُقُه   من جانبيه بأجفانٍ لها حَدَقُ

رأته سَيْفاً عليه للصَّبا شُطَبٌ   فقابلته بأحداق بها أَرَقُ

وأصْبَحَتْ فى يد الأرواح تَنْسجُهَا   حتى غَدَتْ حلقاً من فوقها حلق

فلم تزرها ووَجْهُ الأرض مُصْطَبح   أو عندَ صَفْوته إن كنت تغتبق

بركة الفيل فى ظاهر القاهرة

وأعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل ، لأنها دائرة كالبدر ، والمناظر فوقها كالنجوم ، وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل ، وتُسْرِجُ أصحابُ المناظر على قدر همتهم وقدرتهم ، فيكون لها بذلك منظر عجيب ، وفى ذلك قيل :

أُنظر إلى بِرْكَةِ الفِيلِ التى اكْتَنَفَتْ   بها المَنَاظِرُ كالأهداب للبَصَرِ

كأنما هى والأبْصَارُ تَرْمُقُهَا   كواكبٌ قد أدارُوهَا على القَمَرِ

ونظرت إليها وقد قابلتها الشمس بالغُدْوَة[3] فقلت :

أُنظر إلى بركة الفيل التى فَجَرَتْ   لَهَا الغزالة فَجْراً من مَطَالعها[4]

وخَلِّ طَرْفَكَ مجنُوناً ببهجتها   يَهِيمُ وَجْدًا وحُبًّا فى بَدَائعها

(١) في ب « وحلاها بمنظره القرط »
(٢) فى ا « نور الكتان »   (٣) فى ا « بالغدو »
(٤) فجرت ـ بفتح الجيم مخففة ـ شقت ، والغزالة : الشمس

والفسطاط أكثر أرزاقاً ، وأرخص أسعاراً من القاهرة، لقرب النيل من الفسطاط ، والمراكب التى تصل بالخيرات تحط هناك ، ويباع ما يصل فيها بالقرب منها ، وليس يتفق ذلك فى ساحل القاهرة ، لأنه يبعد عن المدينة ، والقاهرة هى أكثر عمارة واحتراماً وحشمة من الفسطاط ، لأنها أجَلُّ مدارس ، وأضخم خاناتٍ ، وأعظم ديارا لسكنى الأمراء فيها ، لأنها المخصوصة بالسلطنة ، لقرب قلعة الجبل منها ، فأمور السلطنة كلها فيها أيسر ، وأكثر ، وبها الطراز[1] وسائر الأشياء التى يتزين بها الرجال والنساء ، إلا أن فى هذا الوقت لما اعتنى السلطان ببناء قلعة الجزيرة التى أمام الفسطاط وصيرها سرير السلطنة عَظُمَت عمارة الفسطاط ، وانتقل إليها كثير من الأمراء ، وضخمت أسواقها ، وبنى فيها السلطان أمام الجسر الذى للجزيرة قَيْسَارِيَة عظيمة ، فنقل إليها من القاهرة سوقَ الأجناد التى يُبَاع فيها الفِرَاء والجوخ وما أشبه ذلك .

إلى أن قال : وهى الآن عظيمة آهلة، يُجْبَى إليها من الشرق والغوب والجنوب والشمال مالا يحيط بجملته وتفسيره إلا خالق الكل جلّ وعلا ، وهى مستحسنة للفقير الذى لا يخاف طلب زكاة ولا ترسيما[2] ولا عذاباً ، ولا يطالب برفيق له إذا مات ، فيقال له : ترك عندك مالا ، فربما سجن فى شأنه أو ضرب أو عصر ، والفقير المجرد فيها يستريح بجهة رخص الخبز وكثرته ، ووجود السماع[3] والفرج فى ظواهرها ودَوَاخلها[4] ، وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب إليه نفسه ، يحكم فيها كيف شاء من رقص فى وسط السوق أو تجريد أو سكر من حشيشة أو صحبة مُرْدَان وما أشبه ذلك ، ، بخلاف غيرها من بلاد المغرب ، وسائر الفقراء لا يتعرضون إليهم بالقبض للأسطول إلا المغاربة ، فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة [الحرب] والبحر،

(١) أراد دار الطراز ، وهى الدار التى تنسج فيها ثياب السلاطين والأمراء
(٢) الترسيم : وضع المشكوك فى سيره أو المشكوك فى ولائه للحاكم تحت المراقبة
(٣) فى ا « ووجود السماعات » وأراد الأغانى
(٤) فى ب « وداخلها »

الدارس في تاريخ المدارس

تأليف

عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي

المتوفى ٩٢٧

١٩٨٨

تحقيق

جعفر الحسني

عضو المجمع العلمي العربي

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

١٤ ميدان العتبة . ت : ٩٢٢٦٢٠

عنده القضاة والأعيان ، وانصرفوا [من] عنده إلى عنــد ابن أخيه صلاح الدين بالجوهرية ، فدرس بها عوضاً عن عمّه شمس الدين الرقي (١) نزل له عنها انتهى . ورأيت بخط الحافظ علم الدين البرزالي في تاريخه سنة ثلاثين المذكورة : وفي يوم الأحد سادس عشر شهر رجب الفرد ذكر الدرس الشيخ شهاب الدين أحمد بن قاضي الحصن الحنفي بجامع دمشق بمحراب الحنفية الجديد ، وهذه الوظيفة أنشأها القاضي فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة بمحورتها بالمكان المذكور تقبل الله منه ، وحضر القضاة والأعيان وانصرفوا من درسه إلى درس ابن أخيه الفقيه صلاح الدين ، ولد شمس الدين بن قاضي الحصن بالمدرسة الجوهرية فانه وليها مكان عمّه الشيخ شمس [الدين] الرقي بمقتضى نزوله له عنها ، وكان الشيخ شهاب الدين المذكور قدم من الديار المصرية هو وأخوه قبل ذلك بأيام من زيارة أخيهم قاضي القضاة برهان الدين الحنفي الحاكم بالديار المصرية ، بعد المثول بالأبواب السلطانية والانعام عليهم وتشريفهم بالخلع انتهى . ثم ولي تدريسها الشيخ شرف الدين أبو محمد نعمان ابن الشيخ فخر الدين بن جمال الدين يوسف الحنفي (٢) . قال الأسدي في شعبان سنة عشرين من ذيله لتاريخ شيخه : مولده سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، هكذا أخبر به وأنا أسمع ، وكان والده من أهل العلم فأخذ عنه ، وقدم دمشق وسكن المدرسة النورية ، ثم بعد الفتنة ولي مشيخة الخانقاه الحسامية وسكنها ، وتزوج بعد الفتنة ، وكان قد تكلم فيه بسبب العزوبية ، ودرس بالمدرسة العزّية البرانية ، وله تصدير بالجامع الأموي للاشتغال ، وولي الخدمة بالخانقاه السميساطية في سنة خمس عشرة ، وكان له مشاركة في النحو والأصول وبعض العلوم العقلية ، لكنه قاصر (٣) في الفقه ، وكان كذلك في الفتاوى .

شرف الدين ابن فخر الدين ٧٤٣ ـ ٨٢٠

(١) في نص ابن كثير : « ابن الزكي » .
(٢) ترجمه في الضوء والشذرات .
(٣) في الضوء والشذرات : « وكان ماهراً في الفقه » .

وفي يوم الأربعاء عاشر الشهر بالمارستان النوري عن سبع وسبعين سنة ، وصلي عليه بالجامع الأموي ، ودفن بمقابر الصوفية ، وحضر جنازته القاضي الحنفي وبعض الفقهاء ، وولي عوضه تدريس الجوهرية ومشيخة الحسامية وبعض التصدير ابنُ عوض بنزول قديم كان معه ، ونصف تدريس العزية ونصف الخدامة والامامة بالخانقاه المذكورة ، وهو الذي كان بيد شهاب الدين ابن الفصيح (١) ، وليس بأهل للتدريس بوجه من الوجوه انتهى . وسيأتي ذكر شهاب الدين هذا بالعزية إن شاء الله تعالى .

١٠٠ ـ المدرسة الحاجبية (٢)

والخانقاه بها ، قبلي المدرسة العمرية بصالحية دمشق ، أنشأها الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير مبارك الابنالي (٣) دوادار سودون النوروزي (٤) ، كان قد توجه في حياة مخدومه هذا إلى مصر ، فبعد توجهه بثلاثة أيام مات مخدومه سودون المذكور ، وكان صحبته منه للسلطان تقدمة كثيرة ، ثم عاد إلى دمشق وقد استقر حاجباً صغيراً بها وأمير التركمان ، وشرع في تجهيز الأغنام الشامية إلى مصر ، ثم خرج إلى البلاد الشمالية واستخرج عدد الأغنام ، فكانت عدة ستة عشر ألف رأس غنم ، واشترى نائب القلعة سودون عدة عشرين ألف رأس غنم ، وجهزاها إلى مصر ففتحت عيون المصريين إلى حضور الغنم إليهم ، فصارت سنة قبيحة ، وكانت العادة أن أعداد الأغنام تذبح وتباع بدمشق ، فحصل للناس بسبب ذلك غلاء في اللحم حتى صار الرطل يباع بستة دراهم . /وفي سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة استقر في نيابة البيرة ، واستهلت سنة سبع وخمسين وهو الحاجب الكبير بدمشق . وفي ثاني عشرين جمادى الأولى منها عزل عنها ، وفي

ناصر الدين ابن مبارك ٨١٠ ـ ٨٧٩

(١) أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد الهمداني ، مات سنة ٨٢٨ ، ترجمه في الضوء .
(٢) مخطط الشيخ دهمان رقم (٤١) ، دوشت .
(٣) (٨١٠ ـ ٨٧٩) ، ترجمه في الضوء .
(٤) مات في حدود سنة ٨٣٠ ، ترجمه في الضوء .

السيرة النورية : وسار نور الدين إلى حارم فملكها وغنم ما كان فيها من الأموال والخيل والسلاح والخيام وغير ذلك ، وعاد إلى حلب بالأسارى والغنائم ، وامتلأت حلب منهم ، وبيع الأسير بدينار ، وفرقهم نور الدين على العساكر ، وأعطى أخاه وصاحب الحصن من الأموال العظيمة والتحف الكثيرة وعادوا إلى بلادهم . قال الكتبي : وفادى نور الدين الملوك ، وكان قد استفتى الفقهاء ، فقال قوم يقتل الجميع ، وقال قوم يفاديهم ، فمال إلى الفداء ، فأخذ منهم ستمائة ألف دينار معجلة وخيلاً وسلاحاً وغير ذلك ، وكان نور الدين يحلف بالله تعالى أن جميع ما بناه من المدارس والأوقاف والربط وغيرها من هذه المفاداة ، وجميع وقفه منها وليس فيها من بيت المال الدرهم الفرد انتهى . قال صاحب الروضتين : وبلغني أن نور الدين لما التقى الجمعان أو قبيله (1) انفرد تحت تل حارم وسجد لربه عز وجل ومرغ وجهه وتضرع وقال : يارب هؤلاء عبيدك وهم أولياؤك ، وهؤلاء عبيدك [هم] أعداؤك ، فانصر أولياءك على أعدائك ، ايش (2) فضول محمود في الوسط : يشير إلى أنك يا رب إن نصرت المسلمين فدينك نصرت ، فلا تمنعهم النصر بسبب محمود إن كان غير مستحق للنصر . قال : وقد بلغني أنه قال : [اللهم] (3) انصر دينك ولا تنصر محمود ؟ ومن هو محمود الكلب حتى ينصر انتهى . وكانت هذه الوقعة في سنة تسع وخمسين وخمسمائة .
وقال في مختصر تاريخ الاسلام : في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة : وفيها سار صاحب حلب الملك نور الدين محمود بن زنكي ، فاستقبل أرباحاً من الفرنج فجاءت معه ، فخانته الفرنج ورعبت منه (4) ، وتزوج بابنة نائب دمشق معين الدين

(1) في (مل) : « لما التقى الجمعان اول قبلة » والتصحيح من الروضتين .
(2) في (مل) : « أي شيء » والتصحيح من (مخ و م) والروضتين .
(3) من الروضتين .
(4) في مختصر تاريخ الاسلام : « سار صاحب حلب . . . . . فاستشهد ونال من الفرنج ، فخانته الفرنج ورعوا منه . . . الخ » . وفي ابن الأثير في حوادث سنة ٥٤٢ : « دخل نور الدين بلد الفرنج ففتح منه مدينه ارتاح بالسيف . . . الخ » ومما تقدم يمكن تصحيح العبارة على الوجه الآتي : فاستعيد ارتاح ونال من الفرنج ، فخافته الفرنج ورعبت منه . الخ

أنر (1) ، وأرسلت إليه إلى حلب . وقال في سنة أربع وأربعين وخمسمائة : وفيها مات غازي (2) صاحب الموصل أخو نور الدين ، وله أربع وأربعون سنة . وقال في سنة خمس واربعين وخمسمائة : وفيها حاصر نور الدين دمشق ، فخرج صاحبها أبق ووزيره وخضعا ؛ فرقّ إليهما وخلع عليهما ، ورد إلى حلب [فأحبه الناس] . وقال في سنه خمسين (3) وخمسمائة : وفيها غزا نور الدين الفرنج وافتتح حصوناً ، وسار إلى أن وصل إلى قونية وعظم شأنه وبعد صيته ، فلقبه المقتفي (4) بالملك العادل . وقال في سنة خمس وستين وخمسمائة : وصاحب الموصل قطب الدين مودود (5) أخو نور الدين تملك بعد أخيه غازي انتهى . وقال شيخنا في كواكبه في سنة تسع وستين وخمسمائة : فلما كان يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شوال من هذه السنة قبض الله روحه – يعني نور الدين – رحمه الله تعالى وقت طلوع الشمس عن ثمان وخمسين سنة ، مكث فيها في الملك ثمان وعشرين سنة ، وصلي عليه بجامع القلعة ، ودفن بالقلعة ، ثم نقل إلى تربة تجاور مدرسته التي بناها لأصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه جوار الخواصين ، وكانت دار سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وقبره يزار ، وتخلق شبابيكه وتطيب ، ويتبرك به كل مار ويقول قبر نور الدين الشهيد ، لما حصل له من الخوانيق ، وكذا يقال لأبيه الشهيد لأنه قتل ظلماً ، وفيها بويع بعد موت نور الدين لولده الملك الصالح إسماعيل ، وكان صغيراً لم يبلغ الحلم ، وجعل أتابكه الأمير شمس الدين بن المقدم ، وحلف له الأمراء والمقدمون بدمشق ، وأطاعه الناس في سائر بلاد الشام ، وأطاعه صلاح الدين وخطب

(1) في (مل) : « أتسز » ، وصوابه ما أثبتناه .
(2) ترجمه في الشذرات والروضتين .
(3) في (مل) : « خمس » ، والتصحيح من (م) .
(4) المقتفي لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله أحمد ، (٤٨٩ - ٥٥٥) ، ترجمه في الشذرات .
(5) الأعرج ، ترجمه في الشذرات وابن كثير .

تراثنا

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
مع استدراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والارشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة

عنها : كانت تأتى علينا أربعون ليـلة وما يُوقَد فى بيت رسول الله صـلى الله عليه وسلم مصباحٌ ولا نار . قيل لها : فبم كنتم تعيشون؟ قالت : بالأسودين التمر والماء. وجاء أهل قُبَاء إلى النبىّ صلى الله عليـه وسلم بشربة من لبن مَشُوبةٍ بعسل، فوضع القـدحَ من يده وقال : "أمَا إنّى لست أُحرِّمه ولكنّى أتركه تواضعاً لله تعالى" . وأُتِى عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل فى يوم صائف فقال: اعزِلوا عنّى حسابها . وقال يحيى بن مُعاذ الرازىّ . الزاهد الصـادق قوتُه ما وجَد، ولباســه ما سَتَر، ومسكنه حيث أدرك؛ الدنيا سجنه ، والقـبر مضجَعه ، والخلوة مجلسه ، والاعتبار فكرته ، والقرآن حديثه ، والربّ أنيسه ، والذكر رفيقه ، والزهـد قرينه ، والحزن شأنه ، والحياء شِـعاره ، والجوع إدامه ، والحكمة كلامه ، والتراب فراشـه ، والتقوى زاده ، والصمت غنيمته ، والصـبرُ مُعتمده ، والتوكّل حسبه ، والعقل دليله ، والعبادة حِرفته ، والجنّة مَبلغه إن شاء الله تعالى .

المهم الثانى الملبس . وأقلّ درجاته ما يدفع الحَرّ والبرد و يستر العورة ، وهو كساء يتغطّى به ؛ وأوسطه قميصٌ وقَلَنْسُوة ونعلان ؛ وأعلاه أن يكون معه مِنديل وسَرَاويل . وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مُجاوِز حدّ الزهد . وشرط الزهد ألّا يكون له ثوبٌ يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود فى البيت ؛ فإذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد . هذا من حيث المقـدار . وأما الجنس ، فأقلّه المُسُوح الخشنة ، وأوسطه الصوف الخشن ، وأعلاه القطن الغليظ .

وأما من حيث الوقت ، فأقصاه ما يستُر سـنةً ، وأقلُّه ما يبقَى يوما ، وقد رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر [وإن كان يتسارع الجفاف إليه][1] ؛ وأوسطه ما يتماسك

(١) زيادة من الإحياء .

عليه شهرا وما يقاربه . فطلبُ ما يبقى أكثر من سـنة خروج إلى طول الأمل ، وهو مُضادّ للزهد إلا إذا كان المطلوب خشونته وقد يتبَع ذلك قوّته ودوامُه . فمن وجد زيادة من ذلك فينبغى أن يتصدّق به ؛ فإن أمسكه لم يكن زاهدا بل كان محبًّا للدنيا . ولينظر إلى أحوال الأنبياء صلى الله عليهم والصحابة رضى الله عنهم كيف تركوا الملابس . قال أبو بُردة : أخرجتْ لنا عائشة رضى الله عنها كساءً مُلبَّدًا وإزارًا غليظا فقالت : قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين . وقال صلى الله عليه وسلم : "إن الله تعالى يحبّ المُتَبَذِّل الذى لا يُبَالِى مالبِس" . وفى الخبر : "ما من عبدٍ لبِس ثوب شُهرة إلا أعرض الله عنـه حتى ينزِعه وإن كان عنده حبيبا" . واشترى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ثوبًا بأربعة دراهم وكان إزاره أربعة أذرع ونصفا ، واشترى سراويل بثلاثة دراهم ، وكان يلبَس شَمْلَتين بَيضاوَين من صوف وكانت تسمّى حُلّةً لأنهما ثوبان من جنس واحد . وربمـا كان يلبس بُردين يمانيّين أو سَحُوليّين . ولبس صلى الله عليـه وسلم يوما واحدا ثوبا سِيَراء[1] من سُندس قيمته مائتا درهم ، فكان أصحابه يلمِسُونه ويقولون : يا رسول الله ، أُنزِلَ هذا عليك من الجنّة ! تعجّبا ، وكان قد أهـداه إليه المُقَوْقِس ملك الإسكندرية ، فأراد أن يُكرمه بلُبسه ثم نزعه وأرسـل به إلى رجل من المشركين وصَلَه به ، ثم حرّم لُبس الحرير والديباج . وقد صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى خَمِيصة[2] لها علم فلمّا سلّم قال : "شغلنى النظر الى هذه اذهبوا بها الى أبى جَهْم وأتونى بأنبجانيّته[3]" (يعنى كساءه) فاختار لبس الكِساء على الثوب الناعم . وكان شِراك نعله قد أَخْلَق فأُبْدِل بسَيْرٍ جديد فصلّى

(١) السِّيَراء (بكسر السين وفتح التحتية ممدودا) : ضرب من البرود فيه خطوط صفر .
(٢) الخميصة : ثوب خز أو صوف معلم .
(٣) الأنبجانىّ : نسبة الى منبج (كمجلس) موضع بالشام ، يقال فى النسبة اليه منبجانى وأنبجانى فتحوا ...

عنها : كانت تأتى علينا أربعون ليـلة وما يُوقَد فى بيت رسول الله صـلى الله عليه وسلم مصباحٌ ولا نار . قيل لها : فبم كنتم تعيشون؟ قالت : بالأسودين التمر والماء. وجاء أهل قُبَاء إلى النبيّ صلى الله عليـه وسلم بشربة من لبن مَشُوبة بعسل، فوضع القــدحَ من يده وقال : "أَمَا إنّى لست أُحرِّمه ولكنّى أتركه تواضعاً لله تعالى" . وأُتِى عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل فى يوم صائف فقال: اعزِلوا عنّى حسابها . وقال يحيى بن مُعاذ الرازىّ . الزاهد الصـادق قوتُه ما وجَد، ولباســه ما سَتر، ومسكنه حيث أدرك، الدنيا سجنه ، والقــبر مضجَعه ، والخلوة مجلسه ، والاعتبار فكرته ، والقرآن حديثه ، والربّ أنيسه ، والذكر رفيقه ، والزهـد قرينه ، والحزن شأنه ، والحياء شـعاره ، والجوع إدامه ، والحكمة كلامه ، والتراب فراشـه ، والتقوى زاده ، والصمت غنيمته ، والصـبرُ مُعتَمده ، والتوكّل حسبه ، والعقل دليله ، والعبادة حِرفته ، والجنّة مَبلغُه إن شاء الله تعالى .

المهم الثانى الملبس . وأقلّ درجاته ما يدفع الحرّ والبرد و يستر العورة ، وهو كساء يتغطّى به ، وأوسطه قميصٌ وقَلَنْسُوة ونعلان ، وأعلاه أن يكون معه منديل وسَرَاويل . وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مُجاوِز حدّ الزهد . وشرط الزهد ألّا يكون له ثوبٌ يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود فى البيت ؛ فإذا صار صاحب قَميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد . هذا من حيث المقـدار . وأما الجنس ، فأقلّه المُسُوح الخشنة ، وأوسطه الصوف الخشن ، وأعلاه القطن الغليظ .

وأما من حيث الوقت ، فأقصاه ما يستُر سنَةً ، وأقلّه ما يبقَى يوما ، وقد رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر [وإن كان يتسارع الجفاف إليه][١] ، وأوسطه ما يتماسك

(١) زيادة من الإحياء .

عليه شهرا وما يقاربه . فطلبُ ما يبقى أكثر من سـنة خروج إلى طول الأمل ، وهو مُضاد للزهد إلا إذا كان المطلوب خشونته وقد يتبَع ذلك قوّته ودوامُه . فمن وجد زيادة من ذلك فينبغى أن يتصدّق به ؛ فإن أمسكه لم يكن زاهدا بل كان محبّا للدنيا . ولينظر إلى أحوال الأنبياء صلى الله عليهم والصحابة رضى الله عنهم كيف تركوا الملابس . قال أبو بُردة : أخرجتْ لنا عائشة رضى الله عنها كساءً مُلَبَّدًا وإزارًا غليظا فقالت : قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين . وقال صلى الله عليه وسلم : "إن الله تعالى يُحبّ المُتَبَذِّل الذى لا يُبَالِى مالبِس" . وفى الخبر : "ما من عبدٍ لَبِس ثوب شُهرة إلا أعرض الله عنـه حتى ينزِعه وإن كان عنده حبيبا" . واشترى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ثوباً بأربعة دراهم وكان إزاره أربعة أذرع ونصفا ، واشترى سراويل بثلاثة دراهم ، وكان يلبَس شَمْلتين بَيضاوَين من صوف وكانت تسمَّى حُلّةً لأنهما ثوبان من جنس واحد . وربمـا كان يلبس بُردين يمانِيَّين أو سَحُوليّين . ولبس صلى الله عليـه وسلم يوما واحدا ثوبا سِيَراء[١] من سُندس قيمته مائتا درهم ، فكان أصحابه يلمِسُونه ويقولون : يا رسول الله، أُنزِلَ هذا عليك من الجنّة! تعجبا ، وكان قد أهـداه إليه المُقَوْقِس ملك الإسكندرية ، فاراد أن يُكرمه بلُبسه ثم نزعه وأرسـل به إلى رجل من المشركين وصَلَه به ، ثم حرّم لُبس الحرير والديباج . وقد صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى خَمِيصة[٢] لها علم فلمّا سلّم قال : "شَغلنى النظر الى هذه اذهبوا بها الى أبى جَهْم وأتونى بأَنْبِجانيّته[٣]" (يعنى كساءه) فاختار لبس الكِساء على الثوب الناعم . وكان شِراك نعله قد أَخلَق فأُبْدِل بسَيْرٍ جديد فصلّى

(١) السِّيَراء (بكسر السين وفتح التحتية ممدودا) : ضرب من البرود فيه خطوط صفر .
(٢) الخميصة : ثوب خز أو صوف معلم .
(٣) الأنبجانيّة : نسبة الى منبج (كمجلس) موضع بالشام ، يقال فى النسبة اليه منبجانى وأنبجانى .

أنها قالت له صلى الله عليه وسلم فى ابتداء النبوة : أبشر فوالله لا يُخْزِيكَ الله أبدا[1]، إنك لتصل الرَّحِم ، وتَحمِل الكَلّ[2] ، وتُكْسِب المعدومَ[3] ، وتَقْرِي الضَّيْف ، وتُعِين على نوائب[4] الحقّ .

وأما تَوَاضعه صلى الله عليه وسلم مع علوّ منصبه ورِفعة مرتبته

فكان صلى الله عليه وسلم أشدّ الناس تواضعا ، وأقلهم كِبْرا ، وقد جاء أنه خُيِّر بين أن يكون نبيًّا مَلِكا، أو نَبيّا عبدا، فاختار أن يكون نَبيّا عبدا ، فقال له إسرافيل عند ذلك : فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيِّد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشَقّ الأرض عنه، وأول شافع . ومما رويناه بسند متّصل عن أبى أُمَامة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكّئا على عصًا، فقمنا له فقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يُعظِّم بعضُها بعضًا » . وقال : « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » وكان يركب الحمار، ويُرْدِف خلفه ، ويعود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويجيب دعوة العبد ، ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم، حيث ما انتهى به المجلس جلس . وعن أنس : أن امرأة كان فى عقلها شىءٌ جاءته فقالت : إن لى إليك حاجة، قال : « اجلسى يا أم فلان فى أى طُرُق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضى حاجتك » قال : فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها . قال أنس : حجّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على رَحْل رَثّ وعليه قَطِيفة ما تساوى أربعة دراهم ، فقال :

(١) لا يخزيك : لا يذلك ولا يهينك .

(٢) الكل : الثقل من كل ما يتكلف ، والكل العيال .

(٣) تكسب : تعطى الناس الشىء المعدوم عندهم وتوصله إليهم .

(٤) النوائب : ما ينزل من الحوادث والمهمات .

« اللهم اجعله حَجّا لا رِيَاء فيه ولا سُمْعة » . هذا وقد أهدى فى حجه ذلك مائة بَدَنة ، ولما فتحت عليه مكة دخلها وقد طَأْطَأَ رأسه على رَحْله حتى كاد يمس قَادِمَتَه تواضعا لله تعالى .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لما دخل مكة جاءه أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه بأبيه ليُسْلِم فقال : « لِمَ عَنَّيْتَ[1] الشيخَ يا أبا بكر ألا تركته حتى أكون أنا آتيه فى منزله » وقد تقدّم ذكر ذلك فى الفتح . وعن عائشة والحسن وأبى سعيد وغيرهم رضى الله عنهم ، فى صفته صلى الله عليه وسلم، وبعضهم يزيد على بعض، أنه كان صلى الله عليه وسلم فى بيته فى مِهْنَة[2] أهله ، يَفْلِى[3] ثوبه ، ويحلب شاته ، ويرقّع ثوبه ، ويَخْصِف[4] نعله ، ويخدم نفسه ، ويَقُمّ[5] البيتَ ، ويَعْقِل البعير، ويَعْلِف نَاضِحَه[6]، ويأكل مع الخادم، ويعجن معها ويحمل بِضَاعَته من السُّوق . وعن أنس: إن كانت الأَمَة من إِمَاء المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضى حاجتها . ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة فقال له : « هوّن عليك فإنى لست بمَلِك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القَدِيد[7]» . وعن أبى هريرة قال : دخلت السُّوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سَرَاوِيل، وقال للوزّان « زِنْ وأَرْجِحْ » وذكر القصّة، قال : فوثب إلى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبِّلها فجذَب يده ، وقال : « هذا يفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما

(١) عنيته : كلفته ما يشق عليه . (٢) المهنة : الخدمة ، ومهنة أهله خدمتهم .

(٣) يفلى : يزيل ما التزق به من قل غيره ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم نور ، والقمل من الوسخ ، وهو صلى الله عليه وسلم طاهر . (المواهب ٤ : ٣١٧) . (٤) الخصف : ترقيع النعل .

(٥) يقم : يكنس . (٦) الناضح : الجمل ، أو الجمل الذى يحمل الماء من النهر أو البئر .

(٧) القديد : اللحم المجفف .

آنفتاق من العصب على الأرضفة[1] . و " الدخس " : ورم فى [أطرة[2]] الحافر . و " الزوائد " : أطراف عصب تفرّق عند العجاية[3] [وتنقطع عندها وتلصق بها] . و " العرن " : جسوء[4] فى رسغ الرجل خاصة لشقاق أو مشقة . [" والشقاق " : يصيبه فى أرساغه] وربما آرتفع الى أوظفته ، [وهو تشقق يصيبها[5]] ، وتسمى الحلامة[6] . « والجرد[7] » ، ما حدث فى عرض عرقوبيه ظاهرا وباطنا من تزيد وآنتفاخ عصب ويكون مع المفصل طولا كالموزة . و " الملح[8] " : آنفتاق من العصب أسفل العرقوب لمادة تنصب إليه كاللوطة[9] . و " القمع " هو عظم قمعة العرقوب . و " المشش " : كل ما تخص فى الوظيف وله حجم وليست له صلابة العظم . و " الارتهاش " : أن يصك بعرض حافره عرض عجايته من اليد الأخرى . و " الرهصة[10] " : ما يصير فى الحافر . و " الوجا " : ما يصيب الحافر من

(١) رضف الركبة ورضافها : ما كان تحت الداغصة (عظم يموج فوق رأس الركبة) .

(٢) التكلة من المخصص وأدب الكاتب . وأطرة الحافر : ما أحاط به من اللحم .

(٣) فى الأصلين : « الفحامة » . والتصويب والتكلة عن المخصص وأدب الكاتب . والعجاية : عصبة باطن الوظيف من الفرس .

(٤) فى الأصلين : « حشو » ، وهو تحريف .

(٥) التكلة عن المخصص وأدب الكاتب .

(٦) كذا وردت هذه الجملة فى ا ، وفى ب : « وتسمى الحلاقة » . ولم نجد فى المظان ما يوضح هذه العبارة أو يبرر وجودها فى هذ الموضع .

(٧) ويقال فيه « الجرذ » بالذال المعجمة أيضا . وفى الأصلين : « الجراد » بزيادة ألف بعد الراء ، وهو تحريف .

(٨) فى اللسان : « والملح (بالتحريك) : ورم فى عرقوب الفرس دون الجرد ، فان اشتد فهو الجرد » .

(٩) اللوط : ثمر شجر يؤكل ويدبغ بقشره .

(١٠) فى العبارة قصور . وفى اللسان « ... والرهصة أن يدوى باطن حافر الدابة من حجر تطؤه مثل الوقرة » . وفى الأصلين : « الرهضة » بالمعجمة ، وهو تصحيف .

الخشونة . و " الرقق " : ضعف ورقة فى الحافر . و " النملة " : شق فى الحافر من الأشعر[1] الى طرف السنبك . و " السرطان " : داء يأخذ فى الرسغ فييبس عروقه حتى يقلب حافره . و " العزل " : أن يعزل ذنبه فى شق عادة[2] . و " الخفاق " : صوت من ظبية[3] الأنثى . و " البجر " : أن تكون الرهابة[4] غير ملتئمة فيعظم ما والاها من جلد السرة .

وحيث ذكرنا العيوب فلنذكر الخيل النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

ذكر أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم

أول فرس ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرس آبتاعه بالمدينة من رجل من بنى فزارة بعشر أواق[5] ، وكان آسمه عند الأعرابى " الضرس " فسماه النبى صلى الله عليه وسلم " السكب " . فكان أول ما غزا عليه أحدا ، ليس مع المسلمين فرس غيره وفرس

(١) أشعر الفرس : ما بين حافره الى منتهى شعر أرساغه .

(٢) لا خلقة .

(٣) الظبية : الحياء من المرأة وغيرها . وعبارة أبى عبيدة فى كتاب الخيل : « الخفاق صوت يكون فى ظبية الأنثى من الخيل من رخاوة خلقتها وارتفاع ملتقاها . فاذا تحركت لعنق أو غيره احتشت رحمها الريح فصوتت فذلك الخفاق ، و يقال للفرس من ذلك الخاق » .

(٤) الرهابة (بضم الراء وفتحها) : غضروف كاللسان معلق فى أسفل الصدر مشرف على البطن .

(٥) الأواق بالتخفيف ومثله الأواقى بالتشديد : جمع أوقية بالتشديد ، وهى أربعون درهما . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة » . وهى مائتا درهم ، والدرهم = ٣٫٠٨٩٨ من الجرامات كما قدره رجال المجمع العلمى المصرى الذى انعقد فى عهد محمد على باشا للبحث فى ذلك . (راجع رسالة مخطوطة للامام تقى الدين أحمد الشهير بابن المقريزى فى المكاييل والأوزان الشرعية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٥ رياضة و رسالة فى المقاييس والمكاييل العملية بالديار المصرية لمؤلفها محمود باشا الفلكى طبع مطبعة الجوائب بالأستانة) . و يقدر فى كتب الحساب المتداولة الآن ب ٣٫١٢ من الجرامات .

لأبى بُردة بن نِيَار يقال له مُلاوِح . وكان السَّكْبُ كُمَيْتًا أغَرَّ مُحَجَّلا مُطْلَق اليمنى،
وقيل : إنه أدهم . رواه الطَّبَرانى[1] فى المعجم الكبير .

وعن عُمَارة بن خُزَيْمة الأنصارىّ أن عمّه حدّثه — وهو من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم — : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ٱبتاع فرسًا من أعرابىّ[2]، فٱستتبعه النبىّ صلى الله عليه وسلم ليَقْبِضَه ثمنَ فرسه، فأسرع النبىّ صلى الله عليه وسلم المَشْىَ وأبطأ الأعرابىُّ، فطفِق رجالٌ يعترضون الأعرابىَّ فيُساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ٱبتاعه، حتى زاد بعضُهم الأعرابىّ فى السَّوْم على ثمن الفرس الذى ٱبتاعه به النبىّ صلى الله عليه وسلم؛ فنادَى الأعرابىُّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال: إن كنتَ مبتاعًا هذا الفرسَ فٱبتعه وإلا بعتُه؛ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم: "بَلَى قد ٱبتعتُه"؛ فطفِق الناسُ يَلُوذون بالنبىّ صلى الله عليه وسلم وبالأعرابىّ وهما يتَرَاجَعان[3]، وطفِق الأعرابىُّ يقول : هَلُمَّ شهيدًا يشهد أنى قد بايعتُـك . فمن جاء من الناس قال للأعرابىّ : ويلك ! إن النبىّ صلى الله عليه وسلم لم يكن ليقول إلا حقًّا! حتى جاء خُزَيْمةُ بن ثابت فٱستمع لمُراجعة النبىّ صلى الله عليه وسلم ومراجعة الأعرابىّ؛ فطفِق الأعرابىُّ يقول : هَلُمَّ شهيدًا يشهد أنى قد بايعتُك؛ فقال خُزَيْمةُ بن ثابت: أنا أشهد أنك قد بايعتَه . فأقبل النبىّ صلى الله عليه وسلم على خزيمة فقال : "بِمَ تشهدُ" ؟ فقال : بتصديقك يا رسول الله؛ فجعل النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : "شهادةُ

(١) هو الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى الحافظ المتوفى سنة ٣٦٠ هـ كان ثقة صدوقا واسع الحفظ بصيرا بالعلل . ومعجمه الكبير رتبه فى الصحابة على الحروف وهو مشتمل على نحو خمسمائة وعشرين ألف حديث . والطبرانى نسبة الى طبرية مدينة بالأردن . وفى الأصلين : «الطبرى»، وهو خطأ .

(٢) هو سواء بن قيس المحاربى، كما فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير الجزرى فى ترجمته له ولخزيمة بن ثابت .

(٣) يتراجعان : يتحاوران .

خزيمة بن ثابت بشهادة رجلين". وفى لفظ : فقال خزيمة بن ثابت : أنا أشهد أنه قد باعك الفرس يا رسول الله ؛ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "وهل حَضَرْتنا يا خزيمة"؟ قال : [لا، فقال :][1] "فكيف شهدت بذلك"، فقال خزيمة : بأبى أنت وأمّى! يا رسول الله ، أُصَدِّقك على أخبار السماء وما يكون فى غدٍ ولا أصدّقك فى ٱبتياعك هـذا الفرس ! . فقـال النبىّ صلّى الله عليـه وسلم : "إنك لذو الشهادتين يا خزيمـة" .

وقد ٱختُلِف فى ٱسم هذا الفرس، فقال محمد بن يحيى بن سَهْل بن أبى حَثْمَةَ : هو "المُرْتَجِزُ"[2]؛ وعن ٱبن عباس رضى الله عنهما أنه المُرْتَجِـزُ . قال ٱبنُ الأثير : وكان أبيضَ . وقال ٱبنُ قتيبة فى المعارف : المرتجز، وفى أخرى : "الطِّرْف"[3]، وفى أخرى : "النَّجيب" .

ومنها "البحر"، وهو الذى سبَق الخيلَ لـمّا سابَق به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فسمّاه البحرَ فى ذلك اليوم . وكان النبىّ صلى الله عليـه وسلم قد ٱشتراه من تجرٍ قدِموا من اليمن، فسبَق عليه مرّات . قال ٱبنُ الأثير : وكان كُمَيْتًا، وقيـل : كان أدهمَ .

ومنها "سَبْحة"، ذكرها ٱبن بنين فقال: وكانت فرسًا شقراءَ ابتاعها النبىّ صلى الله عليه وسلم من أعرابىّ من جُهينة بعشر من الإبل، وسابَق عليها يوم خميس

(١) التكملة عن كتاب فضل الخيل للدمياطى ورشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد للبخشى .

(٢) سمى المرتجز لحسن صهيله .

(٣) هـذا يوافق ما فى كتاب فضل الخيل الذى ينقل عنـه المؤلف . ويلاحظ أن المؤلف لم يذكر «الطرف» ضمن جملة خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ذكرها فى آخر كلامه عليها .

عُمان . فيضرب فى أدنى هَجْمة[1] من الإبل ، والإبل المَهْرِيّةُ من ذلك النِّتاج . وتُسمّى الإبلُ الوحشيةُ "الحُوش"[2]. ويقولون : إنها بقايا إبل عادٍ وثمود ومَن أهلكه الله من العرب . والمَهْرِيّةُ منسوبة إلى مَهْرة[3] (قبيلة باليمن)؛ وهى سريعة العَدْو . ويعلفونها من قديد سمك يُصاد من بحر عُمان .

وأمّا البُخْتُ — فمنها ما يُزَهْوِكُ[4] مثل البراذين ، ومنها ما يَجْمِزُ[5] جمزًا ويُرْقِل[6] إرْقالًا . وفى البُخت ماله سَنامانِ فى طول ظهره كالسَّرْج ، ولبعضها سَنامانِ فى العَرْض عن اليمين وعن الشمال ، وتسمّى "الخُراسانية" .

قالوا : والجملُ لا ينزو إلّا مرّةً واحدةً يُقيم فيها النهار أجمع ويُنْزِل فيها مرارًا كثيرة ، فيجىء منها ولدٌ واحدٌ . وهو يخلو فى البرارى حالةَ النَّزْو ، ولا يدنو منه أحدٌ من الناس إلا راعيه المُلازِم له . وذَكَرُه صُلْبٌ جدًّا ؛ لأنه من عَصَب . والأنثى تحمل سنة كاملة ، وتَلْقَح لمُضِىّ ثلاث سنين ، وكذلك الذكر ينزو فى هذه المدة ، ولا ينزو عليها إلا بعد سنة من يوم وضْعها . وفيه من كرم الطِّباع أنه لا ينزو على أمّهاته ولا أخواته . ومتى حُمِل على أن يَفعل حقَد على من أَلْزَمه ، وربما قتله . وليس فى الحيوان من يَحقِد حِقدَه . وقد قالوا : إنّ العرب إنما اكتسبت الأحقاد لأكلها لحوم الجمال ومداومتها .

(١) الهجمة من الابل : أولها أربعون الى مازادت ، أو مابين السبعين الى المائة ، أو الى دونها .

(٢) فى ا : « الجوش » بالجيم المعجمة . وفى ب : « الجوشى » ، وكلاهما تحريف .

(٣) هو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة أبو قبيلة وهم حىّ عظيم ، تنسب إليه الإبل المهرية ، وهى نجائب تسبق الخيل . وقيل : لا يعدل بها شىء فى سرعة جريانها . ومن غريب ما يحكى عنها أنها تفهم ما يراد منها بأقل أدب تعلمه . ولها أسماء إذا دعيت بها أجابت سريعا .

(٤) الزهوكة : مشى الذى كأنه يموج فى مشيته .

(٥) جمز : عدا وأسرع . (٦) أرقل : أسرع .

وفى طبع الجمل الاهتداءُ بالنجم ، ومعرفةُ الطُّرُق ، والغَيْرةُ ، والصَّوْلةُ ، والصبرُ على الحِمْل الثقيل وعلى العطش . والإبلُ تميل إلى شُرب المياه الكَدِرة الغليظة ؛ وهى إذا وردت ماءَ الأنهار حرّكته بأرجلها حتى يتكدّر . وهى من عشّاق الشمس . وهى تتعرّف النباتَ المسموم بالشمّ من مرّة واحدة فتتجنّبه عند رَعْيه ولا تغلط إلا فى البَيِيس[1] خاصّةً . وزعم أرسطو : أنها تعيش ثلاثين سنة فى الغالب . وقال صاحبُ كتاب مباهج الفكر ومناهج العبر ينقل عن غيره : وقد رُئى منها ما عاش مائة سنة . وكانت للعرب عوائدُ فى إبلها أنها اذا أصاب إبلَهم العُرّ[2] كَوَوُا السليم ليذهب العُرُّ عن السقيم . وكانوا إذا كثُرت إبلهم فبلغت الألف فقئوا عين الفحل ؛ فإن زادت على الألف فقئوا عينه الأخرى . وقد ذكرنا ذلك فى أوابد العرب ، وهو فى الباب الثانى من الفن الثانى من هذا الكتاب فى السِّفر الثالث من هذه النسخة . والله أعلم بالصواب .

ذكر ما ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإبل

كانت ناقةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها "القَصْواء" . ذكر ابن سعد عن محمد بن عمر قال حدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم التَّيْمىّ عن أبيه قال : كانت القصواء من نَعَم بنى الحَرِيش ، ابتاعها أبو بكر رضى الله عنه وأخرى معها بثمانمائة درهم فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه بأربعمائة ، فكانت عنده حتى نَفَقَت[3] . وهى التى هاجر عليها صلى الله عليه وسلم . وكانت حين قدم المدينة رَباعِيةً ، وكان اسمها "القَصْواء" و"الجَدْعاء" و"العَضْباء" ، وكان فى طَرَف أُذُنها جَدْع[4] ، وكانت لا تُسبَق

(١) البيس : ما يبس من العشب ، والبقول التى تتناثر اذا يبست ، وقيل : عام فى كل نبت يابس .

(٢) العر (بالضم) : الجرب . (٣) نفقت : هلكت .

(٤) الجدع : القطع البائن فى الأنف والأذن والشفة واليد .

ثم قال : اركب فداك أبى وأمى يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنى لا أركب بعيرا ليس لى"، قال: فهى لك يا رسول الله بأبى أنت وأمى! قال : "لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به"[1] ؟ ، قال: كذا وكذا، قال: "قد أخذتها بذلك".

قال محمد بن سعد: وكان أبو بكر اشتراهما بثمانمائة درهم من نعم بنى قُشَير، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إحداهما وهى القَصْواء .

قال ابن إسحاق : فركبا وانطلقا ، وأردف أبو بكر رضى الله عنه مولاه عامر بن فُهَيرة خلفه ليخدمهما فى الطريق .

قال أبو بكر رضى الله عنه : أسرينا ليلتنا ويومنا حتى إذا قام قائم الظهيرة وانقطع الطريق ، ولم يمر أحد ، رُفعت لنا صخرة لها ظلّ لم تأت عليه الشمس . قال : فسويت للنبىّ صلى الله عليه وسلم مكانًا فى ظلها، وكان معى فَرْو ففرشته، وقلت للنبىّ صلى الله عليه وسلم : نم حتى أنفض ما حولك ، فخرجت فإذا أنا براع قد أقبل يريد من الصخرة مثلما أردنا ، وكان يأتيها قبل ذلك فقلت : ياراعى، لمن أنت؟ قال: لرجل من أهل المدينة يعنى مكة، قال: قلت: هل فى شائك من لبن ؟ قال : نعم، قال: فجاءنى بشاة فجعلت أمسح الغبار عن ضَرْعها وحلبت فى إداوة معى كُثبة[2] من لبن، وكان معى ماء للنبىّ صلى الله عليه وسلم فى إداوة فصببتُ على اللبن من الماء لأبرده ، فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قام من نومه فشرب وقال : "ما آن الرحيل"؟ قلت : بلى ، قال : فارسلنا حتى إذا كنا بأرض صَلبة جاء سُراقة بن مالك بن جُعشُم ، فبكى أبو بكر وقال: يارسول الله قد أُتينا، قال : "كلا" ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فارتطم فرس سراقة — أى

(١) فى الأصل : «ابتعتهما» ، و«أخذتهما» والصواب، من ابن هشام .
(٢) كثبة : قليل .

احتبس إلى بطنه — فقال : قد أعلم أن قد دعوتما علىّ فادعوا لى، ولكما علىّ أن أردّ الناس عنكما ولا أضرّكما . قال : فدعا له فرجع ووفى وجعل يردّ الناس ويقول : قد كفيتم ما هاهنا . وقد روى عن سراقة أنه قال لأبى جهل بن هشام :

أبا حَكَمٍ والله لو كنتَ شاهدا * لأمرِ جوادى إذ تسوخُ قوائمُهْ
علمتَ ولم تشكك بأنّ محمدا * رسولٌ ببرهان فمن ذا يقاومُهْ!
عليك بكف القوم عنه فإننى * أرى أمرَه يوما ستبدو معالمُهْ
بأمرٍ يودّ الناس فيه بأسرهم * بأنّ جميع الناس طُرًّا[1] تسالمُهْ

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثنى الزُّهرى أنّ عبد الرحمن بن مالك ابن جعشم حدثه عن أبيه عن عمه سراقة بن مالك قال : لما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا إلى المدينة، جعلتْ فيه قريش مائة ناقة لمن يردّه عليهم، فبينا أنا جالسٌ فى نادى قومى أقبل رجلٌ منا حتى وقف علينا فقال: والله لقد رأيتُ رَكْبة ثلاثة مرّوا علىّ آنفا، إنى لأراهم محمدا وأصحابه، قال : فأومأتُ إليه بعينى أن اسكت[2]، ثم قلت: إنما هم بنو فلان يبتغون ضالّة لهم، قال : لعله . ثم قمت فدخلت بيتى وأمرت بفرسى فقيدَ إلى بطن الوادى ، وأمرت بسلاحى فأخرج من دُبُر حُجرتى، ثم أخذت قِداحى التى[3] أستقسم بها، ثم انطلقت فلبست لأمتى، ثم أخرجتُ قِداحى فاستقسمت بها، فخرج السهم الذى أكره : «لا يضره»، قال: وكنت أرجو أن أردّه على قريش فآخذ المائة، فركبت الفرس فى أثره، فبينا فرسى يشتدّ بى عثر فسقطت عنه، فقلت : ما هذا ؟ ثم أخرجت قِداحى فاستقسمت بها فخرج السهم

(١) فى الأصل : «طورا» ، وهو تصحيف .
(٢) فى الدلائل : قال : «لعله» ، ثم سكت قال فكنت قليلا ثم قمت » .
(٣) فى الأصل : «الذى» ، ما أثبتناه من ابن هشام ج ٢ : ١٣٤

عُمَانَ . فيضرِبَ فى أدنى هَجْمةٍ[1] من الإبل ؛ الإبل المَهْرِيّةُ من ذلك النّتاج . وتُسمّى الإبلُ الوحشيّةُ "الحُوشَ"[2]. ويقولون : إنها بقايا إبل عادٍ وثمود ومَن أهلكه الله من العرب . والمَهْرِيّةُ منسوبة إلى مَهْرة[3] (قبيلة باليمن)؛ وهى سريعة العَدْو . ويعلفونها من قديد سمكٍ يُصاد من بحر عُمَان .

وأمّا البُخْتُ — فمنها ما يُرَهْوِكُ[4] مثل البَرَاذين . ومنها ما يَجْمِزُ[5] جَمْزًا ويُرْقِل[6] إرقالًا . وفى البُخت ماله سَنامان فى طول ظهره كالسَّرْج، ولبعضها سَنامانِ فى العَرْض عن اليمين وعن الشمال، وتسمَّى "الخُراسانية" .

قالوا : والجملُ لا يَنْزو إلّا مرّةً واحدةً يُقيم فيها النهار أجمع ويُنْزِل فيها مرارًا كثيرة، فيجيء بينهما ولدٌ واحدٌ . وهو يخلو فى البرارى حالةَ النَّزْو، ولا يدنو منه أحد من الناس إلا راعيه المُلازِم له . وذَكَرُه صُلْبٌ جدًّا ؛ لأنه من عَصَب . والأُنثى تحمل سنة كاملة ؛ وتلقح لمُضِىّ ثلاث سنين، وكذلك الذكر يَنْزو فى هذه المدّة، ولا ينزو عليها إلا بعد سنةٍ من يوم وضعها . وفيه من كرم الطّباع أنه لا ينزو على أمّهاته ولا أخواته . ومتى حُمِل على أن يفعل حقد على من أَزَّمه ؛ و ربما قتله . وليس فى الحيوان من يحقد حِقدَه . وقد قالوا : إن العرب إنما اكتسبت الأحقاد لأكلها لحوم الجمال ومداومتها .

(١) الهجمة من الابل : أولها أربعون الى مازادت ، أو مابين السبعين الى المائة ، أو الى دونها .
(٢) فى أ : « الجوش » بالجيم المعجمة . وفى ب : « الجوشى » ، وكلاهما تحريف .
(٣) هو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة أبو قبيلة وهم حىّ عظيم ، تنسب إليه الإبل المهرية ، وهى نجائب تسبق الخيل . وقيل : لا يعدل بها شىء فى سرعة جريانها . ومن غريب ما يحكى عنها أنها تفهم ما يراد منها بأقل أدب تعلمه . ولها أسماء إذا دعيت بها أجابت سريعا .
(٤) الرهوكة : مشى الذى كأنه يموج فى مشيه .
(٥) جمز : عدا وأسرع . (٦) أرقل : أسرع .

وفى طبع الجمل الاهتداءُ بالنّجم، ومعرفةُ الطُّرُق، والغَيْرة، والصولة، والصبرُ على الحِمْل الثقيل وعلى العطش . والإبلُ تميل إلى شُرب المياه الكَدِرة الغليظة ؛ وهى إذا وردت ماءَ الأنهار حرّكته بأرجُلِها حتى يتكدّر . وهى من عشّاق الشمس . وهى تعرف النباتَ المسمومَ بالشَّمّ من مرّة واحدة فتتجنّبه عند رَعْيه ولا تغلط إلا فى اليَبِيس[1] خاصّةً . وزعم أرسطو : أنها تعيش ثلاثين سنة فى الغالب . وقال صاحبُ كتاب مباهج الفكر ومناهج العِبَر ينقل عن غيره : وقد رُئِى منها ما عاش مائة سنة . وكانت للعرب عوائدُ فى إبلها أنها اذا أصاب إبلَهم العُرُّ[2] كَوَوْا السليمَ ليذهبَ العُرُّ عن السقيم . وكانوا إذا كثُرت إبلهم فبلغت الألفَ فقئوا عينَ الفحل ؛ فإن زادت على الألف فقئوا عينه الأخرى . وقد ذكرنا ذلك فى أوابد العرب، وهو فى الباب الثانى من الفن الثانى من هذا الكتاب فى السفر الثالث من هذه النسخة . والله أعلم بالصواب .

ذكر ما ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإبل

كانت ناقةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها "القَصْواءُ" . ذكر ابن سعد عن محمد بن عمر قال حدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم التَّيْمىّ عن أبيه قال : كانت القصواء من نَعَم بنى الحَرِيش، ابتاعها أبو بكر رضى الله عنه وأخرى معها بثمانمائة درهم فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه بأربعمائة؛ فكانت عنده حتى نَفَقَتْ[3]. وهى التى هاجر عليها صلى الله عليه وسلم . وكانت حين قدم المدينة رَبَاعِيةً . وكان اسمها "القَصْواء" و"الجَدْعاء" و"العَضْباء"، وكان فى طَرَف أُذُنها جَدْع[4]، وكانت لا تُسبق

(١) اليبيس : ما يبس من العشب ، والبقول التى تتناثر اذا يبست ، وقيل : عام فى كل نبت يابس .
(٢) العر (بالضم) : الجرب . (٣) نفقت : هلكت .
(٤) الجدع : القطع البائن فى الأنف والأذن والشفة واليد .

وبعد، فإنى أعود إلى ذكر [ذلك][1] الحيوان الغريد، والشيطان المريد، فأقول: لئن سُمّى بالزرزير، لقد صُغّر للتكبير[2]، كما قيل: حُرَيْقِيص وسَفْطه[3] يحرق الحَرَج، ودُوَيْهِيَة وهى تلتهم الأرواحَ والمُهَج. ومعلومٌ أن هذا الطائر الصافر يفوق جميع الطيور فى فَهْم التلقين، وحسن اليقين. فإذا عُلِّم الكلام لهج بالتسبيح، ولم ينطق لسانُه بالقبيح، وتراه يقوم كالنصيح، ويدعو بخير بلسان فصيح. فمن أحبّ الاتّعاظ، لقى منه قُسّ[4] إيادٍ بعُكاظ، أو مال إلى سماع البسيط والنشيد، وجد عنده نُخَب المَوْصلىّ للرشيد. فطوراً يُبكيك بأشجى من مراثى أَرْبَد[5]، وحيناً يُسلّيك بأحلى من أغانى معبد[6]. فسبحان من جعله هادياً خطيباً، وشادياً مُطْرِباً مُطيباً. ولما طار ببلاد الغرب ووقع، ورَقِىَ فى أكنافها وصقع، وعاين ما اتّفق[7] فيها فى هذا العام من عدم الزيتون[8]، فى تلك البطون والمتون، أزمع عنها فراراً، ولم يجد بها قراراً، لأن هذا الثمر بهذا الأفق هو قِوامُ معاشه، وملاكُ انتعاشه، وإليه يقطع، وعليه يقع، كما يقع على العسل الذُّبَاب، وتقطع إلى العَرَاد[9] الضِّباب، فاستخفّه هائج التذكار، نحو تلك

(١) الزيادة عن الذخيرة. (٢) فى الأصلين: «الكبر». (٣) سفط: ما سقط بين الزندين قبل استحكام الورى. والحرج: جمع حرجة، وهى الغيضة لضيقها، أو هى الشجر الملتف.

(٤) هو قس بن ساعدة الإيادى حكيم العرب وخطيبها، وقد سمعه النبى صلى الله عليه وسلم بعكاظ على جمل أحمر يخطب خطبته المعروفة. (٥) هو أربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة لأمه، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وأراده بشر فأصابته صاعقة فرثاه أخوه لبيد بقصائد عدة. (راجع الأغانى ج ١٥ ص ١٣٦ — ١٤٠ طبع بولاق). (٦) هو معبد بن وهب المغنى المعروف (راجع ترجمته فى الأغانى طبع دار الكتب المصرية ج ١ ص ٣٦ — ٦١). (٧) فى الأصلين والذخيرة: «نفق». (٨) فى الأصلين: «التين».

(٩) العراد: حشيش طيب الريح. قال أبو الهيثم: تقول العرب: قيل للضب وردا وردا، فقال:

أصبح قلبى صردا ✽ لا يشتهى أن يردا

إلا عراداً عردا ✽ وصِلِّياناً بردا

✽ وعنكثاً ملتبدا ✽

الأوكار، حيث يكتسى ريشه حريراً، ويحتشى جوفه بريراً[1]، ويحتسى فُراحا[2] نميراً، ويغتدى على رَفْضه[3] أميراً. فخذه إليك، نازلاً لديك، ماثلاً بين يديك، يترنّم بالثناء، ترنّم الذباب فى الروضة الغنّاء، وقد هزّ قوادمَ الجناح، لعادة الاستمناح، وخبّر من لُمَع الأنجاح، ما يصلح للانتجاع، واثقاً بأن ذلك القُطْر الناضر ستنفحه[4] حدائقُه، ولا تلفحه[5] ودائقه، لا سيما وفضلك دليله إلى ترع رياضه، وفرض حياضه، مع أنه لا يَعْدَم فى جنابك حَبًّا نثيراً، وخصباً كثيراً، وعُشًّا وثيراً.

فإذا ما أراد كُنتَ رِشاءً ✽ وإذا ما أراد كُنتَ قَلِيبا

والله تعالى يكفيه فيما ينوبه شرّ الجوارح، ويقيه شؤم السانح والبارح، بمنّه وكرمه.

✽ ✽ ✽

وأمّا السُّمَانَى وما قيل فيه — يقال: إن السُّمانَى هو السَّلْوَى. وهو من الطيور القواطع التى لا يُعْلَم من أين تأتى. ويقال: إنه يخرج من البحر المالح، فإنه يُرى وهو يطير عليه أوانَ ظهوره وأحدُ جناحيه منغمسٌ فى الماء، والآخرُ منتشر كالقِلْع. وأكثرُ من يعتنى بتربيته أهلُ مصر ويتغالَوْن فى ثمنه ويحتفلون بأمره، حتى ينتهى ثمن جيّده إلى ألف درهم بعد أن يباع كلّ عشرة منها بدرهم وأرخص. وهو صِنْفان: رَبِيعىّ وطِرْماحِىّ، فالرَّبيعىّ القادم الراحل. والطِّرماحىّ القاطن فى الأرض والبلاد الخصيبة، ويبيض ويُفْرِخ فيها كالحَجَل. وسببُ مغالاتهم فى أثمانها لأجل كثرة صياحها وعددِ أصواتها. وقد وُجد فيها ما صاح فى الليلة

(١) فى ا: «صوفه». وفى ب: «هونه». والبرير: أول ما يظهر من ثمر الأراك وهو حلو.

(٢) فى الأصلين: «فراخه». (٣) فى الأصلين: «رهطه». (٤) فى الأصلين: «تسحقه». (٥) فى الأصلين: «تلحنه». والوديقة: حر نصف النهار، وقيل: شدة الحر ودنو حمى الشمس.

(١٣٥)

حمامةً لا تَزِيفُ إلّا بعد طِرادٍ شديدٍ وشِدّةِ طلبٍ ، ورأيتهـا تَزِيف لأوّل ذكرٍ يريدها ، ورأيت من النساء كذلك . ورأيتُ حمامةً لها زوج وهى تُمكّن ذكرًا آخر لا تَعدُوه، ورأيت مثل ذلك فى النساء . ورأيتها تَزِيف لغير ذكرها وذكرُها يراها، ورأيتها لا تفعل ذلك إلّا وذكرُها يطيرُ أو يحضُن . ورأيت الحمامة تَقْمُطُ الحمامة ، ورأيتُ الحمامَ الذكرَ يَقمِطُ الذكر . ورأيتُ أنثى كانت لا تَقمُط إلّا الإناث، ورأيت أخرى تقمُط الإناثَ فقط ولا تَدَعُ أنثى تقمُطها، ورأيت ذكرا يَقمُطها ويَدَعُها حتى تقمُطَه . ورأيتُ ذكرًا يَقمُطُ الذكورَ وتَقمُطُه ، ورأيت ذكرا يَقمُطُ الذكورَ ولا يَدَعُها تَقمُطه ، ورأيت أنثى تَزِيف للذكور ولا تدع شيئًا منها يقمطُها، ورأيت هذه الأصنافَ كلَّها فى السَّحّاقات واللّاطة . قال : وامتنعت علىّ خَصْلةٌ فوالله لقد رأيتها، لأنى رأيتُ من النساء من تَزنِى أبدًا وتُساحِقُ أبدًا ولا تتزوج، ومن الرجال مَنْ يَلُوط أبدًا ويزنى أبدًا ولا يتزوج، ورأيت حمامًا ذكرًا يَقمِط ما لَقِىَ ولا يُزاوِج، ورأيت حمامةً تُمكّن كلَّ حمام أرادها من ذكر أو أنثى وتقمط الذكورةَ والإناثَ ولا تُزاوِجُ، ورأيتها تُزاوِج ولا تبيض، وتبيض فيفسدُ بيضُها، كالمرأة . قال: ورأيت ذكرًا له أُنْثَيان وقد باضَتا منه ، وهو يحضُن مع هذه مع تلك ويَزُقّ مع هذه ومع تلك ، ورأيت أنثى تبيض بيضةً ، ورأيت أنثى تبيض فى أكثر حالاتهـا ثلاثَ بَيضات . قال : ورأيت حمامةً تُزاوِج هـذا الحمامَ ثم تتحوّل منه إلى آخر ، ورأيت ذكرًا فعل مثل ذلك فى الإناث ، ورأيت الذكرَ كثيرَ النَّسْل قويًّا على القَمْط .

قال الجاحظ : والحمـام يبيضُ عشرةَ أشهر من السنة ، فإذا صانوه وحفظوه وأقاموا له الكفاية وأحسنوا تعهُّده باض فى جميع السنة . والفواخت والأطْرُغْلاتُ[١]

(١) قال فى اللسان نقلا عن التهـذيب : « ... فى كتاب شمر : الأطرغلات هى الدَّباسى والقَمارِى والصلاصل ذات الأطواق ، قال : ولا أدرى أمعرب هو أم عربى» .

والحمام البَرّىّ تَبيضُ مرتين فى السنة . قال: ويَتمّ خلقُ الحمام فى أقلّ من عشرة أيام . والحمامةُ فى أكثر أمرها يكونُ[١] أحدُ فرخيها ذكرًا والآخر أنثى ، وهى تَبيضُ أوّلًا البيضة التى فيها الذكر ثم تُقيم يومًا وليلةً وتبيض الأخرى . وتحضن ما بين السبعةَ عشَرَ يوما إلى العشرينَ . والأنثى أبَرُّ بالبيض، والذكرُ أبَرُّ بالفراخ . ولقـد أطنب أبو عثمان الجاحظ وأوْغل وبَسَـط القول فى ذكر الحمـام وأوصافه ومناقبه والمغالاة فى ثمنه والحرص على اقتنائه ، حتى إنه قال : وللحمام من الفضيلة والفخر أنّ الحمام الواحد يباع بخمسمائة دينار، ولم يبلغ ذلك باز ولا شاهين ولا عُقابٌ . قال : وأنت إذا أردت أن تتعرّف مبلغ ثَمن الحمام الذى جاء من الغاية ثم دخلتَ بغدادَ والبصرة، وجدتَ ذلك بلا معاناة . وهذا يدلّ على أنّ قوله فيه كان مشهورًا عندهم فى وقته . ثم قال : والحمـامُ إذا جاء من الغاية بيع الذكَرُ من فراخه بعشرين دينـارا وأكثر، وبيعت الأنثى بعشرة دنانير وأكثر [وبيعتِ البيضةُ بخمسة دنانير][٢]، فيقوم الزوجُ منها من الغَلّة مقام ضَيْعةٍ ، حتى ينهض بمؤونة العيال وبقضاء الدَّيْن ، وتُبنَى من غَلّاته[٣] وأثمان رِقابه الدُّورُ والجِنانُ وتُبتاع الحوانيتُ . ثم وصف حُجَرَ الحمام ومقاصيرَها المبنيّة فى ذلك الزمان وما يُعانيه أهلُها من حديثها[٤] والاحتفال بها فى المسابقة وغيرها . وأطال فى ذلك . وقال : وللحمام من حُسْن الاهتداء، وجَوْدةِ الاستدلال، وثباتِ الحفظ والذِّكر، وقوّةِ النِّزاع إلى أربابه، والإلْفِ لوطنه، أن يكون طائرًا من بهائم الطير يجىء من مسافة كذا إلى مسافة كذا . قال : ولن ترى جماعةَ طيرٍ أكثرَ طيرانا

(١) فى الأصلين : « والحمامة فى أكثر أمرها إما أن يكون ... الخ» . ولا يستقيم الكلام بهذه الزيادة .

(٢) زيادة عن كتاب الحيوان .

(٣) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ . وفى الأصلين : «من غلات رقابه ... الخ» .

(٤) لعله محرف من « خدمتها» .

حمامةً لا تَزِيفُ إلّا بعد طِرادٍ شديدٍ وشـدّةِ طلبٍ ، ورأيتهـا تَزِيف لأوّل ذكرٍ يريدها ، ورأيت من النساء كذلك . ورأيتُ حمامةً لها زوج وهى تُمكّن ذكرًا آخر لا تعدُوه، ورأيت مثل ذلك فى النساء . ورأيتها تَزِيف لغير ذكرها وذكرُها يراها، ورأيتها لا تفعل ذلك إلّا وذكرُها يطيرُ أو يحضُن . ورأيت الحمامةَ تَقْمُطُ الحمامةَ، ورأيتُ الحمامَ الذكرَ يَقمِطُ الذكر . ورأيتُ أُنثى كانت لاتَقمُط إلّا الإناث، ورأيت أخرى تقمِطُ الإناثَ فقط ولا تَدَعُ أنثى تقمُطها، ورأيت ذكرا يقمُطها ويدَعُها حتى تَقمُطَه . ورأيتُ ذكرًا يَقمِطُ الذكورَ وتَقمُطُه ؛ ورأيت ذكرا يَقمُطُ الذكورَ ولا يَدَعُها تَقمُطه ؛ ورأيت أنثى تَزِيف للذكور ولا تدع شيئًا منها يقمِطُها؛ ورأيت هذه الأصناف كلّها فى السَّحّاقات واللّاطة . قال : وآمتنعت علىّ خَصْلةٌ فواقه لقد رأيتها؛ لأنى رأيتُ من النساء من تَزنِى أبدًا وتُساحِقُ أبدًا ولا تتزوّج؛ ومن الرجال مَنْ يَلُوط أبدًا ويزنى أبدًا ولا يتزوّج، ورأيت حمامًا ذكرًا يَقمِط ما لَقِيَ ولا يُزاوِج؛ ورأيت حمامةً تُمكّن كلّ حمام أرادها من ذكر أو أنثى وتقمِط الذكورةَ والإناث ولا تُزاوِجُ، ورأيتها تُزاوِج ولا تبيضُ، وتبيض فيفسدُ بيضُها، كالمرأة . قال: ورأيت ذكرًا له أُنثيَان وقد باضتا منه ، وهو يحضُن مع هذه ومع تلك ويَزُقّ مع هذه ومع تلك ، ورأيت أنثى تبيض بيضـةً ، ورأيت أنثى تبيض فى أكثر حالاتها ثلاث بيْضات . قال : ورأيت حمامةً تُزَاوِج هـذا الحمامَ ثم تتحوّل منه إلى آخر ، ورأيت ذكرًا فعل مثل ذلك فى الإناث ، ورأيت الذكر كثيرَ النَّسْل قويًّا على القَمْط .

قال الجاحظ : والحمـام يبيضُ عشرةَ أشهر من السنة ؛ فإذا صانوه وحفظوه وأقاموا له الكفايةَ وأحسنوا تعهُّدَه باض فى جميع السـنة . والفواخت والأُطْرُغْلات[1]

(١) قال فى اللسان نقلا عن التهـذيب : « ... فى كتاب شمر : الأطرغلات هى الدباسى والقمارى والصلاصل ذات الأطواق، قال : ولا أدرى أمعرب هو أم عربى» .

والحمام البَرّىّ تَبيضُ مرّتين فى السنة . قال: ويَتِمّ خلْقُ الحمام فى أقلّ من عشرة أيام. والحمـامةُ فى أكثر أمرها يكون[1] أحدُ فرخيها ذكرًا والآخر أنثى ؛ وهى تَبيضُ أوّلًا البيضةَ التى فيها الذكر ثم تُقيم يومًا وليلةً وتبيض الأخرى . وتحضن ما بين السبعةَ عشرَ يوما إلى العشرينَ . والأنثى أبرُّ بالبيض، والذكرُ أبرُّ بالفراخ . ولقـد أطنب أبو عثمان الجاحظ وأوغل وبسَـط القول فى ذكر الحمـام وأوصافه ومناقبه والمغالاة فى ثمنـه والحرص على آقتنائه ، حتى إنه قال : وللحمام من الفضيلة والفخر أنّ الحمام الواحد يباع بخمسمائة دينار؛ ولم يبلغ ذلك باز ولا شاهين ولاعُقابٌ . قال : وأنت إذا أردت أن تتعرّف مبلغ ثمن الحمام الذى جاء من الغاية ثم دخلتَ بغدادَ والبصرة، وجدتَّ ذلك بلا معاناة . وهذا يدلّ على أنّ قوله فيه كان مشهورًا عندهم فى وقته . ثم قال : والحمـامُ إذا جاء من الغاية بيع الذَّكرُ من فراخه بعشرين دينـارا وأكثر، وبيعت الأنثى بعشرة دنانير وأكثر[وبيعتِ البيضةُ[2] بخمسة دنانير]؛ فيقوم الزوجُ منها من الغَلّة مقام ضَيْعةٍ ، حتى ينهضَ بمؤونة العيال وبقضاء الدَّيْن ، وتُبنَى من غَلّاته[3] وأثمان رِقابه الدُّورُ والحِنانُ وتُبتاع الحوانيتُ . ثم وصف حُجَرَ الحمام ومقاصيرَها المبنيّة فى ذلك الزمان وما يُعانيه[4] أهلُها من حديثها والآحتفال بها فى المسابقة وغيرها. وأطال فى ذلك . وقال : وللحمام من حُسْن الآهتداء، وجَوْدةِ الآستدلال، وثباتِ الحفظ والذِّكر، وقوّةِ النزاع إلى أربابه، والإلْفِ لوَطَنه، أن يكون طائرًا من بهائم الطير يجيء من مسافة كذا إلى مسافة كذا . قال : ولن ترى جماعةَ طيرٍ أكثرَ طيرانا

(١) فى الأصلين : « والحمامة فى أكثر أمرها إما أن يكون ... الخ» . ولا يستقيم الكلام بهذه الزيادة .

(٢) زيادة من كتاب الحيوان .

(٣) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ . وفى الأصلين : «من غلات رقابه... الخ» .

(٤) لعله محرف من « خدمتها» .

« والمَنْـدَلِىُّ هو الهنـدىّ »[1] . قالوا : وهو يُجلَب من ثلاثة مواضعَ من أرض الهند، فأفضلُ ذلك القامَرُونىّ، وهو ما جُلِب من القامَرُون، والقامَرُون[2] : مكان مرتفع من الهند . وقيل : بل هو منسوبٌ إلى نوع من شجر العُود يسمَّى القامَرُون وهو أغلى العُود ثمنا، وأرفعُه قَدْرا . قال : وهو قليل لايكاد أن[3] يُجلَب إلّا فى [بعض][4] الحِين ؛ وهو عُودٌ رَطْبٌ جدّا، شـديدُ سواد اللون ، رزين، كثيرُ الماء . وقال الحسين بنُ يزيدَ السِّيرافىُّ فى (أخبار الهند) : إنّ الصنم المعروف بالمُولْتان[5] — وهو بقرب المنصورة[6] — يقصده الرجل من مَسِيرةِ ثلاثةِ أشهر يَحمِل على ظهره أفخرَ العُود المندىّ

(١) يلاحظ أن هـذه العبارة التى بين هاتين العلامتين مكررة مع ما سبق فى السطر الرابع عشر من صفحة ٢٥ فلعلها من زيادات النساخ، اذ لاتفيد فائدة زائدة على ما سبق فى العبارة المشار اليها، وان كانت واردة فى كلتا النسختين .

(٢) ذكر أبو الفداء أن جبال قامرون هى حجاز بين الهند والصين . ثم نقل عن المهلبى أن مدن قامرون منها (كوكرا) (وأكنميبون) (ومراس) ، وهى كورة فى آخر بلاد قامرون وأول الصين (تقويم البلدان صفحة ٣٦١ طبع أوربا) .

(٣) ثبوت « أن » المصـدرية فى خبر « كاد » كما فى هذه العبارة قليـل ؛ والأكثر حذفها ؛ ومن ثبوتها قول الشاعر :

* كادت النفس أن تفيض عليه *

(٤) لم ترد هـذه الكلمة التى بين مربعين فى كلتا النسختين ؛ وقـد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ٢ ص ١٢٧ إذ السياق يقتضيها .

(٥) فى كلتا النسختين « بالمولياذ » بالياء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا نقلا عن (معجم البلدان) وغيره . والمولتان، يقال فيـه «ملتان» بغير واو، وأكثر ما يكتب بها ؛ ويطلق هذا الاسم على الصنم السابق ذكره، كما يسمى به البلد الذى فيه هـذا الصنم، وقد سبق الكلام على هذا البلد فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٣ من هذا السفر، فانظرها .

(٦) المنصورة : مدينة بالسند، واسمها القديم : « برهمنا باذ » ؛ وسميت المنصورة لأن عمر بن حفص المعروف بهزارمرد المهلبى بناها فى أيام أبى جعفر المنصـور ثانى خلفاء بنى العباس، وسماها بلقبه . وقال المسعودى : سميت المنصورة بمنصور بن جمهور الكلبى عامل بنى أمية . ويحيط بها خليج من نهر مهران، =

والقامَرُونىّ . قال : وقامَرُون : بلد يكون فيه فاخرُ العُود، ويتجشّم المندىُّ المشقّةَ فى حمله حتى يأتىَ به إلى هذا الصنم فيدفعُه إلى السَّدَنة ليبخّروا به الصنم، وإنّ هذا العُودَ القامَرُونىَّ فيه ماقيمةُ المَنِّ[1] منه مائتا دينار، وإنّه ربّما خُتم عليه فانطبع وقَبِل الخَتْمَ [للينه][2] . قال: والتّجار يبتاعونه من هؤلاء السَّدَنة ؛ ولمّا غلب المسلمون على المُولْتان[3] قلعوا هذا الصنمَ وكسروه، فأصابوا تحته من هذا العُود، فأخذوه .

والصِّنف الثانى من المندىّ، السَّمَنْدُورِىّ[4]، ويُجلَب من بلاد سَمَنْدُور[5]، وهى

= فهى منه فى شبه الجزيرة، وهى بلدة شديدة الحر، كثيرة البق، وبها النخيل وقصب السكر . وقال حمزة : وبرهمناباذ : اسم مدينة من مدن السند، سموها الآن المنصورة ؛ وبينها وبين الديبل ست مراحل، وبينها وبين المولتان اثنتا عشرة مرحلة، والى طوران خمس عشرة مرحلة . ومن المنصورة الى أول حد البدهة خمس مراحل اهـ ملخصا من (تقويم البلدان) و(معجم البلدان) .

(١) المنّ : يقال فيـه : (المنا) أيضا . وفى مفاتيح العـلوم صفحة ١٤ طبـع أوربا أنه وزن مائتين وسبعة وخمسين درهما وسبع درهم، ووزنه بالمثاقيل مائة وثمانون مثقالا، وبالأواق أربع وعشرون أوقية . وفى (بحر الجواهر) أن المنّ والمنا : رطلان بوزن بغـداد . ثم قال بعد أن ذكر وزنه بالدراهم والمثاقيل والأواقى كما سبق نقله عن مفاتيح العلوم : إن المنّ المصرى ست عشرة أوقية ؛ والمنّ الرومى عشرون أوقية . وفى (منهاج الدكان) صفحة ١٤٥ أن المن المصرى أربعون إستارا، وإستار هذا المن أربعة مثاقيل ودانقان .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٣) تقدّم الكلام على (المولتان) فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٣ من هذا السفر، فانظرها .

(٤) سمندور، يقال فيه : (سمندر) بحذف الواو (وسمنـدو) بحذف الراء، وهى مدينـة شرق نهر مهران ؛ وبينها وبين النهر فرسخان ؛ وبين (سمندور) و(المولتان) نحو مرحلتين، وبينها وبين (الرور) نحو ثلاث مراحل .

(٥) أنث الضمير فى هـذا الموضع جريا على لغة من يؤنث البلد، فقد ذكر صاحب المصباح أن البلد يذكر ويؤنث .

القمارىّ فى مَنظَره ، وهو عُودٌ حلو ، طَيّب الرائحة . وبعد القاقُلىّ العُودُ الريركى وهو عُودٌ صُلب ، خفيف ، قليل الصبر على النار ، حَسَنُ المَنْظَر واللون ، ويشبه القاقُلىّ ؛ ويؤتَى به من بلاد سُفالة الهند . وبعده العُود المطكىّ ، يؤتَى به من الصِّين وهو عُودٌ رَطْبٌ حلو طيّب ، دون الصَّنفىّ ، وفوق القاقُلىّ[1] . ثم صِنفٌ من العُود يسمّى : القُشُور ، وهو عُودٌ طَيّبُ الرائحة ، رَطْب ، أزرق ، عَذْب ، رائحتُه مِثل رائحة القطعى ، وهو دونه فى القيمة ، وبعده المانطائىّ[2] ، وهو جنس من العُود الصِّينىّ ، وهو قِطَع كِبارٌ مُلْسٌ لا عُقَد فيها ، وليست رائحته طيّبة ، وهو يَصلُح للأدوية والجَوارِشنات[3] . قال : وكذلك الحُلابى ، والنّواق ، والبربطائىّ[4] ، والبُوطاجىّ هذه الأصنافُ لاخير فيها ، ولا طِيب لروائحها ؛ وهذه الأجناس يسمونها : الأشباه .

قال : وأمّا العُود المسمّى : الإفليق ، فإنّه يُجلَب من أرض الصِّين ، ويكون فى العِظَم مِثلَ الخشب الرِّيحىّ[5] الغليظ ، يباع المَنّ[6] منه بدينار وأقلّ وأكثر ، والعُودُ من قشوره ؛ وأمّا داخِلُه وقَلْبُه فخشبٌ أبيَضُ خفيف مِثل الخلاف ؛ وإذا وُضع على الجَمْر وُجِد

---

(١) نلاحظ أن جعله هـذا الصنف من العود فوق القاقلى مناف لما يستفاد من سياق الترتيب من أن هذا الصنف بعد الريركى الذى هو بعد القاقلى .

(٢) تقدّم الكلام على اختلاف الكتب فى رواية الحرف الأخير الذى قبل ياء النسبة من هذا اللفظ فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٣٢ من هذا السفر ، فانظرها .

(٣) تقدّم الكلام على معنى الجوارشنات فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٢ من هذا السفر ، فانظرها .

(٤) لعل صوابه « المرطبانىّ » كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٤ من هذا السفر ، فانظرها .

(٥) الريحى ، أى الأجوف الذى تخترقه الريح . والذى فى صبح الأعشى ج ٢ ص ١٢٩ الرانجى ، وهو نسبة الى جزائر الرانج السابق بيانها فى الحاشية رقم ٨ من صفحة ٣٤ من هذا السفر .

(٦) تقدّم الكلام على المن فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٧ من هذا السفر ، فانظرها .

له فى أوّله رائحةٌ حلوةٌ طيّبة ، فإذا أخَذت النار منه ظهرتْ له رائحةُ جُرازِيّةٌ[1] رديئةٌ كرائحة الشَّعر . هذا ما أمكَن إيرادُه من أصناف العُود وأجناسِه ومعادِنه ، وهو معنى ما أوردَه التَّميمىُّ فى (جَيْب العَرُوس) .

ذِكرُ تطرية العُود الأبيض وإظهارِ دَهانتِه وإكسابِه[2] سوادا

قال التّميمىُّ فيما نقله عن أبى بكر بنِ محمد بنِ أحمدَ المُرَنْدِج[3] المعروف بابن البوّاب : يؤخذ من العود ما كان أبيضَ الظاهر ، إلّا أنّ فيه رزانةً تدلّ على دَهانة[4] كامنة فيه فيُبرَى بَرْيةً يسيرة ، ويُعمَد إلى قعرِ قِدرِ بِرام[5] فيثقَّب[6] حتى يصير كهيئة المُنْخُل ، ويُعمد

---

(١) جرازية : نسبة الى الجزاز بالضم ، وهو ماجز من شعر أو صوف ؛ ويؤيد ذلك قوله بعد « كرائحة الشعر » ؛ والذى فى كلتا النسختين « حرارية » ، وهو تصحيف إذ لم نجد له معنى يصح وصف الرائحة به ، إلا أن يريد وصف الرائحة بالحرارة فنسبها اليها ، وهو احتمال غريب وبعيد ، إذ لو أراد ذلك لعبر عنه بقوله « حارّة » فهو أقرب من نسبتها الى الحرارة .

(٢) فى كلتا النسختين : « واكتسابه » ؛ وعطفه على التطرية والإظهار اللذين قبله يقتضى ما أثبتنا كما هو واضح .

(٣) لعله كان يبيع المرندج أو يصنعه ، فلقب بذلك . والمرندج والأرندج جلد أسود تعمل منه الخفاف ، وهو معرب « رنده » بالفارسية ، وهو أيضا : السواد يسوّد به الخف ؛ ولم نقف على ترجمة أبى بكر هـذا فيما راجعناه من كتب التراجم الكثيرة التى بين أيدينا ؛ كما أننا لم نجد من تلقب بالمرندج ولا بما يقرب فى الرسم من هذه الحروف فيما راجعناه من معجمات الأعلام التى بين أيدينا على كثرتها .

(٤) تقدّم الكلام على لفظ الدهانة من الجهة اللغوية فى الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٦ من هذا السفر ، فانظرها .

(٥) قدر برام ، أى قدر من جنس البرام بكسر الباء ؛ والمراد به هنا : الفخار ؛ وهو استعمال عامى إذ لم نجده بهـذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ والذى وجدناه أن البرام جمع برمة بضم فسكون وهى قدر من حجارة .

(٦) ضبطنا هـذا اللفظ بالتشديد لأن المراد الكثرة ، لا ثقب واحد ، كما يعلم ذلك من قوله بعد : « كهيئة المنخل » .

الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها، فأتاه فاخترط[1] سيفه، ثم قال : من يمنعك منى ؟ فقال : الله . فأُرعدت يد غورث، وسقط سيفه، وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فرجع إلى قومه وقال : جئتكم من عند خير الناس . ومن رواية الخطابى : أن غورث ابن الحارث المحاربى أراد أن يفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه، منتضيا[2] سيفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللهم اكفنيه بما شئت» . فانكبّ غورث من وجهه من زُلَّخة[3] زُلِّخها بين كتفيه، وندر[4] سيفه من يده، وقيل : فيه نزل قوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ الآية . وقيل : نزلت فى غير هذه القصة .

ذكر خبر جابر بن عبد الله فى جَمَله ، واستغفار النبى صلى الله عليه وسلم لأبيه

روى محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبدالله قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذات الرقاع من نخل[5] على جمل لى ضعيف، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم، جعلت الرفاق تمضى، وجعلت أتخلف، حتى أدركنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : «مالك ياجابر» ؟ قلت : يا رسول الله، أبطأ علىّ[6] جملى هذا؛ قال : «أنخه» ؛ فأنخته، وأباح رسول الله صلى الله

(١) اخترط السيف : استله من غمده . (٢) منتضيا : مستلا . (٣) فى هامش ج : الزلخة : وجع الظهر . وفى لسان العرب : يقال : رمى الله فلانا بالزلخة ، بضم الزاى وتشديد اللام وفتحها ، وهو وجع يأخذ فى الظهر لايتحرك الإنسان من شدته ، ويروى بتخفيف اللام . وفى الأصل : «زلجة» وهى رواية خطأها صاحب اللسان . (٤) ندر : سقط . (٥) نخل : موضع بنجد من أرض

عليه وسلم ، ثم قال : أعطنى هـذه العصا من يدك ، أو اقطع لى عصا من شجرة ؛ قال : ففعلت . فأخـذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخسه بها نخسات، ثم قال : اركب . فركبت ، فخرج — والذى بعثه بالحق — يُواهق[1] ناقته مواهقة .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أتبيعنى جملك هذا يا جابر» ؟ قلت : يا رسول الله ، بل أهبه لك ؛ قال : «لا ، ولكن بعنيه» ؛ قال : قلت : فسُمْنيه ؛ قال : «قد أخذته بدرهم» ؛ قلت : لا ، إذا تغبنى[2] يا رسول الله ! قال : «فبدرهمين» ؛ قلت : لا . فلم يزل يرفع[3] لى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الأوقيّة ؛ قلت : فقد رضيت[4] ؟ قال : «نعم» ؛ قلت : هو لك ؛ قال : «أخذته» . ثم قال : «يا جابر، هل[5] تزوجت بعد» ؟ قلت : نعم يا رسول الله ؛ قال : «أثيبا أم بكرا» ؟ قلت : بل ثيبا ؛ قال : «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك» ؟ قلت : يا رسول الله، إن أبى أصيب يوم أحد ، وترك بنـات له سبعا ، فنكحت امرأة جامعة ، تجمع رءوسهن وتقوم عليهن ؛ قال : «أصبت إن شاء الله ، أما إنا لو جئنا صرارا[6] أمرنا بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها يومنا ذاك ، وسمعت بنا ، فنفضت[7] نمارقها» . قلت : يا رسول الله ما لنـا من نمارق ؛ قال : «إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيسا» . فلما جئنا صرارا أمر رسـول الله صلى الله عليه وسـلم بجزور فنحرت ، وأقمنا عليهـا يومنا ذاك ، فلما أمسى رسـول الله صلى الله عليه وسـلم دخل ودخلنا ؛ قال : فحدثت المرأة الحديث وما قال لى رسـول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قالت :

(١) يواهق ناقته : أى يباريها فى السير ويماشيها . (٢) فى أ : «تغنى» وهو تحريف . وفى الروض الأنف : «تغبنى» . (٣) فى أ : «يدفع» . (٤) كذا فى أ ، ج . وفى ابن هشام : «أفقد رضيت يا رسول الله» ؟ . (٥) فى أ : «قد» . (٦) صرار : بئر على ثلاثة أميال من المدينة كما سيأتى للمؤلف . (٧) الضمير يعود على زوجة جابر بن عبد الله رضى الله عنهما .

أصحابه ، وكان الذى ولى إحصاء الناس زيد بن ثابت ، فأحصاهم ألفا وأربعمائة رجل ، والخيل مائتى فرس ، فكانت السّهمان على ثمانية عشر سهما ، لكل مائة سهم ، وكان الخمس الذى صار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى منه على ما أراه الله .

وقال محمد بن إسحاق: كانت المقاسم على أموال خيبر، على الشّق ونطاة والكُتَيْبة، فكانت الكتيبة خُمس الله ، وسهم النبى صلى الله عليه وسلم وذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطُعَم أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وطُعَم رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل فَدَك بالصلح ، منهم مُحَيِّصة بن مسعود، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثين وَسْقا[1] من شعير، وثلاثين وسقا من تمر، وكانت الشق ونطاة فى سُهمان المسلمين؛ قال: وقسمت خيبر على أهل الحُدَيْبِية، من شهد منهم ومن غاب ، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرام ، فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهْم من حضرها . وقال : وكان وادياها : وادى السُّرَير ووادى خاص، وهما اللذان قسمت عليهما خيبر، فكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهما ، نطاة خمسة أسهم، والشق ثلاثة عشر سهما ، فقسمت الشق ونطاة على ألف سهم وثمانمائة سهم ، فكان لكلّ سهم رأسٌ جُمع إليه مائة رجل؛ قال: ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتيبة — وهو وادى خاص — بين قرابته ونسائه ورجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها . وروى بشير بن يسار قال : لما افتتح النبى صلى الله عليه وسلم خيبر أخذها عنوة، فقسمها على ستة وثلاثين سهما، فأخذ لنفسه ولنوائبه وما ينزل به ثمانية عشر سهما، وقسم بين الناس ثمانية عشر سهما . والله أعلم .

(1) الوسق : ستون صاعا ، أو حمل بعير .

وروى أبو داود فى سُننه بسنده إلى عُقْبة بن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل : " أترضى أن أزوجك فلانة ؟ " قال : نعم ؛ وقال للمرأة : " أترضين أن أزوجك فلانا ؟ " قالت : نعم . فزوج أحدهما صاحبه ، فدخل بها الرجل ، ولم يَفرض لها صداقا ولم يعطها شيئا ، وكان ممن شهد الحديبية ، وكان من شهد الحديبية له سهم بخيبر ، فلما حضرته الوفاة قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجنى فلانة ، ولم أفرض لها صداقا ، ولم أعطها شيئا ، وإنى أُشهدكم أنى أعطيتها من صداقها سهمى بخيبر . فأخذت سهما فباعته بمائة ألف .

ذكر تسمية من قَسم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكُتَيْبة التى خرجت للخمس وما أعطاهم منها

قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكُتَيبة — وهو وادى خاص[1] — لفاطمة ابنته رضى الله عنها مائتى وسق، ولعلىّ بن أبى طالب مائة وسق، ولأسامة بن زيد مائتى وسق، وخمسين وسقا نوًى، ولعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها مائتى وسق، ولأبى بكر الصديق رضى الله عنه مائة وسق ، ولعَقيل بن أبى طالب مائة وسق وأربعين وسقا ، ولبنى جعفر خمسين وسقا ، ولربيعة بن الحارث مائة وسق ، وللصلت بن مخرمة وابنيه مائة وسق؛ للصلت منها أربعون وسقا . وقال أبو عمر بن عبد البر فى ترجمة قاسم بن مخرمة بن المطلب[2] : أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأخيه الصلت مائة وسق من خيبر، ولأبى نَبْقة خمسين وسقا، ولرُكانة بن عبد يزيد خمسين وسقا ، ولابن القاسم بن مخرمة أربعين وسقا ، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنة الحصين بن الحارث مائة وسق، ولبنى عبيد بن عبد يزيد ستين وسقا، ولابن

(1) خاص : من أودية خيبر .

ذكر من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة شرفها الله تعالى وعظمها

ولنبدأ من ذلك بذكر وفد ثعلبة ؛ لأنه أول وفد كان بعد الفتح . ثم نذكر من وفد فى سنة تسع من الهجرة وما بعدها ، ونورده نحو ما أورده أبو عبد الله محمد بن سعد فى طبقاته ، إلا أنا نستثنى منهم من قدمنا ذكره بحكم سابقتهم ، وتقدم إسلامهم .

ذكر وفد ثعلبة

قال أبو عبد الله محمد بن سعد رحمه الله : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة[١] ، فى سنة ثمان من الهجرة ، قدم عليه أربعة نفر ، وقالوا : نحن رسل من خلفنا من قومنا ، ونحن وهم مقرون بالإسلام ، فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضيافة ، وأقاموا أياما ثم جاءوا ليودعوه فأمر بلالا أن يجيزهم كما يجيز الوفد ، فجاء بنقر[٢] من فضة فأعطى كل رجل منهم خمس أواق ، وقال : « ليس عندنا دراهم » وانصرفوا إلى بلادهم .

ذكر وفد أسد

قال محمد بن سعد . قدم عشرة رهط من بنى أسد بن خزيمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول سنة تسع من الهجرة . فيهم حضرمى بن عامر ، وضرار ابن الأزور ، فقال حضرمى : يا رسول الله ! أتيناك نتدرع الليل البهيم[٣] ، فى سنة

(١) الجعرانة (بكسر الجيم وسكون العين ، وقد تكسر العين وتشدد الراء) : ماء بين الطائف ومكة ، وهى إلى مكة أقرب .
(٢) [illegible]
(٣) تدرع فلان الليل وادرعه : دخل فى ظلمته يسرى ، كأنه لبس ظلمة الليل فاستتر به .

شهباء[١] ، ولم تبعث إلينا بعثا ، فنزل فيهم قوله عز وجل : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٢] .

قال : وكان معهم قوم من بنى الزنية وهم بنو مالك بن مالك بن ثعلبة بن دودان ابن أسد ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتم بنو الرشدة » .

وقال أبو إسحق أحمد بن محمد الثعلبى رحمه الله : إن نفرا من بنى أسد ، ثم من بنى الحلاف[٣] بن الحارث بن سعيد ، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى سنة جدبة ، فأظهروا شهادة أن لا إله إلا الله ، ولم يكونوا مؤمنين فى السر ، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات ، وأغلوا أسعارها ، وكانوا يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون : أتتك العرب بأنفسها ، على ظهور رواحلها ، وجئناك بالأثقال والعيال والذرارى — يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم — ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان . ويريدون الصدقة ، ويقولون : أعطنا . فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾[٤] الآيات . وقيل : نزلت فى الأعراب : مزينة ، وجهينة ، وأسلم ، وأشجع ، وغفار . وكانوا يقولون : آمنا بالله ؛ ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم ، فلما استنفروا إلى الحديبية تخلفوا ، فأنزل الله فيهم : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ أى انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبى ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ فأخبر تعالى أن حقيقة الإيمان التصديق بالقلب ، وأن الإقرار باللسان ، وإظهار شرائعه بالأبدان ، لا يكون إيمانا دون الإخلاص الذى محله القلب .

(١) سنة شهباء : ذات قحط وجدب .
(٢) آية ١٧ سورة الحجرات .
(٣) كذا فى الأصول ، وفى المقتضب ليا قوت ورقة ٣١ : « وولد سعد بن ثعلبة بن دودان الحارث وهو الحلاف » .
(٤) آية ١٤ سورة الحجرات .

أمر صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
بطبع هذا الكتاب بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري

المعيار المعرب

والجامع المغرب

عن فتاوي أهل إفريقية والاندلس والمغرب

تاليــف
ابى العباس أحمد بن يحيي الونشريسي
المتوفى بفاس سنة 914 هـ

خرجه جماعة من الفقهاء
بإشراف الدكتور محمد حجي

نشر وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية للمملكة المغربية

الفائدة في أملاكهم وأملاك مكتراة بيدهم أو مساقاة عندهم فإذا نضج ما حملته تلك الشجرات وحل وقت جنا المقاثي وأشباهها جمع ما تيسر له جمعه مياومة وأدخله سوق المسلمين يتكيس في بيعها من الناس بما يتراضى به المبتاع فأراد صاحب السوق أن يسعر عليه سِلَعَهُ التي استفادها لنفسِه أو جلبها ويخرج له القيمة فيها من رأسه ولا يعتبر بالقيمة التي يبرزها السوق مُكَايَسةً على حسب ما قدره قابض الرزق وباسطه لَا إِلَهَ إلا هو ويجعل حكم من ذكر في التسعير عليهم كمثل الذي يدخل سلعة في الأطعمة والفواكه والخضر والعصير والجبن والزيت والسمن يبيعها من الباعة في السوق المنتصبين لبيع ذلك من الناس هؤلاء الباعة يشترون من الجلاب ومن أصحاب الفوائد من غير سعر فيسعر عليهم صاحب السوق بعدما يعرف واجب ما اشتروا ولا يدعهم يتشططون على الناس في الأرباح جرى العمل قديماً على هذا فهل الباعة في السوق منتصبون به للشراء والبيع من الناس مثل الجالسين وأصحاب الفوائد المتمعشين في حكم التسعير أو ليسوا كذلك ويكون اعتراض المحتسب للتسعير على الجالب من الظلم الذي لا يحل له والمنكر الذي يجب القيامُ بتغييره والنهي عنه؟ بينوا لنا ذلك بمقتضى الشرع العزيز أبقاكم الله حجة لايضاح الحق وتبيينه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فأجاب عنها بما نصه: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، تأملت السؤال فوقه وسألت الله لكاتبه الحفظ والبقاء للانتفاع به واستقامة الصواب بسببه لأحكامه واجادة القول فيما يستدل به في الجواب وإحكامه، والذي ظهر لي من الجواب هو ما نص عليه القاضي الامام ابن رشد رحمه الله أن جالبِ السلع لاخلاف أنه لا يسعر عليه شيء مما جلب للبيع وانما يقال لمن اشترى منهم وباع بأعلى مما يبيع به عامة من يجلب بع بما تبيع به العامة أو ارتفع من السوق كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بِحَاطِبِ بن أبي بلتعة إذْ مَرَّ به وهو يبيع زبيباً له في السوق فقال له أما أن تزيد في السعر وأما أن ترفع من سوقنا لأنه كان يبيع بالدرهم أقل مما كان يبيع به أهل السوق فعلى هذا هؤلاء الذين يجلبون من أملاكهم مثل مَا ذكر اعلاه لا يسعر

عليهم وأكثر ما ينظر فيه صاحب أحكام السوق إذا رأى شططا كما فعل عمر رضي الله عنه وكذلك إذا رأى فساداً في السلعة ودخول ضرر ببقائها يحكم بما يرفع الضرر على المسلمين وأهل الحوانيت والأسواق الذين يشترون من الجلاب وغيرهم جملًا ويبيعون ذلك على أيديهم قيل هم كالجلاب الحكم واحد في كل ما مضى لا فرق، قاله عبد الله بن محمد والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله، وقيل إنهم بخلاف الجلاب لا يتركون على البيع باختيارهم إذا غلبوا على الناس وأن على صاحب السوق أن يعرف ما اشتروا ويجعل لهم من الربح ما يشبه وينهى عن الزيادة ويتفقد السوق فيمنع من الزيادة على ما حد ومن خالف أمره عوقب بما يراه من الأدب أو الاخراج من السوق إن كان البائع معتاداً لذلك مستترا به، وهو قول مالك في سماع أشهب، وإليه ذهب ابن حبيب، وقاله مِنَ السلفِ جماعة، ولا يجوز عند واحد من العلماء أن يقول لهم بيعوا بكذا وكذا ربحتم أو خسرتم من غير نظر إلى ما يشترون به ولا أن يقول لهم فيما اشتروه لا تبيعوه إلا بكذا وكذا مما هو مثل الثمن الذي اشتروه به أو أقل وإذا ضرب لهم الربح على قدر ما يشترون فلا يتركهم أن يغلوا في الشراء ولو لم يزيدوا في الربح إذ قد يفعلون ذلك لأمر ما مما يكون نتيجته ما فيه ضرر، انتهى ما قصدت في الجواب على ما سئل عنه، وهو بالنص والمعنى من كتاب السلطان البيان من كتاب لابن رشد رحمه الله، قاله وكتبه ابن منظور وفقه الله تعالى ولطف به مُسَلِما على من يقف عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

[حكم فرخ النحل يطير من جبح رجل ويدخل جبح آخر]

وسئل الأمام ابو عبد الله المازري رحمه الله، قيل له: ما يقول الفقيه وفقه الله في فرخ نحل طار من جبح فدخل على فرخ آخر لرجل آخر ما الحكم في ذلك؟

فأجاب: أنه ان لم يقدر على تمييزه كانوا فيه شركاء، قيل له لم ذهب الى هذا واحد القولين في المدونة خلاف ذلك وانه يكون للثاني، بين لنا وجه

الفائدة في أملاكهم وأملاك مكتراة بيدهم أو مساقاة عندهم فإذا نضج ما حملته تلك الشجرات وحل وقت جنا المقاثي وأشباهها جمع ما تيسر له جمعه مياومة وأدخله سوق المسلمين يتكيس في بيعها من الناس بما يتراضى به المبتاع فأراد صاحب السوق أن يسعر عليه سِلَعَهُ التي استفادها لنفسه أو جلبها ويخرج له القيمة فيها من رأسه ولا يعتبر بالقيمة التي يبرزها السوق مُكَايَسَةً على حسب ما قدره قابض الرزق وباسطه لَا إِلَهَ إلا هو ويجعل حكم من ذكر في التسعير عليهم كمثل الذي يدخل سلعة في الأطعمة والفواكه والخضر والعصير والجبن والزيت والسمن يبيعها من الباعة في السوق المنتصبين لبيع ذلك من الناس هؤلاء الباعة يشترون من الجلاب ومن أصحاب الفوائد من غير سعر فيسعر عليهم صاحب السوق بعدما يغرف واجب ما اشتروا ولا يدعهم يتشططون على الناس في الأرباح جرى العمل قديماً على هذا فهل الباعة في السوق منتصبون به للشراء والبيع من الناس مثل الجالسين وأصحاب الفوائد المتمعشين في حكم التسعير أو ليسوا كذلك ويكون اعتراض المحتسب للتسعير على الجالب من الظلم الذي لا يحل له والمنكر الذي يجب القيامُ بتغييره والنهي عنه؟ بينوا لنا ذلك بمقتضى الشرع العزيز أبقاكم الله حجة لايضاح الحق وتبيينه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فأجاب عنها بما نصه: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، تأملت السؤال فوقه وسألت الله لكاتبه الحفظ والبقاء للانتفاع به واستقامة الصواب بسببه لأحكامه واجادة القول فيما يستدل به في الجواب وإحكامه، والذي ظهر لي من الجواب هو ما نص عليه القاضي الامام ابن رشد رحمه الله أن جالب السلع لاخلاف أنه لا يسعر عليه شيء مما جلب للبيع وانما يقال لمن اشترى منهم وباع بأعلى مما يبيع به عامة من يجلب بع بما تبيع به العامة أو ارتفع من السوق كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحَاطِبِ بن أبي بلتعة إذْ مَرَّ به وهو يبيع زبيباً له في السوق فقال له أما أن تزيد في السعر وأما أن ترفع من سوقنا لأنه كان يبيع بالدرهم أقل مما كان يبيع به أهل السوق فعلى هذا هؤلاء الذين يجلبون من أملاكهم مثل ما ذكر اعلاه لا يسعر

عليهم وأكثر ما ينظر فيه صاحب أحكام السوق إذا رأى شططا كما فعل عمر رضي الله عنه وكذلك إذا رأى فساداً في السلعة ودخول ضرر ببقائها يحكم بما يرفع الضرر على المسلمين وأهل الحوانيت والأسواق الذين يشترون من الجلاب وغيرهم جملاً ويبيعون ذلك على أيديهم قيل هم كالجلاب الحكم واحد في كل ما مضى لا فرق، قاله عبد الله بن محمد والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله، وقيل إنهم بخلاف الجلاب لا يتركون على البيع باختيارهم إذا غلبوا على الناس وأن على صاحب السوق أن يعرف ما اشتروا ويجعل لهم من الربح ما يشبه وينهى عن الزيادة ويتفقد السوق فيمنع من الزيادة على ما حد ومن خالف أمره عوقب بما يراه من الأدب أو الاخراج من السوق إن كان البائع معتاداً لذلك مستترا به، وهو قول مالك في سماع أشهب، وإليه ذهب ابن حبيب، وقاله مِنَ السلفِ جماعة، ولا يجوز عند واحد من العلماء أن يقول لهم بيعوا بكذا وكذا ربحتم أو خسرتم من غير نظر إلى ما يشترون به ولا أن يقول لهم فيما اشتروه لا تبيعوه إلا بكذا وكذا مما هو مثل الثمن الذي اشتروه به أو أقل وإذا ضرب لهم الربح على قدر ما يشترون فلا يتركهم أن يغلوا في الشراء ولو لم يزيدوا في الربح إذ قد يفعلون ذلك لأمر ما مما يكون نتيجته ما فيه ضرر، انتهى ما قصدت في الجواب عن ما سئل عنه، وهو بالنص والمعنى من كتاب السلطان البيان من كتاب لابن رشد رحمه الله، قاله وكتبه ابن منظور وفقه الله تعالى ولطف به مُسَلِما على من يقف عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

[حكم فرخ النحل يطير من جبح رجل ويدخل جبح آخر]

وسئل الأمام ابو عبد الله المازري رحمه الله، قيل له: ما يقول الفقيه وفقه الله في فرخ نحل طار من جبح فدخل على فرخ آخر لرجل آخر ما الحكم في ذلك؟

فأجاب: أنه ان لم يقدر على تمييزه كانوا فيه شركاء، قيل له لم ذهب الى هذا واحد القولين في المدونة خلاف ذلك وانه يكون للثاني، بين لنا وجه

بجواز تحلية ما ذكرناه والقول باختياره على الركاب فبالفضة . وأما بالذهب فعلى ما قدمنا من الخلاف . وإذا قلنا بتحليته بتمويه أو خيط أو رقة وشبه ذلك مما يعرفه أهل الصنعة وبنو عونه .

وأما ضربه خالصاً من ذهب أو فضة فلا يجوز ، ولا يجرى فيه ما يجرى في تحليته، فإنه سرف واتباع سبل أهل الكبر والخيلاء . والدليل الذي قدمناه من نصِّ وَعِيد استعمال الأواني ، والمعنى الذي لخصناه وقدمناه يدل على منعه . وما حكاه أبو عمْرو بن الحاجب من القولين في المُغشَّى مِنَ الذهب برصاص ، فيجب القول بضعفه وفساده ، فإنه يصدق عليه إن فرضناه آنية أنه آنية من ذهب أو فضة مغشاة برصَاص ولا يخرجهابكونها مغشاة برصاص عن كونها آنية من ذهبٍ أو فضة فتندرج تحت نص الوعيد . فكيف تمكن مصادمة النص فيقال بالجواز ؟ ولولا عملُ الماضين من السلف الصالح على جواز حلية السيف منهما لكان الواجب على مقتضى ما قدمناه وقررناه ، الاقتصار على التمويه بالذهب أو الفضة ، بحصول الإرهاب به وما يفرَّق بين التمويه بهما والصِّياغة منهما إلا بالقرب وتحقيق النظر ، وذلك بمعزل عن العدو .

ولقد حكى بعض أئمَّة التاريخ عن قتيبة بن مسلم زمان ولايته خراسان ، أن امرأة أتته بثوْب ثمنه سبعمائة درهم ، وكان من شأنها فعل ذلك مع أمراءِ خراسان فرده عليها ولم يأخذه فحملته إلى أخيه عبدالله بن مسلم فأخذه منها بالثمن المذكور فبلغه ذلك فأمهله حتى أخذت وجوه العرب وأمراء الأجناد مجالسها وعليه ثوب قد اشتراه بأربعين درهماً . فقال للحاضرين وعبدالله في جملتهم أيُّ الثوبين أفضل ثوبي هذا أو ثوب عبدالله ؟ قالوا فإئذن لنا أن نقرب حتى نميز بينهما ، فأذن لهم فقالوا ثوب عبدالله أفضل فالتفت إليه وقال له : ليت شعري أيُّ شيء دعاك إلى شراء ثوب بسبعمائة درهم لا يفرق بينه وبين ثوبٍ بأربعين درهماً إلا بعد القيام إليه والقرب وتحقيق النظر فيه ؟ فعجب الحاضرون من قتيبة وخاله ، فكان الواجب على هذا أن لا يباح من ذلك إلا قدر المبيح ، لكن مضى العمل على ذلك . ولعلهم رأوا أن ذلك

ربما انكشف عن قريب ، فيحتاج إلى إعادة التمويه وفي ذلك إتلاف للمال ، مع أن حليته لمَّا انضافت إلى النصل صارت تبعاً بالنظر إلى القصد الأول . حتى إن سحنون ، لا يوجب رجوعاً بها عند استحقاقه . وليس الركاب كذلك ، فإنه مستقل ، فلا وجه لإباحة ضربه منهما خالصان ويلحق بمنع الآنية منهما وجواز الحلية أو منعها من فروع الزكاة والصرف وجواز اقتناء ما منع من استعماله أو منعه ، ووجوب كسره وجواز استبضاعه والاستجار عليه وشبه ذلك مما يعسُر إحصَاؤه ولا يمكن بسطه .

وربما ظن الخروج عن المقصد ببعض ما بسطنا ولكنا أشرنا إلى ذلك لطلب السائل ، ولأنه أصل وتحقيق للمسؤول عنه والله عز وجل المرشد .

قلت : وتقدم جواب الفقيه الإمام المدرس العالم الحافظ المفتي أبي موسى عمران بن موسى المشدالي عن هذه المسألة بالجواز فانظره وطالعه تطلع .

[العهود المنبرمة بين الملوك وحكم نقضها]

وسئل أيضاً أبو موسى ابن الإمام غفر الله له ورحمه بما نصه :

أدام الله لكم الامتاع كما جعل بكم ومنكم الانتفاع . جوابكم عن شأن سلطانيْن من سلاطين المسلمين ، وقعت بينهما موافقة ومصالحة ، على شروط اقتضتها الآراء الراجحة ، وأكدتها العدول والأيْمان ، والمواثيق التي أحكم أحكامها الإيمان . ومن جملة الشروط المذكورة ، والربوط المقصورة على الوفاء بحكم العهود المأثورة ، أن كل من اختص بأحد الجانبين ، وانضاف إلى أحد السلطانيْن ، لا يعرض له الآخر باستمالة ، ولا يستدعيه إلى جانبه بكتب منه ولا رسالة ، وأنه لا يقلبه ولا يخدمه إن وصل إليه ، ولا يبيح له رسالة قبل الوصول إليه والقدوم عليه . ثم إن أحد السلطانين المذكورين كتب إليه أحد خواصِّ السلطان الآخر ، وأحد قواده وعماله ، على طائفة من بلاده ، يعرفه بإرادة القدوم عليه ، وإيثاره الانخراط في سلك من انطوى

نظام الحكومة النبوية

المسمّى

التراتيب الادارية

تأليف

العلّامة الشيخ عبد الحي الكتّاني رحمه الله تعالى

الحسن علي بن شاكر الموستاري المعروف بجابي‌زاده نزيل الاستانة كتاب نفيس سماه حسن الصحابة في شرح اشعار الصحابة طبع الجزء الاول منه في ص٣٦٢ رتبه على القوافي يترجم الصحابي ويذكر اشعاره في التوحيد والثناء على الله ومدح المصطفى عليه السلام وبيان معجزاته ونحو ذلك أثبت فيه لا كثر من مائتي صحابي مابين بيت مفرد وقصيد ثم شرح مفردات الجميع وأما ما مدح به عليه السلام من شعراء أمته بعد الصحابة فشيء يجل عن الحصر ولو جمع له الناس في كل بلد او مصر اذ قل أن يجمع مسلم ديوانا الا وصدره او كل حرف منه بالامداح النبوية ، وفي الرحلة العياشية أن صاحبها وقف في مكة على السفر السابع من كتاب منتهى السول في مدح الرسول كتب سنة ٦٧٣ قال أبو سالم هذا التاليف لم يتصد به جامعه جمع كلامه او كلام مخصوص بل ما انتهى اليه علمه من الامداح النبوية وما شاكلها والله اعلم كم بقي لتمام الكتاب هـ وفي عصرنا هذا جمع صديقنا نادرة العصر وحسانه الشيخ أبو المحاسن النبهاني الشامي مجموعة في الامداح النبوية رتبها على حروف المعجم وقد طبعت في اربع مجلدات وهي على كل حال قل من كثر ونقطة من بحر . (ز قلت)

—(باب في استنشاده صلى الله عليه وسلم شعر الهالكين في غير موضع)—

خرج مسلم والبخاري في الادب المفرد عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال استنشدني النبي صلى الله عليه وسلم من شعر أمية بن أبي الصلت فأنشدته مائة قافية او بيت . وفي مسلم ايضا من حديث عمرو بن الشريد عن ابيه ردفت النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر أمية قلت

نعم قال هيه فأنشدته بيتا قال هيه فأنشدته بيتا فقال هيه حتى أنشدته مائة بيت فقال إن كاد ليسلم قال القرطبي فيه دليل على حفظ الاشعار والاعتناء بها اذا تضمنت حكما ومعاني مستحسنة شرعا وطبعا (ز قلت) استنشاده عليه السلام شعر الكفار يوخذ مما سبق لان أمية بن أبي الصلت هو الذي قال فيه المصطفى آمن شعره و كفر قلبه . (ز قلت)

—(سماعه عليه السلام الشعر المتضمن التشبيب والغزل)—

كتشبيه الريق بالراح وغير ذلك من انواع التشبيبات

قصة انشاد كعب بن زهير للنبي صلى الله عليه وسلم قصيدته بانت سعاد مشهورة فحقن صلى الله عليه وسلم دمه بها بعد الاهدار وأجازه بعد بمائة من الابل ومن عليه ببردته وقد اشترى تلك البردة منه معاوية بثلاثين الف درهم و كانت عنده من اجل ملكه واعظم و كانت أمراء بني أمية يتبركون بلبسها في الاعياد والمواسم ويعدونها الفخر لباس حتى وصلت مع الدولة لبني العباس وكان للامة الاسلامية كبير اعتناء بهذه القصيدة اللامية البديعة حفظا واستنشادا وشرحا ومعارضة ، قال الشيخ الاديب أبو جعفر البصير الالبيري الاندلسي لما ذكر الكعبية هذه وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ والحكم الذي لم يوجد له ناسخ أنشدها كعب في مسجده عليه السلام بحضرته وحضرة اصحابه وتوسل بها فوصل الى العفو عن عقابه فسد صلى الله عليه وسلم خاتمه وخلع عليه حلته و كف عنه كف من أراده وأبلغه في نفسه واهله مراده وذلك بعد اهدار دمه وما سبق من هدر كله محت حسناتها تلك الذنوب وسترت محاسنها وجه تلك العيوب ولولاها

عليه عمر الخطاب وزعم انه هجاه فلما انشد عمر رضي الله عنه :
، واقعد فإنك انت الطاعم الكاسي ، قال ما أراه قال لك باسا قال الزبرقان
سل ابن الفريعة يعني حسان بن ثابت الانصاري فإن لم يكن هجاني فلا
سبيل عليه فأرسل الى حسان فسأله هل هجاه بقوله : واقعد فإنك انت
الطاعم الكاسي قال قد هجاه فحبسه فقال الحطيئة وهو محبوس :

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ — زغب الحواصل لاماء ولاشجر
القيت كاسبهم في قعر مظلمة — فاغفر عليك سلام الله ياعمر
انت الامير الذي من بعد صاحبه — القى اليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها اذ قدموك لها — لاكن لانفسهم كانت بها الخير

قال العيني وكانت السجون آبارا فأول من بنى السجن علي بن ابي طالب
ثم قال على قولهِ في قعر مظلمة اي بير مظلمة وقد قلنا إن السجون كانت
آبارا .هـ منهُ ص ٥٢٥ من الجزء الرابع الذي بهامش خزانة الادب (قلت)
ولعل عمر كان يحبس في الآبار قبل شراء الدار التي أعدها للسجن فقد
أخرج البيهقي من حديث نافع بن عبد الحارث أنه اشترى من صفوان بن
أمية دار السجن عمر بن الخطاب بأربعة آلاف وعلقه البخاري انظر تلخيص
الحبير للحافظ بن حجر ، ونحوه في ترجمة نافع بن الحارث الخزاعي من
تهذيب النووي نقلا عن المهذب ونحوه للمقريزي في الخطط . وفي بدائع
السلك عن ابن فرحون عن ابن القيم بعد ما سبق عنهُ أنهُ لما اشتدت
الرعية في زمن عمر ابتاع بمكة دارا وجعلها سجنا وفيهِ دليل على جواز
اتخاذه هـ ملخصا . وقد كان السلطان أبو الاملاك المولى اسماعيل بن الشريف

العلوي دفين مكناس سأل علماء فاس القاضي بردلة والمناوي وابن رحال
وغيرهم من اول من أحدث السجن وكيف كان الناس يسجنون في
الآبار وكيف الجمع بين ماذكره السيوطي من أن اول من أحدث السجن
علي وبين ما ذكره ابن فرحون من أنهُ عمر لما اتسعت مملكته فأجاب
الشيخ المناوي بأن التعارض يدفع مابين ابن فرحون والسيوطي بحمل
كلام السيوطي على أن عليا اول من أحدث له مكانا مخصوصا واتخذه بقصده
في ابتداء وما كان من عمر فإنهُ كان في ثاني حال وعارضا للدار المتخذة
بالقصد الاول لغيره من السكنى ونحوها وأما استشكال السجن في
الآبار فإن المراد بها السراديب والمطامير المتخذة تحت الارض وقد تكون
من الاتساع بحيث تحمل المئين من الناس لاسيما مصانع ملوك الامم
السالفة فإنها كانت على قدر قواهم التي لانسبة بينها وبين من جاء بعدهم
وتسمية ذلك بالآبار للشبه الصوري بالكون تحت الارض مع ضيق ابوابها
ومداخلها وقد تكون مع هذا متعددة ومتكثرة على قدر الحاجة لخ
انظر نوازل الشيخ المناوي . « تنبيه » = قال القاضي ابن سعيد في التيسير
في احكام التسعير من عرض من الكتاب والشعراء بسب احد اوهجوه
سجن وأدب وقد فعل ذلك عمر بالحطيئة سجنه حين عرض بالزبرقان
بن بدر التميمي بقوله: اقعد فانك أنت الطاعم الكاسي هـ

سجن النساء

في كتب السيرة من خبر اسلام عدي بن حاتم وفراره الى الشام حين
سمع بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم وطئ بلادهم فخرج يتبعه خيل

المصافحة للعلامة الصالح أبي العباس احمد بن علي البوسعيدي أخبرني سيدي
علي بن بلقاسم البطيوي قال بلغنا أن الشيخ ابن غازي قد عين بعض احبابه
أن يكتب له كل ما جرى في البلد وما قال وقيل من خميس الى خميس
فيطالع ذلك ويكون ذلك يوم الخميس الذي تفرغ فيه من التدريس فحمل
هذا من الشيخ ابن غازي على معرفة الزمان واهله المأذون فيه او المكلف
به لما تقرر أن من لم يعرف الزمان لخ كلامه ومن خط مؤلفها نقلت . وفي
المحاضرات للشيخ أبي علي اليوسي ان الامير محمد الحاج الدلاءي حدثه عن
الحافظ ابي العباس المقري انه كان يوم مقامه بمصر قد اتخذ رجلا بنفقته
وكسوته وما يحتاج على ان يكون كلما اصبح ذهب يخترق البلد اسواقا
ومساجد ورحابا وازقة وكلما رءا من امر وقع او سمع يقصه عليه في الليل
ه (قلت) لاشك ان ابن غازي والمقري لوظهرت الجرائد في ايامهما لكانا
اول المشتركين فيها وكان الاشتراك عليهما في عشرة من الجرائد يومية
مثلا اهون من صائر الرجل المذكور وتوابعه والله اعلم . وفي الدرر المرصعة
في صلحاء درعة لابي عبد الله محمد المكي بن موسى الناصري في ترجمة الامام
السني القدوة ابي العباس احمد بن محمد بن ناصر الدرعي عن بعض تلامذته
قال كان الشيخ كثير السؤال والفحص عن احوال الناس وماجرياتهم
في الاقطار والمدائن وكان يسألني عن ذلك كثيرا قال فقلت مرة في نفسي
ما للشيخ وما الاخبار لو اشتغل بصلاته وصيامه وسبحته كان احسن له
من هذا قال فبلغني بعد ذلك بقريب وقال لي المومن يسأل عن اخوانه
المسلمين وعن احوالهم فمن كان في خير دعا له بالزيادة والهناء ومن كان

في شر وفقر دعا له بخير ورحمة قال صاحب الدرر وكان على هذا القدم
العارف الشعراني . وفي ترجمة عثمان من طبقات ابن سعد عن موسى بن
طلحة قال رأيت عثمان بن عفان والمؤذن يؤذن وهو يحدث الناس يسألهم
ويستخبرهم عن الاسعار والاخبار ، وأخرج ايضا عن موسى قال رأيت
عثمان يخرج يوم الجمعة فيجلس على المنبر فيؤذن المؤذن وهو يتحدث يسأل
الناس عن اسعارهم وعن قوامهم وعن مرضاهم ثم اذا سكت المؤذن قام
يتوكأ على عصا فيخطب ثم يجلس جلسة فيبتدئ كلام الناس فيسائلهم
كمسألته الاولى ثم يقوم فيخطب ثم ينزل ويقيم المؤذن .

باب في المخذل

(خذل اصحابه تخذيلا اي حملهم على خذلانه والخذلان ضد النصر
والمراد به من يشتت الجموع بدهائه وسياسته) ذكر ابن حزم في الجمهرة نعيم
بن مسعود بن عامر الاشجعي فقال فيه هو الذي شتت جموع الاحزاب
وفي الاستيعاب أسلم في الخندق وهو الذي خذل المشركين ببني قريظة
حتى صرف الله كيدهم وخبره في تخذيل المشركين وبني قريظة عجيب في
السيرة . (قلت) قصة نعيم مبسوطة في ترجمته من طبقات ابن
سعد انظر ص ١٩ ج ٤ وفي الاصابة هو الذي أوقع الخلف بين الجيشين
قريظة وغطفان في وقعة الخندق فخالف بعضهم بعضا ورحلوا من المدينة
وفي مبحث فصاحته صلى الله عليه وسلم من المواهب وقوله عليه السلام
الحرب خدعة رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال سمى النبي صلى الله

قال ابن عبد البر كان على غنائم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر عبد الله بن كعب بن عمرو الانصاري و كان على خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم في غيرها . وفي صحيح مسلم من كتاب الزكاة في ترك استعمال آل النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة فقال عن محمية بن جزء استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاخماس انظر ترجمته من الاصابة .

باب في الرجل يبعثهُ الامام مبشرا بالفتح وفيهِ تلقي القوم المبعوث اليهم بالبشارة للامام في الطريق يهنئونه به

قال ابن اسحاق في اخبار بدر وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبد الله بن رواحة مبشرا الى اهل العالية (ما كان من جهة نجد من المدينة) وفي طبقات ابن سعد والعالية بنو عمرو بن عوف وخطمة ووائل بما فتح الله على رسوله وعلى المسلمين وبعث زيد بن حارثة الى اهل السافلة (السافلة ما كان من جهة تهامة) قال ابن اسحاق ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة حتى اذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه وما معه من المسلمين (ز قلت) ترجم البخاري في كتاب الجهاد باب البشارة في الفتوح ثم خرج أن المصطفى عليهِ السلام وجه جرير بن عبد الله البجلي لهدم صنم دم الخلصة المسمى كعبة اليمانية وفيه أنه لما هدمه أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم يبشره ثم ترجم باب مايعطى للبشير فذكر أن كعب بن مالك أعطي ثوبين حين بشر بالتوبة (ز قلت)

باب الطعام عند القدوم

هكذا بوب البخاري آخر كتاب الجهاد فذكر فيها عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة نحر جزورا او بقرة ثم ذكر عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى منه بعيرا بأوقيتين ودرهم او درهمين فلما قدم صرارا (موضع بظاهر المدينة على ثلاثة اميال منها من جهة المشرق) أمر ببقرة فذبحت فأكلوا منها قال ابن بطال فيه اطعام الامام والرئيس اصحابه عند القدوم من السفر وهو مستحب عند السلف ويسمى النقيعة بوزن عظيمة ، ونقل عن المهلب أن ابن عمر كان اذا قدم من سفر أطعم من يأتيه ه (ز قلت)

باب في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رجع من سفره

في الموطا عن ابن عمر كان النبي عليهِ السلام اذا قفل من غزو او حج او عمرة يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ثم يقول لا إله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آئبون (اي راجعون) تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده . (ز قلت)

باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم عند كل قرية أراد أن يدخلها

في كتب السير أنه عليهِ السلام لما أشرف على خيبر قال قفوا اللهم رب السماوات وما أظللن ورب الارضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فإنا نسألك خير هذه القرية وخير اهلها وخير مافيها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر مافيها أقدموا بسم الله و كان يقولها لكل قرية دخلها خرجه النسائي من طريق سهيل بن أبي صالح عن

بقيسارية فاس دراهم موقوفة للسلف فلم يزالوا يتسلفونها ويردون فيها النحاس والنقص حتى اندرست هـ منه وهذا من اعظم ما يدلنا على الرقي في الزمن القديم وعملهم على تنشيط الزارع والتاجر ومديد المساعدة للفقير والصانع فهذا مما سبقنا به أوربا بقرون ولله في خلقه ما أراد من الشئون.

باب في المستوفى

(وهو الرجل يبعثه الامام ليقبض المال من العمال ويتخلصه منهم)
(ويقدم به عليه)

في الصحيح عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث عليا الى خالد ليقبض الخمس قال ابن اسحاق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب الى اهل نجران يجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيتهم وذلك سنة عشر كما في الكامل ففعل وعاد ولقي النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في حجة الوداع

(ز قلت) وترجم في الاصابة لحاجب بن زرارة الدارمي التميمي فذكر انه عليه السلام بعثه على صدقات بني تميم انظر ص ٢٨٨ من ج ١ (ز قلت)

« تنبيه » = وقع في قصة حجة الوداع من صحيح مسلم مقدم علي من سعايته قال القاضي اي من عمله في السعي في الصدقات ، وقال بعضهم في غير مسلم إنه بعثه اميرا لا عاملا اذ لا يجوز استعمال بني هاشم على الصدقات وفي النسائي عن البراء كنت مع علي حين أمره النبي صلى الله عليه وسلم علي الصدقات فصرح بأنه أمره ولم يقل استعمله ، قال القاضي ويحتمل انه ولي الصدقات احتسابا او أعطي عمالته عليها من غير الصدقة . قال بعضهم السعاية تستعمل في مطلق الولاية فلا تدل على الصدقات خصوصا .

(ز قلت) **باب خروجه عليه السلام بنفسه الى البادية في ابل الصدقة**

في ص ١١٢ من ج ٦ من مسند احمد عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البادية الى ابل الصدقة فأعطى نساءه بعيرا بعيرا غيري فقلت يارسول الله أعطيتهن بعيرا بعيرا غيري فأعطاني بعيرا آدد صعبا لم يركب عليه فقال ياعائشة أرفقي به فإن الرفق لا يخالط شيئا الا زانه ولا يفارق شيئا الا شانه . (ز قلت)

باب ذكر من وكله عليه السلام لحفظ زكاة رمضان

في سمط الجوهر الفاخر أنه عليه السلام وكل ذلك لابي هريرة .

(ز قلت) **باب ذكر من جعله عليه السلام على قبض مغانمه**

كان عليها خزاعة بن عبد نهم ذكر ذلك في سمط الجوهر الفاخر .

(ز قلت) **باب من كان على خمسه عليه السلام**

كان عليه عبد الله بن كعب الانصاري من بني مازن ابن النجار كما في سمط الجوهر الفاخر ايضا ، وفي ترجمته من الاستبصار شهد بدرا وكان على الغنائم يومئذ وشهد سائر المشاهد وكان على خمس النبي صلى الله عليه وسلم فيها هـ

القسم السابع

في العمالات الاختزانية وما أضيف اليها وفيه فصول

(الموازين) في صحيح مسلم عن جابر قال اشترى مني النبي عليه السلام بعيرا بأوقيتين وبدرهم او درهمين فلما قدم المدينة وزن لي ثمن البعير فأرجح

التونسي اسمها اعمال الفكر في تحرير الصاع النبوي باعمال النظر كما للعلامة السيد محمد امين مرغني رسالة سماها كشف القناع عن تحرير الصاع كما أفرد بعض العلماء الفرنسيين الكلام على الامداد والصيعان واعتنى بنقل رسومها بالفتوغراف أثبت فيها صورة الصاع المريني الذي عندي والرسالة المذكورة مطبوعة بباريز ، وقف ايضا على آخر نهاية الاحكام لصاحبنا الشهاب احمد الحسيني المصري فإنه حرر القول وأجاد في المكاييل والاوزان والدراهم الشرعية مما لايوجد عند غيره والله اعلم ، كما ان كلمة الانصاف ان مباحث المكاييل والاوزان والدرهم والدينار من كتاب الخزاعي هنا لم أر اوعب منها ولا اجمع فيما رأيت ممن كتب في المسألة من اهل المشرق والمغرب بحيث لو لم يشتمل كتابه الا عليها لكان جديرا بالاعتبار ، وذلك انه عقد تحت باب ذكر اسماء الاكيال والاوزان الشرعية عدة فصول اولها في قوله عليه السلام الوزن وزن اهل مكة والمكيال مكيال اهل المدينة ، الثاني في معرفة الاوزان في عهده عليه السلام ومعرفة اقدارها وهي عشرة ، ثم ترجم للدرهم بسبع مسائل الاولى في ذكر استعماله الثانية هل كان معلوم القدر ام لا الثالثة في معرفة مقداره الرابعة في الترجيح بين هذين القولين في عدة حبوب الدرهم الخامسة في الدليل على استعمالهم حب الشعير في اوزانهم في الجاهلية والاسلام السادسة في معنى تسمية الدرهم بالشرعي ، ثم ترجم لذكر الدرهم والمثقال ومعرفة مقداره وللقيراط واستعماله ومقداره والاوقية واستعمالها ومقدارها والنش واستعماله وقدره والنواة واستعمالها ومقدارها

والرطل واستعماله ومقداره والقنطار واستعماله ومقداره ثم ترجم لاسماء الاكيال المستعملة في عهده عليه السلام وهي المد والصاع والفرق والعرق والوسق وأوسع ايضا في استعمال كل ومقداره فقف عليه اوعلى اختصاره لكاتبه فإذا ضم ما زدناه عليه هنا بما عنده صح افراده بمؤلف مستقل لايكون افيد منه في الموضوع . (خاتمة) انما أطال الفقهاء في هذه المسألة محافظة على القدر الواجب اخراجه في زكاة الفطر ولانه تكره الزيادة على الصاع لان التحديد من الشارع فالزيادة عليه بدعة مكروهة كالزائد في التسبيح على ٣٣ قاله القرافي وبواسطة ابن الحاج على ميارة نقلت .

باب في اتخاذ الابل والغنم

ذكر ابن جماعة في مختصر السيرة له انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من النعم الناقة التي هاجر عليها من مكة اشتراها من أبي بكر بثمانمائة درهم وكان له جمل يقال له الثعاب وغنم يوم بدر جملا مهرفا لابي جهل وكانت له عشرون لقحة بالغابة على بريد من المدينة من طريق الشام يراح اليه صلى الله عليه وسلم كل ليلة بقربتين من البانها وكانت له خمس عشرة لقحة غزار كان يرعاها يسار مولى النبي صلى الله عليه وسلم وكان له سبع لقاح وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شياه عديدة منها سبعة اعنز ترعاهن أم ايمن وغيرها عند غيرها (زقلت) في العتبية قال مالك بلغني ان عمر بن الخطاب اتخذ ابلا من مال الله يعطيها الناس يحجون عليها فإذا رجعوا ردوها اليه ، قال ابن رشد في البيان والتحصيل هذا من النظر الصحيح

وفي خصب واخرج الطبراني في الكبير عن ابن عمر رفعه لواذن الله لاهل
الجنة في التجارة لاتجروا في البز والعطر اوردها في جمع الجوامع
فمنهم امير المومنين عثمان بن عفان قال ابن قتيبة في المعارف في صنائع
الاشراف كان عثمان بزازا وقال ابن عبد البر جهز عثمان جيش العسرة بتسعمائة
وخمسين بعيرا وتم الالف بخمسين فرسا وعن قتادة قال حمل عثمان على الف بعير
وسبعين فرسا ه وكل ذلك مما اكتسب من المال بحرفة البزازة اذ لم يكن
يحترف بغيرها ومنهم طلحة بن عبيد الله ذكر ابن قتيبة في المعارف
وابن الجوزي في التلبيس انه كان بزازا وذكر ابن الزبير انه سمع
سفيان بن عيينة يقول كانت غلة طلحة بن عبيد الله الفا وافية كل يوم
قال والوافي وزنه وزن الدينار وعلى ذلك وزن دراهم فارس التي تعرف بالبغلية

(ز قلت) ومنهم سويد بن قيس العبدي ترجمه في الاصابة فذكر
ان سماك بن حرب روى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم شترى منه رجل
سراويل اخرجه احمد واصحاب السنن وفي رواية عنه جلبت انا ومخرمة العبدي
بزا من هجر فاتيت مكة فجاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى
فساومنا سراويل فبعناه منه فوزن ثمنه وقال للوازن زن وارجح

ومنهم عبد الرحمان بن عوف عده من البزازين ابن الجوزي في
التلقيح . (ز قلت)

باب في سوق البزازين في المدينة على عهده عليه السلام

في حديث ابي يعلى الموصلي بسند ضعيف جدا عن ابي هريرة قال دخلت

السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى
سراويل باربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان يزن فقال له صلى الله
عليه وسلم زن وارجح فقال الوزان إن هذه الكلمة ما سمعتها من احد
القصة قال الزرقاني في شرح المواهب على قوله الى البزازين نسبة الى البز
الثياب او متاع البيت من ثياب ونحوها وبائعه البزاز كما في القاموس
وقد أخرج حديث الترجمة ابو سعد النيسابوري في كتاب شرف المصطفى
في تجارته عليه السلام .

باب في العطار

بوب البخاري في صحيحه لدى كتاب البيوع باب العطار وبيع المسك
وخرج فيه عن ابي موسى الاشعري مثل الجليس الصالح والجليس السوء
كمثل صاحب المسك وكير الحداد ما يعدمك من صاحب المسك إما
تشتريه او تجد ريحه وكير الحداد يحرق ثوبك او تجد منه ريحا خبيثة
وذكر الثعالبي في كتاب التمثيل والمحاضرة عن عمر أنه قال لو كنت
تاجرا لما اخترت على العطر شيئا ان فاتني ربحه لم يفتني ريحه .

(ز قلت) قال العيني العطار على وزن فعال الذي يبيع العطر وهو
الطيب ه وقال الحافظ في الفتح ليس في حديث الباب سوى ذكر المسك
وكأنه الحق العطار به لاشتراكهما في الرائحة ه الطيبة (ز قلت)

باب في الوزان في زمنه عليه السلام

تقدم عن مسند ابي يعلى الموصلي من حديث ابي هريرة وكان

لاهل السوق وزان يزن فقال له عليه السلام زن وارجح وهو في معجم
الطبراني الاوسط ايضا واخرجه احمد في مسنده وفي سنده ابن زياد هو
وشيخه ضعيفان قاله السيوطي في فتاويه قال الخفاجي في شرح الشفا
أقول انجبر ضعفه بمتابعته ه ومعنى قوله عليه السلام له زن اي زن التمر
وارجحه اي زد عليه حتى ترجح الميزان اي بزيادة الكفة التي فيها الدراهم
يقال وزن المعطي واتزن كالآخذ ، وفي تحفة الناظر وغنية الذاكر في
حفظ الشعائر وتغيير المناكر لابي عبد الله العقباني التلمساني روى عن
علي رضي الله عنه أنه مر برجل يزن الزعفران وقد أرجح فقال له أتم
الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كأنه أمره بالتسوية ليعتادها
ويعمل الواجب ، وعن ابن عباس انكم معاشر الاعاجم وليتم امرين
بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم
يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة
يزنون واهل المدينة يكيلون ه وحديث اول الترجمة يدل على أنه عليه
السلام كان يتكلم مع كل صاحب حرفة بما يتعلق بحرفته ويقول له ما
يزيده بها اغتباطا وبآدابها واحكامها ارتباطا فهو اصل ما ذكره مسند
اليمن ومفتيه الوجيه الاهدل في النفس اليماني لدى ترجمة شيخه عبد
الصمد الجاوي أنه كان من طريقه اذا وصل اليه الطالب يسأله عن تفصيل
حاله فاذا عرف ملازمته لخصلة خير أطال له المقال في مدحها وشرح له
من احكامها وآدابها ليزداد ملازمة لها ويكون على بصيرة من امره
قال ولما وصلت اليه لم يزل يقرر لي آداب الفتوى وأن المفتي لاينبغي له

أن يقتصر على مجرد السؤال بل اذا كان له المام بالواقعة لاحظها في
جوابه فإن في ذلك مصالح دينية يعرفها الممارس في هذا الشان ه

(تتمة) تمام الحديث السابق عند الطبراني وابي يعلى أنه صلى الله
عليه وسلم اشترى سراويل باربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان فقال له
زن وارجح وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل فذهبت لاحمل
عنه فقال صاحب الشيء احق بحمل شيئه الا أن يكون ضعيفا فيعجز
عنه فيعينه اخوه المسلم فقلت يارسول الله انك لتلبس السراويل قال
اجل في السفر والحضر وبالليل والنهار فإني أمرت بالستر فلا أجد شيئا
استر منه والحديث المذكور مستند ابن القيم في الهدى في جزمه بانه
صلى الله عليه وسلم لبس السراويل ولدي قال الخفاجي في شرح الشفا
منه يعلم أن تخطئة ابن القيم لاوجه لها وكونه اشتراها ولم يلبسها بعيد
جدا وقد لبسها عثمان وهو محاصر وكون الثمن اربعة دراهم هو المروي
الا ما في الاحياء من أنه بثلاثة ه وانظر تاليف سيدنا الخال في المسألة
وهو مطبوع .

باب في الصراف

﴿ ذكر من كان يتجر في الصرف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

في الصحيح عن ابى المنهال قال كنت أتجر في الصرف فسألت
زيد بن ارقم رضي الله عنه والبراء بن عازب عن الصرف فقالا كنا تاجرين
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألنا رسول الله صلى الله عليه

بن زيد عن اسحاق بن عبد الله بن الحرث بن نوفل عن ابيه قال اشترى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة بسبع وعشرين ناقة فلبسها ولفظ ابن
سعد اوقية ورجاله ثقات لاكن لعلي واسحاق فيها كلام وفي طبقات ابن
سعد من طريق ابن سيرين ان النبي صلى الله عليه وسلم اشترى حلة واما
قال ثوبا بتسع وعشرين ناقة انظر ص ١٥٥ من الجزء ١ من القسم الثاني
وفيها لدى ترجمة اسامة بن زيد ان حكيم بن حزام اهدى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم حلة كانت لذي يزن وهو يومئذ مشرك اشتراها
بخمسين دينارا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا ناخذ هدية من
مشرك ولاكن اذا بعثت بها فنحن ناخذها بالثمن بكم اخذتها قال
بخمسين دينارا قال فقبضها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لبسها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وجلس علي المنبر للجمعة ثم نزل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكسا الحلة اسامة بن زيد وفي شرح الطريقة المحمدية للعارف
النابلسي نقلا عن والده الشيخ اسماعيل في شرحه على الدرر خرج صلى
الله عليه وسلم ذات يوم وعليه رداء قيمته الف درهم وربما قام عليه السلام
الى الصلاة وعليه رداء قيمته اربعة آلاف درهم هـ منه ص ٣٦٤ من ج
٢ ونقل نحوه الخادمي شرحها على التتار خانية من كتب الفقه الحنفي
انظر ص ٣٦ من ج ٣ منه واخرج ابن منده والمستغفري ان عبد العزيز
بن سيف بن ذي يزن الحميري قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بهدية فدفع
اليه حللا فدفع منها النبي صلى الله عليه وسلم حلة الى عمر فقومت بعشرين
بعيرا انظر ترجمة عبد العزيز من الاصابة وفيها في ترجمة هاني بن حبيب

الداري نقلا عن الشراطي قدم في وفد الداريين مع تميم الداري واهدى
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قباء مخوصا بالذهب فاعطاه العباس فباعه
من رجل يهودي بثمانية آلاف وفي باب مناقب ابي بكر من ارشاد
الساري عن ابن عباس عن عائشة ان ابا بكر انفق على النبي صلى الله
عليه وسلم اربعين الف درهم وكان صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء من
لا يخشى الفقر واعطى غير واحد مائة من الابل والذين اعطاهم مائة
ناس كثير منهم ابو سفيان وابنه معاوية والحارث بن هشام وقد عدهم
البرهان الحلبي وقال انهم يبلغون الستين من المؤلفة قلوبهم وكذا ذكر
الشيخ قاسم بن قطلوبغا في تخريج احاديث الشفا واعطى صفوان بن
امية مائة ثم مائة ثم مائة وذكر ابن فارس في كتاب اسماء النبي صلى
الله عليه وسلم انه في يوم خيبر جاءت امراة فانشدت شعرا تذكر ايام
رضاعه في هوازن فرد عليهم ما اخذه واعطاهم عطاء كثيرا حتى قوم ما
اعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة الف الف قال ابن دحية وهذا نهاية
الجود الذي لم يسمع بمثله في الوجود وفي الشفا وشرحها للشهاب ورد
على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف نفس من النساء والذرية
غير الاموال التي غنمها لما غزاهم وكانت اربعة وعشرين الفا من الابل
واكثر من اربعين الف شاة من الغنم واربعة آلاف اوقية من الفضة والاوقية
اربعون درهما وقوم ابن فارس ما وهبه لهوازن فكان خمسمائة الف
الف وقيل ستمائة الف الف وقال ابن حجر المكي في المنح المكية كان
السبي وهو النساء والذراري ستة آلاف راس والابل اربعة وعشرين